

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠/٧٧

الجامعة الأردنية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
وآدابها
- x -

قضايا الأدب والنقد المعاصر - ج ١

فسي

سر الفصاحة

لابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ - ١٠٧٢ م)

إعداد وتقديم الطالب: بللياني بن عمر

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد بركات أبو علي



قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب
بالجامعة الأردنية لعام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

كلمة شكر

أتقدم بالشكر الخالص إلى كل من شاطرني تجشم معاب وجهود هذا البحث. وأخص بالشكر أستاذي الدكتور محمد بركات أبو علي الذي كان خير مشرف وموجه، بفضل جهوده المتواصلة وإرشاداته البناءة. فقد كان معي في جميع دقائق البحث. كما أتقدم بالشكر إلى أستاذتي كافة في قسم اللغة العربية؛ والقائمين على شؤون المكتبة الذين كان لهم الفضل في توفير ما أحتاج إليه من مصادر ومراجع.

فهرس الموضوعات

١٣ - ١

المقدمة.

٤٠ - ١٣

التمهيد.

١١٢ - ٤١

الفصل الأول : قضايا الأدب.

١ - الشر.

٢ - الشعر ومستوياته وطبقة الشعراء (الموازنة).

٣ - الخصائص الفنية الشعرية في ضوء الممارسة الخفاجية.

٤ - اللغة التأليفية في ضوء تأليف الكتاب والتأليف المقترح.

٢٩٣ - ١١٣

الفصل الثاني : قضايا النقد.

توطئة: ابن منان ونظرية التأليف.

المستوى النقدي الأول: تأليف الأصوات والحروف والكلمات في

ضوء الفصاحة والنقد.

المستوى النقدي الثاني: الكلام واللغة في ضوء الفصاحة والبلاغة

والنقد.

المستوى النقدي الثالث: الألفاظ المؤلفة والمعاني مفردة في ضوء

الفصاحة والبلاغة والنقد.

المستوى النقدي الرابع: ١ - طبقة الشعراء ومستويات الشعر في

رأي الخفاجي.

٢ - في الفرق بين المنظوم والمشور.

٣٤٦ - ٣٩٤

الفصل الثالث: "مر الفصاحة" بين التأثير والتأثير.

١ - التأثير.

٢ - التأثير.

٣١٧ - ٢٤٧

الفصل الرابع: ابن منان في الميزان: ميزات منهجه ورأي العلماء فيه.

الخاتمة.

ثبت المصادر والمراجع.

مقدمة:

إنه مما يواجهك وأنت مقبل على كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي (-٤٦٦هـ/١٠٧٢م) هو ذلك العنوان المثير بسريته الذي جاء على هيئة سؤال يدعو إليه القارئ عن كتب، بتشويق قبل أن يلج مضمونه. وكأنني به يقول: ما سر الفصاحة أو هذا هو سر الفصاحة أو هنا سر الفصاحة. وأشبه ما يكون هذا العنوان بمفتاح في باب قد أقفل إلى حين، وخلف هذا الباب سر أثر قيمة يخشى عليها لنفاستها وخطورتها، وإذا به موضع إهتمام أودعت فيه أشياء نادرة عما هو معلن خارج حيزه، وكأنه ضرب من الإعلان الخفي يجري على جهة الدعوة والإشهار، مثلما يفعل ذلك التاجر الذي يبحث في ذبوع بضاعته ورواجها، فتراهم يختار المسميات الجميلة، المثيرة لجلب المتلقين إليه متى يستلمع إلى ذلك سيلاً.

فإذا تخيلت العتبة الأولى من هذا الباب ألقيت بحراً عابياً يتكشف لك عن وجهه رويداً رويداً سهلاً قريباً ثم يشرع في الصعود سوب القمة، ثم يتراجع شيئاً فشيئاً، حتى يتماوى أوله بآخره. وتجد موطن متألقة كالأعلام في هذا البحر، أو قل إن شئت أعمدة يرتكز عليها صرح هذا البحث في مجمل الصارمة. فإذا أخذت الكلمات التالية: سر - الفصاحة - بلاغة - نقد - موازنة - أدب وغيرها، ترى أن المعطيات التي ساقها الخفاجي لا تخرج عن إهتمامها إليها بشكل أو بآخر، وإن تنوعت في أسانها.

لقد رسم ابن سنان الهدف الذي يصبو إليه في مشروعه هذا، قبل خوض معركته، وعرض وسائله وقضايام وأحكامه. ويلاحظ القارئ أن ابن سنان قد أقام دراسته على حسن التأليف والنظم على مستوى المفرد لإعطاء الفصاحة، وعلى مستوى السياق (الألفاظ والمعاني) لانبجاس البلاغة. ذلك أن الفصاحة حسبما أقره أحد شطري البلاغة. فالأولى مستوى أول والأخيرة مستوى ثان. ولا ينبغي أن تكون البلاغة مبرراً للفصاحة. ويجمع بين الطرفين عامل مشترك يتمثل في الظهور والبيان. وفي هذه الحالة قد يعتقد القارئ أن الخفاجي لم يوفق العنوان حقه، ويقترح أن يكون (سر الفصاحة والبلاغة) وعلى هذا نقول: إن الألفاظ في أصلها مادة الكلام كله، فإذا خلت من المضادات جميعها، تأهلت لأن ترشح وتندرج في بناء السياق اللغوي في خصوصيته، والجهاز اللغوي في عموميته. ويكون ابن سنان في هذه الحالة قد دعا إلى مشروعه من خلال الجزء أي بشرط ما أغفل الدعوة إليه في البلاغة. وأنسب ما يكون

عنوانه بفصل الأصوات والحروف والألفاظ المولدة في منأى عن صفة ما تؤديه من معان. غير أننا لا نقصر هنا عند هذا الحد، وناخذ بمبدأ التقديعية بوصلنا ذلك بضمون الكتاب ليتكامل الأمران، وينتضي الإشكال، ويتضح المقصود.

إن اصطلاحى الفصاحة والبلاغة مختلفان في أصلهما، متقاطعان في وظيفتهما في وصف العملية التأليفية أو النظرية على مستوييهما. وهناك علاقة أكيدة بين الفصاحة والبلاغة تمثل التقاء الطرفين، وهي واضحة في سر الفصاحة من الناحية النظرية والتطبيقية. (١)

وما يستلزمه الاجتهاد هو أن الكتاب نقدي في أغلبه، أدبي في أقله، ناهيك عن تلك الشواهد المزمنة لخطوات النقد. والسبب في هذا النزوع هو أن النقد أوسع مجالاً من الأدب، لأنه يستقي قوته من العلوم الأخرى كافة، كما فعل الخفاجي في هذا المضمار، حيث استعان بعلم الأصوات والكلام والمنطق والفلسفة والأخبار والنحو والصرف واللغة والعروض والمعاني وغيرها. ولأجل هذا كله يصغر الأدب كما تصغر البلاغة بعد إزاء النقد.

ويتعين على الناقد الناشئ أن يدرك جيداً التمييز بين الفنون وما تنطوي عليه من اصطلاحات. فالفصاحة تختلف عن البلاغة على سبيل المثال. فمكان الأولى قاصر على وصف الألفاظ في أصواتها وحروفها وعلاقاتها التأليفية في المفرد وفي السياق الشكلي (المبنى). فكل كلام فصيح على حد رأي الخفاجي يبلغ وليس كل يبلغ فصيحاً (٢). وهذه علاقة تقاطعية لا عكسية، بموجبها يدرك الناقد موقفه من العملية النقدية، ويعرف اتجاه مسيرته في مختلف المستويات، كما صنع ابن سنان من قبل، حيث كان يكشف العناصر ويصنفها تصنيفاً متجانساً، فيفصل بين الأصوات كأعراض مختلفة لا متضادة، لا أجسام تدرك وتعتقل، والحروف بصفتها هيئة للأصوات، عارضة لها، تميزها عن غيرها (٢)، وأن الكلمة تأليف مركب على مستوى المفرد، ثم

١ (٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (-/٥٤٦٦-١٠٧٢م) ص ٥٨-٥٩، دار الكتب العلمية ط ١٤٠٤/١٤٨٢.

٢ رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا (أبو الحسين بن عبد الله البخاري -٥٤٢٨/١٠٢٦م ص ١٠٢، ١٠٤، ٦٠ تحقيق محمد حسن الطيان ويحيى مير علي، دار الفكر دمشق ١٩٨٢م. وقد أوضح الدكتور محمد بركات أبو علي هذه المسألة في كتابه "فصول في البلاغة" ص ٢٥ وما بعدها. الناشر دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان ١٤٠٢/١٩٨٢م. في باب (التقاء الفصاحة والبلاغة).

ينعت هذه الوحدات (الكلمات) المساهمة في تكوينها تلك الأصوات وتلك الحروف، والتي تحسن إذا انضمت منها الميوب المنافية لنصاحتها، في تألفها مع بعضها في منأى عن المعالي. فإذا تألفت تألفاً محموداً في جزئياتها حسنت في كليتها. فإذا صفت ووضحت هذه الأخيرة في مدارجها المذكورة، سارت جاهزة لأن توصف إلى جاذب المعالي ضمن ذلك التفاعل الذي يجمع بين المبنى والمعنى. وهذا الذي يحبذ ويتنصر إليه النقد المعاصر والذي يصطلح عليه باسم اللغة التصويرية الإيحائية، التي لا ينفصل فيها مضمونها عن شكلها، بحجة أن اللفظة لا تمشي إلا في السياق. وفي هذا الموضع يلتقي الخفاجي مع عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) في نظرية التأليف عند الأول ونظرية النظم عند الثاني (٤)، وهما شيء واحد لولا اختلاف الإجراء والأساس المعتمد في النظرية. وما أحسن تكامل امتداد ابن منان في تأليفه وارتداد الجرجاني في نظمه. فالأول يشبث قيمة الكل من خلال الجزء، والثاني يشبث قيمة الجزء من خلال الكل.

ونرى الخفاجي قد قصر الإجابة في الكشف عن سر الفصاحة النكامن في إعجاز القرآن الكريم في الصرف وخرق العادة بالمعجزة (٥)، ثم مال بعد ذلك إلى وصف التأليف وخفياؤه ودقائمه في عينات ونماذج متنوعة من القرآن الكريم والحديث الشريف وما في التراث العربي من شعر ونثر. فإنه على كل حال قد بلغ ما اقترحه في البداية. وبالفعل كادت مراحل متساعدة متكاملة، مرجعها إلى عنوانه المتصل مع شطر البلاغة.

وموضوع سر الفصاحة إبداع من وحي القرن الخامس الهجري، تلخصت فيه ثمرات أنفس المصادر السابقة وجهودها، حتى سار الكتاب يضاهي المعجم في مصطلحاته وحقائقه ومصطلحاته وقواعده ونظرياته. وهو فوق هذا تجربة متميزة وإن تشاكنت المعلومات سابقها بلادقتها، كما أنه مصدر لا غنى للباحث عنه، ذلك أنه مؤلف تجمعت فيه شواهد متنوعة من القرآن الكريم

(٤) أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ/١٠٧٨م أو ١٠٨١م) تحقيق محمد رشيد رضا. مطبعة المنار القاهرة ١٩٢٥/١٣٤٤هـ. وأنظر دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر مكتبة الخالجي، القاهرة ١٩٨٤/١٤٠٥هـ. وأنظر معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني الدكتور محمد بركات أبو علي ص ١٢-٤٢ (عبد القاهر والنظرية) دار الفكر عمان ١٤٠٥/١٩٨٤.

(٥) سر الفصاحة طبعة دار الكتب العلمية ١٢-١٥-٩٩، ١٠٠، ١٠١.

والحديث الشريف والشعر والنثر، تحمل في كنفها تطبيق النظريات كافة، حسب مقتضى كل حالة؛ كما يتوافر على شعر وشعراء وكتابة الأولين والمحدثين وكتبهم، بالإضافة إلى نبذ نقدية وتاريخية واجتماعية ساهم فيها الحكام والحكماء وعامة الناس، وغيرهم ممن له أدنى أثر في هذا البحث. وفي الكتاب ما يربو على تسع وأربعين قضية في النقد والأدب والبلاغة والأصوات؛ فهي وسائل ومساير تزود الناقد والأديب والبلاغي في دراسة الآثار التي تواجهه. وتشترك هذه القضايا مجتمعة بما يتغلغلها ويماطلها في عصرنا الراهن، ولا أجد كبير اختلاف إلا فيما قلّ من المواطن؛ كالوحدة الموضوعية في النقد واعتبار القائل قبل القول والاتجاه الداخلي والخارجي في تحليل ودراسة النص، والجزئية والشرطية، والحكم على الناعلم أو المؤلف من خلال الغرض، كان يرفض شعره لأجل مجونه هو، والسيطرة على إرادة الشاعر أو تقييد خياله وتوجيهه أو إلزام دقته الشعرية في اتجاه دون آخر ما يؤدي إلى ضعف القرينة وقصور الإبداع، ومع ذلك فهي إشارات إلى مسائل مهمة تنبئ بالوعي الجماعي الثقافي تلك الفترة، واثبتت إلى قضايا من الخطورة بمكان في حقل الأدب والنقد، وفضلها في ارتيادها هذه الرؤية، وفي كونها إلهامات وبواكير لأوليات النقد. فلا خير إذا أقاد منها الباحث وسوبها في ضوء النظرة المعاصرة.

وقد بُني البحث على فصول أربعة، وابتدئ بتمهيد هيء فيه الجو المناسب قبل الدخول إلى صلب الموضوع، ثم بين فيه صلة القرن الخامس الهجري بابن سنان، مع الإشارة في ذلك إلى الروافد والتيارات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أقرت في شخصيته. وعُمد إلى وصف نخبة من المصادر والمراجع ذات علاقة بسر الفصاحة أسلوباً ومنهجاً وقضايا وأفكاراً وأحكاماً، لتكون في عين القارئ نموذجاً يحتذى به وصورة يهتدى بها، وتكون مجالاً للموازنة والقياس لما بينها من اختلاف واتلاف، كما عُرض إلى حياة الخفاجي وأثرها السياسي والثقافي والاجتماعي في تشكيل شخصيته.

أما المحاور التي تركز عليها الدراما فنحصر في:

قضايا الأدب: وتناولت فيها القضايا الأدبية التي جاء بها ابن سنان وصفها تصنيفاً ينسجم مع طبيعة الفن ونوعيته الذي تنتمي إليه كل واحدة: الرسائل والخطب والتوقيعات والأمثال والتقاليد ومأثور الكلام والكلام في مجرى الحكمة. وقد قدمت أشهر الكتاب الذين استشهد بهم الخفاجي تقديماً على الترتيب الزمني، مبيناً أثرهم في بناء هذا البحث، ثم تحدثت عن مبنية الشعراء والموازنة بين مستويات شعرهم في ضوء

المعيار الذاتي المزاجي وال منهجي والموضوعي، وأثر الزمن في هذه الموازنة في نظر ابن سنان، وكان ذلك في الفصل الأول أما الفصل الثاني فقد أفردته لدراسة قضايا النقد الواردة في "سر الفصاحة" ولعله أوسع مرحلة في الكتاب لكثرة ما يحتوي عليه من القضايا العديدة التي لا يجوز اجتزاء بعضها أو طرح بعضها حتى يبقى ذلك التصاعد والتكامل قائمين. فالمعملية تبتدىء بالأسوات التي دار رحاها بين الخفاجي (-٥٤٦٦هـ) وأساتذته (٦) في علم الكلام، حول مفهوم الأسوات وعرضيتها وإدراكيتها ومقوليتها ولاتضاديتها وغيرها كهيئة الصوت ووجوده في الهواء. ثم تناولت الحرف بصفته هيئة عارضة للصوت تميزه عن غيره من الأسوات (٧).

(٦) أساتذته في علم الكلام هم أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٢٥-٢٣٠٢/٨٤٩-٩١٥م) معتزلي، من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، تنسب إليه الجبائية. أنظر الخطط المقرزية (المواعظ والاعتبار). تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ (٨٤٥-١٤٤١م) دار صادر طبعة جديدة بالأوفست بيروت (٤) وأبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي (-٥٢٢١/٩٢٢م) من أئمة المعتزلة، إليه تنسب البهشية، أستاذ القاضي عبد الجبار (-٥٤١٥/١٠٢٤م). أنظر الفهرست لابن النديم (محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق) ص ٢٦١، المكتبة التجارية الكبرى مطبعة الاستقامة. القاهرة ١٩٢٩/٥١٢٤٨م.

أبناء الرواة على أبناء النحاة لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (-٥٦٤٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٩٦/٢. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٢٧٠/٥١٩٥٠م، ١٩٥٥/٥١٢٧٥م.

وفيات الأعيان لابن خلكان (-٥٦٨١/١٢٨٢م/٢٦٧ تحقيق ذ. إحسان عباس. دار صادر بيروت ١٩٧٢م/١٢٩٢هـ (٨ ج) والقاضي عبد الجبار بن أحمد الهذلي الاستربادي شيخ المعتزلة في عصره (-٥٤١٥/١٠٢٤م). أنظر طبقات المعتزلة لابن المرتضى (-٥٨٤٠/١٤٢٦م) تحقيق سوسنة ص ١١٢ ديفلد فلزر المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١م/١٢٨١هـ. والشراف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن أبي طالب. كان إماماً في الأدب والشعر وعلم الكلام توفي (-٥٤٢٦/١٠٤٤م) وهو أخو الشريف الرضي (-٥٤٠٦/١٠١٥م). أنظر وفيات الأعيان ٢١٢/٢.

(٧) رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٦٠، ١٠٢، ١٠٤.

ثم تطرقت إلى الخلاف حول تسمية المعجم العربي وعدة حروف العربية، وألحقت ذلك بالكلام عن الحروف الفرعية المحمودة في التأليف والمذمومة فيه، ثم تحدثت عن الألف الساكنة أبداً بين شتيها ومنكرها بحجة أن لا سورة لها، وأنه لا يبدأ بساكن في العربية. وأتبع ذلك بصفات الحروف ومخارجها في نظر الخفاجي ومن يجري مجراها، كما بينت سورة الصلاة التأليفية للحروف بوصفها جزئيات للتأليف، ثم تكلمت عن الفصاحة والبلاغة والتأنيها في الظهور والبيان (٨)، وأوردت نماذج وعينات تعزز ما رشحته لذلك باعتبارها مواهب تكتنف نظريات وقواعد كان يعتقد بموجبها الخفاجي. وبينت وفائدة الأجزاء السابقة على مستوى اللفظ المفرد والسياق الشكلي (أي وصف الألفاظ في معزل عن المعاني). وجئت بالمصطلحات والقواعد والقوانين في محاكاة القضايا المعروضة لاجتناب التكرار ومراعاة العرف اللغوي.

ثم انتقلت إلى الكلام في المعاني مفردة، فتناولت سعة التقسيم في الكلام وتجنب الامتناع والتناقض وغير ذلك مما هو موجود في الرسالة، ثم عرجت إلى الكلام في طبقة الشعراء ومستويات شعرهم في ضوء المقاضلة والموازنة النقدية والمزاجية والمنهجية والمياري الزمني. ثم تعرضت إلى الفرق بين النظم والشر وخصائص كل جانب إزاء الآخر، وأنهيت هذا الجانب بوصية مختصرة لابن سنان إلى كل أديب أو ناقد ناشئ، ثم تطرقت إلى فصل التأثير والتأثير، وهي مرحلة من الأهمية بمكان، تمثل المنطلق لفترة قبلية وبعديّة لهذا المؤلف القيم. وقد رجعت إلى عدد من المصادر ذات صلة وثيقة بالموضوع أهمها:

- ١ - كتاب سيوييه (١٨٠٠هـ). (٩)
- ٢ - أخبار أبي تمام للصولي (٢٢٥٠هـ). (١٠)

(٨) من الفصاحة طبعة دار الكتب العلمية ص ٥٨، ٥٩، فصول في البلاغة. د. محمد

بركات أبو علي ص ٢٥ وما بعدها (باب التمام الفصاحة بالبلاغة).

(٩) كتاب سيوييه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠٠هـ/٢٩٦م) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون دار القلم بيروت ١٩٦٦م/١٣٨٦هـ.

(١٠) أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (٢٢٥٠هـ/١٩٦٦م) تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبد عزام ونظير الاسلام الهندي. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٦٢م/١٢٥٥هـ.

- ٢ - نقد الشعر والخراج وصناعة الكتابة ونقد الشر المنسوب لقدامة (٥٢٢٧هـ). (١١)
- ٤ - الموازنة للأصدي (٥٢٧٠هـ/١٩٨٠م). (١٢)
- ٥ - الكشف عن مساوي المتنبي للصاحب بن عباد (٥٢٨٥هـ/١٩٩٥م). (١٣)
- ٦ - النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل لأبي الحسن الرماني (٥٢٨٦هـ/١٩٩٦م). (١٤)
- ٧ - الوساطة للقاضي الجرجاني (٥٢٩٢هـ/١٠٠١م) (١٥) وينظر كتاب القاضي الجرجاني الأديب الناقد الدكتور محمود السمرة.
- ٨ - سر صناعة الإعراب والخصائص لابن جني (٥٢٩٢هـ/١٠٠١م). (١٦)

(١١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر (٥٢٢٧هـ/٩٤٨م) تحقيق كمال مصطفى. مكتبة الخانجي القاهرة ط ١٩٦٢/٢م ١٢٨٢هـ ونقد الشر المنسوب إليه حقق تحت عنوان البرهان في وجوه البيان لابن وهب أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب (- بعد ١٧٨هـ/بعد ٧٩٤م) تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديشي. مطبعة إنجلبي. بغداد ١٩٦٧م/١٢٨٧هـ. وانظر نقد الشر المنسوب لقدامة (٥٢٢٧هـ/٩٤٨م) تحقيق د. طه حسين وعبد الحميد العبادي. وزارة المعارف العمومية، ١٩٢٩م/١٢٥٨هـ.

(١٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر (٥٢٧٠هـ/٩٨٠م) تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة ١٩٦١م، ١٩٦٥م/١٢٨١هـ، ١٢٨٥هـ.

(١٣) الكشف عن مساوي شعر المتنبي (- ٥٢٥٤هـ) للصاحب اسماعيل بن عباد (٥٢٨٥هـ/٩٩٥م) تحقيق محمد آل ياسين. مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ.

(١٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تأليف أبي الحسن الرماني (٥٢٨٦هـ/٨٩٩م) والخطابي (٥٢٨٨هـ/٩٩٨م) وعبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ/١٠٧٨م أو ١٠٨١م) في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. دار المعارف بمصر (٥).

(١٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني (٥٢٩٢هـ/١٠٠١م) تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ط. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥١م/٢٧١هـ (١٠٠١م).

(١٦) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني (٥٢٩٢هـ/١٠٠١م) تحقيق طاهر عبد الله. دار البيان العربي جدة ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ. وانظر الخصائص تحقيق محمد علي النجار. مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٢م/١٩٥٦م/١٤٠٥هـ.

- ٩ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (-/٥٢٩٥ م ١٠٠٤) (١٧).
- ١٠ - كتاب المفني في أبواب التوحيد والعمل للقاضي عبد الجبار (-/٥٤١٥ م ١٠٢٤) (١٨).
- ١١ - عبث الوليد وشرح التنوير على سقط الزند ولزوم ما لا يلزم للمعري (-/٥٤٤٩ م ١٠٥٧) (١٩) وغيرها مما هو مثبت في الرسالة.

وقد أبرزت من خلال العلاقة الامتدادية والارتداية التقاطعات والاختلافات التي تثبت تأثير الخفاجي بمن قبله وتأثيره فيمن بعده. واعتمدت التصريح والإشارة والمباشرة الواردة في "سر الفصاحة"، كما توخيت في الكشف عن ذلك الضمنية واشتلاف الفكرة والأسلوب والسبق الزمني. ثم انتقلت إلى الحديث عن ابن سنان الخفاجي في الميزان في ميزات منهجه ورأي العلماء فيه، مرتكزاً في ذلك على أهم الخصائص التي تمثل التأليف في مجمل ممارسته، وهي:

-
- (١٧) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (-/٥٢٩٥ م ١٠٠٤) تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥٢ م/١٢٧٢ هـ.
 - (١٨) المفني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي أبي الحسن عبد الجبار (-/٥٤١٥ م ١٠٢٤) الجزء السابع (خلق القرآن). قوم نصه إبراهيم الأبياري بإشراف مه حسين. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. الجمهورية العربية المتحدة. وأنظر شرح الأصول الخمسة. عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهذاني الأمد آبادي (-/٥٤١٥ م ١٠٢٤) تحقيق وتقديم عبد الكريم عثمان. مكتبة وهبة. القاهرة ١٩٦٥ م/١٢٨٥ هـ.
 - (١٩) عبث الوليد في الكلام على شعر البحري لأبي العلماء المعري (-/٥٤٤٩ م ١٠٥٧) تحقيق وتعليق محمد عبد الله المدني. نشر أسعد الطرايزوني. المدني. دمشق ١٩٢٦ م/١٣٥٥ هـ وأنظر شرح التنوير على سقط الزند للمعري (-/٥٤٤٩ م ١٠٥٧) طبعة الاسلام. القاهرة ١٩٠٦ م/١٢٢٤ هـ (وأنظر المطبعة الاعلامية القاهرة ١٢٠٢/١٨٨٥ م. وأنظر لزوم ما لا يلزم للمعري (-/٥٤٤٩ م ١٠٥٧) تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري. القاهرة ١٩٨٢ م/١٤٠٣ هـ. (وأنظر شرح التنوير على سقط الزند (ينسب لأبي يعقوب يوسف بن ماهر الخوي من علماء القرن السادس الهجري. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٢٩ م/١٢٥٨ هـ (ج ١ - ٢) وأنظر شرح التنوير على سقط الزند لأبي العلماء المعري (-/٥٤٤٩ م ١٠٧٥). طبعة الاسلام. القاهرة ١٩٢٤ م/١٩٠٦ هـ.

- ١ - المنهج والأسلوب.
- ٢ - الموضوعية.
- ٢ - الأسالة والفردية والتبعية.

وامتدنت في الكلام عن هذا الجاذب إلى أكثر المراجع التي لها علاقة بالموضوع، لأن هذه الخصائص وإن كانت موجودة يوصفها، إلا أنها لم تعرف مصطلحاً فنياً يسير في هذا الاتجاه. وقد وجدت اللجوء إليها أفضل لأنعدام البديل في المصادر.

وانتهيت بعد هذا كله إلى خاتمة تضم الخطوط العريضة التي يركز عليها البحث، مشيراً إلى النتيجة التي توصلت إليها عبر هذه الرحلة بين صفحات الكتب، لأجل إنشاء ما يترجم الله لي في هذا القليل. وألحقت ذلك بقائمة الفهارس:

- ١ - فهرس الموضوعات: الفصل الأول: قضايا الأدب.
الفصل الثاني: قضايا النقد.
الفصل الثالث: التأثير والتأثير.
الفصل الرابع: ابن سنان في الميزان: ميزات منهجه وراي العلماء فيه.

٢ - المصادر والمراجع.

أما المصادر الرئيسية التي اعتمدتها فتحددها قضايا البحث، وهي أشبه ما تكون بتلك الأعمدة والركائز التي يقوم عليها البحث كله. وقد قلنا إن العمل عبارة عن مستويات مترابطة ومتصاعدة، لكل مرحلة فيها ما يناسبها من المصادر. وقد أشار ابن سنان (١٤٦٦هـ) في كل مستوى إلى الكتب التي أخذ عنها على جهة الإشارة والتصريح، وأغفل ذكر أعلام رغم العدّة الحميّة بينه وبينها. وقد تمكنت قدر ما تيسر لي الكشف عن ذلك بالاجتهاد والقياس في الأسلوب والفكرة والتمثيل والمصطلح والمقصد.

وإذا نظرنا إلى المواطن التي تتقاطع في هذه المؤلفات جميعها مع ما جاء به الخفاجي نجد أنها لا تخرج عن نطاق موضوع "سر الفصاحة"، بل وشتاتها يكون البحث في كليته. ومن

هذه المصادر: كتاب سيويه (١٨٠٠هـ/١٧٩٦م) (٢٠) الذي تردد ذكره في أماكن عدة من الكتاب، إما ناقلاً عنه وإما مستشهداً أو معترضاً وناقداً أو مناصراً. ولهذا المؤلف بعامه أثر في "مر الفصاحة". فقد ساهم بنصيب لقوي نحوي وافر في سد كثير من الثغرات في موضوع الخفاجي. وكتاب طبقات فحول الشعراء (٢١) لابن سلام الجمحي (٢٢٢هـ) الذي شارك في معالجة طبقة الشعراء ومستويات شعرهم، وفي مواضع أخرى من الكتاب نفسه وكتابا البيان والتبيين (٢٢) والحيوان للجاحظ (٢٢) (٢٥٥هـ/١٨٦٨م) اللذان اقتبس عنهما أموراً كثيرة في الفصاحة والبلاغة والإجراءات النقدية، وكتاب الشعر والشعراء (٢٤) لابن قتيبة (٢٧٦هـ) الذي ساعد في بلورة مسألة الموازنة والطبقة كذلك، وكتاب "المقتضب" (٢٥). و"الكامل" (٢٦) و"المذكر والمؤنث" (٢٧) للمبرد (٢٨٦هـ/١٨٩٩م)، وأخبار أبي تمام للصولي (٢٨) (٢٢٥هـ/١٨٤٦م) الذي كان الممين الكبير في توضيح الصورة عن حياة هذا

(٢٠) كتاب سيويه.

(٢١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (٢٢٢هـ/١٨٤٥م) تحقيق محمود شاكر. طبعة المدني. القاهرة ١٩٧٤م/١٢٩٤هـ وأنظر أيضاً: مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري (ر ج) إعداد جهاد المجالي. إشراف الأستاذ الدكتور محمود السمره. الجامعة الأردنية عمان ١٩٨٥م.

(٢٢) البيان والتبيين للجاحظ (عمرو بن بحر - ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢/١٢٨٠هـ/١٩٦٠م.

(٢٣) أنظر الحيوان تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٩٢٨م/١٩٤٥م القاهرة.

(٢٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٧٦هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر. دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٠م/١٢٧٠هـ.

(٢٥) الكامل في اللغة والأدب والنحو التصريف للمبرد (٢٨٦هـ/١٨٨٩م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وسيد شحاتة. مطبعة نهضة مصر القاهرة (٤).

(٢٦) أنظر المقتضب للمبرد (أبي العباس محمد بن يزيد (٢٨٦هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٩٦٢ - ١٩٦٩.

(٢٧) المذكر والمؤنث للمبرد (أبي العباس محمد بن يزيد (٢٨٦هـ/١٨٩٩م) تحقيق رمضان عبد التواب وسلاح الدين الهادي (١٢٨٢هـ-١٢٨٩هـ/١٩٦٢م-١٩٦٩م) وزارة الثقافة، مركز

تحقيق التراث. القاهرة. ١٩٧٠م/١٢٩٠هـ.

(٢٨) أخبار أبي تمام للصولي (٢٢٥هـ/١٨٤٦م).

الشاعر الفنية بخاسة، بالإضافة إلى الشواهد المتقاطعة مع معطيات الخفاجي في شأن هذا الرجل. وكتاب نقد الشعر (٢٩) وجواهر الألفاظ (٢٠) ونقد الشر (٢١) المنسوب لقدامة (١٤٨/٥٢٢٧م). ويعد قدامة أحد الركائز المتينة التي استند إليها ابن سنان؛ وكتاب الموازنة للأصدي (٢٧٠-١٨٠م) (٢٢) وكتاب النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل (٢٢) لأبي الحسن الرماني (٢٨٤-١٩٤م)، وقد ساعد هذا الكتاب على نقل صورة الفصاحة والبلاغة وطبقاتهما في معرض اختلاف واختلف مفيد بين الرجلين، وفي الفرق بين الاستعارة والتشبيه وأركانها وغير ذلك، ويعد هذا المصدر أحد المواطن في سر الفصاحة. وكتاب الكشف عن مساوئ المتنبي (٢٤) للصاحب بن عباد (٢٨٥-١٩٥م).

وقد رأينا في متن البحث أن هذا الشاعر قد تكررت شواهد في أماكن كثيرة في إبراز إيجابياته وسلبياته؛ وكتاب الكشف ساعد ابن سنان في نبش زلات المتنبي (٢٥٤-١٦٥م) وكتاب سر صناعة الإعراب (٢٥) والخصائص (٢٦) لابن جني (٢٩٢-١٠٠١م) اللذان ساهما بقسط وافر من الناحية الصوتية واللغوية والكلامية وفي الفصاحة والبلاغة. وكتاب الوساطة (٢٧) للقاضي الجرجاني (٢٩٢-١٠٠١م) حيث عرض تلك العادة الانتدافية والاختلافية بين المتنبي وخصومه، وكتاب الصناعتين للمصري (٢٩٥-١٠٠٤م) الذي اقتبس عنه الخفاجي أموراً كثيرة ولم يشر إليه، لكن التقاطع والتشابه بينهما خير دليل على ذلك. وكتاب المغني

-
- (٢٩) نقد الشعر لقدامة (١٤٨/٥٢٢٧م).
 (٢٠) جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (١٤٨/٥٢٢٧م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية ط ١/١٤٠٥/١٩٨٥م بيروت. لبنان.
 (٢١) نقد الشر المنسوب إلى قدامة تحت عنوان "البرهان في وجوه البيان لابن وهبة".
 (٢٢) الموازنة بين أبي تمام والبحري للأصدي (٢٧٠-١٨٠م) تحقيق السيد أحمد مقرر. دار المعارف. القاهرة ١٢٨١/٥١٦١/١٩٦٥م/١٢٨٥.
 (٢٣) ثلاث في إعجاز القرآن الرماني (٢٨٤-١٩٤م).
 (٢٤) الكشف عن مساوئ المتنبي (٢٥٤-١٦٥م).
 (٢٥) سر صناعة الإعراب لابن جني (٢٩٢-١٠٠١م).
 (٢٦) الخصائص لابن جني (٢٩٢-١٠٠١م).
 (٢٧) الوساطة للقاضي الجرجاني (٢٩٢-١٠٠١م) سبق ذكره. وينظر كتاب القاضي الجرجاني الأديب الناقد الدكتور محمود السمرة. المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت ١٩٦٦م.

في أبواب التوحيد والعدل (٣٨) للقاضي عبد الجبار (-٥٤١٥/١٠٢٤م) وهو أحد المصادر الأساسية للخفاجي بخاصة في الأصوات والحروف والكلام وحقيقته. وكتاب عبث الوليد (٢٩) وشرح التنوير على سقط الزند (٤٠) للمعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) ويكفي في ذلك أن يكون أبو العلاء شيخاً لابن سنان الذي يشير إليه في أكثر من موضع في كتابه.

ويجب أن نشير في هذا الخصوص تجربة ذمتنا إلى أن "سر الفصاحة" قد تناولته نخبة من الباحثين بالدراسة، فاقصر بعضهم على التحقيق كما فعل عبد المتعال الصعيدي (٤١) وسليم سليمان الأنصاري (٤٢). وأما ما قدمه عبد الحميد العبيسي (٤٣) تحت عنوان "ابن سنان وأثره في النقد والبلاغة" فيتجه بالدراسة إلى ما بعد الخفاجي (-٥٤٦٦هـ) ومقاد هذا مساهمة الرجل في البلاغة والنقد. أما نحن فقد سرنا بالبحث سيراً استرجاعياً وامتدادياً يعتمد ما قبله وما بعده وما بين ذلك، وهذا شيء يتبرأ من التقاطع أو التشابه أو التبعية إلى ما ذهبه هذا الباحث.

وهذا ما وقع عليه جهدنا، ثم إن الكمال لله وحده، واعتذر إن لم استطع الوقوف عند دراستهم أو بحوثهم حول قضايا الأدب والنقد في "سر الفصاحة"، ومع ذلك لم أذكر جهداً في التبع والتقصي وفوق كل ذي علم عليم.

-
- (٣٨) كتاب المغني للقاضي عبد الجبار (-٥٤١٥/١٠٢٤م). سبق ذكره.
- (٢٩) عبث الوليد للمعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م).
- (٤٠) شرح التنوير على سقط الزند للمعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م).
- (٤١) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي تصحيح وتعليق عبد المتعال الصعيدي. مكتبة محمد علي صبيح. القاهرة ١٩٥٢م/١٣٧٢هـ.
- (٤٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي. تحقيق سليم سليمان الأنصاري (رسالة ماجستير). كلية الآداب. قسم اللغة العربية. بغداد ١٩٧٥م/١٣٩٥هـ.
- (٤٣) ابن سنان وأثره في النقد والبلاغة. عبد الحميد محمد حسن العبيسي (رسالة دكتوراة) جامعة الأزهر (٤). أخبرني بهذا الأستاذ المشرف الدكتور محمد بركات أبو علي.

القرن الخامس الهجري وعلاقته بأبن سنان (٤٦٦ هـ - ١٠٧٢ م) وحياته:

ينبغي علينا في هذا الخصوص أن نراعي مقتضى حال الحياة الثقافية التي جاءت بكتاب سر الفصاحة وغيره من المؤلفات، التي لا تخرج عن كونها وحدة مساهمة في مجمل الثقافة الإسلامية عبر مسيرتها الطويلة. فهذا الكتاب وإن كان عينه من قبيل الأدب والنقد والبلاغة تصر في ذاتها، فإنها تكبر في عظمة سرح تراثنا الهائل. قيمة الكل وقوته لا تحصل إلا بمشاركة الجزء، والجزء أقمر ما يكون في حالة انفصاله وانعزاله. والكل بهذا التقدير والاعتبار بناء شائك آئل إلى التدهور في كل حين، بل قد لا تقوم له قائمة أصلاً. فكل وحدة في نفسها تنم عن أنماط تفكيرية، ومواقف مختلفة إزاء الحياة، تشكل من خلال تكاملها منطلقاً بناءً في تنظيم وضعية الإنسان في حاضره ومستقبله.

فما من أمة من الأمم بلغت درجة معينة في تحضرها في طور من الأطوار، قد نالت ما نالته من المجد طفرة واحدة، بين عشية وضحاها. فالثقافة مشروع بشري من التعقيد بمكان، محدد البداية، مفتوح المجال، تتقاطع معالمه وتتفرق على عتبات اللانهاية. وهي بناء يتأسس على نشاط الإنسان المادي والمعنوي، في اتجاه متصاعد في عوميته، متذبذب في خصوصياته.

فنحن الآن بصدد الثقافة الإسلامية، محط ارتكازنا على القرن الخامس الهجري أساساً. فإذا ابتدأنا من هذه الفترة، وهي موافقة للعهد العباسي الثاني (٢٢٢-٢٥٦/٨٤٦-١٢٥٨ م)، تكون وقفنا على شرفة هذا الصرح الثقافي، وهي مقام يوحى بالهيبة والمجد والازدهار، وجواب يتحول إلى سؤال استرجاعي يلامس أقصى درجات هذا البناء، في كل مستوياته، في اتجاه تنازلي إلى أن يلتحم أخيراً بأرضية هذا المشروع في أولياته.

إن ازدهار الحياة الفكرية والثقافية عند أمة دون أخرى، عنوان جدّها ودليل رشدّها، ومن أوضح الأمثلة على ذلك العصر العباسي الإسلامي في عهد الذهب (١٢٢-٢٢٢ هـ - - ٧٤٩-٨٤٦ م)؛ والعلة في ذلك هو انصباب الروافد والتيارات العلمية وانصهارها على تلك الأرضية الخصبة، التي ألفت يومها نوعاً من الاستقرار والاستتباب الداخلي، ناهيك عن الفتوحات التي لم تعرف فتوراً ولا انقطاعاً، وهي أمر ماعد على إثراء هذه الحضارة وتطويعها من جراء

الاحتكاك بتجربة الأجناس البشرية الأخرى. (١) وكل هذه الحضارة كانت تسير وتسري في ركاب اللغة العربية المعروفة بقوتها ومرونتها وسعتها ودلالاتها وكمالها، بدءاً من العصر الجاهلي إلى محطتها في القرن الخامس الهجري على وجه التحديد. إن هذه اللغة قد برهنت بلسان صدق والحجة القاطنة عن سعتها وطواعيتها في إحتواء علوم الدين والدنيا. ولسان حال علومها وفنونها خير ناعت ومشير، وأصدق مائل ومجيب. والحقيقة أنه لما جاء العصر العباسي أخذت العلوم تظهر في مختلف المجالات (فترجمت الفلسفة اليونانية بجميع ما اشتملت عليه من طب ومنطق وكيمياء ورياضة ونحوها، كما ترجم تاريخ الأمم من فرس ويونان ورومان، ومن الهندية، وترجم التنجيم الهندي والرياضة الهندية). (٢)

ولهذه الثقافة في عمومها أصول مختلفة، تزاوجت واشتلفت مع الثقافة الإسلامية التي وجدتتها صدرأ رحيباً يتقبلها ويحتويها، منها: الأصول العربية واليونانية والفارسية والهندية وغيرها.

وكادت الجزيرة العربية منذ القديم مجاورة لحركة فكرية مزدهرة في بلاد الشام والعراق ومصر وقارص. فكانت مهداً ثقافياً لاحتوائها مدارس تسهر على التعليم والتأليف والترجمة، منها مدرسة نصيبين (٢) وحران (٤) والاسكندرية (٥)، ومدرسة الصائبة بالعراق (٦)

(١) حضارة الدولة العباسية. د. أحمد رمضان أحمد ص ١٢٥، الجهاز المركزي للكتاب الجامعي طبعة ١٩٧٨/١٢٩٨م بمصر. يقول (وقد أذكى الاسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب، وامتحنهم على طلب العلم والتعلم حتى أن العرب أخذوا يحيطون بما لدى الأمم التي فتحوها من ثقافات مختلفة، ثم مضوا بعد ذلك ينقلون ما تعلموه إلى لغتهم، فنهض التعليم نهضة واسعة). وأنظر الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري الدكتور عبد الجليل عبد المهدي ص ٢١-٤٤٧. مكتبة الأقصى عمان ١٩٦٦/١٢٨٦م. (التأثير والتأثير من ٢٥٥-٢٧٥ - الشعر في القرن الخامس الهجري، الشر في القرن الخامس الهجري. دراسة موضوعية وفنية ص ٢٠٥ - ٤٤٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٥.

(٣) نصيبين بلاد عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي (١٢٢٨/٥٦٢٦) ج ٢٨٨/٥ (نصيبين) دار صادر - بيروت ١٩٥٧/١٢٧٦م.

(٤) حران: مدينة عظيمة مشهورة في جزيرة أحر، وهي قصبة ديار مُصر، وهي على طريق الموصل والشام والروم. أنظر معجم البلدان (حران) ٢٢٥/٢.

(٥) الاسكندرية ببلاد مصر. أنظر معجم البلدان ١٨٢/١.

(٦) أنظر معجم البلدان ٩٢/٤، ٩٥ و محاضرات في تاريخ الحضارة العباسية د. يوسف العش ص ٤١٧. دمشق، جامعة دمشق، ١٩٧٧م/١٢٩٨هـ.

وجنديسابور (٧) بفارس. وكانت مدرسة الاسكندرية أشهرها تلقن الطب وعلوم اليونان حتى أنها أحدثت منهجاً منطقياً فلسفياً يعرف بالذهب الأفلاطوني الحديث (٨). وكان لمدارس سوريا أثر فعال في هذا الجانب، فقد نقلت الكتب اليونانية إلى السريانية، فأوضحت آفاقاً كانت غريبة، تطلع إليها علماء الإسلام بوساطتها أولاً على آثار اليونان، واستفادوا منها في مختلف الميادين (٩). كما وفد إلى بلاد الإسلام في الفترة العباسية عدد كبير من الأطباء من مدرسة جنديسابور، فعملوا على الترجمة والتأليف وتعليم الناس. كما نقلت إلى العربية كتب أرسطو (١٠) (٢٢٢ ق م) في المنطق والفلسفة، وكتب اقليدس (١١) في الرياضيات، وكتب بطليموس (١٢) في الفلك والنجوم، وكتب جالينوس (١٢) وأبقراط (١٤) في الطب. وتواصلت هذه الحملة حتى أعطت ثمارها في ثقافة إسلامية عربية خالصة. ولا يغوتنا في هذا الصدد الإشارة إلى أنه كان للثقافة اليونانية بمنطقها وفلسفتها دور كبير في نشأة ما يعرف بالباطنية عند المتصوفة (١٥). هذه الفكرة التي توغلت جذورها في الوسط الإسلامي فأوجدت فرقاً تعتمد التحليل والاستقراء المنطقي والفلسفي في محاوره الأشياء. ومثال ذلك في بحثنا ما جوى بين أبي علي الجبائي (٢٠٢ هـ - ١١٥ م) وأبي هاشم الجبائي (٤٦٦ هـ - ١٠٢٢ م) حول الأصوات والحروف والكلام، وهم من الممتزلة (١٦). وقد سارت في هذه المرحلة الحركة

(٧) جنديسابور مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسب إليه أنظر معجم البلدان ١٧٠/٢.

(٨) المصدر نفسه محاضرات في تاريخ الحضارة العباسية ص ٢١٧.

(٩) المرجع نفسه ص ٢١٧.

(١٠) أرسطو (أرسطو طاليس بن نيقوماخس ماخازن) أنظر الفهرست للنديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق (-٥٤٣٨/١٠٤٦ م). تحقيق رضا - تجدّد. طبع في مطبعة دانشگاه - طهران. (١١) اقليدس صاحب جو مطريا، ومفناه الهندسة، وهو اقليدس بن نوقطرس برقيس المطهر للهندسة المبرز فيها. أنظر الفهرست ص ٧٥.

(١٢) صاحب كتاب المجسطي، كان يهتم برصد الكواكب، وهو أول من عمل الأسطرلاب الكروي، والآلات النجومية والمقاييس والأرصاد. أنظر الفهرست ٢٢٥ - ٢٢٧.

(١٢) جالينوس ظهر بعد ٦٦٥ سنة، بعد وفاة أبقراط وانتهت إليه الريادة في عصره وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم اسقليداس مخترع الطب. أنظر الفهرست ٢٤٨.

(١٤) أبوقراط بن اقليدس من تلاميذ اقليدوس الثاني، عاش (٩٠ عاماً). أنظر الفهرست ٢٤٦.

(١٥) أنظر محاضرات في تاريخ الحضارة العباسية ص ٢١٧.

(١٦) سر الفصاحة ١٥ - ٢٢ (الأصوات)، ٢٢ - ٤٨ (الكلام).

الفكرية قائمة على أسس ثلاثة وهي: الفلسفة والكلام والتصوف. فطاية الفلسفة هي (التوصل إلى المبادئ الأولى عن طريق العلم، وأصحابها في الغالب أتباع اليونان، وتجد لهم في الشمر نشأت تنم عن آرائهم كقصيدة ابن سينا (١٧) (-٥٤٢٨-١٠٣٦م) في النفس، يقول فيها: هبطت إليك من المحل الأرفع ورقباء ذات تعزز وتمتع.

(إن الأدب لا يكون أدباً حتى يصور حياة الناس، وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه) (١٨) وقد كان الشمر من هذا القبيل ديوان العرب (١٩). والعلوم بأنواعها المختلفة غذاء العقل والذوق، تتطور وتنمو تبعاً لنضج وعي الأمم وذوقها وإرادتها وقدرتها على الإبداع. (فذاق العالم الذي نهتم به هو ذوق عصره، بل العصر الكامل (٢٠)). كابن سنان الذي اجتمعت فيه علوم عدة، فكان لغوياً وقيماً وناقداً وأديباً وبلاغياً وشاعراً ومتمكلاً وفيلسوفاً. وإذا رجعنا إلى آثاره، نستشف صورة صبرة صادقة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية التي تبيّن شخصية هذا الرجل في زمان ومكان لا ينفصلان عن واقع الدولة الإسلامية.

وترتكز الحياة الثقافية في هذا المقام في المرحلة التي نشأ فيها الخفاجي من ٤٢٢-١٠٣١م إلى ٤٦٦-١٠٧٢م وما قبلها وما بعدها بقليل، لتكون الفترة الوسطى بين تلك وهذه، تلك التي تنضوي كلها تحت لواء القرن الخامس الهجري. ومن المعلوم أن العصر العباسي الثاني (-٢٢٢-٦٥٦ هـ - -٨٤٦-١٢٨٥م) قد أسابه اكتكاس واتكاب سياسي بعد عز ومجد. وخلاف ذلك حصل في الجانب الفكري الذي ازدهر وواصل مسيرته في ظل سرعات تمزق هذا الوطن حتى (كأنه عقد انفرط أو صخرة تفتت (٢١)) ولئن عُدَّ هذا ضعفاً من الناحية

١٧ ابن سينا: الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور (-٥٤٢٨ هـ). أنظر وفيات الأعيان ١٥٧/٢.

١٨ خضام ونقد. طه حسين ص ٤٤٤. دار العلم للملايين ط ١٤٠٠/١٥/١٩٧٩م بيروت.

١٩ أدب العلماء في القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري. د. محمد سويس ص ١٥. الدار العربية للكتاب. ليبيا - تونس ١٩٨٢م/١٤٠٢ هـ.

٢٠ المرجع نفسه ص ١٥.

٢١ أدب العلماء في القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري ص ١٦.

السياسية، فإنه لا يعد ضعفاً من الناحية العلمية (٢٢). والواقع الثقافي لتلك الفترة يعرب عن ذلك؛ لقد أفادت ما سبق وزادت عليه في فيء الانقسامات، فإذا كانت ثمار القرن الرابع السياسية قد تناثرت، فإن اثمار الفكرية ظلت عالة وهي على أشد نضجها، والعلة في ذلك أن الدولات الإسلامية كانت تجتد في تعزيز مكائدها بالاعتناء بالعلم والعلماء، حتى ترسخ قدمها في أرض البقاء إزاء غيرها من الإمارات.

وما نحن في حاجة إلى معرفته على وجه التحديد هو الوضعية والحركة الثقافية التي حنكت الخفاجي فأبدع كتابه "سر الفصاحة" وما ورد فيه من قضايا أدب وثقافة في ضوء تفاعله مع ثقافة الدول التي ماهت من قريب أو من بعيد في تنشئته، منها حلب (٢٢) ومصر (٢٤) النعمان (٢٤) حيث يقيم شيخه أبو العلاء المعري (-٤٤٩هـ - ١٠٥٧م)، ودمشق (٢٥) وبغداد (٢٦) ومصر (٢٧) وغيرها...

لقد كانت في العصر العباسي الثاني (٢٢٢-٦٥٦هـ - -٨٤٦-١٢٥٨م) فيما يوافق فترة الخفاجي مراكز ثقافية عديدة، تتوزع عبر ربوع أصقاع هذه الدول المنفصلة، جلبت إليها رجال العلم من كل صوب وحذب.

ولا بأس أن نرتد قليلاً إلى الوراء أو نمتد أحياناً إلى الأمام بزمناً لا يخرجنا عن

- (٢٢) المرجع نفسه ص ١٦.
(٢٢) حلب مدينة عظيمة واسعة، وهي قبة جند قسرين. معجم البلدان ٢/٢٨٢.
(٢٤) مصر النعمان مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. معجم البلدان ١٥٦/٥.
(٢٥) دمشق: البلدة المشهورة، قبة الشام. أنظر معجم البلدان ٢/٤٦٢.
(٢٦) بغداد: مدينة اختطها أبو العباس السفاح قرب الكوفة وشرع في عمارتها ١٤٥هـ، ونزلها سنة ١٤٩هـ. أنظر معجم البلدان ١/٤٥٧.
(٢٧) مصر. أنظر معجم البلدان ٥/١٧٣. وأنظر الأزهري: تاريخه وتطوره لحسن إبراهيم حسن ص ٢٢-٢٧، القاهرة ١٩٦٤م/١٢٨٤هـ.

حدود اختصاصنا وتمثل هذه المراكز في: أسبهان (٢٨) والري (٢٩) حيث كان موطن صاحب بن عباد (٣٠) (-٣٨٥هـ - ١٩٥م). وقد كان يومها قصر بني بويه قبلة للعلماء. وفي بخارى (٣١) ببلاط الساماني حيث كانت تزخر مكتبة نوح بن نصر الساماني (٢٢) (-٢٨٧هـ - ١٩٧م) بكتب وافرة نادرة. وفي بلاط شمس المعالي قابوس بن وكشمير (٢٣) (-٤٠٢هـ - ١٠١٢م) في طبرستان القريبة من بحر قزوين (٢٤). وفي بلاط خوارزم حين آلت البلاد إلى محمود الغزنوي (-٢٢١هـ - ١٢٢م)، وكان ميلاً إلى العلم، مشجعاً للعلماء، ويخبرنا ياقوت الحموي (-٦٢٦هـ - ١٢٢٨م) عن مرو التي زارها في زمانه، فأعجب بها وأقاد منها، هذه المدينة التي خرجت الأعيان وعلماء الدين والأركان ما لم تخرج مدينة مثلهم (٢٥)؛ وبلاط الحمدانيين (٢٦) في الموصل، وبلاط الطولونيين (٢٧) والإخشيديين والفاطميين بمصر حيث عاد

٢٨ أسبهان مدينة عظيمة مشهورة من بلاد فارس أنظر معجم البلدان ٢٠٧/١ (أسبهان).
 ٢٩ الري مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً. أنظر معجم البلدان ١١٦/٢.
 ٢٠ صاحب أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد (-٢٨٥هـ / ١٩٥م) أنظر وفيات الأعيان ٢٢٨/١. وهو وزير نوح بن نصر الساماني (-٢٨٧هـ / ١٩٧م) أبو القاسم أمير ما وراء النهر أنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين أبو الحسن علي بن الحسن (-٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ١٩٨/٤. دار الكتب المصرية ١٢٥٢/١٩٢٥م.
 ٢١ بخارى أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها وبينها وبين جيحون ٨٠ درجة أنظر معجم البلدان ٢٥٢/١.

٢٢ نوح بن نصر الساماني (-٢٨٧هـ / ١٩٧م) سبقت ترجمته.
 ٢٣ شمس المعالي قابوس بن وكشمير (-٤٠٢هـ / ١٠١٢م) بن زياد بن وردان شاء الجيلي، أبو الحسن شمس المعالي. أنظر النجوم الزاهرة ٢٢٢/٤.
 ٢٤ طبرستان: من أعيان بلدانها جرجان ودهستا وسانترابان وآمل وهي قسبتها. أنظر معجم البلدان ١٢/٤.

٢٥ مرو: مدينة قديمة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام. أنظر معجم البلدان ١١٢/٥ وأنظر تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (الصر الباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس) (٤٤٧-٦٥٦هـ / ١٠٥٥ - ١٢٥٨م) د. حسن إبراهيم حسن ج ٤/٤٢١. مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط ١٢٨٧/١٤١٦٧م.

٢٦ الدولة الحمدانية (-٢١٧-٢٩٤هـ / ١٠٠٢-١٢٩م). أنظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (-٦٢٠هـ / ١٢٢٢م) ج ٧/١٢٩. دار صادر بيروت. ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. وأنظر تاريخ الاسلام ٤/٤٢١، خطط الشام ٢/٢٦٢.

٢٧ الطولونيون: الدولة الطولونية (-٢٥٤-٢٩٢هـ / ٨٦٨-١٠٥٠م). أنظر حضارة الدولة العباسية. د. أحمد رمضان أحمد، ص ١٢٠، الجهاز المركزي للكتب الجامعية طبعة ١٢٩٨هـ / ١٩٧٨م.

للفسطاط رونقها وبهاؤها بعد تخريب مدينة القطائع على إثر زوال الدولة الطولونية عام ٢٩٢ هـ - ٩٠٤ م. (٢٨) وقد نبغ في عهد الإخشيد (- ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م) قتهاء وعلماء ومؤرخون وشعراء كثيرون وغيرهم، وصارت مساجد عمرو وإبن طولون (- ٢٧٠ هـ - ٨٨٢ م) والأزهر مراكز مهمة للثقافة، واتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة الشيعة بخاسة، وألحقوا بها مكتبات تحتوي على مئات الألوف من المصنفات (٢٩). وإذا انتقلنا إلى المغرب نجد قرطبة تجاري وتنافس بغداد والقاهرة وبخارى وغزنة (٤٠) وأصبهان وغيرها من هذه المراكز العلمية، والتي سارت صولاً علياً يتقدم العلماء وطلاب العلم من كل فج عميق من المسلمين والأعاجم. وكذلك مسجد القرويين (٤١) بفاس الذي تأسس في منتصف القرن الثالث الهجري وصار فيما بعد معهداً إسلامياً للثقافة يسير على نظام جامعي راق كالذي نراه اليوم في جامعات الدول المتحضرة (٤٢). ومساجد قرطبة التي جلبت إليها علماء العرب والأعاجم من كل مكان، وقد أنجبت طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين وغيرهم. وعدوة على ذلك فهناك المكتبات. وقد قويت حركة التأليف والترجمة في تلك الحقبة؛ وظهرت صناعة الأوراق التي مهدت الطريق إلى ذلك بيزور عدد هائل من الوراقين الذين ينسخون الكتب، وانتشرت المكتبات على ربوع الدولة الإسلامية، كمؤئل يلجأ إليه طلاب العلم؛ فصار مثارة تضئ في الآفاق، وعلى رأسها بيت الحكمة ببغداد الذي يحتوي على أنفس الكتب النادرة، في مختلف العلوم، التي ظلت شعاعاً علمياً إلى أن دمرها التتار عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م (٤٣). ومن أشهر المكتبات في العهد العباسي الثاني (٢٢٢-٦٥٦ هـ / ٨٤٦-١٢٥٨ م) مكتبة نوح بن نصر الساماني (- ٢٨٧ هـ / ٩٩٧ م)، ومكتبة صاحب بن عباد الوزير (- ٢٨٥ هـ / ٩٩٥ م)، كما نقل السلطان محمود الغزنوي (- ٤٢١ هـ / ١٠٢٠ م) كثيراً من المؤلفات إلى غزنة، وقد بلغ عدد كتب مكتبة مؤيد الدين بن العلقمي وزير المعتصم (٤٤) (- ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) آخر خلفاء العباسيين ببغداد

(٢٨) أنظر النجوم الزاهرة ٢/٤.

(٢٩) الخطط المقرية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريري (- ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ٢/٢٦٢، ٢٧١. طبعة جديدة بالأوقست. دار صادر بيروت (٤) وأنظر تاريخ الاسلام ٤٢١/٤.

(٤٠) غزنة مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان. معجم البلدان ٢٠١/٤. النجوم الزاهرة ٩٤/٥، ٩٥.

(٤١) أنظر تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٤٢٢/٤.

(٤٢) أنظر تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٤٢٢/٤.

(٤٤) مؤيد الدين بن العلقمي وزير المعتصم (محمد بن أحمد الوزير) (- ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م). وأنظر اعلام الزركلي ٤٩/٥. قوات الوفيات. محمد بن شاعر الكبي (- ٧٦٤ هـ / ١٢٦٢ م) ٢/٢١٢ تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار صادر بيروت (٤).

على عشرة آلاف مجلد من أنفس الكتب. والدليل التاريخي ما أعرب عنه ياقوت الحموي (-١٢٢٨هـ/١٢٢٨م) لما زار مرو ولازمها مدة، وذكر أنه كان بها عشر خزائن من الكتب لم يشهد لها مثيلاً في حياته. (٤٥)

واتخذ الفاطميون في مصر مساجدهم وتصورهم مواطن لنشر المذهب الشيعي وأوصلوها بمكتبات تضم أعداداً هائلة من الكتب والمصنفات. وقد سحوا للناس الانتفاع بما يحتاجون إليه من المواد والأقلام والأوراق دون مقابل (٤٦). ونجد أيضاً في هذه المرحلة انتشار الكتاب والمدرسة وعلى رأسها مدرستا بغداد ونيسابور النظاميتان اللتان أسسهما نظام الملك ملكشاه السلجوقي (-٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) (٤٧) كما أسس المدرسة الحنفية ببغداد سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وبنى الرمد أيضاً الذي عهده إلى جماعة من أعيان المنجمين، وقد اتصف نظام الملك ببيله إلى العلم وكرمه للعلماء، والدليل على ذلك (أن مجلسه كان عامراً بالفقهاء والصوفية (٤٨)). هذا بالإضافة إلى تلك المدارس والكتاتيب التي كانت تزخر بها حلب ومصر النعمان ودمشق وغيرها؛ والتي تمازجت كلها في دفع الحركة الثقافية إلى الأمام.

أما العلوم المشهورة التي كانت تدرس يومذاك فهي: علم القراءات والتفسير والفقه (ومنه فقه الشيعة) و(فقه السنة)، وعلم الكلام (ومنه التوحيد)، والنحو وعلم اللغة، والشعر، وما يتعلق به، والحديث الشريف. (٤٩)

(٤٥) أنظر هذا الخبر في وفيات الأعيان ١٢٧/٦ وما بعدها في ترجمة ياقوت (-١٢٢٦هـ/١٢٥٨م) وهو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين. أنظر الوفيات ١٢٧/٦.

(٤٦) تاريخ الإسلام ٤٢١/٤.

(٤٧) الكامل في التاريخ (٤٦٥-٤٨٥هـ) ٨٥/١٠. وأنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (-٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ٩٥/٥ وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. (مطبوعة مصورة عن طبعة دار الكتب).

(٤٨) أنظر وفيات الأعيان ١٢٨/٢ (الوزير نظام الملك (-٤٨٦هـ)).

(٤٩) تاريخ الإسلام ٤٤٩/٤، ٤٥٧، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٤٦.

أما عن حلب القرية من عزاز ففيها يومذاك (جامع وست بيع وبيمارستان صغير، والقطاه يتكون على مذهب الإمامية... وفي وسط البلد دار علوة صاحبة البحتري (-٢٨٤هـ)...) وفيها من الشعراء جماعة منهم شاعر يُعرف بابي الفتح بن أبي حصينة (-٤٥٧هـ) (واسمه الحسن بن عبدالله) وفيها كاتب نصراني أظنه ساعد بن بشامة (-٢٧٦هـ)...) وفيها حدث يُعرف بابي محمد ابن مئان (-٤٦٦هـ/١٠٧٢م) قد ناهز العشرين وعاد في الشعر طبقة المحنكين... وفيها شاعر يعرف بابي العباس يُكنى بابي المشكور مليح الشعر، سارع الجواب حلل الشائل، له في المجون بضاعة قوية وفي الخلاعة يد بأسطة. (٥٠))

وقد عاش ابن مئان (-٤٦٦هـ/١٠٧٢م) في حلب، واحتك بالبلدان المجاورة العربية والأعجمية (٥١). وإذا عدنا إلى شخصيته نجد ينحدر من أسرة عربية عريقة لها يد في العلم. (٥٢) وقد نشأ في مكان يعرف بميزاته العلمية إلى جانب الأصمغ الأخرى. وكانت حلب عاصمة الحمدانيين (٢٧٣-٢٩٤هـ/٩٢٩-١٠٠١م) (٥٣) قبل هذا العهد، تفيض بالعلم والعلماء

٥٠. أنظر معجم البلدان ٢/٢٨٢ حيث الخبر؛ وأنظر الكامل في التاريخ فترة (-٢٧٦هـ) (ساعد بن بشامة) وأنظر تاريخ دمشق تصنيف ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي أبو القاسم) (-٥٧١هـ/١١٦٥م) ص ١/٥، تحقيق صلاح الدين المنجد (٤) ومحمد أحمد دهان. المجمع العلمي العربي. دمشق مقدمة ١٩٥١-١٩٥٤م. وأنظر أعيان الشيعة تأليف السيد محسن الأمين ص ٢٦٢/٢٨٤ مطبعة الانصاف بيروت ط ٤/١٢٦٠هـ/١٩٦٠م.

٥١. ٥٢. تاريخ دمشق للقاسي (أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي (-٤٦٤هـ-٥٥٥هـ/١٠٧١-١١٦٠م) تحقيق سهيل زكار ص ٤٢-٤٥ دار إحسان دمشق ١٩٨٢م/١٤٠٤هـ. وأنظر ذيل تاريخ دمشق لأبي يعلي حمزة بن القلاسي ص ٩١، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م. وأنظر زبدة الحلب جمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ص ٢٨٢/١، تحقيق سامي الدهان. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١/١٩٦٨. وأنظر الحياة الأدبية في العصر العباسي لمحمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٨٢-٢٨٢، دار العهد الجديد للطباعة ط ١/القاهرة ١٩٥٤م/١٢٧٤هـ. وأنظر: بنو خفاجة وتاريخهم السياسي، والأدبي الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ١/٤٩. المطبعة القاروقية الحديثة ١٩٥٠م/١٢٧٠هـ. (ج ٥).

٥٢. وأنظر الخفاجيون في التاريخ تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٤. دار الطباعة المحمدية، القاهرة. المقدمة ١٢٩١هـ/١٩٧١م.

والفلاسفة والأدباء والكتاب والشعراء والخطباء الذين كانوا تحت عناية حكام بني حمدان. وقد نبغ فيها الشاعر أبو فراس الحمداني (٥٤) (-٢٥٧/٢٦٨م) وأقام بها المتنبي (٥٥) (-٢٥٤/١٦٥م) وأبو الفتح عثمان بن جني (٥٦) (-٢٩٢/١٠٠١م) ردحاً من الزمن، وأبو عبدالله الحسين بن خالويه (٥٧) (-٢٧٠/١٨٠م) جاء من همدان واستوطن حلب؛ والفيلسوف الفارابي (٥٨) (-٤٤٩هـ) الذي تعلم على يديه الخفاجي؛ وقد ماعدته البيعة الشامية المعروفة بأدبها وعلمها وعلماؤها في الأدب والشعر والخطابة وغيرها، ومنهم: أبو طاهر الرقي (٥٩) (-١٩٨/٨١٢م) والخلع الشامي (٦٠) (-٢٥٠/٨١٤م) وأبو الفرج الوأواء الدمشقي (٦١) (-٢١٩/٩٣١م) وعبد المحسن السوري (٦٢) (-٤١٩/١٠٢٤م) وأبو الرقعة (٦٣) (-٢٩٩/١٠٠٨م). وكان ذات يوم عبد الرحيم ابن نباتة (٦٤) (-٤٠٥/١٠١٤م) خطيباً لجيوش سيف الدولة.

- ٥٤) أنظر الحمدانيين (٢٠٢-٢٥٦/٩١٥-٩٦٦م) في زبدة الحب ١/١١١ وأنظر أبا فراس الحمداني (-٢٥٧/٩٦٧م) الحارث بن سديد. أنظر وفيات الأعيان ٢/٥٨.
- ٥٥) المتنبي أحمد بن الحسين أبو الطيب (٢٠٢-٢٥٤/٩١٥-٩٦٥م) وفيات الأعيان ١/١٢٠.
- ٥٦) أنظر وفيات الأعيان ٢/٢٤٦ ترجمة الرجل.
- ٥٧) أبو عبد الله الحسين بن خالويه (-٢٢٠/٩٨٠م) النحوي اللغوي توفي بحلب. أنظر وفيات الأعيان ٢/١٧٨.
- ٥٨) محمد بن محمد الفارابي (-٤٤٩/١٠٥٧م). أنظر وفيات الأعيان ٥/١٥٢.
- ٥٩) أبو طاهر الرقي (-١٩٨/٨١٢م) ربيعة بن ثابت بن لجأ بن الهيثار الأسدي، شاعر غزل مقدم كان ضريباً. أنظر خزائن البغدادي الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي (-١٩٢/١١٨٢م) ٢/٥٥ (٤).
- ٦٠) الحسين بن الضحاک بن ياسر الجاهلي أبو علي، شاعر من ندماء الخلفاء (-٢٥٠/٨١٤م). أنظر وفيات الأعيان ٢/١٦٢.
- ٦١) أبو الفرج الوأواء الدمشقي. محمد بن أحمد أبو الفرج الفسائي الدمشقي (-٢١٩/٩٣١م) فوات الوفيات. تأليف محمد بن شاکر الکبي (-٧٦٤/١٢٦٢م) ص ٢/٢٤٠، ٢٤٤ تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر بيروت (٤).
- ٦٢) عبد المحسن السوري عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب السوري أبو محمد يلقب بابن غلبون (-٤١٩/١٠٢٨م). أنظر النجوم الزاهرة ٤/٢٦٩.
- ٦٣) أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المشهور بابن الرقعة (-٢٩٩/١٠٠٨م). أنظر وفيات الأعيان ١/١٢١.
- ٦٤) عبد الرحيم بن نباتة: عبد الرحيم بن اسماعيل بن نباتة الفارقي أبو يحيى (-٢٧٤/٩٨٤م). وفيات الأعيان ٢/١٥٦.

كل هذه العوامل ساعدت في التشكيل الثقافي للخفاجي. وقد كانت اتصالاته وثيقة بشيخه أبي الهلاء (٦٥) (-/٥٤٤٩م-١٠٥٧م) الشاعر الفيلسوف الذي غرس فيه النزعة النقدية والبلاغية والأدبية والتأليفية وبخاصة الفلسفية، إلى جانب إطلاعه على التراث العربي الزاخر كاليان والبيسن للجاحظ (٦٦) (-/٥٢٥٥م-٨١٨م) والحيوان، وقد الشعر (٦٨) وقد الشر (٦٩) قدامة (-/٥٢٢٧م-١٤٨م) والوساطة للجرجاني القاضي (٧٠) (-/٥٢٩٢م-١٠٠١م) والموازنة والمؤلف والمختلف للأصدي (٧١) (-/٥٢٧٠م-١٨٠م) والنكت في إعجاز القرآن للرمانى (٧٢) (-/٥٢٨٤م-١٩٤م) والصناعيتين للمسكري (٧٢) (-/٥٢٩٥م-١٠٠٤م) وإعجاز القرآن للباقلاني (٧٤) (-/٥٤٠٢م-١٠١٢م). وكما يبين سر الفصاحة، قد تأثر أيضاً بأهل الكلام، ويتضح ذلك من كتاب المعنى للقاضي عبد الجبار (٧٥) (-/٥٤١٥م-١٠٢٤م) والشريف المرتضى (-/٥٤٢٦م-١٠٤٤م) في إعجاز القرآن الكريم وفصاحته بأسلوب فلسفي.

فكل هذه العوامل ساهمت في تكوين ابن سنان المتكلم والشاعر والبلاغي والأديب الناقد والسياسي. فإن كان الخفاجي قد مات في القرن الخامس الهجري فإن أثره لا يزال حياً إلى جانب المؤلفات الخالدة الأخرى يذكر بذكرها، أو تذكر بذكره. فهو حلقة ذات أهمية، ومدرسة أسيلة بمنهجها، فريدة في معانيها. وعلى جهة المقابلة إذا كان عبد القاهر الجرجاني (-/٥٤٧١م) قد طلب في مؤلفيه (الدلائل والأسرار) الوصول إلى سر إعجاز القرآن، فإن الخفاجي فعل كذلك. فالخفاجي يُفسر ذلك بصرف القرآن العرب عن معارضة بإعجازه وخرقه العادة، وعبد القاهر يرى أن السر الدفين فيما يحتوي عليه من كلمات ومعاني. (٧٦)

وفوق هذا كله يتسم شعر الخفاجي بغزارة المعاني وصلاح الأفكار ومنطقية قوتها وجمال النماطة ووهج شخصيته وتألفها. في الإبداع.

١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥) سبقت الإشارة إليهم. (٧٦) الحياة الأدبية في العصر العباسي تأليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٨٢ وما بعدها. والسرقة مذهب ينسب إلى إبراهيم بن سيار النظام المقتزلي (-/٥٢٢١م-٨٤٥م) أنظر تاريخ بغداد أو مدينة السلام لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (-/٥٤٦٢م) ص ١٧/١ الناشر دار الكتاب العربي - بيروت لبنان (٤). وأنظر خطط المقرئ ١/٢٤٦، النجوم الزاهرة ٢/٢٢٤، أمالي المرتضى ١/١٣٢.

ونعود بعد هذا كله إلى إعطاء نبذة عن حياة الخفاجي. فهو أبو محمد عبدالله بن سعيد بن مئان الخفاجي الحلبي، تعود نسبته إلى خفاجة، وهي بطن من قبيلة هوازن عقيل بالجزيرة العربية، هاجرت منها مجموعات وتوزعت عبر نواحي اليمامة وجنوبي العراق والجزيرة الفراتية إلى أن استقر بها الأمر وأقامت بحلب التي ينسب إليها الخفاجي (٧٧).

ومن يتطلع إلى كتب التراجم والتاريخ يجدها ما وقت ابن مئان (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) حقه في التعريف به والتأريخ له، اللهم إلا قليلها الذي جاءنا بشيء يسير يكاد لا يغطي مطلبنا، ومع هذا كله، فقد أغفلت المصادر كلها الأخبار عن تاريخ ميلاده بالتحديد وعن نشأته الاجتماعية والعلمية. وقد يعود ذلك التجاهل إلى تذهب الرجل بالاعتزال ورأيه رأي الشيعة، الشيء الذي ربما جعل الكتب تسكت عنه. وإذا كان الخفاجي علماً من أعلام ثقافتنا، والذي عاش في عهد كانت الوسائل متوفرة لذلك، وكانت الحركة الفكرية قد خطت خطوة موفقة في مجال العلم والفن. فهذا لعمرى ظلم في حقه. فالباحث إن وجد نفسه إزاء هذا الوضع، يعود إلى الآثار التي تحدثت عنه جزئياً بخصوص أية واقعة من الوقائع، فيستفيد منها في التحديد والتقدير والاستنتاج كما فعل الأستاذ سليم الأنصاري محقق سر الفسحة (٧٨) الذي تمكن من أن يجعل تاريخاً تقريبياً على جهة التقدير للرجل، وذلك برجوعه إلى شعره، وخاصة إلى قصيدته المنظومة عام ٤٤٢هـ يقول: (فإذا كان قد انقضى عشرين عاماً يكون ميلاده نحو ١٠٧٢/٥٤٢٢م... ويرجع هذا الظن إلى تلك القصيدة التي نظمها في سبأ إلى الشريف أبي علي محمد بن محمد الهاشمي (٢)، وقد اعتقل سنة ٤٤٠هـ/١٠٤١م... فهو يشير إلى أن عمره حين كتب هذه القصيدة سنة (٤٤٠هـ/١٠٤١م)، كان قد بلغ ثمانية عشر عاماً، فيكون ميلاده سنة (٤٢٢هـ/١٠٢١م) وهذا قريب. (٧٩) وكذلك ما جاء به ياقوت الحموي (-٥٢٦هـ) في معجمه، في معرض حديثه عن حلب، قال: (... وفيها حدث يعرف بأبي محمد ابن مئان قد ناهز العشرين)، فإن ذلك يؤيد ما ذهب إليه سليم الأنصاري في تقديره في أن ولادته عام (٤٢٢هـ/١٠٢١م). (٨٠)

(٧٧) أنظر ذيل تاريخ دمشق ص ٩١. وأنظر بنو خفاجة وتاريخهم ٤٩/١ والخفاجيون في التاريخ لمحمد عبد المنعم خفاجي ٢٤/١٣٩١/١٩٧١م.
(٧٨) سر الفسحة لابن مئان الخفاجي. تحقيق سليم سليمان الأنصاري ص ٧-٨ (ر ج) ١٩٧٥/٥١٢٩٥م بجامعة بغداد (كلية الآداب).
(٨٠) أنظر ديوان ابن مئان ص ١ المكتبة الإنسية - بيروت (٢). وأنظر بنو خفاجة وتاريخهم... ص ١٢. وأنظر معجم البلدان حلب ٤٠٢/٢ وما بعدها.

وسلالة ابن سنان تنحدر من بني حزن الخفاجيين، أحقاد خفاجة بن عمرو بن عقيل الذي يذكره ويفخر به في شعره. (٨١)

ويعد ابن شاعر الكندي (-٥٧٦٤/١٢٦٢م) الوحيد الذي أتى بترجمة مقنعة إلى حد ما. وقد ذكر أنه تتلمذ على يد أبي العلاء المعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) وأبي نصر المنازي (-٥٤٢٧/١٠٤٥م)، واقتصر على ذكر المنازي شيخاً له. ومهما يكن فإن كلا الرجلين كان شيخين له. فابن سنان يصرح في مواضع عدة من كتابه بذلك. وذلك هو الدليل القاطع على استاذيته لهما. (٨٢)

أما نوعية العلوم التي كان يتلقاها فمجهولة في عمومها، معلومة في بعضها. وخير مؤشر إلى ذلك تلك المقطوعات التي وردت في سر الفصاحة. (٨٢) وبناء على معطيات ميوله وإنتاج شعره نستشف أن أبا العلاء كان يلقي طلبته ومنهم ابن سنان ما يتصل بالشعر من رواية ولغة. وأغلب ما نظمه الخفاجي إذا قسناه في ضوء أثر المعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) وفلسفته نجد يحذو حذوه (٨٤) في طريقة (استغفروا استغفري). وفي ديوان الخفاجي ما يؤكد ذلك التأثير في لزوم ما لا يلزم (٨٥)، مع العلم أن أبا العلاء رائد هذا الفن بدون منازع.

وموضوع "سر الفصاحة" يعكس قدراً يبيّن من الثقافة التي أفادها من المعري، إلى جانب ما اقتبس من غيره. كما اكتسب منه النظرة التشاؤمية إلى الوجود وشعره على ذلك دليل.

(٨١) سر الفصاحة تحقيق سليم الأنصاري ٧ - ٨.

(٨٢) المعري: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (٢٦٢-٤٤٩/٩٧٢-١٠٥٧م). أنظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (-٥٥٧٧/١١٨١م) ص ٢٥٧، ٢٥٨ تحقيق إبراهيم السامرائي بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٩م/١٢٧٩هـ والمنازي نسبة إلى مناز وهو أبو نصير أحمد بن يوسف السليكي الكاتب وذر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي، صاحب مياوفارقين وديار بكر، وكان شاعراً، ترك كتاباً من الشعر (-٥٤٢٧/١٠٤٤م). أنظر وفيات الأعيان ١/١٤٢.

(٨٢) سر الفصاحة طبعة دار الكتب العلمية ٩٠، ١٢٨، ١٢٩، ١٦٧، ١٨١، ١٨٢، ١٩١، ١٩٨، ١٩٧.

(٨٤) ديوان الخفاجي ٥٧، ٧٢، ٩٠، ١٠٩.

(٨٥) ديوانه ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٢، ٢٧٥.

وكان ابن سنان يقرأ القرآن منذ صباه ، ذا صيت في الوسط الأدبي ، محنكاً درس الحديث ونبغ فيه . ويقال إنه (كان يرى رأي الشيعة الإمامية) . (٨٦) وقد كان في تلك الحقبة التشيع غالباً على أهل حلب (٨٧) . والدليل على ذلك قول الخفاجي كعنوان لتلك الجماعة : تلك الضائفة بينكم بذرية قتل الحسين وما اشتفت أقطارها (٨٨) .

ولد ابن سنان بمدينة حلب التي كانت تحت حكم المرداسيين (٨٩) ، في الزمان الذي كان فيه القائم بأمر الله (٩٤٣هـ) في بغداد ، والظاهر بالله (-٥٤٢٧هـ) في مصر . وبهذا الاعتبار يكون احتكاك الخفاجي الاجتماعي والسياسي والثقافي بهذه الدول الجاورة . واستطاع الخفاجي أن يلعب على الساحة السياسية وبخاصة أيام اضطراب الحكم في حلب في أواسط القرن الخامس الهجري ، ويومئذ عين مندوباً من حلب إلى القسطنطينية لأهميته وقدره عام (٥٤٥٢/١٠٦١م) . (٩٠)

وقد كان لابن سنان فوق هذا كله علاقة حميمة مع حكام حلب ، ويصريح بذلك من خلال شعره الذي يمدحهم به أحياناً ويعاتبهم أحياناً أخرى . (٩١)

(٨٦) ديوانه ١٠ ، ١٦ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ١٩ ، ٨٦ ، ٩١ . أنظر اللزوميات (لزوم ما لا يلزم) للمعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) ص ٦٧ تقديم عمر أبو النصر ، دار الجيل ، بيروت ١٩٦٩م/١٢٨٩هـ ، وأنظر تعريف القدماء بابي العماد تأليف طه حسين ص ٢٩٧ وزارة المعارف العمومية القاهرة ١٩٤٤م/١٢٦٤هـ .

(٨٧) فوات الوفيات ٢/٢٢٠ ، ديوان الخفاجي ٨٧ . أعيان الشيعة ٤٥/٢٩ ، الكنى والألقاب تأليف عباس بن محمد رضا القمي ص ٢١٧/٢ ، المطبعة الحيدرية النجف ط ١٩٦٩م/١٢٨٩هـ . (٨٨) الأعلاف الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة . ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ٥٠٦٨٤/١٢٨٥م تحقيق يحيى عبارة ٩٧/١ . وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٧٨/١٢٩٩هـ .

(٨٩) ذيل تاريخ دمشق تحقيق سهل ذكار ص ١٥٢ ، ٤٢-٥٤٥ (حلب) و ١٦٨ ، ١٨٢ (عزاز) . وأنظر زبدة الحلب ١/٢٨٢ .

(٩٠) ذيل تاريخ دمشق ص ٩١ . وأنظر تاريخ دمشق للقدسي ص ١٥٢ . زبدة الحلب ١/٢٨٢ .

(٩١) ديوان الخفاجي ص ٨١ وأنظر خريدة القصر وجريدة العصر العماد الأصفهاني (-٥٥٩٧/١٢٠٠م) (قسم شعراء الشام) تحقيق شكري فيصل ٦٨٠٨/٢ المجمع العلمي العربي : دمشق ١٩٥٥م/١٩٤٨م - ١٩٦٨م/١٢٧٥هـ . وأنظر مجلة المتكلم ج ٥/مجلد ١١٩ ص ٣٠٠ .

ويعرف الخفاجي علاوة على هذا بطموحه الوثاب، ففي شعره ما يدل على ذلك (٩٢) فقد حاول مرة إقامة دولة في حلب ولم ينجح (٩٢)؛ ولذا بالفرار إلى القسطنطينية، وبعد عودته تقلد إمارة عزاز عام ٤٦٠هـ، ولما تربع على الحكم أظهر جفاء لمحمود بن أبي نصر (٩٤) (-٤٦٧/١١٢١م) الذي كاد له قتله. وقد أمر محمود ابن صالح (-٤٦٧هـ) أبا نصر محمد بن الحسن بن النحاس أن يستدرجه للقتل من خلال خطاب استعطاف واستئناس. وقال له: لا يأمن إلا إليك، ولا يثق إلا بك. فكتب إليه كتاباً، فلما فرغ منه كتب (إن شاء الله تعالى)، شدد النون من إن، فلما قرأ الخفاجي خرج من عزاز يريد حلباً. ولما كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب فإذا بالتشديد على النون، فعلم أن أبا نصر بن النحاس لم يضع هذا عبثاً، ورجع. فأول ذلك إلى قوله تعالى (إن المأثم يأترون بك ليقتلوك). فأخرج فاني لك من الناسحين. (٩٥) ورد عليه: (أنا الخادم المترف بأنعام وكسر الألف من إنا وشدد النون وفشحها، فلما وقف أبو نصر على ذلك سر، وعلم أنه قصد به (إنا لن ندخلها ما داموا فيها). (٩٦)) وعلى غرار ذلك امتدعى محمود أبا نصر وقال له: أنت أشرت علي بتولية الخفاجي، وما أعرفه إلا منك، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك وألحقت بك جميع من بينه وبينك سلة وحرمة. فقال: مرني بأمر أصتله، قال: تمضي إليه وفي صحبتك ثلاثون فارساً، فإذا قاربته عرفه بحضورك فإنه يلقاك، فإذا حضرك مالك النزول عنده والأكل معه، فامتنع وقل له: إني حلفتك أن لا تأكل زاده ولا تحضر مجلسه حتى يعطيك في الحضور عندي، وطاوله في الحديث حتى يقارب الظهر، ثم أدع أدع أدع وأخرج هذين الخشكنانجيتين، فكل أنت هذه وأطعمه هذه، فإذا استوفى أكلها عجل الحضور إلي، فإن منيته فيها. ففعل ما أمر به، ولما أكلها الخفاجي رجع أبو نصر إلى حلب، وعاد الخفاجي إلى عزاز، ولما استقر بها وجد مفعلاً شديداً ورعدة شديدة. فقال: قتلني والله أخي أبو نصر، ثم أمر بالركوب خلفه لئلا قاتهم ووصل.

(٩٢) ديوان الخفاجي ٢٩، ١٨، بنو خفاجة وتاريخهم ص ٢٠.

(٩٢) أريخ ابن الأثير حوادث عام ٤٦٢هـ ص ٦٢/١٠ (مادر) وأنظر بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي محمد عبد المنعم خفاجي ط ١٢٦٩/١٠/١٩٥٠م المطبعة الفاروقية الحديثة (٩٤) القصص/٢٠ (وجاء رجل من أقصى المدينة يسمى، قال يا موسى إن المأثم يأترون بك ليقتلوك، فأخرج فاني لك من الناسحين).

(٩٥) المائدة/٢٢ (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا).

(٩٦) أنظر النجوم الزاهرة ٩٥/٥ زبدة الحلب من تاريخ حلب - ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد - ٦٦٠هـ) تحقيق سامي الدهان ٢٩/٢. نشر المعهد الفرنسي بدمشق. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٢٨٥-١٩٦٢م (٢ ج). وأنظر فوات الوفيات ٢٢٠/٢، ٢٢١.

إلى حلب، وفي القد جاء خبر مكيدة وفاة الخفاجي. وكان ذلك عام (١٠٧٢م/٥٤٦٦) (٩٧). وحمل إلى حلب، فولى عليه الأمير محمود بن صالح، وقد منع ابن الخفاجي منان بن أبي محمد من لقاء جثمان والده الآتي من عزاز. (٩٨)

إن أخبار الخفاجي في المصادر ضئيلة لم تعط سورة كافية عن صباه وشبابه وتعليمه وربما يعود ذلك إلى عوامل معينة أدت إلى طمس معالمه. ولم يكن أبناؤه أكثر حفظاً منه، فقد حرم ولده من تشييع جثمان أبيه، وجاء ذكر أولاده على لسان ابن شداد. (٩٩)

ومن آثاره سر الفصاحة ط (١٠٠). وديوان شعر ط (١٠١). وقد كتب العادل في الإمامة (١٠٢). وكتاب الله في "السرقة" (١٠٣)، وكتاب: "عبادة المتكلمين في أصول الدين" (١٠٤). وكتاب "روية الهال" (١٠٥) وكتاب "حكم مشورة" (١٠٦) وكتاب "الحكم بين النظم والشر" (١٠٧) وكتاب "العروض" (١٠٨). وكتاب سر الفصاحة عينة في الأدب والنقد والبلاغة، تندرج في القرن الخامس الهجري زمانياً، وفي الوطن الإسلامي مكانياً، تعود حصيلة إلى آثار السابقين، وينشئ موقفاً ومنهجاً وأسلوباً متميزاً في التأليف.

وإذا قرأنا الكتاب قراءة واعية، وجدناه عالماً اتطلمت فيه الأصوات والحروف والكلام واللغة، والفصاحة والبلاغة والأدب والنقد، في سياق حشد من القواعد والمعايير والنظريات المختلفة، تجد صداها في كتب قد تقادم عهدها، استقى منها الخفاجي وتشبع فآلهته تأليف هذا الكتاب الذي تكاملت فيه بأنصهارها في تلك الروافد جميعها، وصارت بعد ذلك سورة لمؤلف جديد يحدد الزمان المتأخر والإقليم الشامي؛ مع أفراد بمنهجية خاصة في درامة الأثر الأدبي..

٩٧ - ١٠١) أنظر فوات الوفيات تحقيق د. عباس ٢٢٢/٢. كتاب السرقة مقفود. ذكره ياقوت في ترجمة المعري (-١٠٥٧/٥٤٤٩م). أنظر معجم البلدان (مرة)، السرقة تعني أن الله تعالى صرف القوة الإنسانية عن المعارضة، وبذلك عجزوا، ولولا صرفه تعالى لهم لاستباعدوا أن يأتوا بمثله. هكذا يزعم أهل السرقة أنظر فوات الوفيات ٢٢٢/٢. ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ مؤلفات مقفودة. ١٠٨) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي (-١٢٢٢/٨٤٥م) تحقيق محمود شاكر القاهرة ١٩٧٤م/١٣٩٤هـ.

وقد كان للقرن الرابع الهجري الأثر الفعال في نفس ابن سنان، والدليل على ذلك تلك التصريحات والإشارات والتليحات والتقاطعات التي وردت في الكتاب مع مؤلفات سابقة من مثل نقد الشعر لقدامة (-/٥٢٢٧م) ونقد الشر المنسوب إليه، والخراج، وسنعة الكتابة* والوسيلة للجرجاني (-/٥٢٩٢م) والموازنة للدمدي (-/٥٢٧٠م) والموشح* للمرزباني (-/٥٢٨٤م) والصناعتين للمسكري (-/٥٢٩٥م). فإذا أجريت مقابلة بين سر الفصاحة وهذه الكتب وغيرها تجد أحياناً شروياً من النقل الحرفي أو الاقتباس الصريح وأحياناً أخرى اشتداً في الإجراء والفكرة والمقصد.

ولذا يجدر بنا وصف أقرب المصادر والمراجع التي ساهمت في تأسيس بحث سر الفصاحة من ذلك:

١- طبقات فحول الشعراء لابن سلام (-/٥٢٢٢م) (١٠٩)

يعتبر هذا الكتاب من المؤلفات المهمة التي عنيت بالنقد الأدبي العربي في أوقياته، وخير معيار لذلك تلك المسائل النقدية التي عرض لها وأثارها في المقدمة؛ وقيمة النظريات والأحكام المتناثرة هنا وهناك في كتابه، وسداها في كتب اللاحقين. ثم إن الذي يجذب الباحث إليه ثقافة ابن سلام الفنية في عهد مبكر لم يَسْتَوِ فيه النقد بعد: المتمثلة في فكرة تقسيم الشعراء إلى طبقات مختلفة بموجب عدد من المقاييس الموضوعية المنهجية ذات علة بالزمان، ومنها طبقات البهايلين والإسلاميين، وبالمكان ومنها طبقات القرى العربية، والدين: كطبقة شعراء اليهود، والأغراض مثل طبقات أصحاب المرائي. كما يطالعك إلى جاذب ذلك ذلك المنهج الفني المحكم الذي ترتسم فيه صورة شخصيته في كل مستوى من هذه الطبقات، وقد حدّد مقدار ذلك بأن وضع أربعة شعراء تشابه إيتاجهم ومذهبهم (١١٠). واعتمد في ذلك مبدأ الفحولة النبوء بمهارة الشاعر الفنية والشهرة. فكان بذلك كتابه منتخبات مختارة من فحول الشعراء.

(١٠٩) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (-/٥٢٢٢م) تحقيق محمود شاكر القاهرة ١٩٧٤م/١٢٩٤هـ.

(١١٠) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ٢١/١.

٢- "نقد الشعر" (١١١) و"نقد الشر" (١١٢) و"الخراج وصناعة الكتابة" (١١٣) قدامة بن جعفر (-٥٢٢٧/١٤٨م)

قدامة بن جعفر (أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء، ومن يشار له في علم المنطق) (١١٤) وكنا قد عرفنا أن الرجل اطلع كثير من العلماء على الآثار اليونانية فأكسبته النزعة الفلسفية المنطقية، ويتجلى ذلك بوضوح في مؤلفاته. (١١٥) أما مؤلفه في "نقد الشعر" فقد قسمه إلى فصول ثلاثة، يتسم الثاني والثالث منها بالصيغة البلاغية. فالأول حدد فيه مفهوم الشعر بطريقة منطقية. (١١٦) وأقام دراسته على أساس هذا التعريف المنطقي معتبراً العناصر التالية: اللفظ والمعنى والوزن والقافية. وقد تعرض في الفصل الأول بالتأليف بين العناصر البسيطة، وجعل منها أربعة مركبة: إشتلاف اللفظ مع المعنى (١١٧) وإشتلاف مع الوزن، (١١٨) وإشتلاف المعنى مع الوزن، (١١٩) وإشتلاف مع القافية. (١٢٠) وجعل لكل جزء دراسة خاصة. ثم انتقل إلى الفصل الثالث الذي عرض فيه إلى نعوت عناصر المادة الشعرية البسيطة والمركبة ويقصد بذلك الجودة والكمال. ثم تناول الفصل الثالث وتحدث عن العيوب التي تلحق بها وتجعلها رديئة، ويدرج بين ثانياً مزاياها ومساوئها فنوفاً ومصطلحات بلاغية. ويمكن أن نقول بعد هذا أن منهج قدامة في هذا يقوم على حد الشعر بعناصره الأربعة المذكورة، وحد النقد بعنصره

(١١١) نقد الشعر قدامة (-٥٢٢٧/١٤٨م) تحقيق كمال مصطفى. القاهرة ١٩٦٢م/١٤٨٢هـ.
(١١٢) نقد الشر (المنسوب لقدامه) تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٣م/١٣٥١هـ. ويُعرف تحت اسم البرهان في وجوه البيان لابن وهب بعد ٧٩٤/١١٧٨م. تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديشي.

(١١٣) الخراج وصناعة الكتابة شرح وتحقيق محمد حسين الزبيدي.

(١١٤) الفهرست لابن النديم ص ١٩٤ وأنظر نقد الشعر ص ٣.

(١١٥) نقد الشعر في كمال ص ١٢ وما بعدها.

(١١٦) " " " " ص ١٧١ وما بعدها.

(١١٧) " " " " ص ١٩٠ وما بعدها.

(١١٨) " " " " ص ١٩٠ وما بعدها.

(١١٩) " " " " ص ١٩٠ وما بعدها.

(١٢٠) " " " " ص ١٩٠ وما بعدها.

البيطيين والمتناظرين، وقد جاءت فصول كتابه الثلاثة بشعبيها المختلفة وتفرعاتها المتنوعة، متعة وجوهر هذين الحدين بأغراضهما وعناصرهما المختلفة والمتنوعة أيضاً. وقد التزم بتطبيق هذا المنهج تطبيقاً صارماً ودقيقاً جداً على الشعر ونقده؛ مما أدى إلى إغفاله القيم الذاتية والعاطفية والغنية فيهما. (١٢١)

نقد الشر:

يشير في مقدمات إلى استدراكاته على الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، ويرى أن ذلك من دواعي الموضوعية والمنهجية التي يجب أن يرقى فيها العقل على العاطفة في العلم. ويتبع ذلك بتسعة وعشرين باباً تختلف وتأتلف مع قضايا ابن صان في "سر الفصاحة" وسنتنصر على ذكر التقاطعات لأنها من قبيل موضوعنا. نجتزئ ونقتضي منها تسعة فقط:

١. في التشبيه (١٢٢) والاستمارة (١٢٣) والأمثال (١٢٤) واللغز (١٢٥) والحذف (١٢٦) والمبالغة (١٢٧) والتقديم والتأخير (١٢٨) وتأليف العبارة (١٢٩) (الكلام على الشعر هنا) وباب فيه المشور وما جاء فيه. (١٣٠)

(١٢١) أنظر نقد الشعر في كمال ص ١٢ وما بعدها، و ١٢٤، وأنظر الكلام في تاريخ النقد الأدبي لنباس ص ١٨٩ ط ١/بيروت ١٩٧١.

(١٢٢) نقد الشر ٤٩.

(١٢٣) نقد الشر ٥٥.

(١٢٤) نقد الشر ٧٥.

(١٢٥) نقد الشر ٥٨.

(١٢٦) نقد الشر ٥٩.

(١٢٧) نقد الشر ٦١.

(١٢٨) نقد الشر ٦٢.

(١٢٩) نقد الشر ٦٤.

(١٣٠) نقد الشر ٨٢.

الخراج وصناعة الكتابة:

مقسم إلى منازل بدءاً من الخاصة لتقدان السابقة وانتهاء بالثامنة (١٢١) وفي المنزلة الخامسة أحد عشر باباً وفي السادسة سبعة أبواب وفي السابعة تسعة عشر باباً وفي الثامنة اثنا عشرة باباً. فالباب الرابع: في ذكر ديوان الرسائل (١٢٢) (٢٧-٥٢)، والخامس: في ذكر التوقيع والدار (١٢٣) (٥٢-٥٤) والسادس في ذكر ديوان الخاتم (١٢٤) والتاسع في ذكر ديوان المظالم (١٢٥).

ولا ننسى ما جاء في المقدمة الطويلة التي تمتد إلى كل ربوع الكتاب التي شملت قضية التوثيق والتحقيق (١٢٦)، ثم تطرق إثر ذلك إلى دراسة وتحليل أسباب الشعر ودوافعه بنوع من الإيضاح والتفصيل والتشثيل المناسب لمقتضى الحال، حيث كان يتقرّر في كل موضع القواعد التراثية الهامة. وتناول بعد ذلك تاريخ الأدب العربي وأصول اللغة وما حولها من لهجات مختلفة، ونشأة النحو وغير ذلك مما له صلة بالنقد مباشرة أو ضمناً. وقد فطن أيضاً إلى استقلالية النقد عن العلوم الأخرى ف (الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات). (١٢٧)

فالكتاب قيم ينبغي عن تبخّر صاحبه، أتى بكل ما يحتاج إليه الكاتب. وكتاب "الخراج" يشتمل على ثماني منازل وكل منزلة منها تحتوي على أبواب مختلفة ضمنه خصائص الكتاب والبلغاء، فمن طالع عرف غزارة فضله وتبحّره في العلم (١٢٨) وما بين أيدينا من هذا الكتاب سوى ثماني منازل، أما الأربعة الأولى فلم تصل إلينا حتى الآن ولعل يد الحدثان امتدت إليها. وقد اشتملت هذه المنازل المقودة - ممّا أشار إليه قدامة نفسه في المخطوط - أموراً في غاية الأهمية (١٢٩) ويتكلم في المنزلة الخامسة عن دواوين الدولة والبريد والسكك والطرق.

(١٢١) أنظر النجوم الزاهرة ٢/٢٩٨، معجم الأدباء ١٤/١٧.

(١٢٢) كتاب الخراج من ٢٧-٥٢.

(١٢٣) كتاب الخراج من ٥٢-٥٤.

(١٢٤) كتاب الخراج من ٥٥-٥٧.

(١٢٥) كتاب الخراج من ٦٢-٦٤.

(١٢٦) طبقات فحول الشعراء شاعر ٤/١.

(١٢٧) طبقات فحول الشعراء شاعر ٥/١.

(١٢٨) معجم الأدباء ١٤/١٧، الإيضاح في شرح مقامات الحريري للمطرزي من ٢٢.

(١٢٩) كتاب الخراج وصناعة الكتابة من ١٠، ١١ المقدمة (كلام المحققين).

٢- "البيان والتبيين" (١٤٠) و "الحيوان" (١٤١) للجاحظ (-٥٢٥٥/٨٦٨م)
لم يفرد الجاحظ مؤلفاً نقدياً أو أدبياً أو بلاغياً خاصاً، بل أورد شتات ذلك عبر مؤلفاته كافة،
وأقر بها في ذلك هو "البيان والتبيين". ورغم ذلك التوزيع فقد جاءت نظرياته في غاية من
الأهمية. والشيء الذي يستوقفنا هنا هو اعتزاله الذي مار وسرى في تفكيره واصطبع ذلك على
إنتاجه فقد أثار قضايا عدة في النقد والأدب والبلاغة وغيرها، منها لغة الأدب ومدى مسلتها
بالزمان والمكان وعلاقتها بالإنسان وبيئته، واختلافها باختلاف الإقليم وذوويه، ومدى التحدي
والاستجابة في ضوء التطور ومروته؛ مع مراعاة في ذلك شدة تلاؤم البنى مع المعنى
لاجتراح الشكل الأدبي المناسب. وتعرض أيضاً إلى علاقة اللفظ بالمعنى في الأثر
الأدبي. (١٤٢) وفي رأيه أن المعاني الموجودة في الأذهان ليست ذات أهمية ما دامت في
حل عن الصياغة اللفظية.

٤. كتاب الموازنة بين الطائيين (١٤٢) للآمدي (-٥٢٧٠/٩٨٠م)
كتاب نقدي كما يدل عليه عنوانه (موازنة) يبحث في الصراع القائم بين شعر أبي تمام
(٥٢٢١-) والبحثري (-٥٢٨٤/٨٩٧م) ومذهبهما في الشعر. وإرهاصات هذه المبادرة
موجودة في جهود السابقين استفاد منها الآمدي (-٥٢٧٠/٩٨٠م) وجمعها ولخصها وناقشها في
كتابه فصار بذلك صarsة نقدية آمدية. يبين في مقدمة الكتاب طبيعة المنهج الذي مار
عليه. (١٤٤) ثم شرع عمله بعرض حجج التاميين والبحثريين في أسلوب واضح طريف على
شكل محاوررة بين صاحب أبي تمام وصاحب البحثري مع بروز شخصية المؤلف. ثم انتقل إلى
دراسة إنتاج كلا الشاعرين مع تبيان مساوئهما، وراح يقابل بينهما في ضوء هذه الخطة، حتى
وصل إلى موطن المحاسن وخصص لذلك دراسة تمثل في التشبيهات والأمثال الواردة فيها.
ثم انتهى بكتابه إلى ذكر بعض النماذج الشعرية لكلا الرجلين على ترتيب حروف المعجم. وعلى
هذا يمكن أن تستنبط بعض الأسس التي أقام عليها الآمدي دراسته التوازنية هذه:

١٤٠. البيان والتبيين. الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. ط. لجنة التأليف والترجمة -
القاهرة (ج ١-٢) ١٩٤٨م، ج ٢ - ١٩٤٩م، ج ٤ - ١٩٥٠م. ١٩٦٩-١٩٥٠م.
١٤١. الحيوان. الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون (ج ١-٧) ط. البابي الحلبي - مصر
١٩٦٤-١٩٤٥م. (وأنظر طبعة القاهرة ١٩٦٩م).
١٤٢. البيان والتبيين هارون ١٤٤/١، الحيوان ١٢١/١، ٤٠/٢ (المعاني مطروحة في
الطريق... وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر الألفاظ).
١٤٢. الموازنة بين الطائيين للآمدي (-٥٢٧٠/٩٨٠م) أحمد صقر-دار المعارف-مصر
١٩٦١م/١٢٨١هـ.
١٤٤. الموازنة تحقيق صقر ٨/١.

- ١ - دراسة أشعار الرجلين دراسة نقدية قائمة على الموازنة من حيث المعنى والأسلوب.
- ٢ - دراسة أشعار الرجلين دراسة نقدية قائمة على الموازنة من حيث الصورة والتشبيهات.
- ٣ - اختيار نخبة شعرية كمية تحتكم لدى القارئ في ضوء معطيات الأمدى.
- ٤ - الموازنة النقدية لا تتمدى شاعرين في حدود الوزن والقافية.
- ٥ - تنبني هذه الموازنة على وضوح المنهجية ونزاهة الموضوعية.
- ٦ - تنبني هذه الموازنة على التقابل والتحليل والتعليل.

٥. كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه (١٤٥) للقاضي الجرجاني (-٥٢٩٢/١٠٠١م)

يعد هذا الكتاب في حقيقة أمره رداً على خصوم المتنبي (-٥٢٥٤) من النقاد الذين كان صهم الوحيد الكشف عن مساوئه (١٤٦) على غير هدى المنهجية والموضوعية، وموقف الجرجاني في هذا المقام موقف وسط كما يدل على ذلك العنوان. وهو من خلال عمله أراد أن يثبت لهؤلاء أنه إلى جانب سيئاته هناك عدد هائل من الحسنات التي تصدر أمامها زلاته. وصف عدداً من القضايا النقدية في مقدمته الطويلة، وحدد فيها منهجه وسبباً الحيادي والانطلاق من مجموع إنتاج الشاعر. ويرى أن من مقومات الشعر الطبع والموهبة والذكاء والمران والحكمة، وأن المذاهب الفنية والأساليب الشعرية تعود إلى طبيعة اختلاف البيئات، وأثار ألفاظ الشعر ومعانيه، والطبع والتكلف والصنعة، وعمود الشعر العربي بخصائصه التقليدية. ثم استأنف ممارسته مقسماً خصوم المتنبي إلى طائفتين، إحداهما لا ترى من جيد الشعر إلا قديمه (١٤٧). وقد وقف عندهم وناقشهم متحرناً إلى معيار القدم والحداثة في ضوء النقد الموضوعي، وطائفة تعترف بغفل المحدثين وهي المعتدلة (١٤٨) واعتمد في هذه المحاكمة أسلوب المقايضة بين المتنبي وبين أشهر الشعراء من مثل أبي نواس (-٥١٩٨/٨١٢م) وأبي تمام (-٥٢٢١/٨٤٥م)، عارضاً في ذلك مختارات شعرية فيها الجيد والردى، وناقشها. ثم انتقل بعد ذلك إلى المتنبي فذكر محاسنه في سياق من الأمثلة المختلفة المختارة من شعره التي حكم عليها بالجودة والتفضيل، ثم تطرق إلى الجانب السلبي من ذلك فكشَفَ عن سيئاته التي سرفت النقاد وأعصتهم عن محاسنه.

١٤٥ الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (-٥٢٩٢/١٠٠١م)

١٤٦ الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد (-٥٢٨٥/٩٩٥م) تحقيق محمد حسن آل ياسين بغداد ١٩٦٥م/٥٢٨٥.

١٤٧ الوساطة ص ٤٩.

١٤٨ المصدر السابق ص ٥٢.

وأقام ذلك على أسس نظرية قوية ووضوح في الرأي مع التمييز بين السرقات والمعاني المشتركة بين مختلف الشعراء والتشبيهات الملتبسة لديهم، وجدد بعض المصطلحات في هذا الباب. ثم وقف عند مواطن الفموض في شعره، واستعاراته المبنية البعيدة وألفاظه الغريبة، وغير ذلك من معانيه (١٤٩). فلا عجب في ذلك ممن كانت حرفته القضاء.

إذا كان سر الفصاحة محدداً في تأليفه بزمانيته القرن الخامس الهجري ومكانية المشرق العربي، فإنه حلقة علمية ترجع جذورها إلى القرون السابقة وتمتد إلى عصرنا الراهن. ولا غرابة في ذلك إذا وجدنا أن الكتاب يحتوي على نظريات ومقاييس وقواعد ناشئة في النقد والبلاغة والأدب والأصوات، تخرج عن الحاجز الزماني والمكاني الذي وجدت فيه. فهي أمور تتسم بأصالتها وموضوعيتها ومنهجيتها العلمية في ذاتها، وتجادل طرفها وطورها وتتخطاها لتكون منطلقاً مستقراً الماضي والحاضر، ويندرج بذلك إلى ما يسمى بالأثر المعاصر الخالد. ولا نعني بهذه الكلمة ذلك الارتباط العضوي القاصر بأي عصر من العصور على حدة، بل نعني بها ذلك الإبداع الفني الصالح لكل زمان ومكان، وهذه هي المعاصرة في الأثر الأدبي.

إن الشيء الذي دعاني أيضاً إلى هذا الموضوع هو تلك التقاطعات النقدية والأدبية والبلاغية التي تبناها ابن مثنان (- ١٠٧٢م / ٤٦٦هـ) في زمانه وبين ما هو شائع بشكل أو بآخر في نظريات عصرنا هذا. ولقد تعاملت مع ما تيسر لي من الأعمال النقدية والأدبية المعاصرة التي اجتريحت في ذهني تصوراً غللاً عاتقاً بذهني، وكنت أظن أنها من إبداع العصر، وكنت أعتقد أنها من ثمرات جهود المعاصرين فقط. ولكن رجعتي هذه إلى الأثر القديم جعلتني أمام الحقيقة الحقة، أدركت حينئذ المصدر الأول الذي انبثقت عنه أشياء كذلك التي اختزنتها منذ أمد ليس بالبعيد. وقلت في نفسي: هذا شيء ليس غريباً عني. وقلت: شيء في مقترب زمن عتيق وزمن نعيشه! وأيقنت أنها الجذور الأصلية لهذا العلم الرابضة في رحاب المصادر العربية. فعلمت أنها الأمتاز الأول والفعلية لهذا رغم اختلافات الإجراء وهيئة الأشكال... مع غياب أدنى مبادئ الأمانة العلمية وغياب وعي الباحث المتخصص في الكشف عن مثل هذه الأمور ليعرضها واضحة أمام الملأ، حتى يكون لكل ذي حق حقه. وبالفصاحة مرجع في النقد والأدب والبلاغة، يتناول قضايا تتقاطع مع مؤلفات أحرف منها:

(١٤٩) أنظر فصول في النقد العربي وقضايا. محمد خير شيخ. موسى ص ٥٦
ط١/١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م دار الثقافة، الدار البيضاء. المغرب.

- ١- فحول الشعراء للأصمعي (١٥٠). ٢- طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١٥١).
- ٢- قواعد الشعر لثعلب (١٥٢). ٤- البديع لابن المعتمر (١٥٢).
- ٥- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (١٥٤). ٦- نقد الشعر لقدامة بن جعفر (١٥٥).
- ٧- الصناعتين لأبي هلال العسكري (١٥٦). ٨- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني (١٥٧).
- ٩- الموازنة بين الطائيين: أبي تمام والبحتري للآمدي (١٥٨). ١٠- العمدة في محاسن الشعراء وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني (١٥٩).

-
- (١٥٠) كتاب فحول الشعراء للأصمعي (-/٥٢١٧م) تحقيق ش. توري تقديم صلاح المنجد. بيروت. دار الكتاب الجديد ١٩٧١م/١٣٩١هـ.
 - (١٥١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (-/٥٢٢١م) تحقيق محمود محمد شاكر - القاهرة دار المعارف (٤).
 - (١٥٢) قواعد الشعر لثعلب (-/٥٢٩١م) شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة. مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٤٨م/١٣٦٨هـ.
 - (١٥٣) البديع لابن المعتمر (-/٥٢٩٦م) شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ.
 - (١٥٤) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (-/٥٢٢١م) طه الحاجري ومحمد زغلول سلام القاهرة. المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٦م/١٣٧٦هـ.
 - (١٥٥) نقد الشعر لقدامة بن جعفر (-/٥٢٢٧م) كمال مصطفى ط٢/القاهرة. مكتبة الخانجي ١٩٧٩م/١٤٠٠هـ.
 - (١٥٦) الصناعتان لأبي هلال العسكري (-/٥٢٩٥م) تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٢م.
 - (١٥٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني (-/٥٢٩٢م) محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٤٥م.
 - (١٥٨) الموازنة بين الطائيين للآمدي (-/٥٢٧٠م) تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف - القاهرة ١٩٦١م/١٩٦٥م - ١٩٨١م/١٣٨٥هـ.
 - (١٥٩) العمدة لابن رشيق (-/٥٤٥٦م) ط٢ محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٩٦٢/١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١١ - مر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (١٦٠). ١٢ - أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني (١٦١).

فإن المواضيع المعروضة تلتقي مع قضايا "مر الفصاحة"، بل تمثل الأرضية التي أقام عليها الخفاجي بحثه هذا. وكان الالتقاء السريع في إيراد مؤلف ابن سنان والإعراب بموقفه إزاء والذي نستعين ونهتدي به في تكوين صورة أدبية أو نقدية عادلة تجاه هذا العالم. وللمراجع الحديثة من ذلك نصيب، فقد تعرضت إلى هذا الموضوع في ضوء المعطيات القديمة. وعلينا في هذا الصدد اعتبار المسافة الزمنية بين ذلك العهد وهذا العصر. فالجهود متواصلة لا تقتر والنظريات مستجدة لا تنتزع، وكل هذا من وحي مرونة التطور. وعلى هذا يكون لدينا مطلق تتمثل فيه الجودة الأولى لهذا العلم، على أي حال كانت، وتكون بالتالي هذه المسألة أمراً يستوقف كل باحث ودارس ليتأمل ويخمن ويقدر ثم يدلي بدلوه. والحقيقة أن العصر الراهن مرحلة بلغ فيها العلم مبلغه بفضل الجهود السابقة. وإذا كان العمل الأدبي في مجمله سرحاً فنياً، فلا شك أن اللبثات الأولى في بنائه كانت محاولات، والمحاولات تتحمل في قيامها الخطأ والصواب. وبفضل عدد هائل من العلماء شذبت وهذبت القواعد المقترحة مع مر الأيام حتى أصبحت على هيئة ترتضى. ولذا فإن علاقة المعاصرين من النقاد إزاء القديم علاقة من الأهمية بمكان، لأن آثارهم موضوع وأرضية ونبراس يهتدون بها في ضوء الحاضر؛ ولا شك أن هؤلاء أيضاً قد استفادوا من التجربة في فهم الإمكانيات الراهنة التي تزيدهم وضوحاً وموضوعية ومنهجية في نظرية الأشياء بعين الصواب. ومهما يكن من أمر فإن مطاولاتهم لا تعدو أن تكون مواقف ينعثون أو يصغون بها ذلك التراث في أماته. وكذلك الشأن في بحثنا هذا فهو بذلك أغنى. ولذا رأيت أن أدرج في هذا المقام عينات معاصرة في هذا الخصوص لأجتلي ما سرحت به من قبل ولأراعي مقتضى الحال. منها:

١ - المتخير من كتب النقد العربي القديم تقديم د. محمود الرّيداوي (١٦٢).

٢ - البيان العربي تأليف د. بدوي طبانة (١٦٢).

١٦٠ - مر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (-٥٤٦٦/١٠٧٢م). ط. دار الكتب العلمية. سبق ذكره (١٦١) أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١ أو ٤٧٤/١٠٧٨ أو ١٠٨١م) تحقيق هملوت ريتز. دار المسيرة ط ٢ منقحة. بيروت ١٩٧٩م.

١٦٢ - المتخير من كتب النقد العربي القديم. تقديم د. محمود الرّيداوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ط ١/١٤٠١هـ/١٩٨١م (في موقفه إزاء الخفاجي).

١٦٢ - البيان العربي تأليف د. بدوي طبانة، القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية. ط ٤/ القاهرة

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

مرجع في البلاغة والتقد والأدب، يحتوي على أربعة فصول: الأول في البيان والإعجاز (١٦٤)، والثاني في البيان والأدب (١٦٥) والثالث في البيان البلاغي (١٦٦) والرابع في فكرة البيان عند المعاصرين (١٦٧) والكتاب في واقع أمره وإن كان يجنح إلى الجانب البلاغي فإنه غني بالمقاييس النقدية والعضايا الأدبية. وما فيه من محاور ومعارف ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوعنا، وتساهم معنا في توسيع النظرة في الحكم على هذا الرجل في ضوء إبداءه.

٢- تاريخ النقد الأدبي عند العرب تأليف: د. عبدالعزيز عتيق: (١٦٨)
يحتوي الكتاب على تسعة فصول:

- ١- في النقد الأدبي (٧-١٢).
- ٢- النقد في العصر الجاهلي (١٤-٥٥).
- ٢- النقد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ٤- النقد في عصر الخلفاء الراشدين (٥٦-١٠١).
- ٥- النقد في الميزان (١٠٢-١٠٥).
- ٦- النقد في المراق (١٥١-١٩٠).
- ٧- النقد في الشام (١٩١-٢٦٦).
- ٨- النقد في القرن الثاني (٢٦٧-٢١٢).
- ٩- النقد في القرن الثالث (٢١٢-٤٠١).

وما يتميز به هذا المرجع هو شموله للحركة النقدية والأدبية والبلاغية في مختلف الأعصر الإسلامية، ولهذا يُعدّ مرجحاً يهتدى به القارئ في توسيع نظره إزاء مجمل التراث واقتباس منه ما يفيد.

-
- (١٦٤) المرجع نفسه من ١٨ - ٧٠.
(١٦٥) المرجع نفسه من ٧٢ - ٣١٥.
(١٦٦) المرجع نفسه من ٣١٥ - ٣٢٢.
(١٦٧) المرجع نفسه من ٣٢٢ وما بعدها.
(١٦٨) تاريخ النقد الأدبي عند العرب. الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧١م/١٢٩١هـ.

٢- في الأدب والبيان تأليف د: محمد بركات حمدي أبو علي. (١٦٩)

يتقسم هذا المرجع إلى سبعة محاور هي:

١. الفكرة البليانية بين المصطلح والقيمة.
٢. من خطوات البيان.
٣. الفكرة البلاغية بين التأثير والتأثر.
٤. من أسلوب الاستعارة.
٥. حول الصلة بين الدرس النحوي وعلم البلاغة.
٦. في الذوق الأدبي.
٧. قراءة في جمهرة أشعار العرب.

ومن ينعم النظر في هذه المعطيات ثم يقيسها في ما جاء في سر الفصاحة يدرك مدى الصلة بين تلك وهذا، والكتاب كما يدل عليه عنوانه يثبت ويكشف عن العلاقة الحميمة بين علم البيان والأدب. وهذا شيء نلاحظه في كثير من المصادر التي هي من قبيل دراستنا هذه، وعلى كل حال فالكتاب يفسح عن مسألة خطيرة في تداخلها وانفصالها؛ الشيء الذي اعترضنا مثله في سر الفصاحة، فأجهدنا النفس وعمنا التفكير في تبيان الفصل والوصل القائم بين هذين العلمين خاصة وبين الفنون الأخرى عامة. وقد تناول هذا الكتاب شخصية الخفاجي (١٧٠) ومدى التقاء وتشاكل أفكاره مع هذه المعطيات. ولا أذكر أن هذا الكتاب بما فيه كان أحد الوجهين في رأي الأمور بعين الصواب.

٤- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. (١٧١)

فالكتاب كما يتضح من عنوانه شامل للنواحي السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية التي تتعاقد في تشكيل صورة متكاملة حول تاريخ ما قبل الاسلام حتى العصر العباسي الثاني. وإذا كانت

١٦٩ في الأدب والبيان د: محمد بركات حمدي أبو علي. دار الفكر للنشر والتوزيع عمان

١٩٨٤ م.

١٧٠ المرجع نفسه أنظر ص ٧ - ٩. (حول ابن مثنى إزاء القضية المطروحة في

المؤلف). وأنظر أيضاً تاريخ البلاغة العربية د: عبد العزيز عتيق ص ٦٢٦. تأليف د: حسن رمضان - حسن

١٧١ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (٤ أجزاء)، مكتبة النهضة

المصرية. ط ٧/١٣٨٤ - ١٩٦٤ م. مصر.

التعنايا المطروحة فيه متعددة من جهة وقرينة من جهة إلى بحثنا، فإن فيها ما هو خالص لوجه هذا الموضوع والذي يتمثل أساساً في الجانب الثقافي (١٧٢)؛ الذي أفاض فيه المؤلف إفاضة مقننة للباحث في وضعه الطريق الصحيح في النظر إلى التراث الثقافي. والحقيقة أنني أفدت الكثير منه، حيث اتخذته مرشداً يهودني إلى حقائق المصادر التاريخية في هذا المضمار.

٥ - القاضي الجرجاني الأديب الناقد تأليف د. محمود السمره. (١٧٢)

مؤلف في غاية من الأهمية من حيث الاجراءات التأليفية وتصنيف القضايا ووضعها مواضعها المناسبة. كما يجعل الباحث على بيئة من أمره في التعامل مع أي أثر أدبي كان. ويتناول شخصية نظيرة لابن سنان في أغلب صفاتها وخاصة الأدبية والتقدية منها؛ وزد على ذلك فالكتاب يتناول مصدراً من مصادر الخفاجي ورافداً من روافده الثقافية، تتقاطع أغلبها فيما عرضه الخفاجي في مؤلفه من تعنايا: كالقدايم والمحدثين ولغة الشعر والذوق والموضوعية في النقد والفن والمبالغة والتعميد والمغرض والاستهلال والتخلص والخاتمة. وما بينهما من الاختلافات خير دليل على كادمتنا هذا.

(١٧٢) أنظر تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. تأليف د. حسن رمضان حسن. الجزء الرابع.

(١٧٢) القاضي الجرجاني (١٠٠١/٥٢٩٢م) الأديب الناقد د. محمود السمره، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت ١٦/١٩٦٦م/٥١٢٨٦.

قضايا الأدب

تتجه ممارسة ابن سنان (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) في كتابه سر الفصاحة اتجاهاً ثلاثياً يتمثل في البديعة والنقد والأدب. ولكل طرف من هذه الأطراف معالم تثبت وجوده في حيز الكتاب؛ وجذور موزعة توزيعاً متفاوتاً أحياناً ومتقارباً أحياناً أخرى. ويتشكل في ذهن القارئ تصور وموقف يشده أكثر للتمسك في إدراك الخلفية وإجلاء الغاية التي يسعى إليها الخفاجي.

فالكتاب يبدأ بعنوان على هيئة سؤال موجز، يكشف أسراراً تجد حقيقتها في ثنايا هذه الدراسة القيمة. ولو حاولنا الانطلاق من هناك لنستقر في رحاب القضايا المعروضة، لأنفسنا على رأي ابن سنان أن ذلك العنوان يقف عند حد المستوى الأول ولا يتعداه، ذلك أنه قصر حسن وصف الألفاظ على الفصاحة (١)، بينما ممرض مشروعه أكثر من ذلك، يتناول المستوى المذكور بالإضافة إلى حسن وصف الألفاظ مع المعاني؛ وهو الأمر الذي تُعنى به البديعة (٢)، ثم الكدام (٣) واللغة (٤) ونعوت المعاني (٥) بمختلف أشكالها، مع الملاحظة أنه في كل مرحلة من مراحلها يرمف شرطاً على شكل مقياس أو قاعدة. ومن هنا تبرز الممارسة النقدية جلية من أول هذا المشروع إلى نهايته. وإذا حاولنا أن نفرّد كل جانب على حدة يظهر الانفصال في أصله الذي يتحول إلى اتصال من خلال التكامل الذي يطبق لهذه العملية قوتها وقيمتها وفعاليتها في ميدان الأدب والنقد والبديعة. فالبجانب الأدبي بهذا الاعتبار وهذا التقدير شامل متكامل. فمن الناحية التاريخية يبدأ من العصر الجاهلي وينتهي إلى القرن الخامس الهجري الذي عاش فيه الخفاجي. ومن الناحية الموضوعية والمنهجية يقتني نماذج من المثور والمنظوم في هذه الأزمنة جميعها، ويحصرها في حدود مقتضى حال كل قضية من قضاياها. وإذا كانت المسائل الأدبية بهذا الاعتبار موضوعاً للنقد والبديعة، فهي تعبر عن مدى اتصالها وتفاعلها بتلك الأطراف من جهة، ومن جهة أخرى تتحول إلى كيان مستقل بذاته، وهذا لا يعني أنها صارت في غنى

-
- (١) سر الفصاحة من ص ٥٨ - ٩٥ ط. دار الكتب العلمية تحقيق عبد المتعال الصبيدي (مصورة عن النسخة المصرية. مكتبة محمد علي مسيح وأولاده. القاهرة ١٩٦٩م.)
- (٢) المصدر السابق من ص ٥٨ - ٩٥.
- (٣) المصدر نفسه من ص ٢١ - ٢٢.
- (٤) المصدر نفسه من ص ٤٤ - ٤٥.
- (٥) المصدر نفسه من ص ١٦٢ - ٢٩٢.

عن عين النقد والبلادة. وكيف يكون ذلك، والجوانب الثلاثة متوافقة متزامنة (Simultanes) في كل خطوة، وفي كل مستوى. ومن هذا القبيل نجتريء الجانب الأدبي قصد إبراز الناحية الزمنية والتاريخية، والناحية المنهجية والمزاجية، وتبيان القضايا الشربة والنظمية التي أثارها الخفاجي من حيث طبيعتها ووظيفتها وغرضها وبعدها، وتقييم الشعر ومستوياته، وتقدير الشعراء وطبقاتهم، والأبعاد الأدبية في مجمل الممارسة هذه.

وكتاب سر الفصاحة في واقع أمره من هذه الناحية قسمان: الشر والنظم. وإذا أقيمت نظرة إليه تجد مساحته يكاد يغطيها الشعر. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على منزلة هذا الفن وشيوعه في الوسط الأدبي العربي إلى جاذب النشر الذي له أيضاً صيته وكلمته في هذا المضمار. وفي اعتقادي أن السر في هذا التراجع عائد إلى ميول الناس إلى الشعر لكثرة واستساعة حفظه وتذوقه وتداوله، وكان النظم من هذا المنظور المؤشر الغالب في حمل لواء الفصاحة والبلادة عند السواد الأعظم من الناس.. وهذا لصري اتجاه أقرب ما يكون اجتماعياً. فهو ينطلق من هذه الأرضية الخصبة ومدى مساهمتها في اجتراح هذا الصرح سلباً كان ذلك أم إيجاباً، الأمر الذي يفضي إلى خلق ركام هائل يكتنف الجيد والردىء، إذ يساعد ذلك على تعقد الحياة وتطورها، مما يؤدي إلى اتساع رقعة اللغة وبالتالي إلى تغلّتها عن العرف لولا المعايير والقواعد النقدية التي تصونها من ذلك. ويمكننا حصر الأنواع الأدبية واحصاءها من نظمها ونثرها دون الخروج على شواهد ابن سنان.

أولاً - الشر:

النثر هو الكلام المرسل أو المسجع (١). جاء إلى جانب المنظوم في مواضع مختلفة من شواهد الخفاجي، وفقاً لمقتضى حال ومتطلب كل مسألة من المسائل المساهمة في مجمل البحث. فمنها:

(١) مقدمة في صناعة النظم والنثر للنواجي (-/٥٨١٠-١٤٥٥م) تحقيق محمد بن عبد الكريم ص ٢٧ - دار مكتبة الحياة (٤).

١ - الرسائل الديوانية والكتب السلطانية (٧) :

منها: (وإن يخلدوا بطون الصحائف غلطنا وغلطك، وإحساننا وإمامتك وحفظنا وإشاعتك.) (٨)

أورد الخفاجي هذا شاهداً على صحة المقابلة في المعاني وقبلها (عزيز علينا أن نسمع ذلك فينا فنرثاء، وقد كنا نسخطه ونأبأه وأن يخلد... فإنا لله وإنا إليه راجعون.) ومعنى صحة المقابلة في المعاني (هو أن يضع مؤلف الكلام معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة، والأصل في هذه المناسبة، فإن لها تأثيراً قوياً في الحسن.) (٩) ويقول الخفاجي: وكتب بعضهم إلى عامل من قبله: (فكرت مرة في عزلك، وأخرى في صرفك وتقليد غيرك.) (١٠)

وكتب أيضاً في هذا الكتاب: (فتارة تسترق الأموال وتختزلها، وتارة تقتطمها وتحتجنها.) (١١)

والقولان من قبيل التكرار، حيث إن القسمين يدخل كل واحد منهما في الآخر، فيفني إلى الإخلال في قسمة الكلام، لأن من الصحة عند الخفاجي في الكلام صحة التقسيم. (١٢)

(٧) مر الفساحة ٢٦٧ طبعة دار الكتب العلمية. وأنظر العبارة في المختار من رسائل الصابي (أبي اسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون (٢١٢-٢٨٤هـ) تحقيق شبيب أرسلان ص ٢٤٥. دار النهضة الحديثة - بيروت (٤). (في كتاب له نفذ من واسط إلى سبكين لحاجب عند عياكه).

(٨) مر الفساحة ٢٦٧، المختار في رسائل الصابي ص ٢٤٥.

(٩) مر الفساحة ٢٦٧، طبعة دار الكتب العلمية.

(١٠) ١١ ١٢ مر الفساحة ٢٢٧، طبعة دار الكتب العلمية، وأنظر العبارة في الموشح ص

١٢٥، نقد الشعر لقدامة (-٢٢٧هـ) تحقيق كمال مصطفى ص ٢٢٧، الصناعتين تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٢٤٤.

وكتب الوليد بن يزيد (-١٢٦هـ) لما بويح إلى مروان بن محمد (-١٢٢هـ) وقد بلغه توقفه عن البيعة له؛ (أما بعد، فأنني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت. والسلام). (١٢)

عبر الكاتب عن مراده بمثال أوضحه وأوجزه، ولهذا في الفصاحة والبلاغة موقع عجيب، حيث تمكن من التعبير عن أشياء كثيرة في عبارة موجزة بليغة. وهذا شاهد على التمثيل في الكلام. لأن من نعوت الفصاحة والبلاغة أن يطلب معنى معيناً، فيوضح بالفاظ دالة على معنى آخر، ويكون ذلك المعنى مثلاً للمتعود من المعنى، والحسن في هذا لا يجازمه، لأن التمثيل يخرج المعنى من مثاليته إلى الحسن والمباشرة، (وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم، لأن المثال يكون أظهر من المثل، فالغرض بإيراد إيضاح المعنى وبيانه). (١٤)

ومثل هذا ما كتب به الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد (-٤٠-١٥٠هـ/٦٦٠-٧١٤م) إلى المهلب بن أبي سفرة (-٧-٨٣هـ/٦٢٨-٧٠٢م) حين حضره على قتال الأزارقة وتوعدته حيث قال له: (فإن أدت فعلت ذلك، وإلا شرعت إليك صدر الرمح). (١٥) فأجابه المهلب: (فإن يشرع الأمير إلي صدر الرمح قلبت له ظهر المجن). (١٦)

وجاء هذا الكلام أيضاً شاهداً على التمثيل في تقوية الفصاحة والبلاغة في الكلام؛ ويجري مجرى سابقه. وقال أبو إسحاق الصابي (-٢٨٤هـ/٩٩٤م) في بعض كتبه: (ويسر له

(١٢) سر الفصاحة ٢٢٢، طبعة دار الكتب العلمية، البيان والتبيين تحقيق هارون ٢٠٢/١

(١٤) سر الفصاحة ص ٢٢٢ طبعة دار الكتب العلمية.

(١٥، ١٦) سر الفصاحة ٢٢٢، طبعة دار الكتب العلمية، البيان والتبيين ٢٥٢/١، وأنظر مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ١٠١/٢ طبعة السعادة بمصر ط ٢/١٢٧٩هـ/١٩٥٩م (ج ١-٢). وأنظر لسان العرب لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (شرح) دار صادر. بيروت (٤). بدون تاريخ (٤). وتفصيل ما جرى بين الحجاج والمهلب في الكامل. تحقيق أبو الفضل وشحاتة ٢٧٠/٢. المجن: الترس ويسمى كذلك لصوابته. شرع: صوب.

الفتوح شرقاً وغرباً، ويمكنه من نواصي أعدائه مسلماً وحريراً، ويجعله في أحواله كلها سعيداً محظوظاً، ولا يخليه من مزيد تنوافر مادته إليه، وإحسان الله يتظاهر لديه، ويصل ما منحه بنظائر تتلوه وتتبعه، وأمثال تقفوه وتشغفه. (١٧)

ورد هذا الكلام شاهداً على السجع والفواصل. وهذا ضربٌ من السجع المحمود لأنه يتبع المعاني، وغير متكلف، ولا مستكرم، بالإضافة إلى وضوح المقصود من النص الذي لا يتطلب إجهاد فكر في فهمه. فهذه إحدى النماذج الشريفة التي استخدمها الخفاجي في بحثه، جاءت شهادة على مقتضى كل حالة؛ كما هو الأمر في الشعر.

٢ - الرسائل الإخوانية:

وهذا النوع من الرسائل يختلف عن سابقه من حيث الأطراف التي يَتَمَّ بينهما التراسل؛ فإذا كانت الأولى تصدر عن ديوان الخليفة أو السلطان أو الوزير أو الوالي، فإن هذه الأخيرة تجري بين عوام الناس؛ غير أن الأمر الذي يهمنا في هذا القبيل هو تلك الرسائل التي ترقى إلى مستوى فن القول في فصاحتها وبلادتها وما تنطوي عليه من صناعة حسنة. فالخصائص والسمات التي تحملها كل رسالة تصنفها في هذا الفن أو ذاك؛ فكون شهادة لمقتضى حال كل مسألة تناسبها. ومن ذلك:

(وقد عرفت. اهدر فيما تراخى من كتبك، وأبطلا عني من برك، ورجعت فيما اتفق من حال الجفاء في هذه الوهلة، إلى ما عرفت صحته من العهد، وخلوصه من الود، فلم أجد لسوء الظن مساعفاً، ولا لظاهر الإعراض قبولاً، لأنك الأخ المبلوّة أخباره، المتكافئة في الجميل أفعاله، غير أن النفس تستوحش لما تنكر من حيث عرفت، وتذم من حيث حمدت، ويتضاعف

(١٧) سر الفصاحة ١٧٨ طبعة دار الكتب العلمية، المختار في رسائل الصابي (٢٨٤هـ) س ٩٠، ٩٨، ٢٦٧، ٢٦٨ (شاهد على صحة المقابلة) وأنظر س ٢٢٧ (شاهد على التسميم القاسد)، س ٢١٢ (شاهد على الإيجاز)، ١٧٨ (شاهد على التجميع).

عليها الألف للبقاء إذا وقع من معدن البر، والارتياح إذا كان رديفاً للثقة. وأرجو أن أكون من تلون الزمان فيك على أمن، ومن وفائه بعد مودتك على أقوى أمل (١٨).

وهذا النص دليل على حسن استخدام السجع، فهو لا يحمل في كل موضع السجع، بل جاء سهلاً حسب ما تجود به النفس ويستطيعه الخاطر، ولأجل ذلك خلا من التكلف والتعمل وجاء تابعاً للمعنى، وليس لذاته. ومن جهة أخرى فيه ترك للمناسبة بين الألفاظ، لأن (قبولاً) ليست على وزن (مساغ)، و(تستوحش) بأزائها كلمة، وكان يجب أن يقول (تستوحش لما تستنكر من حيث عرفت) وتنفر ما تزد من حيث حدث، أو غير - تستنكر - من الألفاظ التي تكون مناسبة تستوحش، وأيضاً (البر) لا يناسب الثقة - في الصيغة، و(أمن) ليس على وزن (أمل)، وهذا في نظر الخفاجي ليس بعيداً فاحش، وإنما هو ترك للأفضل والأولى من اعتماد المناسبة (١٩) ومثل هذا كثير في سر الفصاحة.

٢ - الكتابة الفنية لذاتها:

يذم ابن سنان الصناعة اللفظية إذا كثرت، لأن ذلك من أثر التكلف. والأصل أن تتبع الألفاظ المعاني لا العكس. كما أشار إلى ذلك في السجع (٢٠) والتصريح (٢١) والترصيع (٢٢)، وشبه بالخال إذا قل في الوجه حسن، وإذا كثر ذم. وعلى هذا الأساس يجب مراعاة المناسبة ووضع الألفاظ موضعها لتقوم سحة الكلام في سياق التأليف. إلا أنه قد تناسى أن تجتمع للأديب مقدر الصنعة مع تبعيتهما إلى المعاني، كما قال أبو العلام المعري (٥٤٤٩-١٠٥٧م):

-
- (١٨) سر الفصاحة ص ١٧٥-١٧٦ (شاهد على الكتابة الفنية في ذاتها وشاهد على السجع والفواصل، و ص ١٦٢، ١٦٤ (شاهد على حسن الكناية) وأنظر أيضاً ص ٢٥٦.
 (١٩) أنظر سر الفصاحة ص ١٧٦ طبعة دار الكتب العلمية.
 (٢٠) سر الفصاحة ١٧٧، ١٧٨ طبعة دار الكتب العلمية، وأنظر ص ١٧١ (السجع)، ١٧٩، (القافية في مجرى السجع) ولزوم ما لا يلزم ص ١٨٥ (الإقواء) و (الإيطاء).
 (٢١) ١٨٨ (التصريع).
 (٢٢) ١٩١ (الترصيع).

(فحرم الله عز سيدنا حتى تدغم الطاء في الهاء، فذلك حراسة بغير اتها. (٢٢))
ومثل هذا جاء شاهداً على استعمال العلوم الأخرى في طلب الصناعة لذاتها، كعلم الكلام والنحو
والفلسفة والهندسة والطب والتنجيم والمهن الأخرى وغير ذلك. فمن ذلك ما قاله الخطابي:
(حكى أن بعض المهندسين حضرته الوفاة، فقال: يا عالماً بجدر الأسم ومحيط الدائرة، لا
تقبض روعي إلا على خط مستقيم وزوايا قائمة. (٢٤))

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (-/٥٢٢م-٦٤٢م): (يجب أن يكون معه شدة في
غير عنف ولين في غير ضعف. (٢٥)) أي أن يكون حكماً حازماً في صدره ومن لينة.
ومن ذلك أيضاً قول بعضهم: (وفلان بن فلان الرجل المشهور بالفروية والراجلة
والشجاعة والنجدة، وله السن والحكمة والتجارب والدرية. (٢٦))
ويرى ابن مثن أن من وضع الألفاظ موضعها ألا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام من
الرسائل والخطب وألفاظ المتكلمين والنحويين والمهترمين ومعانيهم، والألفاظ التي يختص بها
أهل المهن والعلوم، لأن الإنسان في نظره إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن
يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وكلام أصحاب تلك الصناعة، وبهذا شرف كلام الجاحظ
(-/٥٢٥م-٨٦٨م) الذي كان يكتب في علوم كثيرة، محترزاً في ذلك لئلا يتحم ألفاظ علم على
علم آخر.

وأما ما قاله عمر رضي الله عنه (-/٥٢٢م-٦٤٢م) فهو من قبيل كمال المعنى، وهو أن
تستوفي الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل جودته (٢٧). أما القول الأخير فهو من قبيل
الحشو والتطويل.

(٢٢) سر الفصاحة ١٦٧ طبعة دار الكتب العلمية (في عدم استعمال في الشعر والشعر كلام
العلوم الأخرى). سر الفصاحة ١٦٧، وأنظر العبارة في الإغريض التي أرسلها المعري
(-/٥٤٤٩م-١٠٥٧م) إلى أبي القاسم المغربي في رسائل المعري ص ١٤ طبعة الأونست. مكتبة
الثنى لساحبها قاسم محمد الرجب بغداد (٤).

(٢٤) سر الفصاحة ١٦٧ طبعة دار الكتب العلمية (جذر الأسم: عدد حقيقي لا يمكن استخراج
قيمة نسبية له، وقد يكون المعنى أن المهندس بدل دعوته بالدعاء المقاد، استخدم هذا
الأسلوب.

(٢٥) سر الفصاحة ٢٧١ طبعة دار الكتب العلمية (شاهد على كمال المعنى).

(٢٦) سر الفصاحة ٢١٩ طبعة دار الكتب العلمية (شاهد على كمال المعنى). التطويل.

(٢٧) سر الفصاحة ٢٧١ طبعة دار الكتب العلمية (شاهد على كمال المعنى).

٤- الكلام المأثور في مجرى الحكمة (٢٨):

وهو ضرب من الكلام استوفى حظه من الفصاحة والبلاغة، مع التعبير عن مقتضى الحال بعبارة موجزة دالة موحية بأكثر ما في بنيتها من كلمات. وهو وجه من الكلام تدجرى على جهة الحكمة أو استنبط من حادثة تاريخية هامة أو غير ذلك، فأثره الناس لأجل حكمته أو دلالة الاجتماعية أو التاريخية أو السياسية أو غير ذلك. وقد استخدم الخفاجي مثل هذا في مواضع عدة من بحثه، من ذلك قول أعرابية في وصف رجل:

(لقد كان فيكم عمار، وما عمار؟ ملاب بأوتار لم تخدم له قط نار.) (٢٩) أرادت بقولها: كثرة إطعامه الضيوف من فرط كرمه؛ فقدمت الرجل على هيئة تمجيدية استغماية وراحت تكشف عن خصائله فقالت (ملاب بأوتار) ثم أتبعته هذا ب (لم تخدم له قط نار). وهذا الإرداف لمعري مفيد في التأليف (المبنى) وفي تقوية المعنى. والقارئ لما يطالع هذا تخطر على باله معاني وتصورات من خلال هذه المفردات لا تحصى. وهذا من أسلوب الإشارة في الإيجاز.

ومثل هذا قول امرأة أخرى:

(له إبل قليلات المسارح، كثيرة المبارك، إذا سمعت صوت المزمر أيقن أنهم هالك.) (٣٠) أي أن للرجل المعراعي القليلة، فيها إبل كثيرة، مخصصة للقرى، ومن كثرة تردد الضيوف عليه، عودت الإبل إذا سمعت صوت المزمر أنها ستنحرف لضيوف طاريء. والعبارة على قلة مفرداتها موحية بأشياء كثيرة، وجاءت هذه العبارة في أسلوب تشبيهي ترادفي مفيد ومعبر. والكلام هنا شاهد على الإرداف والتسبيح.

٢٨ ٢٩) سر الفصاحة ٢٢١ طبعة دار الكتب العلمية (شاهد على الإرداف والتسبيح في مجرى الكلام المأثور جريان الحكمة).
٢٠) المصدر السابق ٢٢١ طبعة دار الكتب العلمية (شاهد على الإرداف والتسبيح في مجرى الكلام المأثور جريان الحكمة).

ومن هذا أيضاً قول رجل:

(سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً. (٢١))

ومن ذلك أيضاً قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (-٥٢٢): (ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تلعب الله فيه. (٢٢))

٥ - الكلام في مجرى المثل:

هذا نوع من الكلام يأتلف مع جيد التأليف في مبناء، ومختلف في نفاذ معناه وقوته، على جهة التشيل. فتجد العبارة على أشد إيجازها وحسن تأليفها تؤدي عدداً هائلاً من المعاني والصور بمقتضى مثل موح دال موثقت في هذا السياق القصير. وهذا من أسلوب الإشارة في الإيجاز، له وقع خطير في الفصاحة والبدعة. ومن ذلك قولهم: (وافق شئ طبعه (٢٢)) إن هذه العبارة تجري حسب ما قلناه، والمثل مستقى من ظاهرة التوافق. ولأجل

(٢١) المصدر نفسه ١٧٢ (شاهد على السجع والفواصل والجمع والفصل في مجرى الكلام الماثور جريان الحكمة). وأنظر ص ٢٧١ (شاهد على كمال المعنى) و ١٩٧ (شاهد على التجنيس). وأنظر البيان والتبيين تحقيق هارون ٢٢٦/١ الصناعتين تحقيق الجاوي ص ٢٢٢. وأنظر سر الفصاحة ص ٢٠٢ (شاهد على المطابق).

(٢٢) سر الفصاحة ٢٠٤ طبعة دار الكتب العلمية. شاهد على الطباق، وأنظر البيان والتبيين هارون ٢٦١/١، وأنظر سر الفصاحة ص ٢٠٢ طبعة دار الكتب العلمية (شاهد على المطابق). (٢٢) أنظر المثل في فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (-٥٤٨٧/١٠٩٤م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد و د. إحسان عباس وعبد المجيد عابدين ص ٢١٥، مؤسسة الرمال ط ٢/١٤٠٢/١٩٨٢م. وأنظر مجمع الأمثال للميداني تحقيق عبد الحميد ٢٥٩/٢ (وفيه يضرب المثل للمتوافقين). وأنظر سر الفصاحة ٢٢٢ (شاهد على التشيل). وأنظر البيان والتبيين تحقيق هارون ٢٠٢/١، وأنظر سر الفصاحة ٢٢١ (شاهد على الإرداف والتتبع).

ذلك أورد ابن منان شاهداً على المطابق. وهو فن ذو مكانة خطيرة في جمالية فن القول العربي، لما ينطوي عليه من دلالات غزيرة، وإيحاءات وافية. وهو أقرب ما يكون إلى ما يجري في مجرى الحكمة، بالإضافة إلى كون هذا وذاك يشتركان في كون كليهما من ماثور الكلام.

٦ - اتوقعات:

يعني هذا (توقع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجعل بين تضاعيف مسطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول... فكان الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كُتب الكتاب فيه ما يؤكد ويوجه. والتوقع ما يوقع في الكتاب. (٢٤)) وهذا كله مع الإضافة. وهو فن يستخدمه الكتاب المتمهرون لما يحتاج إليه من قدرة الاختصار دون إخلال مع وضع الأنفا موضعها والمناسبة بين المبنى والمعنى في سعة الكلام.

٧ - التقليد:

ومفاده في اللغة من (قد قلّده قلداً وتقلّدها، ومنه التقليد في الدين، وتقليد الولاة، الأعمال... وقلّده الأمر ألزمه. (٢٥)) إن لهذا الاصطلاح دلالة موضعية تتجه إلى إجراء تقليدي وتعييني على جهة الإلزام أو دون ذلك، نقل هذا عن الموضعية ومار يعرف بالتقليد في فن القول؛ وهو شعار يرفع من قبل السلطان لتعيين شخص ما في مهمة ما، يوسي بأهليته في ذلك المنصب.

٨ - الخطيب:

وتعني (قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظلونة من شخص مُعْتَقَد فيه، والفرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم. (٢٦)).

(٢٤) اللسان (وقع)، سر الفصاحة ص ١٦٢، ١٦٤، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٥٦، ٢٧١.

(٢٥) اللسان (قلد)، سر الفصاحة ٢٥٦ طبعة دار الكتب العلمية.

(٢٦) كتاب التمرينات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (-٥٨١٦هـ) ص ١٠٤ مكتبة لبنان

١٩٧٨. بيروت. وأنظر سر الفصاحة ص ٢٥٦. طبعة دار الكتب العلمية.

فهذه الأمثلة المقدمة نماذج فنية استخدمها ابن سنان في دراسته هذه، وهي أثر اتجه كتاب تتفاوت مهاراتهم، ويشكلون بذلك مستويات في نظر النقد المنهجي الموضوعي. كذلك الأمر بالنسبة للشعراء الذين ستقف عندهم وقفة متأملة في موضع لاحق. واعتمادنا في هذا التقدير الموضوعية اهتمام برأي الخفاجي ومن جرى مجراه. ولن يكون اعتبار السبق الزمني ذا أثر إلا من حيث الحقائق التاريخية ليس غير، ذلك أن هذا الجانب مضاف إلى الموضوعية سند قوي في إحقاق الحق، لأننا في دراستنا هذه نسعى إلى تحديد معطيات كل عصر للتراث العربي، وأي هذه الأعصر كان أكثر مساهمة وازدهاراً وإبداعاً. فالإنتاج في هذا القيل مجموعة متكاملة، قائمة على أسهم هذا أو ذاك، وبالتالي يكون الكاتب وإبداعه عنواناً يعلو لواؤه أو يخفق. وما نشير إليه في هذا المقام هو أن الأمثلة المقدمة لا تغطي كل ما غاب عن وجه صفحات هذا الكتاب، وإنما هي نماذج جاءت لتشهد بالقدرة أو العجز على صاحبها من جهة، وتكون موضوعاً يُعبر في ضوء المقاييس المرشحة في كل مستوى من مستويات الكتاب من جهة أخرى. (٢٧)

ولقد بينّا في باب النقد ما يكفينا عبء التكرار، حيث إبراز مواطن الحسن والرداءة في كلية القضايا أو جزئياتها، في ضوء النقد والبلادة، حيث لاحت مهارة كل كاتب من خلال العيّنات المفحوصة. (٢٨) وإذا كانت هذه الأخيرة لا تنفي بالفرض لإقامة الدليل على الأديب، فإنها على الأقل تمثل جانباً مهماً يخبر إخباراً نسبياً عن صاحبه، بحجة أن هذه الأمثلة موضوع وهج، في أسلوبه يتألق من خلاله الكاتب. ومن كان قادراً على الجزء لا يتصر عن استيقاء البقية. وعلى هذا فالعودة إلى دراسة أكبر عدد من الإنتاج لتشكيل الصورة الصحيحة العادية حول الرجل، وهذا أمر لا مناص منه؛ لأنه كما يقال: الأسلوب هو الرجل، والأسلوب يحمل في طياته ميايم صاحبه ومعالمه، وهو الذي ينوب عنه في أثناء غياب شخصيته الطبيعية بشخصيته الاعتبارية (المعنوية). ولا ننسى أن غايتنا الأولى في هذا الخصوص هي الفصاحة والبلادة بين عيوبها ومزاياها، وقد أثبتنا ذلك في فصل النقد. (٢٩)

(٢٧) سر الفصاحة طبعة دار الكتب العلمية حيث تتوزع على مساحته المقاييس والمعايير النقدية والبلادية المختلفة. وأنظر فصل النقد من دراستنا هذه (مجلد، الكتاب).
(٢٨، ٢٩) المصدر نفسه (مجلد، الكتاب).

ومن أمثلة هؤلاء الكتاب: سهل بن هارون الكاتب (٤٠) (-٥٢١٥/٨٢٠م) الذي ذاعت شهرته في الوسط الأدبي، وبخاصة في فن الكتابة. وقد حظي بإعجاب وتقدير العلماء من مثل الجاحظ (٤١) (-٥٤٥٥/٨٦٨م) جمع بين الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار، وأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية (٤٢) (-٥٢٤٠/٩٥١م) وأحمد بن يوسف بن شبيب الكاتب (٤٣) (-٥٢١٢/٨٢٨م)، وسعيد بن حميد (٤٤) (-٥٢٥٠/٨٦٤م) والجاحظ (-٥٢٥٥/٨٦٨م) الذي يعد أكبر أئمة الأدب، وأحمد بن ثوبة الكاتب (٤٥) (-٥٢٧٢/٨٨٦م) ومحمد بن جعفر بن ثوبة (٤٦) (-٥٢١٢/٩٢٤م) وقدامة بن جعفر (٤٧)

(٤٠) سهل بن هارون بن راهبون (أوراميون) أبو عمر الاستيمسياني (-٥٢١٥/٨٢٠م) أنظر وفيات الأعيان تحقيق الدكتور (إحسان عباس ١/٢٦٨؛ دائرة المعارف لبطرس البستاني ٤٨٥/١ مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان تهراني (٤)).

(٤١) الجاحظ عمرو بن محبوب الكثاني بالولاء الليثي أبو عثمان (-٥٢٥٥/٨٦٨م) أنظر وفيات الأعيان ٤٧٠/٢ تاريخ بغداد ٢١٢/١٢.

(٤٢) ابن الداية: أحمد بن يوسف بن إبراهيم البغدادي المصري أبو جعفر الكاتب (-٥٢٤٠/٩٥١م) باحث من وجوه الكتاب الفصحاء، كادت له معرفة بالأدب والتاريخ والطب والفلك والحساب، وله شعر حسن. أصله من بغداد، هاجر منها أبوه إلى دمشق واستقر بمصر واشتهر بها. أنظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي (-٥٢٢٨/١٢٢٨م) ١٥٤/٥ ط. دار إحياء التراث العربي، وأنظر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١٩٠/١.

(٤٣) أحمد بن يوسف بن القاسم بن شبيب العجلي بالولاء المعروف بالكاتب. كان فصيحاً قوي البديهة، يقول الشعر الجيد وله رسائل مدونة وهو صاحب البيت المشهور: إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه صدر الذي يستودع السر أضيق.

توفي ببغداد (-٥٢١٢/٨٢٧م) أنظر تاريخ بغداد ٢١٦/٥، معجم الأدباء ١٦١/٥، النجوم الزاهرة ٢٠٦/٢، الفهرست: الفن الثاني من المقالة الثالثة. الوزراء والكاتب ص ٢٠.

(٤٤) سعيد بن حميد بن سعيد أبو عثمان (-٥٢٥٠/٨٨٤م) أنظر من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٧٥، أعلام الزركلي ٩٤/٢.

(٤٥) أحمد بن محمد بن ثوبة بن يونس أبو العباس الكاتب (-٥٢٧٢ أو ٥٢٧٧/٨٨٦م أو ٨٩٠م) أنظر معجم الأدباء ط. دار إحياء التراث العربي ١٤٤/٤، من الفصاحة ١٧٥.

(٤٦) محمد بن جعفر بن ثوبة أبو الحسن (-٥٢١٢/٩٢٤م) أنظر معجم الأدباء ١٨/٩٦، أعلام الزركلي ٧٠/٦.

- (٤٧) (١٤٨/٥٢٣٧م) وعبدالله بن المقفع (-١٠٦-١٠٦٢/٥٢٤٢-٧٢٤-٧٥٩م) (٤٨) والوزير المهلب (٤٩) (-١٦٢/٥٢٥٢م) وابن العميد (٥٠) (-١٧٠/٥٢٦٠م) وأبو إسحاق الصابي (٥١) (-١٩٤/٥٢٨٤م) ، والصاحب بن عباد (٥٢) (-١٩٥/٥٢٨٥م) وأبو الفرج البلاء (٥٣) (-١٠٧/٥٢٩٨م) وغيرهم.

فهذه الصفوة المختارة من الكتاب اللامعين تمثل أزمدة متلاحقة وقدرات فنية متفاوتة. فالمعيار الزمني كما سلف متجاوز إزاء منهجية الموضوعية التي تبناها ابن منان (-١٠٧٢/٥٤٦٦م) في مشروعه. وهؤلاء يشكلون طبقات متباينة قائمة على القدرات الفنية في أساسها لا غير، قياساً على ما فعله ابن سلام الجمحي (-١٢١/٥٢٤٥م) في طبقاته (٥٤) كان يكون على سبيل المثال الجاحظ (-١٢٨/٥٢٥٥م) وعبدالله بن المقفع (-١٢١/٥٢٤١م) وابن العميد (-١٧٠/٥٢٦٠م) وأبو إسحاق الصابي (-١٩٤/٥٢٨٤م) والصاحب بن عباد

- ٤٧) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (أبو الفرج) (-١٤٨/٥٢٣٧م). أنظر النجوم الزاهرة ٢/٢٩٧ معجم الأدباء ١٧/١٤ الفهرست ١٢٠.
- ٤٨) عبد الله بن المقفع (-١٠٦-١٠٦٢/٥٢٤٢-٧٢٤-٧٥٩م). أنظر أصراف البيان ٩٩-١٥٨، لسان الميزان ٢/٢٦٦، أمالي المرتضى ١/٩٤، دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٨٢، خزنة الأدب ٢/٤٥٩، ٤٦٠، أعلام الزركلي ٤/١٤٠.
- ٤٩) أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلب الوزير (-١٦٢/٥٢٥٢م) أنظر وفيات الأعيان ٢/٢٠٦.
- ٥٠) محمد بن الحسين بن محمد بن العميد (-١٦٦/٥٢٦٠م) أبو الفضل. وفيات الأعيان ١٠٢/٥، معاهد التنصيص ٢/١١٥ شذرات الذهب ٢/٢١.
- ٥١) إبراهيم بن هلال بن زهرون الحراني أبو إسحاق الصابي (-١٩٤/٥٢٨٤م). وفيات الأعيان ١/٥٢، النجوم الزاهرة ٢/٢٢٤ المختار من رسائل الصابي تحقيق شكيب أرسلان (مجلد الكتاب) وأنظر ص ٩٠، ٩٨، ٢٤٥.
- ٥٢) اسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني (-١٩٥/٥٢٨٥م). معجم الأدباء ١/١٦٨، معاهد التنصيص ٤/١١١، وفيات الأعيان ١/٢٨٨، إنباء الرواة ١/٢٠١، سر الفصاحة ١٧٥.
- ٥٣) عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي أبو الفرج (-١٠٧/٥٢٩٨م) تاريخ بغداد ١١/١١، سر الفصاحة ١٧٥.
- ٥٤) طبقات فضول الشمره لابن سلام الجمحي (-١٢١/٥٢٤٥م) تحقيق محمود شاکر (مجلد الكتاب).

(١٩٥٠/٥٢٨٥ م) وغيرهم ممن ينافرهم مهارة وإبداعاً في الطبقة الأولى من الكتاب بناء على نتائج معطيات إنشائهم وعلى شهادات النقاد لهم. فهؤلاء وإن كان زمنهم متقارباً، إلا أن هذا لا يحملنا أبداً إلى اعتبار السبق الزمني في الموازنة والتفضيل هذا على ذلك في الطبقة. ويمكن إتباع كتاب آخرين تلو هذه الطبقة من مثل: سهل بن هارون (٨٢٠/٥٢١٥ م) وأحمد بن يوسف الكاتب (٨٢٨/٥٢١٢ م) وسعيد بن حميد (٨٦٤/٥٢٥٠ م) وأحمد بن محمد بن ثوابه الكاتب (٨٨٦/٥٢٧٢ م) وأحمد بن يوسف بن الداية (٩٥١/٥٢٤٠ م). ويسوغ أيضاً إلحاق كتاب آخرين أقل مهارة وإبداعاً وقد أورد ابن سنان نماذج في معرض شواهد (٥٥)، وإن كانت هذه الأخيرة جزئية لا تكفي لإقامة الدليل والطمأن، وإنما مجمل الكتابة هي التي تخول الحكم العادل والكامل في الترتيب والتفضيل.

وقد ملأهم في هذا المشروع الفني أعلام كثيرون، من بعيد أو من قريب، ومن هؤلاء الذين ذكرهم الخفاجي عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥٦) (٦٤٣/٥٢٢ م) والحسن، البصري (٥٧) (٧١٨/٥١٠٠ م) وأبو علي الفارسي (٥٨) (٩٨٧/٥٢٧٧ م) وغيرهم كثير.

ثانياً: الشعر ومستوياته والشعراء ومطبقاتهم:

إن القضية وإن بدت ثنائية في تركيبها فهي متداخلة؛ كل طرف منها قابض في رقاب بعضه بعضاً. فإذا أخذت بمستويات الشعر كان انطلاقك من النص إلى الشاعر، وإذا أخذت بالطبقية كان الأمر في ظاهرها استرجاعاً من القائل إلى النص. وتشكل هذه الحالة علاقة عكسية يتعدى ويفضي كل جانب منها إلى الآخر؛ غير أن موضوع الشعر يمدّ الدليل الهادي الذي يحكم

-
- (٥٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٦٧، ١٦٨، ٢٢٧، ٢٧٢، ٢١٩.
- (٥٦) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو حفص ثاني الخلفاء الراشدين (٦٤٣/٥٢٢ م) وأول من لقب بأمير المؤمنين. أنظر تاريخ الأسم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٨٢٥/٥٢١٠ م) ١/١٨٧، ٢٧١ دار سويدان - بيروت لبنان (٢).
- (٥٧) الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (٧١٨/٥١٠٠ م) وفيات الأعيان ٦٩/٢ طبقات ابن سعد ١٥٦/٧.
- (٥٨) أبو علي الفارسي (٩٨٧/٥٢٧٧ م) مصبج الأدباء ٢٢٢/٧.

بمقتضاء الناقد حكماً عادلاً موضوعياً، ولا ينحرف عن المنهجية الصحيحة، ذلك أنه يمثل الأسلوب بخصائصه الفنية والإبداعية التي نشأت من جراء امتداد الفنان وتجربته الذاتية، وتكون العملية عندئذ تقابلية. وهي الأمر الذي طالما اختلف حوله النقاد.

- ١ - فالبعض انطلق من صاحب النص ليصل بالحكم على النص.
- ٢ - والبعض رقد النصف والمزاجية أداة لذلك.
- ٣ - والبعض اعتمد الميار الزمني في تقييم العمل الأدبي. وهذه الفرق تمثل المزاجية في النقد.
- ٤ - والبعض اعتمد الشطرية أو الجزئية في محاكمة الكل. وتمثل هذه الأخيرة النقد الجزئي أو الشطري. وحكمها ناقص في رأي النقد. ولا يمكن أن تعطي صورة كاملة عن مكانة شاعر ما لم تتفحص أغلب إنتاجه، وعلى الأقل نصاً كاملاً؛ وعن قيمة النص ما لم تبيّن سمات العناصر التي يبني عليها هذا الكل جميعه. وهي جارية في القضايا الجزئية الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية والبلاغية في حدود المسألة التي تكبر وتتضخم بتفاقم الاختلاف والاشتلاف عند النقاد، ومن أمثلة ذلك: الصوت والحرف في التقارب والتباعد في التأليف المفرد، حيث دار النقاش والجدال بين أبي علي الجبائي (-٥٢٠٢هـ) وأبي هاشم الجبائي (-٥٢٢١هـ) والقاسي عبد الجبار (-٥٤١٥هـ/١٠٢٤م) والشريف المرتضى (-٥٤٢٦هـ/١٠٤٤م) وابن سنان الخفاجي (-٥٤٦٦هـ/١٠٧٢م) (٥٩).

- ٥ - واعتمد البعض الآخر السبق الزمني بوصفه معياراً، في حكمه، بحجة أن الأوائل هم الذين فتحوا باب الشعر وخلق المعاني.
- ٦ - والبعض الآخر وهم المعتدلون: ابتداءً من الأثر الأدبي للوصول إلى الفنان؛ إلا أنهم قصروا نظرهم في جل أعمالهم على الشطر أو الجزء. وهذا كما أشرنا غير كاف لإقامة الدليل النقدي (٦٠). وهذا تصور مع أنهم ساروا على درب الموضوعية والمنهجية المحكمة.

٥٩) أنظر سر الفصاحة ١٥-٨٥. وأزن مع المعنى في العدل والتوحيد للقاسي (-٥٤١٥هـ/١٠٢٤م) ٧/٢١، ٢٨، ٢٦، ٢٢، ٤٠، ٩.

٦٠) منهم ابن سنان الخفاجي كما يتضح في صرامته في سر الفصاحة.

فكيف تحكم على منزلة امرئ القيس (٦١) (-٨٠ ق هـ) أو النابغة الذبياني (٦٢) (-١٨ ق هـ) أو زهير (٦٣) (-١٢ ق هـ) أو حسان بن ثابت (٦٤) (-٥٤/٦٧٢ م) أو الخنساء (٦٥) (-٢٤/٦٤٤ م) أو الفرزدق (٦٦) (-١٠/٧٢٨ م) وجريز (٦٧) (-١٠/٧٢٨ م) والأخطل (-١٠/٧٠٩ م) وأبي نواس (٦٨) (-١٨/٨١٢ م) أو البحتري (٦٩)

- ٦١) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (-١٢٠ هـ - ٨٠ ق هـ). أنظر: الشعر والشعراء طبعة دار إحياء العلوم بيروت ١٤٠٤/١٩٨٤ م. وأنظر تحقيق أحمد محمد شاكر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. ١٩٥٠ م (٢ ج).
- ٦٢) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الطلفاني (-١٨ ق هـ). أنظر شرح شواهد المفني ٢٩. معاهد التنصيص ٢٢٢/١، الأغاني ط. الدار ٢/١١، جمهرة ٢٦، ٥٢، نهاية الأرب ٢/٥٩، الشعر والشعراء ٢٨، خزنة البغدادي ٢٨٧/١، ٤٢٧ ثم ٩٦/٤.
- ٦٣) زهير بن أبي سلمى (-١٢ ق هـ). أنظر طبقات فحول الشعراء تحقيق شاكر، دار المعارف ص ٢٩، ٤٥، ٧٢، ٨١، ٩٠، ٥٦٢. وأنظر ص ٤٢.
- ٦٤) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري (-٥٤/٦٧٢ م) أبو الوليد: أنظر تهذيب التهذيب ٢/٢٤٧، الإصابة ١/٢٢٦، ابن عساكر ٤/١٢٥، معاهد التنصيص ١/٢٠٩، خزنة البغدادي ١/١١١، الأغاني ط الدار ٤/١٢٤، ابن سلام ١١٩، الشعر والشعراء ١٩٢.
- ٦٥) الخنساء: تماضر بنت عمرو من بني سليم (-٢٤ هـ) أنظر الشعر والشعراء ٢١٨. الطبقات ص ١٦٩ أعلام النساء ١/٢٠٥ خزنة البغدادي ١/٢٠٨، جمهرة الأنساب ٢٤٩.
- ٦٦) الفرزدق همام بن غالب من صعدة التميمي الدارمي أبو فراس (-١٠ هـ) أنظر الأغاني ٨/٢٢٤ ط دار الكتب، وفيات الأعيان عباس ٦/٨٦، الشعر والشعراء ص ٢١٧، الشعر الطبقات ص ٥٤.
- ٦٧) جريز بن عطية بن الخطفي بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم (-١٠/٧٢٨ م) أنظر الأغاني ٨/٢ ط الدار، وفيات الأعيان ١/٢٢١.
- ٦٨) أبو نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره (-١٨/٨١٢ م). أنظر الأغاني ط الدار ٢٠/٢، خزنة الأدب ١/١٦٨، وفيات الأعيان ٢/٩٥، تاريخ بغداد ٧/٤٢٦.
- ٦٩) البحتري الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة (-٢٨٤/٨٩٢ م). أنظر الوفيات تحقيق د. عباس ١/٢١، معجم الأدباء ١٩/٢٤٨ ط دار إحياء التراث العربي، تاريخ بغداد ١٢/٤٤٦، الأغاني ١/٢٧ أعلام الزركلي ٨/١٢١.

(٥٢٨٤- / ٨٩٧م) وغيرهم من خلال المصليات الجزئية التي ساقها الخفاجي في أحكامه سيراً في ذلك على نهج أساتذته من مثل قدامة بن جعفر (٧٠) (- / ٥٢٣٧م ٩٤٨م) والآصدي (٧١) (- / ٥٢٧٠م ٩٨٠م) والقاضي الجرجاني (٧٢) (- / ٥٢٩٢م ١٠٠٤م).

وقد يسأل سائل هل يريد الخفاجي الحكم من خلال الجزء أم الاستشهاد؟ والجواب على ذلك أن صاحبنا قد أورد قضايا ومعطيات استشهد لها بنماذج جزئية لكل حالة. ثم أتى إلى الحكم بعد ذلك إما بالحمد أو الازم أو غير ذلك (٧٣). فالرجل استشهد أولاً ثم أقام الحكم. فالأمر جلي واضح.

ولا يغوتني أن أنوء بالمقياس الزمني الذي اعتبره عاملاً ثانوياً مساعداً إزاء الاتزان المنهجي والموضوعي، وضرورياً في رسم الحقائق التاريخية للموضوع. ولعل المذهب الأوسط والواقف هو الاستفادة من هذا وذاك، لخلق منهج يجمع الاتجاهين في قوة واحدة، أي أن يكون اعتبار الجزء من خلال الكل، يضيء على الجزء في الوقت نفسه. ويكون الاتجاه أولاً من الداخل إلى الخارج ثم العكس ثانياً. ثم إن استقلال كل نظرية على حدة يُلقى بها في العجز وبالتالي إلى الطعن؛ ومن ذلك:

- ١- الاتجاه من الداخل إلى الخارج دون الاستناد إلى القائل أو المناسبة أمر غير جائز في كل الأحوال، فكثيراً ما تفرغنا نصوص من الخطورة بمكان، أحوج ما تكون إلى المناسبة والقائل. وهي أمر قد لا يقع إلّا في النماذج التمثيلية من الفن العارضة أو الآنية المنتهية.
- ٢- هذه النظرية قد لا تتعدى حدود المبنى، وإن كان لا بد من التأويل، فالالتباس والاحتمال غير الموجه والمحدد مستقرها. ومن المعلوم أن النص قالب يعيش بنبضات قلب المعاني والصور السارية فيه. فالمناسبة وتجربة المتفنن أنماط حية، مرنة، تعبّر عن عينة حيوية تنادي من وراء السطور. فإذا أهملتها كانت العملية ناقصة في إجرائها ونفاذها، حيث يتحول إلى سؤال متردد يساور ويحاور قلق المتلقي، فكأنها حينئذ واقعة بدون عنوان.

(٧٠) أنظر نقد الشعر ونقد الشر قدامة بن جعفر (- / ٥٢٣٧م ٩٤٨م).

(٧١) أنظر الموازنة والمؤتلف والمختلف للآصدي (- / ٥٢٧٠م).

(٧٢) أنظر الوصاية للجرجاني (- / ٥٢٩٢م ١٠٠١م).

(٧٣) أنظر من الفصاحة طبعة دار الكتب العلمية (مجلد الكتاب) تبين الاجراء التقدي عند الخفاجي.

- ٢- النص مستويات امتدادية وارتداية (٧٤)، تتجه من المنطلق وتتم بمرحلة التحليل، للوصول في آخر المطاف، بناء على المعطيات إلى صاحب النص والمناسبة وبالعكس.
- ٤- اعتماد شخصية المتفنن في النقد أمر كثيراً ما تحكمه الأهواء، ويغمره النصف والمزاجية والاعتبارات الشخصية التي تعمي الناقد عن الحقيقة.
- ٥- اعتماد الأثر الأدبي في النقد دون مناسبة وفتح، حاصل في حالات محدودة. ومرفوض في الأنواع الفنية التي تتخطى الزمان والمكان (الروائع الخالدة المعاصرة) والسائدة تحت لواء الحداث ومآله.

وكلا المذهبين وردا في المناوئة الخفاجية. وابن منان يجري مجرى المقننين المتزئنين في تقدم ومن ذلك قوله: (قد يذهب كثير ممن يختار الشعر إلى تفضيل ما يوافق طبعه وغرضه، ويذهب قوم إلى اختيار ما لم يتداول منه، حتى يكون للوحشي الذي لم يشتهر مزنة عندهم على المعروف المحفوظ، ويخالفهم آخرون، فيختارون سائر الشعر على حامله، ومشهوره على مجهوله، ويستحسن قوم الشعر لأجل قائله، فيختارون أشعار السادات والأشراف ورؤساء الحروب ومن يوافقهم في النحلة والمذهب، ويمت إليهم بالمودة أو النسب، وهذه كلها أقوال صادرة عن الهوى، ومقصورة على محض الدعوى، من غير دليل يعضدها، ولا حجة تنصرها، والطريق الذي يؤدي إلى المقصود من معرفة المختار في الألفاظ والمعاني؛ هو ما ذكرناه ونبهنا عليه، ومن تأمله علم الإساءة فيه بمشيئة الله وعوده.) (٧٥)

وقد تطرق الخفاجي حسب المعطيات الواردة في كتابه (٧٦) إلى مسألة الشعر ومستوياته وطبقة الشعراء، في حديث موجز دال، وموجع عن خلفية واسعة. قامها في ميزاني المزاجية والموضوعية، واستدل بنماذج تمثيلية من الشعر والشعراء بريادة امرئ القيس ومن تلاء مرتبة: فناً وزماناً. فحكم صاحبنا على المزاجية والذاتية والمياري الزمني في السبق بالعلم

٧٤) أنظر منهجية الخفاجي في كتابه، التي تمثل مستويات متصاعدة من الجزء إلى الجزء، إلى الكل أي من الصوت والحرف والكلمة والكلام واللغة في عملية تأليفية في نطاق الفصاحة والبلاغة ثم العكس. (امتداد وارتداد).

٧٥) سر الفصاحة ١٨٥ طبعة دار الكتب العلمية.

٧٦) سر الفصاحة ٢٧٨ - ٢٨٥.

وعدم الجدوى. (٧٧) ويُصَبَّ النهجية والموضوعية بديلاً بقاءً، مُجَدِّياً لذلك. فيرى أن، بين المتقدم والمتأخر خصائص تقاطعية مشتركة يتساوى عندها الطرفان ويتفاوتان بحسب المهارة الإبداعية. وليس للمعيار الزمني عندئذٍ في السبق أو التأخر فضيلة، سوى أن ذاك عاش في زمان ومكان معينين، وهذا في عهد وإقليم محددين. ويشير إلى السبق في اجتراف المعاني وفتح باب الشعر في ذلك. (٧٨) وهذا في حقيقة الأمر يخرج عن إرادة السابق واللاحق. فما أصعب البدايات مع بساطتها وما أثق التعقيدات والمرونة في كنف التطور وتعدد التحديات والامتجانات التي يطلبها المحدث. ومن الناحية الموضوعية والنهجية لو طلبنا الحكم العادل في اختراع المعاني، لوجدنا كفة التابعين أرجح. لماذا؟ لأنهم أقادوا من آثار الأولين وأسعنوا فيها وامتدعوها وأضافوا إليها مستجدات تجاربهم، فصارت زائدة عليها. وأما مسألة الاحتجاج بكلام الأوائل دون المحدثين فيمكن في رأيي في رغبة العلماء في حفظ نقاوة اللغة في إطار الحرف الذي تُعولَمُ عليه. لأن مرونة التطور تقم من السلبات ما يفسدها، زد على ذلك توسع الرقعة الإسلامية ومخالطة العرب للمعجم. وقد أغلق باب الاحتجاج بإبراهيم بن هرمة (-/٥١٥٠-٧٦٧م) (٧٩) وهو من مخضرمي الدولتين. وهذا يفضي بنا إلى تصنيف الشعراء إلى طبقات أربع، لتكون على بيّنة من أمرنا.

- ١- الطبقة الأولى من الجاهلين بريادة امرئ القيس (-٨٠ق هـ) والتابعة للذبياني (-١٨ق هـ) وزهير بن أبي سلمى (-١٢ق هـ) والأعشى (٨٠) (-٥٧/٦٢٨م) وغيرهم.

- (٧٧) سر الفصاحة ٢٧٨ - ٢٨٥.
- (٧٨) سر الفصاحة ٢٧٨ - ٢٨٥.
- (٧٩) إبراهيم بن هرمة بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة (-/٥١٥٠-٧٦٧م). أنظر خزنة الأدب ٤٢٤/١ تحقيق (هارون).
- (٨٠) الأعشى (-٥٧/٦٢٨م) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي؛ أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل. والأعشى الكبير من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقة. أنظر الأغاني (ط الدار) ١٠٨/٩، الشعراء من ٧٩.

- ٢- الطبقة الثانية من المخضرمين: وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام مثل البيد (٨١) (٥٤١/٦٦١م) وحسان بن ثابت (-/٥٥٤-٦٧٢م).
- ٣- الطبقة الثالثة من المتقدمين ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام مثل جرير (-/٥١١٠-٧٢٨م) والفرزدق (-/٥١١٠-٧٢٨م).
- ٤- الطبقة الرابعة، ويقال لهم المحدثون مثل: بشار بن برد (٨٢) (-/٥١٦٧-٧٨٤م) وأبي نواس (-/٥١٩٨-٨١٢م) فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما، وأما الثالثة فالصحيح الاستشهاد بكلامهما. (٨٢) ونلاحظ أن لهذا التحديد بعض التجاوز أحياناً يقع من عالم دون آخر، حيث كان البعض يخترق الحد المرسوم فيستشهد بشعر شاعر إيماناً واقتناعاً منه بكفاءته، كما فعل ذلك الزمخشري (٨٤) (-/٥٥٢٨-١١٤٢م) والتفتازاني (٨٥) (-/٥٧١١-١٢٨٨م) فيما بعد، حيث احتجا بشعر أبي تمام (-/٥٢٢١-٨٤٥م) وهو من المحدثين. وعلمتهما في ذلك أنه وإن كان كذلك إلا أنه من علماء العربية، فجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. وقال التفتازاني: إن الوضع بمثابة نقل الحديث بالمعنى. (٨٦)

ومن المبادرات الشخصية احتج سيويه (-/٥١٨٠-٧٩٦م) ببعض شعر بشار بن برد (-/٥١٦٧-٧٨٤م) تقريباً إليه، لأنه كان قد تعرض له بالهجوم لإهماله الاستشهاد بشعره. (٨٧)

- (٨١) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري. أنظر خزائن البغدادي ٢٢٧/١-٢٢٩.
- (٨٢) ١٧٦-١٧١/٤ (١٥ بولاق).
- (٨٢) بشار بن برد العقيلي بالولاء أبو معاذ (-/٥١٦٧-٧١٤-٧٨٤م) أشعر المولدين على الإطلاق. أنظر وفيات الأعيان تحقيق عباس رقم ١١٢ ج ١/٢٧١.
- (٨٢) سر الفصاحة ٢٧٨-٢٨٥.
- (٨٤) الزمخشري هو محمود بن عمر (-/٥٥٢٨-١١٤٢م) أنظر وفيات الأعيان ١٦٨/٥.
- (٨٥) التفتازاني هو محمود بن عمر (-/٥٧٩٢-١٢٩٠م). أنظر بنية الوعاة ٢٩١، أعلام الزركلي ١١٢/٨. وأنظر الخزائن تحقيق هارون ١-٦/٨ وأنظر الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للدمام محمود بن عمر الزمخشري (-/٥٥٢٨-١١٢٢م) ١٢/١. مطبعة مصطفى محمد ١٢٥٤/١٥. مصر. وأنظر الاقتراح في أصول علم النحو وجدله للسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن (-/٥٩١١-١٥٠٥م) ص ٢٦. حيدر آباد. مطبعة دار المعارف الشمالية ١٩٢٥/١٩٤٠م.

(٨٦) الخزائن تحقيق هارون ١-٧/٨.

(٨٧) أنظر الخزائن تحقيق هارون ١-٦/٨.

(٨٨) أبو عمرو بن العلاء (-/٥٢٤٦-٨٦٠م) مشهور في علم اللغة وعلم القراءات. أنظر نزعة الألباء ص ٢٠ الوفيات ٤٦٦/٢، الأعلام للزركلي ٤١/٢.

وكان أبو عمرو بن العلاء (٨٨) (-/٥١٥٤م) وعبدالله بن أبي إسحاق (٨٩) (-/٥١١٧م) والحسن البصري (٩٠) (-/٥١٠٠م) وعبيدالله بن شبرمة (٩١) (٤) يلحنون الفرزدق (-/٥١١٠م) والكميت (٩٢) (-/٥١٢٦م) وذا الرمة (٩٣) (-/٥١١٧م) وأضرابهم (٩٤).

ولقد حرصت على أن أبقى في رحاب صرامة الخفاجي، مهتدياً بمحلياته ومفاهيمه وفرضياته، مستقصياً اختلافاته، مستقرناً أحكامه في ضوء منهجيته وبعدها. فأحصيت عدد شعرائه فالفيتهم ثلاثة وستين ومائة شاعر يتقاسمون سبعة وسبعين وأربعمئة موضع شاهد على سعة الكتاب. وقد يطول بنا الحديث لو تطرقنا إلى دراسة كل شاعر على حدة في إجلاد الميزات الفنية لكل طرف، وقد يتعدى الأمر إلى تأليف كتب لهذا الغرض. فرأيت اختصار المسافة لذلك عوضاً، والإيجاز سبيلاً باقتناء نماذج من هؤلاء الأعلام الذين يمثلون سفوة ما جاء به كل عصر. وحاولت إثبات حقيقة كل واحد وأهلية اتسمانه إلى طبقة دون أخرى، من غير تعسف، سيراً على ما يقصد إليه ابن سنان في ضروب المهارات الفنية، مقبلاً في هذه المسيرة الأمور التالية:

١- المعيار الزمني في ضوء النقد الموضوعي المنهجي (معيار ثانوي مساعد وتاريخي ضروري).

-
- (٨٨) أبو عمرو بن العلاء (-/٥٢٤٦م) مشهور في علم اللغة وعلم القراءة. أنظر نزهة الألباء ص ٢٠. الوفيات ٤٦٦/٢، الأعلام للزركلي ٤١/٢.
- (٨٩) عبد الله بن إسحاق (-/٥١١٧م). أنظر خزنة البغدادي ١١٥/١، أعلام الزركلي ٧١/٤.
- (٩٠) الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من سادات التابعين (-/٥١٠٠م) أنظر وفيات الأعيان ٦٩/٢.
- (٩١) عبد الله بن شبرمة (٤) لم أقف على مطلق ترجمته. أنظر الخزنة تحقيق هارون ٨-٦/١.
- (٩٢) الكميّ بن زيد بن خنيس الأمدي، أبو المستهل، شاعر الهاشمين. أنظر جمهرة أشعار العرب ص ١٨٧. الخزنة ٦٩/١-٧١. ص ١٨٧.
- (٩٣) ذو الرمة: غيلان بن عقبة (-/٥١١٧م). أنظر وفيات الأعيان ١١/٤.
- (٩٤) الخزنة تحقيق هارون ٨-٦/١.

- ٢- الشطرية والجزئية في ضوء النقد الموضوعي المنهجي (غير كاف لإقامة الدليل في الحكم النقدي).
- ٣- المزاجية في ضوء النقد الموضوعي المنهجي.
- ٤- المعيار الموضوعي في ضوء النقد الموضوعي المنهجي.
- ٥- الأثر الأدبي بين الاتجاه الداخلي والخارجي في ضوء النقد.
- ٦- تقاطع القدرات الفنية بين القدم والحداثة.
- ٧- الاحتجاج حدّ يحفظ اللفة من التسيب والتفلت في مرونة التطور. وقد تجاوزته بعض العلماء لأغراض علمية وأدبية أو شخصية ومزاجية.

إن إجراءات ابن سنان في انتقاده لا تخرج عن الجزئية في الأحكام وهي الأمر المظير لعملية الاستشهاد. وما يجب اتنبه له هو أن الخفاجي بش عمله على قضايا أدبية وبلاغية ونقدية، بشكل يتم بمراعاة النظر والتناسب في المقدار. فكان يعرض القضية ويمثل لها بنماذج شعرية أو شرية، ثم يتبعها بموقف نقدي يستوجه مقتضى الحال.

وابن سنان فيما ذهب إليه صائب، في هذه الحدود التمثيلية، حيث إن كل قضية على حدة تُشكل في آخر مصافها الممارسة الخفاجية الشاملة. وإذا حاولنا تقييم المستويات الشعرية، وتحقيق المفاضلة عن طريق الموازنة لترتيب الشعراء في طبقات، هل يسوغ لنا اعتماد الجزئيات في قياس الكل؟ والجواب على ذلك أن الجزء من هذا القليل لا يعطي حاجتنا لإقامة الحجة في هذا القضاء. ولكنني لما رجعت إلى بعض المصادر في هذا الشأن مثل: طبقات ابن سلام (١٥) (١٠٢١هـ/٨٤٥م) وكشف الصاحب (٢٨٥هـ) ونقد الشعر لقدامة (١٠٢٧هـ/٩٤٨م) ومامة القاضي الجرجاني (١٠١١هـ/١٠٠١م) وموازنة الآمدي (١٠٢٧هـ/٩٨٠م) وسناعاتي المسكري (١٠٢٥هـ/١٠٠٤م) وغيرها، وازدنت بينها وبين ما ورد في مر الفصاحة، وجدت الخفاجي مخلصاً في اتباعيته، والتي تفرد له ذلك طبيعة الحركة النقدية يومذاك؛ التي كادت في أوليات تشكلها، لم تبلغ مبلغ النضج والاعتزان بعد. ويتقاطع ابن سنان مع هؤلاء جميعهم في المعطيات والإسقاطات والأسلوب والجزئية، ويختلف عنهم في القليل في تنفيذ الأحكام.

١٥) أنظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١٠٢١هـ/٨٤٥م) مجمل الكتاب لتبيين طبقة الشعراء وموازتهم ومستويات الشعر لديهم.

وإذا قابلت ألفت الموازنة أمراً مطروحاً في جزئياته، حيث يأتي المؤلف بمواقف ونماذج استشهادية جزئية كشاهد على حسن الشاعر وقبحه في عمله، في جوانب من الجوانب، وأحكاماً عامة أكبر من ما تكون إذا قيست بصغر القضية.

هذه هي الصورة النقدية والأدبية في معرض هذا الكتاب فهل يعني أن هؤلاء العلماء الأجلاء فعلوا ما فعلوه عن جهل في عدم إثباتهم أو تصريحهم بالتفاصيل الكاملة، الكلمة في إنتاج الشاعر كله، أو على الأقل ما يتوفر عليه نموذج من، نماذجه.

وإذا ألقينا النظرة الذكية إلى مجمل الممارسات سواء عند الخفاجي أو غيره، وحاولنا جمع شتات الأجزاء المتباينة المصدر، والمتكاملة في المستقر ألقينا أن هذه الأجزاء الشاهدة تتعلق بعدد هائل من النصوص في أغراض ومواضيع مختلفة، قد يتحقق توافر أكبر نسبة من مجموعها على مستوى نص واحد على الأقل؛ ذلك أن المقاييس المستعملة لا تخرج في وفقيتها عن مساهمتها في هذا الكل. فانظر إلى كتاب سر الفصاحة، فإنه يعرض قضايا جزئية متكاملة، في موقع حُسن أو رداءة، تشكل الخصائص السلبية أو الإيجابية، مانعة على مستوى الجزء، لم تبلغ نصاب الكل. ولا يؤخذ أي مأخذ على الخفاجي في مثل موضوعه؛ ولكن يؤخذ عليه في الموازنة، في مستوى الشعر ومطبعية الشعراء فإذا كان الأول موضوعاً يقبل مساهمة عناصر مختلفة من نوع خاص في قيامه وإكماله، فإن الأمر غير كذلك في صياغة الشاعر الذي يعرف من خلال أسلوبه في إنتاجه، الذي ترسم فيه مياهم ومعالن قدرته أو عجزه، وبالتالي مستوى فنه، ومكانته ضمن الطبقات.

أما أن تنصدي إلى ثغرات على مستوى جزئي - وما اعتقد أن هناك أديباً سليماً من الزلل - إلا أن الخطأ في موضع مقابل مواضع من الصواب يدفع عملية النقد إلى التعسف. وما أكثر ما ظلم الأدباء تحت نير المزاجية والشرطية، وما أكثر أمثلة ذلك في المصادر التي ذكرناها وعند ابن سنان!

وإذا كنا عمدنا إلى هذا القول، فلا يعني أن هذه الأحكام مرفوعة على الإطلاق، ويجب استئصالها، ولكنها جزئيات وإرهاصات وبواكير يتعين تنميتها عن طريق مساهمة العناصر الفنية على سبيل النص الواحد في أثناء تقييمه، أو على مستوى أشهر النصوص في تقدير الشاعر. أليكون امرؤ القيس (- ٨٠ ق م) والناطقة الديباني (- ١٨ ق ه) وزهير (- ١٢ ق ه) والمتنبي (- ٢٥٤ ه/ ٩٦٥ م) وغيرهم قد أنزلوا منازل لا تناسبهم، والذوق والعاطفة المرهقة والحس الشفاف، والتجربة المكيئة والعرف الساري أسمى المعايير عند خاصة علماء العرب وعامتهم؟

وبناءً على هذا رُئي التعرض إلى المعايير السارية يؤخذ في الموازنات والاستقادات التي ردها ابن سنان على وجه التحديد والخصوص (١٦)، فلو حظ أن القضية يتقاسمها معياران طبقت في محاكمة الشعر والشعراء. وقد أثارها الخفاجي في معرض مشروعه (١٧).

- ١- معيار المزاجية والشرطية (أو الجزئية): وتحكم على ضوء التحيز والسبق الزمني والجزئية واعتبار القائل قبل قوله. وهذه الطائفة تمثل عدم الاتزان.
- ٢- معيار الموضوعية والمنهجية: وتمثل الطائفة المعتدلة المتزنة. وقد اعتزلها الخفاجي من حيث الإجراء وخالفها من حيث اعتماد الجزء في الحكم والشاهد.

(١) مستويات الشعر وطبقات الشعراء في ضوء المزاجية والشرطية:

لاحظ الخفاجي من خلال تجربته أن بعض الرواة وأهل اللغة والنقاد ساروا في ركب المزاجية والذاتية، فراحوا يفضلون أشعار المتقدمين على المحدثين كافة دون أن يضموا إليهم أحداً ممن كان حظه التأخر بتلك الطبقة، وإن كان مجيداً (١٨). وهو الأمر الذي طرقة ابن سلام (٩٩) (-/٥٢٢١م) قبله، وقدامة بن جعفر (١٠٠) (-/٥٢٢٧م-٩٤٨م) والأسفهاني (١٠١) (-/٥٢٥٦م) والآمدي (١٠٢) (-/٥٢٧٠م-٩٨٠م) والقاضي الجرجاني

-
- (٩٦) أنظر سر الفصاحة طبعة دار الكتب العلمية مجمل الكتاب.
 - (٩٧) أنظر سر الفصاحة ٢٧٨-٢٨٥. وأنظر معالم الأدب العربي المعاصر أنور الجندبي ص ١٠٦. دار النشر للجامعيين. ط ١/١٩٦٤م مصر.
 - (٩٨) أنظر سر الفصاحة ٢٧٨-٢٨٨.
 - (٩٩) طبقات فنون الشعراء تحقيق شاعر ٢٢-٢١٨ (وأنظر مجمل الكتاب).
 - (١٠٠) نقد الشعر تحقيق كمال مجمل الكتاب وبخاصة ص ٩٢.
 - (١٠١) الأغاني (ثقافة) ٢٨٨/٥.
 - (١٠٢) الموازنة ١/٧، ٢٩٧، ٤٠٠، ٤١٠، ٧٠/٢، ٧١، ٧٥، ١١٠، ٢٩١، ٢٢٩ وغيرها.

(١٠٢) (١٠٢٩٢-هـ/١٠٠١م) والعسكري (١٠٤) (١٠٠٤/٥٢٩٥م) والصاحب بن عباد
(١٠٥) (١٠٢٨٥-هـ/٩٩٥م) وابن رشيقي (١٠٦) (١٠٦٢-هـ/١٠٧٠م) وفيما بعد ابن الأثير
(١٠٧) (١٠٢٢٧-هـ/١٢٢٩م) والبغدادى (١٠٨) (١٠٩٢-هـ/١٦٨٢م) واستدركه بعض
الباحثين المعاصرين مثل زكي مبارك (١٠٩) وأبيس المقدسي (١١٠) وجلال الخياط (١١١)
ومحمد إبراهيم نصر (١١٢) ومحمد الصادق عفيفي (١١٢) وغيرهم كثير. وأغلب هؤلاء يرى
خطأ هذه النظرية، وإن كان بعضهم يمارس ذلك من حيث يقصد أو لا يقصد، وهذا معيار يشوبه

- ١٠٢ الواسطه ٤ - ٨ - ١٠ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٩ - ٢٥ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٤
١٠٣ ١٨٢ - ١٩٥ - ١٠٠ - ١٨٦ - ٤٤١
١٠٤ الصائغتين: أنظر مجمل الكتاب.
١٠٥ الكشف عن مساوئ المتنبي (مجمل الكتاب).
١٠٦ العمدة تحقيق محي الدين ٢/٢٢٩، ١/٨٥، ٢/٩٠.
١٠٧ المثل السائر تحقيق محي الدين ٢/٤١٥ وباقي الكتاب.
١٠٨ خزائن الأدب تحقيق طارون ١/٥ - ٤١١، ٢/٢٢٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢/٢٢٠.
١١٤/١، ٢٠٢، ١٥١/١٢. وأنظر أيضا الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥٢٧٦) ص ٥٢، ٧٢،
٧٩، ٢١٩، ١٩٣، ٢٧١، ٢٤٤.
١٠٩ الموازنة بين الشعراء تأليف زكي مبارك ص ١، ١٨، ٢٠، ٤٤، ٦٤، ٨٥، ٨٨.
١١٠ أمراء البيان العربي في العصر العباسي لأبيس المقدسي ص: ١١٠، ١١٤، ١٩٢.
١١١ الشعر والزمن لجلال الخياط ص ٥، ٨، ٩ منشورات وزارة الإعلام. العراق
١٢٩٥/١٩٧٥م.
١١٢ النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام د. محمد إبراهيم نصر (مجمل الكتاب)
دار الفكر العربي ١٢٩٨/١٩٧٨م.
١١٣ النقد التطبيقي والموازات لمحمد الصادق عفيفي (مجمل الكتاب) مؤسسة الخانجي مصر
١٢٩٨/١٩٧٨م.

التعسف والتعصب يقوم أساساً على السبق الزمني واعتبار القائل قبل قوله واعتماد الجزء. أما الأول والثاني فهما من محض الذاتية، وأما الثالث فهو نسبي في ذلك، يقوم على إجراءات منهجية، ولكن عدم كفايتها تنضي إلى ظلم الشاعر، وهي أمر مارسه الخفاجي في عملته هذه (١١٤). وقد قلنا إنه محق في تضايها البادئة والفصاحة لأن ذلك مقام يوجب ما يناسب قدره. أما في مستوى الشعر ومبقيات الشعراء، فالشطر لا يعطي غياب الأجزاء الباقية، ورأيي أن يُستفاد من هذه المواقف المفردة في تصور ما يمكن أن يرقى إلى إقامة الحجة والدليل، بالرجوع إلى مواضع الشواهد لكل شاعر في كل مستوى وفي كل حالة من حالات البحث، ثم الاستعانة بما يرشد من المصادر في هذا المضمار. وقد يُستساغ الوضع، لو توفرت كل هذه الجزئيات في الحكم على شاعر تبيين مكانة شعره ومنزله بين الشعراء.

وقبل هذا (فالشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدرية مادة له، وقوة لكل واحد من أمثاله، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان. (١١٥)) ولا فضل في هذا المقام للتقدم على الحدائق: بين الجاهلي والمخضرم والأعرابي والمولّد. إلّا أن المحدث أحوج ما يكون إلى الرواية نتيجة افتقاره إلى الحفظ إزاء السابقين. وآية ذلك أن المطبوع لم يكن يتعامل مع ألفاظ العرب إلّا عن طريق الرواية، وبالتالي فالسمع - يوسّذ - كان أداة فعالة.

ومن المعلوم أن العرب في العصور الفارسية كانت تعتمد الرواية والحفظ في إظهار الأشعار وشيوعها. وإذا نظرنا إليهم وجدناهم أمة واحدة تجمعهم لغة واحدة وإن اختلفت بعض أو كثير من مفردات لهجاتها، بحكم التجمع القبلي العشائري. وإنما تحسن قبيلة عن غيرها بشيء من الفصاحة ليس إلّا. ألا ترى أنك تجد في القبيلة الواحدة شاعراً مجيداً كثيراً وغيره قاتراً مُتَقَدِّماً وبعضهم بكيئاً صفحاً (١١٦). وهذه ميزات يلتقي فيها كل البشر، تتجاوز جدلية الأزمنة.

١١٤) سر الفصاحة أنظر مجمل الكتاب لتبيين الجزئيات التي استشهد بها ابن سنان.

١١٥) الوساطة للقاضي الجرجاني (٥٢٩٢-١٠٠١م) ص ١٦.

١١٦) صفحاً وبكيئاً: البكىء من قلّ كلامه خلقة والمفحم من لا يتقدر أن يقول الشعر. أنظر الوساطة ص ١٦.

ومن الأمثلة الحية على ذلك ما رواه ابن منان عن الأصمعي (١١٢)
(٥٢١٦هـ/٨٢١م) عن إبراهيم بن إسحاق الموصلي (١١٨) (٥٢٨٤هـ/٩٩٤م) الذي
أنشده.

هل إلى نظرة إليك سبيل فيروى الصدى ويشفى الليل (١١٩)
إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن يُحسبَ القليل

فقال له الأصمعي: لمن تنشدني؟ فقال: لبعض الأعراب. قال: هذا والله الدياج الخرواني
قال: فإنهما ليلتهما، قال: لا جرم والله إن آثار الصنعة والتكلف بين عليهما (١٢٠).

ومثل هذا أن ابن الأعرابي (٥٢٢١هـ) أنشد أرجوزة أبي تمام (٥٢٢٢هـ/٨٤٨م)
التي أولها:

وعاذل عذته في عذله فظن أني جاصل من جهله (١٢١)

على أنها لبعض الأعراب، فامتحنها، وأمر بعض أصحابه أن يكتبها له، فلما فعل، قال: إنها
لأبي تمام، فقال: خرق خرق، فخرقها (١٢٢).

١١٧ الأصمعي عبد الملك بن قريب أبو سعيد (٥٢١٦هـ) أو (٥٢١٧هـ) أنظر ترجمة الألباء
ص ٩٠، وفيات الأعيان ٢٨٨/١، النجوم الزاهرة ١٩٠/٢، الفهرست ٥٥.
١١٨ إبراهيم بن هلال بن زهرون الحراني أبو إسحاق الصابي (٥٢٨٤هـ). أنظر وفيات
الأعيان ٥٢/١، النجوم الزاهرة ٢٢٤/٢، معجم الأدباء ط دار إحياء التراث العربي
٢٠/٢.

١١٩ أنظر ديوان إسحاق الموصلي (٥٢٢٥هـ/٩٤٦م) تحقيق ماجد أحمد العربي ص ١٦٦
مطبعة الإيمان ط١/بغداد ١٩٧٠م/١٢٩٠هـ.

١٢٠ أنظر الخبر في سر الفصاحة ص ٢٨٧، وأنظر أيضاً في أسوات أبي الفرج
(٥٢٥٦هـ/٩٦٦م) في الأغاني (ط. ثقافة) ٢٨٨/٥، وأنظر الوسائط ص ٥١-٥٢.

١٢١ ١٢٢ ديوان أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي) (٥٢٢٢هـ) ص ٥٢ بشرح الخطيب
التبريزي تحقيق محمد عبد عزام. دار المعارف ١٩٥٧-١٩٦٥ (ص ٥٢).

ابن الأعرابي: هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (٥٢٢٠هـ أو
٥٢٢١هـ/٨٢٨م أو ٨٤٥م) أنظر تاريخ بغداد ٢٨٢/٥، وفيات الأعيان ٤٩٢/١، نزهة
الألباء ص ١١٩، سر الفصاحة ص ٢٨٠.

وهذه الواقعة أوردتها أيضاً أبو الفرج الأسفهاني (٢٥٦هـ/٩٦٦م) والقاضي الجرجاني (٢٩٢هـ/١٠٠١م) وغيرها في أشداف الواقعة والمقصود. وما جاء هنا هو عينة حية من ضروب المزاجية والذاتية في النقد التي كان يفرضها بعض النقاد، وبخاصة اعتبارهم السبق الزمني كميّار أساسي في التفضيل والموازنة.

وإذا عدنا قليلاً إلى الأرضية التي تجري عليها أحداث النقد، إذ النقد السليم هو ظل الأدب القويم الذي لا يبرحه، نلحظ فيها لا تخرج عن طبقات أربع:

١- طبقات الجاهليين ويمثلهم امرؤ القيس (-٨٠ ق هـ) والناطقة الديباني (-١٨ ق هـ) وزهير (-١٢ ق هـ) والأعشى (-٥٧/٦٢٨م) (١٢٢).

٢- طبقة المخضرمين، وتتكون من الذين أدركوا الجاهلية والإسلام مثل: لبيد (-٤١١هـ/٦٦١م) وحسان بن ثابت (-٥٥٤هـ/٦٧٢م) والخنساء (-٢٤٤هـ/٦٤٤م).

٣- طبقة المتقدمين وهم المسلمون الذين عاشوا في صدر الإسلام مثل: جرير (-١١٠هـ/٧٢٨م) والفرزدق (-١١٠هـ/٧٢٨م) والأخطل (١٢٤) (-٩٠هـ/٧٠٩م) وغيرهم.

٤- طبقة المولدين: ويعرفون بالمحدثين، وهم الذين عاشوا في ظل العصر العباسي مثل: بشار بن برد (١٢٥) (-١٦٧هـ/٧٨٤م) وأبي نواس (-١٩٨هـ/٨١٢م) والمتنبي (١٢٦) (-٢٥٤هـ/٩٦٥م) وأبي العلاء المعري (١٢٧) (-٤٤٩هـ/١٠٥٧م) وغيرهم.

١٢٢) الأعشى (-٥٧هـ/٦٢٨م) قيس بن ميمون. أول من مال بشعره. يسمونه صناجة العرب لجودة شعره، شاعر مجيد، كثير الأعاريف. أنظر الخزاعة تحقيق هارون ١٧٦/١.

١٢٤) الأخطل (-٩٠هـ/٧٠٩م) هو غياث بن الفوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن بني تغلب، شاعر مجيد، اشتهر في عهد بني أمية في طبقة جرير (-١١٠هـ/٧٢٨م) والفرزدق (-١١٠هـ/٧٢٨م) أنظر الخزاعة ٢١٩/١، ٢٢١، الأغاني ط. دار الكتب ٢٨٠/٨ دائرة المعارف الإسلامية ٥١٥/١، أعلام الزركلي ١٢٢/٥.

١٢٥) بشار بن برد (-١٦٧هـ/٧٨٢م) أنظر وفیات تحقيق عباس ٢٧١/١. (بشار بن برد العقيلي أبو معاذ).

١٢٦) المتنبي (-٢٥٤هـ/٩٦٤م) أحمد بن الحسين الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي ولد سنة (٢٠٢هـ) أنظر نزعة الألباء ص ٢١٩.

١٢٧) المعري (-٤٤٩هـ/١٠٥٧م) أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي المعروف بالمعري. أنظر نزعة الألباء ص ٢٥٧ - ٢٥٨، النجوم الزاهرة ٦١/٥، شذرات الذهب ٢٨/٢، وأنظر وفیات الأعيان ١١٢/١.

فالتبقتان الأوليان يحتج بشعرهما بالإجماع؛ والمشكل المطروح فيما سواهما. وإن كانت الطبقة الثالثة في أصلها يصح الأخذ بكلامها في الاستشهاد، وأما الرابعة فهم الذين ينفصلون عن هذا الحد، أي انتهاء الاحتجاج بإبراهيم بن هرمة (١٢٨) (-/٥١٥٠-٧٦٧م) الذي كان من مخضرمي الدولتين. ولمن أراد الاستفاضة في ضروب هذا الانتقاد يعود إلى خزنة البغدادي ففيها ما يعطي صورة مشرقة معبرة عن قنامة الوضعية النقدية لتلك المرحلة.

وإذا جعلت نصب عينيك هذه الطبقات الشعرية لا تجد من النماذج الجاهلية أو الاسلامية ما يخلو من الزلل واليبس على مستوى البيت على أقل تقدير؛ في المبنى والمعنى. والقضية تكمن في اشتهاار الطبقة الجاهلية التي كانت تعمل عادة على تفخيم الألفاظ وجمال المنطق. وهذا يتماشى مع الحياة الجاهلية. ثم لا ننسى أن الشعر كان أحد الركائز المعنوية التي يلجأ إليها القوم في التعبير عن وضعهم إزاء العالم الخارجي؛ فكان لسان حال منطلقها ووجدانها. فخرج فخماً جزلةً متيناً موحياً دالاً.

وما يلفت انتباهنا في هذا الشأن هو طبيعة النقد العامة لتلك الفترة من جهة وهي أقرب الأصول الأدبية، وطبيعة الممارسة الخطافية من جهة أخرى ووحى معطياتها. فالتصور الأدبي (كان يركز على وحدة البيت عند نقد الشعر، وعلى وحدة الفقرة عند نقد النثر). (١٢٩)

وقد سبق أن قلنا إن الجزء غير كاف لقيام الدليل في الحكم. وما أكثر ما وصلنا من أمثلة هذا من يلهج بعيب المتأخرين أن أحدهم ينشد البيت فيمتحنه ويستجده، ويعجب منه ويختاره، فإذا نسب إلى بعض أهل عصره وشعره زمانه، كذّب نفسه، ونقض قوله، ورأى تلك الغضاضة أهون محامد، وأقل مرزاً من التسليم بغضيلة المحدث، والإقرار بالإحسان لمؤد ((١٢٠)).

١٢٨ إبراهيم بن هرمة: هو إبراهيم بن علي بن هرمة (-/٥١٥٠-٧٦٧م) أنظر النجوم الزاهرة ٨٤/٢، تاريخ بغداد ١٢٧/٦، الخزنة ٢٠٤/١، ٤٢٤.

١٢٩ أنظر الموازنة بين الشعراء. تأليف زكي مبارك ص ٩٩ (أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده الطبعة الثانية (ط ٢) بمصر (٤).

١٢٠ أنظر الموازنة ص ٢.

وكذلك وحدة الغرض الذي أنشئ لأجله الكلام. وقد كانوا يقولون فيمن يشد له بيت: لو قال هذا وسكت لكان أشعر الناس (١٢١)). وهذا يجري مجرى ما تقدم.

ولعل هذا أحد الأسباب التي دفعت خلف الأحمر (-/٥١٨٠-٧٩٦م) ومن يجري مجراه إلى أن يبتدع ويتحلل ضرباً من الشعر وينسبها إلى المحتج بشعرهم، لأن الباب كان مقفلاً، وزد على ذلك ولوع الناس بالتقديم. وهذا لا يعني أن مثل هذه الأحكام تنعدم على مستوى مجموع الديوان أو القصيدة. فإذا تناوت نصاً واحداً أو نصوا عدة وفحصتها واحدة واحدة، وحللتها مبنى ومعنى، وكنت في هذه المرحلة متمحلاً مرهلاً، تدعي على غير هدى اللط والإخلال والإحالة والركاكة والثابتة في اللفظ والمعنى، فإلت من حق النص ما دلت لأجل البيت المفرد، أو رفضت مجمل الديوان لأجل القصيدة، وكان الحكم على غير منهجية ولا موضوعية قبل توفير الأدلة لإقامة الحجة؛ كما يقول المتنبي (-/٥٢٥٤) في هذا الخصوص.

فتى أئمة جزء رأيهم في زمانه... وما قل جزء بعضه الرأي أجمع (١٢٢) ويبرز من خلال هذه الاعتبارات الطبع والتكلف؛ ويتجلى بمجرد ورودها الفرق الذي اعتمد المزاجيون أساساً، والمعتدلون ثانوياً في تباين القدماء عن المحدثين، إلا أن التقاطع عامل مشترك مفروض يتقاسمه الطرفان، ومن ذلك سؤال ابن سنان (-/٥٤٦٦-١٠٧٢م) (ما الدليل على أن أشعار المتقدمين كانت تقع من غير تكلف؟ (١٢٣)).

ويرى صاحبنا أن هؤلاء النقاد قد حصروا العلة في الأمور التالية:

(١٢١) أنظر الموازنة ص ٩٩.

(١٢٢) ديوان المتنبي ٢/٢٤٢ (-/٥٢٥٤-١١٦٥م) تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ط ٢ (١٩٢٥/٥١٢٥م) (٤ ج) وأنظر الروامة ص ٨٢.

(١٢٣) صر الفصاحة ٢٨٢، ٢٨٤ مطبعة دار الكتب. وأنظر العمدة تحقيق عبد الحميد ٢٥١/٢. وأنظر خلف الأحمر أبا محرز في مصادر الشعر الجاهلي. الدكتور ناصر الدين الأسد ص ١٧٤-١٨١-٢٤٢ دار المعارف. مصر ١٩٦٢م وأنظر إرشاد ياقوت (خلف).

- ١ - الأشعار المتقدمة تصدر عن الطبع والسليقة، بعيدة عن التكلف، على خلاف ما يحدث عند المتأخرين (١٢٤) (المحدثين).
- ٢ - ما وقع بالطبع أفضل مما حدث بالتعمل والتصنع. (١٢٥)
- ٣ - شعر القداسي حجة في الاستدلال والاستشهاد. (١٢٦)
- ٤ - اعتماد القائل في الموازنة والتفضيل قبل أثره. (١٢٧)

وما نقوله في هذا الصدد هو أن الاختصار على ما جاءت به الروايات غير كاف، ولا بد من منهجية، تجري في رحابها موضوعية الحكم وعلميته. ألا ترى أن زهيراً (١٢٨) (١٢-ق ٥) عمل سبع قصائد في سبع سنين، وكان يسميها الحويلات، ويقول: خير الشعر الحولي المحكك. (١٢٩) وهذا لمعري معلم من معالم الدربة والمران الذي أوجه فيما بعد الخفاجي على كل متغفن.

ويرى ابن سنان أن الرواة مجمعون كلهم على هذا، غير مختلفين، وإن فضلوا شعر زهير (١٢٣-ق ٥)، قالوا: كان يختار الألفاظ ويجهتد في إحكام الصنعة (١٤٠)، وإذا وسفوا الحطية (١٤١) (٥٤٥-هـ/٦٦٥م) شبهوا طريقتيه في الشعر بطريقتي زهير. ويرون أن زهيراً كان يعمل نصف البيت ويتعذر عليه كماله فيتم كعب ابنه (١٤٢) (٥٢٦-هـ/٦٤٥م).

١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧) سر الفصاحة ٢٧٨.

(١٢٨) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني من مصر، وحكيم الشعراء في الجاهلية (١٢-ق ٥). أنظر الأغاني (ط دار الكتب) ٢٢٤، ٢٨٨/١٠، طبقات فحول الشعراء تحقيق شاكر ٤٢، ٢٤، ٥٢، ٥٢، الشعر والشعراء ٤٤، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٧٧، أعلام الزركلي ٥٢/٢.

(١٢٩) سر الفصاحة ٢٨٠ - ٢٨٢، وأنظر الوساعة ١٧ - ١٨.

(١٤٠) سر الفصاحة ٢٨٢، ٢٨٢.

(١٤١) الحطية هو (٥٤٥-هـ/٦٦٥م): جرول بن أوس بن مالك الطائي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجاء عنيفاً. أنظر الأغاني (ط. الدار) ١٥٧/٢، الخزائن ٤٠٩/١.

(١٤٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرب، شاعر عالي الطبقة، من نجد (٥٢٦-هـ/٦٤٦م) أنظر الخزائن ١١/٤-١٢، الأعلام ٢٢٦/٥.

وأما الاحتجاج (١٤٢) بشعر اقدامي فيعود لثقائه، وعدم مخالطة العرب للمجم. ثم إن صحة الكلام باللغة العربية لا تعني أبداً حسن النظم على كل مستوى. إذ لو أمكن ذلك لكان كل عربي فصيح بليغ شاعراً في منزلة غيره. وهذا التساوي من قبيل اللغة الواحدة لا يمكن، والفروق الفردية في هذا الخصوص تعود أساساً إلى الاستعداد الفطري إلى جاذب التجربة والخبرة المكتسبة. والدليل على ذلك أن العرب الأوائل كانوا يتقنون العربية إتقاناً، ومع ذلك لم يكن كلهم شعراء، فما بالك بالمحدثين والمولدين وقد خولطت لغتهم واتسعت وشاع فيها الدخيل؟

لقد قال امرؤ القيس (- ٨٠ ق هـ) :

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا
نبك الديار كما بكى ابن خِزَام (١٤٤)

هذا الشاعر الذي أقام الدنيا وأقعدها بشعره وحكمته، حتى ظل الناس يلهجون بذكره. ونسلم أن هذا الرجل في العرب كان مبدعاً إلى أشياء ابتدعتها - وإن كان يجري في القول مجرى أبناء جنسه - استحدثها العرب واتبعتها فيها الشعراء في: استيقاف صبه وتشبيه الخيل بالعقبان والصبي وقيد الأوابد. وأجاد في التشبيه بخاتمة، وفصل بين النسيب وبين المعنى (١٤٥).

وهذا يعني أن خصائص امرؤ القيس وإن كادت بيّنة في ذاتها، فهي مع ذلك أمر يحجب معالم الزمانية والمكانية. فما بالك بمن سبقه إذن كابن خِزَام الذي أشار إليه في شعره (١٤٦) ١٢

(١٤٢) سر الفصاحة ٢٨٢، ٢٨٢ طبعة دار الكتب العلمية، الواسطة س ١٠-١٥. مصادر الشعر الجاهلي الدكتور ناصر الدين الأمد س ٢٨٧-٤٢٨ باب وضع الشعر الجاهلي ونحله (١٤٤) ديوان امرؤ القيس (- ٨٠ ق هـ) تحقيق محمد أبو الفضل س ١١٤، دار المعارف بمصر (٤). سر الفصاحة ٢٨٠، المؤلف والمختلف للأمدي ١١، ١٢٩، العدد ٧٠/١، طبقات فحول الشعراء تحقيق شاذي س ٢٢.

(١٤٥) طبقات فحول الشعراء س ٢٢، طبقات ابن سلام (- ٢٢١ هـ) س ٢٢.

(١٤٦) الشاعر ابن خِزَام ذكره امرؤ القيس في شعره. أنظر سر الفصاحة ٢٨٠. طبقات ابن سلام (- ٢٢١ هـ) س ٢٢.

ويستتج الخفاجي من هذه الاعتبارات كلها الأمور التالية:

- ١ - تأخر زمن امرئ القيس عن غيره من الشعراء يقتضي تفضيله بموجب القاعدة الزمنية.
- ٢ - الإقرار بهذه القاعدة يؤدي إلى عدم اعتبار امرئ القيس مبدأً، بل مسبوقاً زمنياً، وبالتالي تسقط اعتباراته، مما قد يزيحه عن مكانته هذه.
- ٣ - التساوي الطبقي في زمن الوجود لا يعني تساوي الشعراء في القدرة الفنية، ثم إن الطبقة الأولى نفسها على تباين زمني بين مختلف شعراء الفترة. يقول الخفاجي: (وقد جعل الأعشى فيهم وهو أبعد من امرئ القيس بمدة طويلة). (١٤٧)
- ٤ - طول الزمن أو قصره لا يؤثر في التفضيل والموازنة.
- ٥ - التقاطع الزمني والتساوي الطبقي قائم على القدرة الفنية وحدها، يقتضيان الانسداد من براعة النص، مروراً بعد ذلك بالشاعر، للوصول في الأخير إلى الحكم العادل السليم، وهذه القاعدة تدحض مبدأ الزمنية والمكانية.
- ٦ - القاصد القديمة والحديثة نماذج فنية في ضوء الزمان والمكان والموضوعية والمنهجية. ولا يكون التفضيل إلا بموجب المهارة الإبداعية لا غير. فالجيد والردى يتسمه القدم والحداثة، وسجال الخلق مفتوح أبداً، ثم إن تلاحق الأعصر وقد ركّزاً هائلاً من الانتاج الشعري فيه ألقاف ومنازل وصور بقدر لا يحصر ولا يحصى؛ متفاعلة أبداً مع تحديات الحياة واستجاباتها (مروثها). وإذا كان القدامى يصرون الشعر عن طريق السليقة والسجية التي ظلت تحت زحف مرور الدهور وتمقذاتها، فإن اتساع الرقعة العربية واختلاط العرب بالأجناس الأخرى، أوجد حزنونة ووعورة في سريان السجية في طباع التابمين. وهذا لعمري أمر فرضته التغيرات التي اجتاحت فيصلا يكاد يكون حاداً بين الرعيل الأول والثاني. فقد كان ذلك القصور الفطري وكان معه ظهور التمثل والتكلف. وهذا لا ينفي بحال من الأحوال موازنة القديم بالحديث. وعلى هذا تظل القاعدة الزمنية أمراً ضرورياً في نظر النقد الموضوعي؛ يساعد على إثبات الحقائق التاريخية.

أما القول بأسبقية القدامى إلى الألفاظ والمعاني وفتح باب الشعر ففضل لا ينكر جميله؛ ولكن لا ننسى في مقابل هذا أن المحدثين قد استفادوا منهم هذا كله وزادوا عليه ألفاظاً ومعارف وصوراً لم يمهدها القدامى؛ بالزيادة أو بالتقصير. وعلى هذا يكون فيه النقصان رذيلة إزاء السبق. فنقل المعاني من قبل المحدثين بحالها مذمة في نفسها، وهي أمر عائق بالشاعر لا بالمعاني، بدليل أنه قد يكون غريباً أو مخترعاً مستجداً، أو منقولاً متداولاً، لا يغيره الناظم المبتدئ أو المحتذي المتبع. والقاعدة العامة العادلة في هذا المقام: (الأفضلية في السبق إلى المعاني والألفاظ في مستوى جيد يتماشى مع الفصاحة والبلادة). وما نقوله في هذا هو:

- ١- إن الألفاظ إذا كانت مفردة فهي ملكية عامة.
 - ٢- لا تأثير لوجود الألفاظ التي ألفها القدامى في أشعار اللاحقين، والحقيقة إنها تصيدة مبررة عن تجربة خاصة ماغها الشاعر على طريقتة.
- هذا إذا وجدت ألفاظ جاهزة كمؤشر تقاطعي في الشبه والاعتداء والابتداء. فلا شك أن الصورة الفنية بين شاعرين تتمايز في كثير منها أو قليل. وقاعدة الخفاجي هنا سؤال استدلاي: (فإن كان هذا واضحاً فمن أين يدل سبق المتقدمين إلى بعض المعاني على فضل أشعارهم على أشعار المحدثين الذين سبقوا إلى أضعاف تلك المعاني، لولا عدم التوفيق وفرط الجهل (١٤٨).)

ونعود الآن لتربط النماذج التي اقترحناها في البداية لتكون دليلاً على منهجية الخفاجي في ضوء هذا المقياس، وما قدمناه في المزاجية والجزئية والسبق الزمني، كاف لإعطاء صورة مقنعة يعتدي على نبراسها القاريء.

ومن هؤلاء الذين كانوا أبطالاً لهذه الصارمة:

- ١- امرؤ القيس (١٤٩) (٨٠- ق ٥٤٥/هـ)

(١٤٨) سر الفصاحة ٢٨٢.

(١٤٩) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشعر شعراء العرب على الإطلاق. يمانى الأصل (٨٠- ق ٥). أنظر الشعر والشعراء ص ٥٢-٧٢، طبقات ابن سلام ٢٢-٦٧، الأعلام ١٢/٢ الخزائن ١/٢٢٨.

جعلهُ ابن سَلام (-٥٢٢١/٨٤٥م) وابن قتيبة (-٥٢٧٦/٨٨٩م) في الطبقة الأولى من فحول الجاهلية من الشعراء. وأما المقييس المنهجية والموضوعية التي تؤهل شاعرنا إلى تلك المنزلة فكثيرة جاءت نماذج منها في معرض سر الفصاحة. (١٥٠)

٢- النابغة الذبياني (١٥١) (-١٨ق هـ).

يضعه ابن سَلام (-٥٢٢١/٨٤٥م) أيضاً في الطبقة الأولى من فحول الجاهلية. وأما المعايير الجزئية التي ساقها الخفاجي في الامتداد ثم في الحكم لا تكفي لو اقتصر عليها (١٥٢). ولذا فالعودة إلى شعره أحسن، لأن الأصل في الموضوعية توافر الدلائل كافة لإقامة الحجّة.

٢- زهير بن أبي سلمى (١٥٣)

يندرج في الطبقة الأولى إلى جانب سابقيه، وله في ذلك شهادات تثبت أهليته ومهارته؛ من ذلك شهادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (-٥٢٢/٦٤٢م) فيه بأنه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه وأنه لم يكن يعاقل في كلامه. (١٥٤)

١٥٠) سر الفصاحة طبعة دار الكتب العلمية ص: ٧٠، ٨٢، ١٠٤، ١٢٢، ١٢٩، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٣، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٤، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٦. وأنظر طبقات ابن سَلام ٢٢، ٢٥ الشعر والشعراء ٥٢، ٧٢ الواسطة ٤-١٠، الخزانة تحقيق هارون ٥-٦.

١٥١) النابغة الذبياني (-١٨ق هـ) زياد بن معاوية بن ضبابة أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. أنظر الأغاني (ط. الدار) ٢/١١، نهاية الأرب ٥٩/٢.

١٥٢) سر الفصاحة ٩٢، ١٨٥، ١٨٧، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٧.

١٥٣) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، أنظر الأغاني (ط. الدار) ٢٨٨/١، ٢٢٤، طبقات ابن سَلام ٢٩، ٢٤، ٤٢، ٥٢، الشعر والشعراء ٧٢-٧٩.

١٥٤) سر الفصاحة طبعة دار الكتب العلمية ٣٥، ٦٦، ٧٥، ١٢٢، ١٥٥، ١٥٧، ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٦٢، ٢٨٥.

٤ - الخنساء (١٥٥) (-/٥٢٤م) ٦٤٤م)
وتندرج في عداد طبقة أصحاب المراثي: وهي التي بعد العشر طبقات، يقول ابن سلام
(وصيرنا أصحاب المراثي بعد العشر طبقات (١٥٦)، وورد ذكرها في سر الفصاحة. (١٥٧)

٥ - حسان بن ثابت (١٥٨) (-/٥٥٤م) ٦٧٢م)
جمله ابن سلام في طبقة شعراء القرى العربية وهي خمسة: المدينة، مكة، الطائف،
اليامعة والبحرين (١٥٩)، وقد جاء ذكره في سر الفصاحة. (١٦٠)

١٥٥ الخنساء (-/٥٢٤م) ٦٤٤م) هي: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن
يقلبة بن عصية بن خفاف بن أمية القيس بن بهثة. أنظر طبقات ابن سلام ١٦٩-١٧٤، الشعر
والشعراء ٢١٨-٢١٩ سر الفصاحة ٢٦ - ١٩٠.
١٥٦ أنظر طبقات ابن سلام تحقيق شاکر ٢٠٤ - ٢١٢ الشعر الثاني ط. المدني (شعراء
المراثي).
١٥٧ سر الفصاحة ص: ٥٨، ٨٢، ١٠٨، ١٨٠. وأنظر ترجمته: تهذيب التهذيب
٢٤٧/٢، الإصابة ٢٢٦، تاريخ ابن عساکر ١٢٥/٤.
١٥٨ حسان بن ثابت (-/٥٥٤م) ٦٧٢م) بن المنذر الأنصاري يكنى أبا الوليد وأبا الحسام
وأمه الفريفة من الخزرج وهو جاهلي إسلامي متقدم الإسلام، عاش في الجاهلية (٦٠ سنة)
ومثلها في الإسلام، مات في خلافة معاوية بعد أن عمي. أنظر طبقات ابن سلام تح شاکر
١٧٩-١٩٠، الشعر والشعراء ص ١٩٢، الأغاني ط الدار ١٢٤/٤.
١٥٩ أنظر طبقات ابن سلام تحقيق محمود شاکر ٢١٥ - ٢٧٤ السفر الثاني. طبعة المدني.
القاهرة (٤) (شعراء القرى العربية).
١٦٠ سر الفصاحة: ١٥، ٦٧، ٦٨، ٧٩، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٣٦، ٢٥٩، ٢٦١.

- ٦- الأخطل (١٦١) (١٩-٥٩٠/٦٤٠-٥٧٠٩).
- ٧- جرير بن عطية (١٦٢) (٥١١٠-٧٢٨م).
- ٨- الفرزدق (١٦٢) (٥١١٠-٧٢٨م).
- ٩- أبو نواس (١٦٤) (٥١٩٨-٨١٢م).

١٦١) الأخطل هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك. شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام. (١٩-٥٩٠/٦٤٠-٧٠٩م). أنظر الأغاني ٢٧٩/٨ (ثقافة)، و ط دار الكتب ٢٨٠/٨، الشعر والشعراء ص ٢٢٥، ٢١٦، الخزائن تح هارون ٤٦١/١.

١٦٢) جرير بن عطية (٥١١٠-٧٢٨م) بن الخطفي بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم أشعر أهل عصره يكنى أبا حذرة. أنظر الأغاني ط الدار ٢/٨، وفيات الأعيان تح عباس ٢٢١/١، الخزائن تح هارون ٧٦/١. طبقات ابن سلام ٢١٦، ٢٩١، الشعر والشعراء ٣٠٩، ٣١١.

١٦٢) الفرزدق (٥١١٠-٧٢٨م) همام بن غالب بن صصفة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر من النبلاء، من أهل البصرة (كان يقال: لولا شعر الفرزدق، لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس)، يشبه بزهير بن أبي سلمى (-١٢ ق ه) وكلاهما من الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل. أنظر: وفيات الأعيان تح عباس ٨٦/٦. الأغاني ط دار الكتب ٢٢٤/٨. طبقات ابن سلام ٥٤، ٢٥١، ٢١٦، الشعر والشعراء ص ٢١٧، أعلام الزركلي ٩٢/٨.

١٦٤) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء. أبو نواس (١٤٦-٥١٩٨/٧٦٢-٨١٢م) شاعر العراق في عصره. أنظر الأغاني ط دار الكتب ٢/٢٠، وفيات الأعيان تح عباس ٩٥، تاريخ بغداد ٤٢٦/٧، دائرة المعارف الإسلامية ٤١٢/١، الشعر والشعراء ص ٥٤٢ - ٥٤٨.

- ١٠- أبو تمام (١٦٥) (-٥٢٢١/٨٤٥م).
١١- البحتري (١٦٦) (-٥٢٨٤/٨٩٧م).

(١٦٥) أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي (-٥١٨٨/٥٢٢١/٨٠٢م-٨٤٥م) شاعر أديب، أحد أمراء البيان يحفظ (١٤٠٠٠) أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطع. في شعره قوة وجزالة. اختلف في التفضيل بينه وبين البحتري والمتنبي. أنظر وفيات الأعيان تح عباس ١١/٢، الخزائن تح هارون ٢٥٦، ١٧٢/١، ٤٦٤ ط بولاق. ط (١) (يقول صاحب الوفيات) كان يحلي شعره من جواهر لفظه وبديع معانيه، ما يزيد حسناً بهي الجواهر في أجياد الكواكب. كان في الحدة الروحانية والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر. الوفيات (٢٠/٢). وأنظر الخزائن تح هارون ٢٥٦/١، ٢٥٧.

سر الفصاحة ص ص: ٢٥، ٥١، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٨، ١٠٢، ١١٥، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٤، ١٥٨، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨.

(١٦٦) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة البحتري (-٢٠٦-٥٢٨٤/٨٢١-٨٩٧م) شاعر كبير، يقال لشعره (سلاسل الذهب)، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي وأبو تمام والبحتري. قيل لأبي العلاء المعري (٥٤٤٩): أي الثلاثة أشعر؟ قال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. أنظر الوفيات ٢١/٦، مجمع الأدباء ٢٤٨/١٩ ط دار إحياء التراث، تاريخ بغداد ٤٤٦/١٢، الأغاني ٢٧/٢١، أخبار البحتري للصولي ط. دمشق ١٩٨٥، أعلام الزركلي ١٢١/٨. الخزائن تح هارون ١١٤/١، ٢٠٢.

سر الفصاحة: ٦٩، ٧٢، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٧، ١٢٢، ١٢٧، ١٦٠، ١٧٠، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧.

١٢- المتنبي (١٦٧) (-٥٢٥٤/١٦٦٥م).

١٢- المعري (١٦٨) (-٥٤٤٩/١٠٥٧م).

فإذا اقتصر في محاكاة هؤلاء الشعراء على معطيات يكون هناك نقص إزاء هذا الأمر، وهو النظر من خلال الجزئية، ولذلك فإن جمع كل شاهد من شواهد هؤلاء لا يعني بالفرس، بل إنها لا تعطي الصورة الكاملة، الواضحة عن قيمة الشعر، ولهذا ينبغي العودة إلى المصادر والمراجع التي تخدم هذا الموضوع من بعيد ومن قريب لتفطية هذا النقص؛ وحتى تتأسس بحق المنهجية والموضوعية المنشودة في النقد السليم العادل، الذي يراقب التأليف في مستوياته جميعها، في إطار الفصاحة والبلاغة.

(١٦٧) المتنبي: أحمد بن الحسين أبو الطيب (-٥٢٥٤/١٦٦٥م) بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي: الشاعر الحكيم، وأخذ متأخر الأدب العربي له الأمثال السائدة والحكم البالغة والمطاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعدّه أشهر الإسلاميين. أنظر: الوفيات تح عباس ١٢٠/١.

تاريخ بغداد ١٠٢/٤، دائرة المعارف الإسلامية ٢٦٢/١-٢٧١. أعلام الزركلي ١١٥/١
سر الفصاحة: ٥٠، ٦٥، ٥٤، ١٥٧، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٢٧، ١٣٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٠، ١٨١، ١٨٣، ٢٠١، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٤.

(١٦٨) المعري: أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (-٥٤٤٩/١٠٥٧م). كان غزير الفضل وافر الأدب، عالماً باللغة، حسن الشعر، جزل الكلام وكان ضريراً، أعمى، ولم يكن أكنه، في مؤلفاته ظاهرة غريبة. قد فسر بعض العلماء هذه الغرابة بالرغبة في إظهار قدرته اللغوية وبراعته في قرض الشعر بهذه الكلمات المعقدة الغريبة. أنظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (-٥٥٧٧/١١٨١م) تح الدكتور إبراهيم السامرائي - مكتبة المنار - الأردن الزرقاء ط ٢٤٠٥/١٤٨٥م. ص ٢٥٧، ٢٥٨. شذرات الذهب ٢/٢٨، إنباء الرواة ١/٤٦، وأنظر اللزومات ولزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري. تقديم وإشراف عمر أبو النصر. دار الجيل بيروت ١٩٦٩. ص ١٧ وما بعدها.

سر الفصاحة ص ص: ٩٠، ١٢٨، ١٢٩، ١٦٧، ١٨١، ١٨٢، ١٩١، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٢، ٢٧٥.

كلمة في الفرق بين المنظوم والمثثور:

١- ما يقوله مفضل النظم:

(١) الوزن يحسن الشعر ويحصل للكلام من الروق ما لا يكون للكلام . المثثور ويحدث عليه من الطرب من إمكان التلحين والثناء به ما لا يكون للكلام المثثور. (١٦٩)

(٢) سوغ حفظه واستيعابه أكثر من الشر حيث إذا (اعتبرت أكثر الناس من يحفظ فصلاً من رسالة غير القليل، ولا تجد فيهم من لا يحفظ البيت أو القطعة إلاّ اليسير، ولولا ما انفرد به من الوزن الذي تميل إليه النفوس بالطبع لم يكن لذلك وجه ولا سبب وآية ذلك أبو تمام (-٢٨٤هـ) الذي كان يحفظ (١٤٠٠) أرجوزة من أراجيز العرب بالإضافة إلى القصائد والمقاطع.

(٢) الشعر يدخل في الأغراض جميعها، كالنسيب والمديح والذم والعتب، والشر لا يدخل في جميع ذلك، فإن التشبيب لا يحسن في غير الشعر، وكذلك غيره من الأغراض؛ وما سلج لجميع ضروب الكلام وصنوفه أفضل مما اقتصر على بعضه. (١٧٠) ويبدو أن الخفاجي قد نفى قدرة النثر على احتوائه جميع الأغراض، والعكس هو الصحيح. وما الفرقة بينهما سوى أن الأول نظم والثاني نثر ب- ما يقوله مفضل الشر:

(١) الشر يعلم فيه أمور لا تعلم في النظم: كالمرقة والمخاطبات وبيئة الكتب واليهود والتقليدات، وأمور تقع بين الرؤساء والملوك يعرف بها الكاتب أمورهم، ويطلع على خفي أسرارهم. (١٧١)

(١٦٩) من الفصاحة ٢٨٧ طبعة دار الكتب العلمية. نقد الشر تحقيق مه حسين والعبادي س ٩٢. مقدمة في صناعة النظم والشر للخفاجي (-٥٨٦٠/١٤٥٥م) تع. د. محمد بن عبد الكريم س ٢٧ وما بعدها.

(١٧٠، ١٧١) من الفصاحة ٢٨٧.

(٢) الحاجة الماسة إلى صناعة الكتابة والانتفاع بها في الأغراض فلهذا (١٧٢)

(٢) الشعر فضل يستغنى عنه، ولا تقود ضرورة إليه. (١٧٢)

(٤) منزلة الشاعر لا تسو إلى درجة الكاتب، والكاتب ينال بالكتابة الوزارة وما دونها من رتب الرياسة. (١٧٤)

(٥) أكثر الشعر إذا كشف عن وَجْد لا يُعبر عن وجد، ولا يترجم عن حق، وإنما الحذق فيه الإفراس في الكذب، والخلو في المبالغة. (١٧٥)

(٦) أكثر الشر شرح لأمر متينة وأحوال مشاهدة، وما كثر فيها الجِد والتحقيق أفضل مما كثر فيه المحال والتقريب. (١٧٦)

كلمة فيما يحتاج إليه المؤلف: (١٧٧)

- ١- معرفة لغة العرب معرفة جيدة متمكنة.
- ٢- معرفة علوم العربية كافة: نحواً وصرفاً ولغة وعروفاً وغيرها...
- ٣- معرفة أخبار العرب وأيامهم.
- ٤- معرفة المخاطبات وفنون المكاتبات والتوقيعات ورسوم التقليدات.
- ٥- الاطلاع على كتاب الله وشريعته وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته.

(١٧٢) سر الفصاحة ٢٨٨ وأنظر نقد الشعر ٩٢، مقدمة في صناعة النظم والنثر ص ٢٧ وما بعدها. وأنظر أيضاً العمدة لابن رشيق تج عبد الحميد ١٧/١، ١٢/١، ١٤ (باب الرد على من يكرم الشعر). وأنظر الفرق بين الفنين في الشل السائر تج عبد الحميد ٤١٥/٢ وما بعدها وأنظر تحقيق د: أحمد الحوفي ود: طباعة مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ط ١٢٨١/١ ١٩٦٢م ص ٢٧٠-٢٨٠.

(١٧٢، ١٧٤، ١٧٥) سر الفصاحة ٢٨٨، وأنظر المصادر الأخرى المذكورة. وأنظر العمدة تج عبد الحميد ١٧/١-١٠-١٢، ١٤.

(١٧٦) سر الفصاحة ٢٨٨، نقد الشعر لقدامة (-٥٢٢٧/١٤٨٨م) ص ٩٢ وما بعدها، مقدمة في صناعة النظم والنثر ص ٢٧ وما بعدها. وأنظر العمدة تج عبد الحميد ٧/١ - ١٠ - ١٢، ١٤ -

ويقول مختصاً: (وبالجملة ان مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم واطلع على كل صناعة لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وأفعاله لأنه يدفع إلى أشياء يصفها، فإذا خبر كل شيء وتحققت كان وصفه له أسهل ونعته أمكن، إلا أن المقصود في الموضع بيان ما لا يسهل جهله دون ما إذا علمه أثر عنده علمه، فإن ذلك لا يقف على غاية (١٧٨)). ويبدو أن ابن منان قد جعل إطار الفن البلاغي من خلال الأدب بشقيه الشعر والنثر: وتحدث عن صفات المتفنن، وهذا ملمح لبداية التأثير فيمن جاء بعده، من مثل شياخ الدين ابن الأثير (-٦٢٧هـ) في كتابه "المثل السائر".

الخصائص الشعرية في ضوء الممارسة الخفاجية:

تعودنا هذه العبارة إلى الموازنة بين القديم من الشعر وبين المحدث والمؤد. فالقديم يجري في إطار خصائص فنية لا تخرجه عن الحرف المتاعلم عليه. (١٧٩) فإذا تناولت عينة من الشعر وحللتها تحليلًا لقيت فيها من العالم الصارخة ما يخبرك عن حاله. فالحياة الجاهلية مثلاً مشحونة بوقائع تتميز بالحمية والعصبية القبلية، والحروب المتواصلة والغارات والتوؤور وقساوة العيش وعدم الاستقرار والصيد وغير ذلك. كل هذه المعالم نشاطات وسلوك تترجم إلى أنماط وصور فنية حية مشرقة موحية بذلك العالم الذي انبثقت عنه. فانظر على ميسل التمثيل إلى لامية الشنفرى (١٨٠) (٧٠ق هـ) التي تسمى لامية العرب، فما أصدق وأروع ما تخفيه مطورها من تجربة صادقة اختمرت في نفس صاحبها وأعطت ثمارها في فن القول. فهي تعبير عن وضعية الشاعر ونفسيته إزاء قومه الذين لفظوه، ولأجل ذلك - وانطلاقاً من وضعية نفسه - وانتقاماً لنفسه منهم جعل الوحوش من الذئاب وغيرها بديلاً عن أهله يستأنس بها ساعة الوحدة. وقد جاء تعبيره على ضرب من الإيهام في القول، كأنه بالقائه هذه الكلمة المصوبة إلى معاتبة قومه ومعايرتهم، كالصدي الذي يصدر ثم ينبعث ثم يتردى على الحواجز فتعود أشلاؤه بعد انكسارها لتجتمع من مستقرها في منطلقها. وهذه ظاهرة تقنية أشبه ما تكون بضرب الإيهام. فانظر إلى مرونة المجتمع القبلي الجاهلي وتقلبه وسراعه، وانظر إلى تفاعل نفسية الشاعر مع هذه الظروف، فالأولى انعكاس أحداث واقعية على الشاعر، فانبجس ذلك في قصيدته الرائية الصارخة المستنكرة. فهي شريط يحمل في طياته وقائع جرت حقيقة، أو صورة تجلت فيها تلك

١٧٧، ١٧٨) سر الفصاحة ٢٩٠.

١٧٩) سر الفصاحة ٧٧، ١٠٨ مطبعة دار الكتب العلمية.

الخصائص. وفوق هذا فهي تجري مجرى العرف العربي في مبناها ومعناها، مع انفرادها بأصالة التجربة للشاعر. أو خذ أي شاعر آخر جاهلي، تجد الأمالة في فنه الوصفي أو غير ذلك من الأغراض كأمريه القيس (-٨٠ق هـ) وزهير (-١٢ق هـ) والثابتة (-١٨ق هـ) وغيرهم. فإنهم يرسمون مشاعرهم الجاهلية ويترجمونها إزاء الأوضاع الخارجية بأسلوب جاهلي في ألفاظه ومعانيه وصوره. ولكن تناول أمد الأزمنة، وبخاصة ذلك الفاصل بين الجاهلية والإسلام الذي أحدث تغييراً جذرياً على صرح تلك البقاع. فتغيرت صورة المجتمع قيمياً وسلوكياً وعقيدة، وكان لذلك أثره الفعال في سبغ الشعر بهذه السبغة، فظهرت ألفاظ ومعان وصور جديدة تتماشى مع العهد الجديد. وقس على ذلك ما جرى في العصر الأموي (-٤٥-١٢٢ق هـ/٦٦٥-٧٤٩م)، وعلى وجه التحديد في العصر العباسي الذهبي (-١٢٢-٢٢٢ق هـ/٧٤٩-٨٤٦م)، والعصر العباسي الثاني (-٢٢٢-٢٢٢ق هـ/٨٤٦-١٢٥٨م)، وفيه طور عاش فيه صاحبنا ابن سنان (-٤٦٦-١٠٧٢م) وفيه تجسدت الخصائص التي أوردناها في مجمل ممارسته، حيث أورد مائة شاعر وثلاثة وستين من كل عصر، موزعين على أربعمائة موضع وسبعة وسبعين شاهداً، كل موضع يمثل ميزة من ميزات ما جاد به كل عهد.

ونلاحظ أن الحضارة قد بلغت ذروتها، ومن المعلوم أن الحديث يفيد من القديم، يتطلع إليه ويستقي منه ما يخدم غايته، وي طرح القائل من ذلك. ولذا تفوتوا على الأوائل بموجب هذا الاعتبار. ثم إنك إذا رجعت إلى الدواوين الحديثة لهذه الفترة، ووضعتها في ضوء المقاييس الأدبية والنقدية والبلاغية التي اعتمدها علماء هذا الشأن من مثل قدامة بن جعفر (١٨١) (-٢٢٢ق هـ) والآمدي (١٨٢) (-٢٢٧ق هـ/١٨٠م) والقاضي الجرجاني (١٨٢) (-٢٩٢ق هـ/١٠٠١م) والعسكري (١٨٤) (-٢٩٥ق هـ/١٠٠٤م) والتهاليسي (١٨٥) (-٤٢٩ق هـ).

(١٨٠) عمرو بن مالك الأزدي من قحطان، شاعر جاهلي، يمني، من فحول الطبقة الثانية (-٧٠ق هـ) وهو صاحب اللامية أنظر أعجب العجب للزمخشري ١١، شرح الحامسة للمرزوقي ٤٩٠، ٤٨٧.

(١٨١) أنظر نقد الشعر لقدامة (-٢٢٧ق هـ/٩٤٨م).

(١٨٢) الموازنة للآمدي (-٢٢٧ق هـ/٩٨٠م).

(١٨٢) الوصافة للقاضي الجرجاني (-٢٩٢ق هـ/١٠٠١م).

(١٨٤) الصنائع لأبي هلال العسكري (-٢٩٥ق هـ/١٠٠٤م).

وابن سنان (١٨٦) (٤٦٦هـ) وعبدالقاهر الجرجاني (١٨٧) (٤٧١هـ/١٠٧٨م) أو (٤٧٤هـ/١٠٨١م)، فهؤلاء وغيرهم (١٨٨)، ومنهم الخفاجي بخاسة قد عملوا على إبراز معالم التباين بين القديم والحديث من حيث الطبع والتكلف والوضوح والتعمية، والسهولة والتعقيد، والاختراع والاحتذاء والالتزام بالعرف والخروج عليه، في المبنى والمعنى. ويمكن لنا بعد هذا الإيضاح الارتكاز على خصائص مهمة تمثلت في الآثار التي تعامل معها ابن سنان في كتابه (١٨٩)، ومنها:

١- الرقة في العبارة:

ويشترك في هذه الميزة القدماء والمحدثون، سواء كان الشعراء من البدو أو من الحضرة، لأن العبارة تصدر عن إنسان داخله نغم بالمشاعر والوجدان وإن كان في ظلمة خشناً.

فاللغة تتألف من مفردات لا تخرج عن معجم عربي واحد، وهي بذلك ملك يشترك فيه الجانبان. والكلمات هذه في تعبيرها عن أشياء معينة، وتبليغ الفكرة، تشكيل من منبع واحد تختلف في طريقة تركيبها وسياغتها حسب ما تعورف عليه. وإن الأشياء المعبر عنها قد تكون صوحية بقساوة أو ليونة في حد ذاتها؛ فلكذلك النفس البشرية تتمثل فيها هذه المرونة التي توجه الدقة الشعرية في اتجاه ينبئ بالغلظة أو بالرفق؛ حسب طبيعة النفس وتفاعلها مع الأوضاع الخارجية.

لقد حطت الحضارة الإسلامية رحالها في العصر العباسي (١٢٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)، ولاح جو حضاري رائع، فهل هذا يعني التخلص من كل قديم، وهو الركيزة التي تقوم عليها هذه الحضارة نفسها، وهل هذا يعني اجتزاء ألفاظ ومعانٍ وصور جديدة والاستغناء عن اللغة التي أوصلتنا إلى هذه المنزلة؟

(١٨٥) يتيمة الدهر للشاعلي (٤٦٩هـ/١٠٢٧م).

(١٨٦) سر الفصاحة.

(١٨٧) أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ/١٠٧٨م).

(١٨٨) أنظر العمدة لابن رشيق (٤٦٢هـ/١٠٧٠م) والمثل السائر لابن الأثير

(٤٦٢هـ/١٢٢٩م).

فالأمر ليس كذلك، إنما ذاك زمان أدبر وهذا زمان أقبل، تفرض فيه مروته استحداث أنماط جديدة تتوافق مع الأذواق. وخذ لذلك مثلاً أبا نواس (-١٩٨هـ/٨١٢م) من الوقوف على الأمثل. وقد رأى في ذلك ضرباً من الرتبة الفنية يتكرر على وتيرة واحدة صمته، حتى بدت له القصائد العربية أشبهاً تدور في فلك واحد. فرأى أن يغير وفعل. واخترق بهذا باباً عريضاً طالما قدس الناس ثبوته وانسداده. ثم إن العامل الأماصي في نجاح ثورة أبي نواس يعود إلى امتلاكه زمام اللغة والفنون والعلوم التي جمعتها عُلج بيته من أمره.

وقد تكلم ابن قتيبة (-٢٧٦هـ/٨٨٩م) عن هذه القضية في المقدمة الطللية حيث قال: (وليس بالمحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها والقفار ومياهها وحمر الوحش والبقر والفللوات والوعول، وما بالأعراب وأهل أبادية، لرغبة الناس في هذا الوقت عن تلك الصفات، وعلمهم أن الشاعر إنما يتكلفها تكلفاً ليجري على سنن الشعراء قديماً (١٩٠)). ويقول: (والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شاكلهما، وما كان مناسباً لهما، كالكووس والقناني والأباريق، وتفتح التحيات وباقات الزهر، إلى ما لا بد منه من صفات الخدود والتدود... ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين. (١٩١)) ويوضح ابن رشح هذه القضية أكثر في باب (البدأ والخروج والنهاية) من كتابه (١٩٢). ولا يفتونا أن نشير إلى أنه (من دلائل التجدد اللغوي في العصر العباسي ظهور النقد البياني الذي جعل أساس البلاغة في الألفاظ السهولة والحدوة والجزالة. (١٩٢)) وهو الأمر الذي تناوله ابن سنان بالدراسة. (١٩٤)

- (١٨٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٦٤، ٦٦، ٧٢، ١٠٧ (مجمل الكتاب).
(١٩٠، ١٩١) الشعر والشعراء ص ٧. وأنظر العدة ٧٢٧/٢ ط. مصر ١٩٤٤/١٩٢٥م).
(١٩٢) العدة تحقيق عبد الحميد ٢٠٨/١، ٢١١، ٢٥١/٢.
(١٩٣) أمراء الشعري العصر العباسي. أنيس المقدسي. ص ٩١ دار العلم للملايين ط. ١٩٧٥/١٠٢٩٥ هـ بيروت.
(١٩٤) سر الفصاحة ص ص: ٦٤ - ٩٢ وما بعدها. مقدمة القصيدة في العصر العباسي الأول. حسين عطوان دار المعارف. القاهرة ١٩٧٤م/١٩٩٤هـ.

٢ - التفنن في المعنى: (البناء المعنوي)

يتجه هذا الجانِب إلى المعنى. فالأموار المربية الإسلامية التي مرَّ بها الأدب العربي بعامّة بمثل حلقات متواصلة ومتفاوتة في الازدهار والنحوج. وإذا انطلقنا من القرن الخامس الهجري لنرجع منه رجوعاً تنازلياً حتى نصل إلى العصر الجاهلي، نلاحظ قلة في المعاني في كل مستوى ننزله إلى أن نبليح الطور الأول الذي يمثل أوليات الإبداع المسير لسهوته على حزنونة ظروفها. فالتضاي التي كانت تعترض الشاعر تكاد تكون محدودة معدودة، في تناول المرء على قتلها، وبحسبها تنشأ المعاني.

وإذا انتقلت إلى العصر الأموي ثم العباسي تجد تعقد الحياة أكثر فأكثر، ومع تلك الكثرة المتصاعدة تزداد المعاني. إذن فالأمر يختلف من زمن إلى آخر. وإذا عدنا إلى عهد الخفاجي أو ما قبله بقليل نجد العناية بالمعاني الشعرية تمثل في شروب شتى، منها:

- ١ - سحة التسميم ومنها: تجنب الاستحالة والتناقض (١٩٥).
- ٢ - ألا يوضع الجائز مرنج الممتنع (١٩٦).
- ٣ - سحة التشبيه (١٩٧).
- ٤ - سحة الأوصاف في الأغراض (١٩٨).
- ٥ - سحة المقابلة في المعاني (١٩٩).
- ٦ - سحة النسق والنظم بحسن التخلص من معنى إلى آخر (٢٠٠).
- ٧ - سحة التفسير (٢٠١).
- ٨ - كمال المعنى (٢٠٢).

١٩٥) سر الفصاحة ٢٢٤، ٢٢٥ طبعة دار الكتب العلمية.

١٩٦) المصدر نفسه ٢٢٨.

١٩٧) المصدر نفسه ٢٤٥.

١٩٨) المصدر نفسه ٢٤٦.

١٩٩) المصدر نفسه ٢٥٦.

٢٠٠) المصدر نفسه ٢٦٧.

٢٠١) المصدر نفسه ٢٦٨.

٢٠٢) المصدر نفسه ٢٧٠.

- ٩ - الفلو والمبالغة (٢٠٣).
 - ١٠ - الاحتراس مما يوجب الطعن فيه (٢٠٤).
 - ١١ - الاستدلال بالتمثيل (٢٠٥).
 - ١٢ - الاستدلال بالتعليل (٢٠٦).
 - ١٣ - حسن الاستعارة (٢٠٧).
 - ١٤ - حسن الكناية (٢٠٨).
- ٢ - التفنن في اللفظ: (البناء الشكلي)
- ظهر إلى جانب الفن السابق التفنن في الإبداع اللفظي بشكل يكثر عند بعض الشعراء من مثل أبي تمام (-٥٢٢١/٨٤٥م) ومن جرى مجراه، فعيب، ويقل عند البعض، وهو الذي يسود عند الشعراء دون تعمل مثل أبي نواس (-٥١٩٨/٨١٢م) ومن مار على نهجه، وهو المحمود لأنه يمثل الاعتدال والاعتزان في التفنن. ومن هذه الخنوع اللفظية (البديع):

- ١ - السجع والازدواج (٢٠٩).
- ٢ - لزوم ما لا يلزم (٢١٠).
- ٣ - الأقواء (٢١١).
- ٤ - الإيطاء (٢١٢).

(٢٠٢) سر الفصاحة ٢٧١ مطبعة دار الكتب العلمية.

- (٢٠٤) المصدر السابق ٢٧٢.
- (٢٠٥) المصدر نفسه ٢٧٥.
- (٢٠٦) المصدر نفسه ٢٧٧.
- (٢٠٧) المصدر نفسه ١١٨.
- (٢٠٨) المصدر نفسه ٢٢٩.
- (٢٠٩) المصدر نفسه ١٧١.
- (٢١٠) المصدر نفسه ١٧٩.
- (٢١١) المصدر نفسه ١٨٢.
- (٢١٢) المصدر نفسه ١٨٥.

- ٥- التصريح (٢١٢).
- ٦- الترسيخ (٢١٤).
- ٧- المجانس (٢١٥).
- ٨- المطابق (٢١٦).
- ٩- التبديل (٢١٧).
- ١٠- المخالف (٢١٨) وغير هذا.

تناول ابن سنان (-٥٤٦٦هـ/١٠٧٢م) هذه الفنون جميعها بين مؤيد ومنكر، ويرى أنها تحسن وتزيد في طلاوة الكلام ما دام الشاعر متزناً معتدلاً في توظيفها في سياق كلامه، فإذا أكثر منها وأفرط، أثقلت كاهل الكلام وانحرف إلى الفساد، وكان ذلك أثراً سلبياً على الفصاحة والبلادة. ويشير إلى أنها قد وردت في القرآن الكريم وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والنصيح من كلام العرب (٢١٩).

ومن أمثلة ذلك السجع والازدواج (٢٢٠) الذي يقول عنه ابن سنان (-٥٤٦٦هـ/١٠٧٢م) (... وبعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام، وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيراً، وحجة من يكرهه أنه ربما وقع بتكلف وتعمل واستكراء، فأذهب طلاوة الكلام وأزال مائه، وحجة من يختاره أنه مناسبة بين الألفاظ يحسنها، ويظهر آثار الصفة فيها، ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والنصيح من كلام العرب، وكما أن الشعر يحسن بتساوي قوافيه، كذلك الشر يحسن بتماثل الحروف في فصوله. والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة

-
- (٢١٢) سر الفصاحة ١٨٨ طبعة دار الكتب العلمية.
(٢١٤) المصدر السابق ١٩١.
(٢١٥) المصدر نفسه ١٩٢.
(٢١٦) المصدر نفسه ٢٠٢.
(٢١٧، ٢١٨) المصدر نفسه ٢٠٢.
(٢١٩، ٢٢٠) سر الفصاحة ١٧١ طبعة دار الكتب العلمية.

ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه، ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيل لأجله، وورد ليصير وصلة إليه، فإنا متى حمدنا هذا الجنس من السجع، كنا قد وافقنا دليل من كرهه وعملنا بموجبه، لأنه إنما دلّ على قبح ما يقع من السجع بتعمل وتكلف. ونحن لم نستحسن ذلك النوع، ووافقنا أيضاً دليل من اختاره، لأنه إنما دلّ به على حسن ما ورد منه في كتاب الله تعالى وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، والفضاء من العرب... وكان يحسن الكلام ويبين آثار الصنعة، ويجري مجرى التوافي المحمودة. والذي يكون بهذه الصفات هو الذي حمدناه واخترناه. وذكرنا أنه يكون سهلاً غير مستكره ولا متكلف (٢٢١). وقص على ذلك بقية الفنون اللفظية الواردة في صarsة ابن سنان.

وما نقوله في هذا الخصوص هو أن المحدثين والمولدين قد ناقوا الأوائل في المهارة الممنوية، وهو الشيء الذي يُقال في البديع (الصناعة اللفظية). قد جملوا الأخير فناً معروفاً، وجروا فيه إلى الغاية. (٢٢٢)

ولهذه الصناعة جذور تجدها عند ابن المقز (٥٢٩٦- / ٩٠٨م) في القرن الثالث الهجري، وعند قدامة بن جعفر (٥٢٢٧- / ٩٤٨م) في القرن الرابع وأبي هلال العسكري (٥٢٩٥- / ١٠٠٤م) في نهاية القرن الرابع الهجري. ومنهم وأمثالهم أخذ البيانيون والبديميون، فراحوا يتفننون فيها (حتى بلغت ما يزيد على المائة والخمسين (٢٢٢) في عدتها فيما بعد. ولم يقتصر الأمر على النظم فحسب بل تعدى إلى الشر (٢٢٤). والأمثلة على ذلك في الرسائل الديوانية والإخوانية والتوقيعات والتقاليد والأمثال والمأثور في مجرى الحكمة والخطب وغير ذلك واضح (٢٢٥).

(٢٢١) سر الفصاحة ص ١٧١. طبعة دار الكتب العلمية.
(٢٢٢) أمراء الشعر ص ٩٥. تحرير التحبير في صناعة الشعر والشر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصم (٥٦٥٤). تحقيق الدكتور حفي محمد شرف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٢٨٢هـ.

(٢٢٢) أمراء الشعر ص ٩٦.

(٢٢٤) سر الفصاحة ١٧١ - ٢٠٢ طبعة دار الكتب العلمية.

(٢٢٥) سر الفصاحة ١٧١ - ٢٠٢ طبعة دار الكتب العلمية.

٤- تطور المصطلحات اللفظية وتوسمها:

إن هذه القضية تتطلب من الباحث الوقوف على تاريخ اللغة عبر أطوارها المتلاحمة؛ فاللغة العربية استفادت من الأمم الأخرى بحكم جوارها أو مصلحتها في ذلك، كما أن الدول الأخرى انتفعت بالعربية كالفارسية وغيرها. ثم أن هذا التفاعل كان شياً صلياً الاستماع الاستراتيجية من الجزيرة العربية. وعلى هذا تبقى بغض القبال في منأى عن الاستفادة، وإن كان الأمر يتسم فيما بعد من طريق احتكاك العرب فيما بينهم. أما في زمن ابن سنان (٤١٦هـ/١٠٢٢م) فقد تفاقم الوضع، واستفحل أمره، نتيجة اتساع النفوذ الإسلامي واختلاط العرب بالمجم، حيث (ظهر الميل إلى التحرر من بعض القيود اللغوية، فالمحدثون والولدون قد اتسعوا فيه حتى جاوزوا الحد لما احتاجوا إلى الإفهام وكانت تلك الألفاظ أغلب على أهل زمانهم وأقرب من أفهام من يقتصرون، وقد أفرط أبو نوحس (-١١٩٨هـ/٨١٢م) حتى أنه استعمل زمرّة ويازبندة وباريكندة في شعره (٢٢٦) وغير ذلك. وقس على ذلك ابن الرومي (٢٢٧) (-٢٨٢هـ/٨٩٦م) والممرى (-٤٤٩هـ/١٠٥٧م).

٢٢٦) أنظر سر الفصاحة ٢٢٤-٢٧٧، طبعة دار الكتب العلمية. الواسعة ٢٥١، ٢٥٢، أمراء الشعراء ص ٩٧.

٢٢٧) ابن الرومي: علي بن العباس بن جريح، أبو الحسن، شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي. أنظر تاديخ بغداد ٢٢/١٢، دأشرة المعارف الإسلامية ١/١٨١، أعلام، الزركلي ٢٩٧/٤. وأنظر تطور المصطلحات اللفظية وتوسمها في:

التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه. تأليف رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي . القاهرة ١٩٨٢. وأنظر اللغة والتطور عبد الرحمن أيوب. معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٩م. وأنظر اللغة والدلالة: آراء ونظريات. عدنان بن ذريل. اتحاد الكتاب العربي دمشق ١٩٨١م. وأنظر المصطلح التقدي في نقد الشعر. إدريس الناقوري. دار النشر المغربية. الدار البيضاء ١٩٨٢. وأنظر التطور اللغوي التاريخي. الدكتور إبراهيم السامرائي. دار الأندلس ط٢/بيروت ١٩٨١م.

اللغة التأليفية عند ابن سنان (- ٤٦٦هـ):

قبل الخوض في غمار هذه القضية نود تحديد مفهوم التأليف المتعلق باللغة. وعلينا قبل هذا أن نشير إلى الفرق بين أسلوب الخفاجي في تأليفه لهذا الكتاب، وبين ما ورد في لغة بحثه من مصطلحات. فالف (تدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضاً (٢٢٨)) وتقول (ألفت بين القوم تأليفاً إذا جمعهم بعد تفرق (٢٢٩)). وهو ما يرادف مفهوم التركيب أو البناء الفني على جهة التوافق.

والتأليف من هذا القبيل لا يتسنى لأي كان، لاعتماد الخبرة والعلم؛ لأن المؤلف الفعلي قد يجد نفسه إزاء: موضوع ولغة وأفكار ومنهج؛ فيحتاج إلى جمعها في نسق منظم بعد تفرق، من خلال تجربته الخاصة.

ومن شروط التأليف أن يكون المؤلف مبدعاً لا اتباعياً في كل المراحل، ذلك أن الكتب المنشأة قبله عيّنات تأليفية، جاهزة، لأشخاص آخرين. وكل كتاب وإن تشاكل نسبياً مع غيره أسلوباً ولغة وأفكاراً وعرضاً وفرضاً واستنتاجاً وتبويماً وتصنيفاً (٢٢٠)، يكون نموذجاً يمثل شخصية منشئه الأصلي لا غير. وهنا تبرز معالم وملامح الشخصية الاعتبارية أو المعنوية نابعة عن شخصية المؤلف الطبيعية.

(٢٢٨) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (- ٢٩٥هـ / ١٠٠٤م) ١/١ ١٢١/١ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ط١/ القاهرة ١٢٦٦هـ / ١٩٤٦م (تحقيق عبد السلام محمد هارون).

(٢٢٩) جمهرة اللغة ٢/ ٢٧٤، اللسان (ألف) وأنظر كتاب سر الفصاحة.
(٢٢٠) سر الفصاحة (مجلد الكتاب). وأنظر مفتاح السعادة ومصباح اليادة في موضوعات العلوم. أحمد بن مصطفى (طائس كبرى زاده) تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور. دار الكتب الحديثة، مطبعة الاستقلال الكبرى - مصر ١٩٦٨م / ١٢٨٨هـ.

والقارىء حين يتناول كتاب مر الفصاحة لابن سنان (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) تطالع أطراف مساهمة في التأليف، يفرد لها في ذهنه مع بقاء اتصالها وتآلفها في عرض الكتاب (٢٢١). فالموضوع واللغة والأفكار والمعطيات والقرننيات والاستنتاج والتجويد والتصنيف وغيرها، عناصر تمثل في شموليتها أسلوب الخفاجي في مشروعه هذا وتميزه (٢٢٢). ولأجل ذلك يقال: إن الأسلوب هو الرجل؛ لأننا نصل إلى الحكم على الأديب من خلال أسلوبه في أدبه، وعلى المؤلف من خلال تأليفه؛ ففي الأسلوب ترسم السمات والخصائص المنبثقة عن الشخصية الطبيعية في شخصيته الممنوية الاعتبارية.

إن اللغة والأفكار والمعاني والموضوع المعبر عنها بمنزلة البدن مع الروح. (فالوجه الصبيح يزداد حسناً بالحلل الفاخرة والملابس البهية، والخبث يزول عنه بعض القبح، كما أن الحسن ينقص حسنه برثافة ثيابه، وعدم بهجة ملبوسه، والخبث يزداد قبحاً على قبحه) (٢٢٢).

وليس الغاية في هذا الخصوص عرض الأفكار فحسب، بل الأمر يكمن في تفاعل المقدرة الممنوية مع المهارة التأليفية. فكم من أفكار صائبة تساور الكثير من الناس وتظل مطوية في نفوسهم، لأنها لم تجد إلى الظهور سبيلاً، تحيا وتذيع، أو لأن الوسيلة اللغوية لاذكائها انعدمت. فلو كانت ضيقة في الأداء نفشت في إظهارها. وبمعنى آخر أن تكون الأفكار واللغة متناهيين من حيث صلاتهما وصوابهما وسبكهما في إعطاء الصورة البيانية. وإذا كان الحديث عن التأليف الحسن السائد في ركاب الفصاحة والبلاغة، فلن نجد أفضل قدوة ومثال في التأليف القرآني. وهو الأمر الذي تجاذب أطرافه وفحص ثنائيه ابن سنان (-٥٤٦٦) وأبو الحسن الرماني (٢٢٤) (-٥٢٨٤/١٩٩٤م). والمشكل يتلخص في أن الخفاجي انتقد الرماني في طبقة الفصاحة، إذ يرى أن تأليف القرآن الكريم يمثل الطبقة العليا في الفصاحة، ودونها طبقة

٢٢١، ٢٢٢) أنظر مر الفصاحة (مجلد الكتاب).

٢٢٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (-٥٨٢١/١٤١٨م) ٢/٢١٠ وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (٤) (نسخة صورة عن الطبعة الأميرية).

٢٢٤) أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي المعروف بالرماني (-٥٢٨٤). أنظر تاريخ بغداد ٢٢٤/٤ نزهاء الألباء ص ٢٢٢.

الفصح من كلام العرب. ويرى الخفاجي أن فصاحة التأليف على المستويين واحدة (٢٢٥)؛ بيد أن المقام والمصدر الذي استمدت منه يميزها ويجعلها موضع تقدير؛ وأن اللغة العربية واحدة عبر عصورها، وأنها كانت متداولة بالمستوى الذي وردت به في كتاب الله تعالى، ولولا ذلك لاستعصى على العرب فهم الرسالة واستيعابها وتقبلها، وما جاء فيها من تشريع وقصص وأحكام (٢٢٦). فإذا (نظرت إلى كتاب الله العزيز الذي هو أفصح الكلام وجدته سهلاً سلساً، وما تضمنه من الكلمات العربية يسيراً جداً، وقد أنزل في زمن العرب العرياء، وألفاظه كلها من أسهل الألفاظ وأقربها استعمالاً، وكفى بالقرآن الكريم قدوة (٢٢٧)).

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني) يريد فاتحة الكتاب. وإذا نظرت إلى ما اشتملت عليه من ألفاظ وجدتها سهلة قريبة يفهما كل واحد حتى صبيان الكتائب وعوام السوق، وإن لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلغة (٢٢٨). فإن أحسن الكلام المؤلف ما عرف الخاصة فضله، وفهم العامة صمائه، وبهذا الاعتبار تكون الألفاظ المرفودة في سهولة فهمها وقرب تناولها، والمقتدي بألفاظ القرآن يكفي بها عن غيرها من جميع الألفاظ المشورة والمنظومة.

وإذا عدنا إلى الوراثة نلقى العرب يحرمون على تجنب استعمال الغريب في النظم والشعر، ويميلون بحكم طبائعهم وسجاياهم إلى السهل الذي يستعذب به ذوقهم ويروقه.

وفي ضوء هذه المعطيات نضع تأليف ابن سنان في كتابه سر الفصاحة. فإذا نظرت إلى ما اشتمل عليه من ألفاظ وأفكار وجدتها سهلة قريبة إلى الأذهان، تفهم دون أجهاد الزجر. ومجمل هذه النظرة يوحى لنا بصورة بيّنة، بين ما أراده هو من خلال عمله التأليفي، ويبين

(٢٢٥) سر الفصاحة ص ٩٩-١٠٠-١٠١ وأزن مع ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٨٧، ٨٨، ٨٩ وما بعدها.

(٢٢٦) سر الفصاحة ص ٩٩ وما بعدها.

(٢٢٧) صبح الأعشى ٢/٢١٠ (-٥٨٢١).

(٢٢٨) المصدر السابق ٢/٢١٥، ٢١٦.

المعالم الموجودة في أسلوب القرآن الكريم. إن السر العجيب الذي سحر الخفاجي كامن وراء تلك السطور السلسة، التي جاءت فصاحتها وبلاغتها في مرتبة عالية (٢٢٩). ونحن نعلم أن الخفاجي قد سمى مؤلفه سر الفصاحة. وكلمة سر في واقع أمرها تساؤل عن هذه الحالة، التي تتطلب العوس في كنه القرآن لمعرفة عجائبه. وقد أتينا لذلك بمثال في سورة الفاتحة (السيم الثاني) (٢٤٠)، فالفاظها مؤلفة تالياً في غاية السلاسة والوضوح، وفي الوقت نفسه في أقصى امتناعه. قال تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٤١)). ولعل هذا الدافع الذي حمل ابن مسنن وعبدالقاصر الجرجاني (٢٤٢) (-٤٧١ هـ أو -٤٧٤ هـ) ومن جرى مجراهما إلى اتخاذ كلمة "سر" في عنواني كتابيهما (٢٤٢). وهذا الأمر ذاته الذي دفع الخفاجي إلى تشكيل صورتين في وضع متقابل:

١- صورة تأليفية في لغة القرآن الكريم: وهي النموذج التالي في التأليف والفصاحة والبلاغة الذي يختلف عن التأليف البشري ولا يصل إلى مستواه.

٢- صورة تأليفية في فصيح كلام العرب: ولأجل ذلك تراء يقول: (وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف الناس عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرآهم ذلك (٢٤٤)). ويضيف في موضع آخر: (لم يكن بنفس هذا التأليف

٢٢٩) سر الفصاحة ص ١٩٩، ١٠٠، ١٠١ طبعة دار الكتب العلمية. وازن مع ثلاث رسائل ٨٧-٨٩.

٢٤٠) صبح الأعشى ٢/ ٢١٠ (في أقصى امتناعه يعني إعجازه).

٢٤١) البقرة / ٢٢.

٢٤٢) أنظر أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (كلمة سر من أسرار).

٢٤٣) أنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب وأسرار البلاغة. وأنظر الحياة الأدبية في العصر العباسي لعبد المنعم خفاجي ص ٢٦١.

٢٤٤) سر الفصاحة ٥٨-٩٢ طبعة دار الكتب العلمية. وازن مع ثلاث رسائل ٨٧-٨٩.

قطع فصيحاً، وإنما الفصاحة لأمر عدة تقع في الكلام، من جملتها التداوم في الحروف وغيره (٢٤٥)). وإذا كان اعتبار اللغة العربية في تأليفها في القرآن الكريم وفصح كلام العرب واحدة، (قَلِمَ يَنْكَرُ على هذا أن يكون تأليف الحروف في القرآن وفصح كلام العرب واحداً). (٢٤٦)

فالتأليف يشمل الحرف والكلمة والسياق على جهة التألف والتعلق، فالمستوى الأول يكون خالياً من التنافر ليساهم في تركيب الكلمة الفصيحة، الخفية النطق، السانعة في اللسان (٢٤٧). وأما المستوى الثاني فيشمل الألفاظ المؤلفة للسياق، ومن شروطها أن تخلو أجزاءها من العيوب، وآلا تكون وحشية غريبة أو قد عبر عنها في موضع آخر يكره ذكرها فيه.

وقد اقترح الخفاجي هيكلًا تأليفيًا يقوم على عناصر خمسة، اهداء بفكرة أرسطو (-٢٢٢٢ ق م) وقدامة بن جعفر (-٥٢٢٧/٩٤٨ م)، وتشتمل في الأمور التالية:

١- الموضوع (٢٤٨): (وهو الكلام المؤلف من الأصوات) في أصله، ويمثل في هذا الخصوص (مر الفصاحة) الموضوع لأنه يقوم على الحرف والصوت والكلمة والسياق المؤلف المتكتم.

٢- الصانع المؤلف (٢٤٩): (هو الذي ينظم الكلام بعنه مع بعض، كالشاعر والكاتب وغيرهما) والخفاجي في هذا المقام مؤلف كتاب في البلاغة والنقد والأدب على أسلوبه الخاص في التقديم والتصنيف والتبويب والعرض والغرض والاستنباط والامتداد والاعتداد والحكم.

٢- الصورة (٢٥٠): (هي كالفصل للكاتب والبيت للشاعر، وما جرى مجراهما) ومن، يتطلع إلى (مر الفصاحة) يجدد حقاً مستويات محكمة دالة مترابطة يشوبها بعض الاسترجاع الذي يضفي على تأليفه ضرباً من الإسهاب والتطويل. فكل مستوى فيه يمثل فصلاً يعالج قضية من القضايا الأدبية والنقدية والبلاغية والكلاسية.

٢٤٥) مر الفصاحة ٥٨-٩٢ وازن مع ثلاث رسائل ٨٧ - ٨٩.

٢٤٦، ٢٤٧) مر الفصاحة ٥٨-٩٢ وازن مع ثلاث رسائل ٨٧-٨٩.

٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠) أنظر مر الفصاحة ص ٩٢. ط. دار الكتب العلمية.

٤- الآلة (٢٥١): (فأقرب ما قيل فيها: إنها طبع هذا النافذ، والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك) وهذا يوافق التجربة في حياة المؤلف التي تقوم على الاستعداد الفطري والمكتسب، فابن سنان شبَّ في وسط إسلامي عربي، يطار على لفته، ويودَّ أن تظلَّ أبداً في برجنها العالي لا تشوبها أية معنلة. ويروقه منها حسن التأليف الذي استشفه على وجه الخصوص في لغة القرآن الكريم، والفصح الجيد من كلام العرب. وهو الشيء الذي دفعه ^{يرتبط} على هدى السر العجيب من وراء رسوم تلك الكلمات المتألقة الموحية بفصاحة مبرزة.

٥- الغرض (٢٥٢): (بحسب المؤلف، فإن كان مدحاً كان الغرض به قولاً ينبىء عن عظم حال المدوح، وإن كان صجراً فبالحد، وعلى هذا التماس كل ما يؤلف.)
إن إجراءاته الفنية في تناول القضايا وكيفية عرضها وتقديمها إلى ذهن القارئ، ومن خلال نماذج تأليفية في القرآن الكريم وعينات من الحديث الشريف وأمثلة متألقة في فصيح كلام العرب في شتى ضرويه وفنونه. فإذا فهمنا فحوى كل عنصر، وإذا نظرنا إلى بعد تألفها، ثم قسنا ذلك على تأليف ابن سنان، نجد أن يخرج عن ذلك إلاً لماماً. فكيف يكون ذلك وهو أحد المصممين لخطة هذا التأليف؟

ويتعين علينا بعد هذا كله التمييز بين اللغة كفاية ووسيلة إزاء التأليف. والسؤال هنا: هل يؤلف من أجل اللغة في ذاتها أو من أجل غاية الموضوع الذي تنشأ من أجله؟ والجواب عن ذلك أننا إذا كنا بصدد بحث مثل "سر الفصاحة" يكون الأمر بينهما تكاملياً، لأننا ندرس من جهة اللغة من حيث تأليفها وفصاحتها وبلاغتها. وفي هذه الحالة يكون اهتمام المؤلف منصباً على مراعاة اللغة في حد ذاتها. في أداء الفكرة. ومن جهة أخرى ألا يكون القصد صافياً فيه

٢٥١، ٢٥٢) أنظر سر الفصاحة ص ٩٤ وأنظر الحياة الأدبية في العصر العباسي: عبد الرحيم خفاجي. ط١/ القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م. دار العهد الجديد للطباعة. ص ٢٦١. وأنظر سر الفصاحة أيضاً ص ١٢ يقول: (أعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرهما، فمن الواجب أن نبين صفة ذلك وفائدته، لتقع الرغبة فيه...).

لأنه يشغل كاهل التأليف بالصناعة اللغوية المفرطة التي تؤدي إلى جو متعمل متكلف (٢٥٢). ومن جهة أخرى ألا يكون التأليف مقصوداً في ذاته، لا يهتم بالجاذب اللغوي لذاته، لأن ذلك قد يفضي إلى التعقيد والالتباس أو إلى ضياع الهدف المنشود الذي تأسست هذه اللغة من أجل إظهاره وتبليغه (٢٥٤).

إن لكل مؤلف طريقة تميزه في عمله، وهذا راجع إلى مدى خبرة المؤلف وتجربته في هذا الفن (٢٥٥). فهو يقدم عملاً جاهزاً للمتلقي فيه بداية ووسط ونهاية. قائمة على شدة التوتر وحدة الربط بينها. تتفاوت بين الوضوح والتعمية، وبين السهولة والتعقيد وبين الإيجاز والإطالة. وكل إجراء في صون من هذه المواضع يتم عن قصد ابن سنان الواعي في ممارسته (٢٥٦).

اللغة التأليفية في ضوء الوضوح والتعمية والسهولة والتعقيد:

كتاب سر الفصاحة مؤلف في البلاغة والنقد والأدب، مجسد تجسيدا تسلسلياً تكاملياً يجمع شتات فترن عدة، تصب كلها في صلب واحد، منها الحروف والأصوات (٢٥٧) وتنطوي تحت تأليف الكلمة المفردة، ومنها فصل في الكلام (٢٥٨) وفصل في اللغة (٢٥٩) وفصل في الفصاحة.

٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥) سر الفصاحة ٩٥-٩٦ طبعة دار الكتب العلمية.
(٢٥٦) سر الفصاحة ص ٩٢ يقول: (الفصاحة عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار، فإذا كنت قد ذكرت الموضوع والوجه في اختياره، وعلى أي صفة يكون المرضي منه والمكروه بما فيه منقح أو كفاية، ثم شرعت الآن في الكلام على التأليف بحسب ذلك) ويقول في ص ١٠٧ (إن تكرار التصغير والنداء والنعت والعطف والتوكيد، وغير ذلك من الأقسام والإسهاب في إيرادها محدود في جملة التكرار؛ ويجب التوسط فيه، فإن لكل شيء حداً ومقداراً لا يحسن تجاوزه ولا يحمد تعديه) وهذا معلم من معالم وعيه بالتأليف.

(٢٥٧) سر الفصاحة ١٥ - ٢١ ط. دار الكتب العلمية.

(٢٥٨) المصدر السابق ٢٢ - ٤٨.

(٢٥٩) المصدر نفسه ٤٨ - ٥٨.

والبادقة (٢٦٠) ثم الكلام في الألفاظ المؤلفة (٢٦١) والكلام في المعاني مفردة (٢٦٢) ، وفصل في ذكر الأقوال الفاسدة في نقد الكلام بين القدماء والمحدثين (٢٦٢) ، وفصل في الفرق بين النظم والشعر وما يُقال في تفضيل أحدهما على الآخر (٢٦٤) ثم فصل فيما يحتاج إلى معرفته مؤلف الكلام (٢٦٥) .

فكل هذه الأمور تحدد مستويات تأليفية مضبوطة في هذا البحث من حيث الهندسة والشكل ، إذ تبرز من خلال فطنة الخفاجي في التدقيق والربط والتصنيف والتبويب . وكل مستوى فيها يعبر عن قضية تزامن اللغة التأليفية في مسيرتها هذه .

فالقارئ إذا تناول هذا الكتاب يدرك جيداً سيام هذا الترتيب الشكلي ومعالمه ، حيث يستأنف دراسته بمقدمة تمهيدية يبين فيها الغرض من إنشائه هذا الكتاب ، بلغة سهلة واضحة يتابها تشويق تستشعر من خلاله قصد الخفاجي في إثارة القارئ إليه . ثم يدخل إلى المرحلة التالية في مباشرة قضايا المختلفة بدءاً من الصغرى فالكبيرة ثم الكبيرة ، وهكذا حتى يختم بنهاية حسنة تطمئن القارئ أيما اطمئنان . فكل مرحلة من هذه المراحل التأليفية وإن كانت شكلية في ظاهرها مزانة ومسيرة لوعي اللغة المنشئة . أليس هو القائل في الآلة (فأقرب ما قيل فيها : إنها ملبع هذا النظم ، والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك . (٢٦٦)

فهذه من الناحية المنهجية والشكلية ، أما من حيث المضمون فذاك أمر آخر ، وقد أوردنا فيما تقدم قولاً مناسباً عن مدى تفاعل المبنى مع المعنى ، وهو أن (الوجه الصبيح يزداد حسناً بالحلل الفاخرة والملابس البهية ، والصبح يزول عنه بعض القبح ، كما أن الحسن

(٢٦٠) مس الفصاحة ٨٥ - ٩٢ ط . دار الكتب العلمية .

(٢٦١) المصدر السابق ٩٢ - ٢٢٤ .

(٢٦٢) المصدر نفسه ٢٢٤ - ٢٢٨ .

(٢٦٣) المصدر نفسه ٢٢٨ - ٢٨٥ .

(٢٦٤) المصدر نفسه ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٢٦٥) المصدر نفسه ٢٨٨ - ٢٩١ .

(٢٦٦) مس الفصاحة ٩٤ ، طبعة دار الكتب العلمية . الحياة الأدبية في العصر العباسي . تأليف عبد المنعم خفاجي ص ٢٦١ .

ينقص حسنه برثائه ثيابه وعدم بهجة ملبوسه، والقيح يزداد قبحاً على قبحه (٢٦٧). فالكتاب بهذا التقدير جهاز لغوي معنوي فيه قلب وقالب. فعلى قدر حسن المؤلف في وضع الأشياء مواضعها بحيث تكثر معبرة عن مقتضى الحال، يكون موقفاً. غير أن هذا لا يتوفر إلا لمعرب خبير مقتدر؛ حيث يتعين عليه أن يعطي شكلاً مناسباً في تعبيره عن قضايا، كل حسب سعتها ومطلبها ومدى مساهمتها، في مجموع المشروع (٢٦٨). وإذا لم يراع هذا الجانب يقع المؤلف في الخطأ، ويبدو عليه عجزه وعدم تمكنه من زمام لفظه. فهناك المواضع التي تتطلب الإيجاز مع الوضوح والسهولة، ومواضع تستوجب بعض التطويل والتفصيل لاستيفاء حق المسألة في التوضيح. وهناك تطويل زائد لا طائل من وراءه يقحم بين السطور إقحاماً، فيشوه الشكل، ويؤثر على المضمون سلباً، لأنه السبب فيما ينتج من تعقيد وما يحصل من التباس، الشيء الذي قد يعوق توصيل الفكرة إلى المتلقي. وهذه إحدى معضلات التأليف. وهي صيغار في ضوئه تقاس مهارة مؤلف متمرس عن غيره (٢٦٩). يقول الخفاجي: (فإن لكل شيء حداً ومقداراً لا يحسن تجاوزه، ولا يحدد تعديده (٢٧٠)) وهذا من صميم مراعاة حسن التأليف.

إذا عدنا إلى "سر الفصاحة" نجد عشرة مستويات فنية تمثل اللغة التأليفية لدى ابن سنان، تتوزع تدرجاً متفاوتاً في كل مستوى بين الإيجاز والإطباب.

١- المقدمة: مرجزة دالة على مقتضى الحال، يبين من خلالها الغرض من تأليفه الكتاب (٢٧١) بلغة واضحة سلسلة معبرة.

٢- فصل الأصوات والحروف (٢٧٢): أسهب ابن سنان في الحديث عن الأصوات التي إذا قسناها في مجمل الممارسة نجدها في حقيقة أمرها جزءاً يسيراً إزاء الأجزاء الأخرى الكبرى. ولا ننسى أنه رغم صغره في هذا الموضع، فظهر عنصر مهم في قيام العملية التأليفية الخفاجية.

٢٦٧) صبح الأعشى ٢/ ٢١٠.

٢٦٨) سر الفصاحة ٢٢٢ ط. دار الكتب العلمية.

٢٦٩، ٢٧٠) سر الفصاحة ١٠٧ ط. دار الكتب العلمية.

٢٧١) سر الفصاحة ١٢ - ١٥ طبعة دار الكتب العلمية.

٢٧٢) سر الفصاحة ١٥ - ١٦ - ١٩ - ٢٠ طبعة دار الكتب العلمية.

وقد يحسن الإسهاب لو أفردناه وجعلناه غاية في الدرامة. فقد تكلم عن: مفهوم الصوت والحرف وحقيقتيهما في تأسيس التأليف (في ثمانين حالات للصوت وحده). وقد عرض هذا كله في مجموعة من الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية والنحوية واللغوية والكلامية، في سياق جدلي انتقادي بلاغي، معلول بين أبي علي الجبائي (-/٥٢٠٢م) وأبي هاشم الجبائي (-/٥٢٢١م) والقاضي عبد الجبار (-/٥٤١٥م) والشريف المرتضى (-/٥٤٢٦م) وابن سنان (-/١٠٧٢م)، وكلهم من متكلمي المعتزلة، مما أضفى على الفصل جواً منطقياً فلسفياً يستوقف القارئ ليحاور أفكارهم العميقة. ولم يحكم الخفاجي جماح نفسه في هذا الجانب، ربما يعود ذلك إلى نفسه الشاعرة التي ألقت التطواف والجموح في آفاق الخيال، فتراها يعرف ويقدم معطياته ويفترض ويناقش ويستدل ويحتج في غمار شروح واستشهادات أوتعت في هذا الاستطراد المفيد.

فإذا كان التأليف يتسم بأصالة وفردية صاحبه، فإن الأفكار متبسة عن أساتذته المتكلمين (٢٧٢). وهو الشيء الذي دفعه إلى الاستطراد في خلق حيز واضح لنفسه في إطار هذا الاقتباس من جهة وإلى تأكيد الموقف وأداء الفكرة من جهة أخرى.

وأما كلامه عن الحروف فجاء مناسباً لمتن الحال، حيث عرّف الحرف في جملة من الشروح (٢٧٤) والتعليقات والشواهد الملائمة من القرآن الكريم (٢٧٥) والشعر (٢٧٦). ثم تناول المسألة من حيث عدة الحروف العربية، والألف الساكنة أبداً، وانتقد أبا العباس المبرد (-/٥٢٨٦م) الذي لم يعتمد الهمزة واعتد حروف العربية ثمانية وعشرين حرفاً؛ مستنداً في تعزيز رأيه إلى ابن جني (٢٧٧) (-/٥٢٩٢م) واتبع هذا ببيان اختلاف

-
- (٢٧٢) مر الفصاحة ١٦ - ٢٢ وازن مع المغني للقاضي عبد الجبار (-/٥٤١٥) ٢٤/٧، ٢٦، ٢٨، ٢١، ٢٢، ٤٠، ٤٢. والمتكلمون هم (أبو علي الجبائي (-/٥٢٠٢) وأبو هاشم الجبائي (-/٥٢٢١) والقاضي عبد الجبار (-/٥٤١٥) والمترضى (-/٥٤٢٦) وغيرهم.
- (٢٧٤) مر الفصاحة ٢٢ - ٢٤ ط. دار الكتب العلمية.
- (٢٧٥) سورة الحج/١١ مر الفصاحة ٢٢.
- (٢٧٦) سورة الفصاحة ٢٢.
- (٢٧٧) أبو عثمان بن جني (-/٥٢٩٢م) الموصلي النحوي اللغوي، من حذاق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو الصرف... أنظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٢٤٤.

الحروف باختلاف مقاطع الأصوات وصفاتها ومخارجها. وقد أطل في هذا الجانب حيث توغل في التفاعيل الجزئية مما أدى إلى هذا الاستطراد الذي يحسن في مرمى خاص بالحروف. أما التعرف جزء إلى جانب الكل فأولى أن يكون الكلام عليه وفقاً لنظريته العنصر في مجمل البحث. ومع هذا كله فالأفكار بيّنة مفهومة في لغة سهلة ملسة، تظهر فيها أسالة الخفاجي التأليفية وانفراديته في الأسلوب.

٢ - فصل في الكلام:

حدد مفهوم الكلام وأجراه في سياق أدبيّ قدي، تتابح مواضع فلسفية عميقة تعترض القارئ، فتعترض عليه إجهاداً وعناء فكرياً لإدراك المقصود في هذا الوطن وذاك من التأليف. وكان ذلك الوطن يدنو ويبيان المستويات السابقة واللاحقة في عمقه وعقلانيته حيث يضفي على الوضع جواً فلسفياً إلى جانب الصبغة الأدبية العريضة، قائماً على الفرض والسؤال والحجة بين أبي علي (٢٠٢-١١٥م) وأبي هاشم (٢٢١-١٢٢م) والهاضي (٤١٥-١٠٢٤م) والمرتضى (٤٢٦-١٠٤٤م) الذين يرون قيام الكلام لمجرد تألفه من الحروف المحددة بالمقاطع الصوتية في نسق كرمي معين (٢٧٨) وهذا على خلاف ما يراه أهل اللغة الذين ينظرون إلى الفائدة فيه كشرط أساسي في قيامه. ولذلك تجد عندهم القول والكلام والكلام. وعن أولئك الذين يذكرهم ابن سنان سيوي (٢٧٩) (١٨٠-٢٧٩م) وسنه في الفائدة في هذا الصدد. ومما يثار النقاش والخلاف حول الكلام بين الفائدة والاستعمال والادفاعة والإسهال (٢٨٠)

إن الشيء الذي يميز هذا الجانب كسابقه هو الصبغة العقلية الطليقة والوسطية السائبة والموقف والحكم والتكاملية في الإفادة من الطائفتين. فهو يأتي بمعطياته ويستدل بآراء العلماء ويحلل في مرض حشد من الآراء والشواهد والشروح التي تفضي به إلى الإجابة كما ذكرنا من قبل. ورغم هذا كله، تسير هذه الأفكار البسيطة والعميقة جميعها في ركاب تأليف لغوي، سهل التراكيب، واضح الدلالات، مؤد لفكرة صاحبه. وإذا اعتبرنا مقتضى حال هذا الجانب إزاء اللغة التأليفية من جهة وتجاه موضعه من البحث فلفي هناك تناسباً في المقدار ومراعاة للتأليف. وهذا شيء يغفر له تهاويه في أحضان الإسهال.

- ٢٧٨) سر الفصاحة ١٥ - ٢٢ ط. دار الكتب العلمية. وازن مع المعنى ٢٤/٧ - ٤٢.
٢٧٩) سيويه تحقيق هارون ١٤٤/٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠/٢، وأنظر سر الفصاحة ص ٢٢.
٢٨٠) سر الفصاحة ٢٢ ط. دار الكتب العلمية.

٤ - في فصل اللغة:

يعرف اللغة، ويشير حولها مسائل التوقيف والمواضعة (٢٨١)، ويرى أنها مواضعة في الأصل، ويبيّن فضلها وفضل العرب على سائر الأجناس ولغاتهم، وخصائص هذه اللغة الكريمة، ويتحدث بعد هذا عن تقسيم تأليف الحروف وتبيين المختار منها. وإذا أمعنا النظر في هذه المستويات التأليفية الثلاثة نجد الأول والثالث من صميم الموضوع، وأما الثاني فتأنيدي مساعد على إبراز حقائق تاريخية، جاء بها الخفاجي، وربما يكون ذلك لحرسه على المحافظة على مستواها وغيرته على لته. وهذا شيء وإن كان من الأهمية بمكان في تاريخ اللغة وعلم الاجتماع وغيرها... فإنه شطط زائد ومفيد. وإذا تابعتنا المسيرة التأليفية هنا نجد استشهادات بالقرآن الكريم (٢٨٢) وقليل من الشعر (٢٨٣) وأخبار تاريخية واقعية ملائمة (٢٨٤). فكل هذه الأفكار تسير في خضم لغة سهلة واضحة في تبليغ المقصود رغم بعض التعقيد الفلسفي العميق، الذي ينم عن جانب من شخصية الخفاجي الكلامية. ويتميز بالأمانة في التأليف والفردية في الأسلوب.

٥ - الكلام في الفصاحة والبلاغة في ضوء اللغة التأليفية:

يعد هذا الفصل الأطول من حيث مسقه وطوله. فترى الخفاجي يعرف الفصاحة (٢٨٥) ويبيّن الفرق بينها وبين البلاغة (٢٨٦). ويصرّح بأن كلامه عن الفصاحة لا يتميز عن كلامه في البلاغة إلا في موضع الفرق بينهما. ويبيّن شرف كليهما، وينصب لذلك شروطاً. ويتدبّر بالفصاحة عارضاً الشروط موزعة على أقسام رئيسية:

(١) ما يوجد في اللفظة الواحدة. (٢٨٧)

-
- (٢٨١) المصدر نفسه ص ٤٨.
(٢٨٢) البقرة/٢١، ص الفصاحة ٤٩ ط. دار الكتب العلمية.
(٢٨٣) ص الفصاحة ٥٠ - ٥١ ط. دار الكتب العلمية.
(٢٨٤) ص الفصاحة ٥٠.
(٢٨٥) ص الفصاحة ٩٢ - ٩٣ ط. دار الكتب العلمية.
(٢٨٦) المصدر السابق ص ٥٨ - ٥٩ ط. دار الكتب العلمية.
(٢٨٧) ص الفصاحة ٦٠.

- (٢) ما يوجد في الألفاظ المؤلفة مع بعضها. (٢٨٨)
 (٢) ما يوجد في الألفاظ المؤلفة إلى جانب المعاني. (٢٨٩)
 (٤) ما يوجد في المعاني مفردة. (٢٩٠)

ويعرض في بداية الفصل فكرة تتمثل فيها الدعائم التي يبنى عليها مشروعه التأليفي والتي تشكل بتكاملها صورة مثلى في هذا العنصر، وهي خمسة أمور:

- (١) الموضوع المؤلف: وهو الكلام المؤلف.
- (٢) الصانع المؤلف: وهو الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض كالشاعر والكاتب وغيرهما كابن سنان في هذا الكتاب الذي يقول: (وسأذكر بعون الله في موضع من هذا الكتاب ما يقتضيه المؤلف إلى معرفته ويحتاج إلى علمه). (٢٩١) ويعرض خبرته في أسلوب أدبي يتسم بالسرد والتقرير والأخبار والناقشة، والاستشهاد وتوكيد المقصد بالاستعانة بعلماء من مثل أرسطو (-٢٢٢ ق م) وقدامة بن جعفر (-٥٢٢٧/٩٤٧ م)، بطريقة دقيقة محكمة في تفاعلها وإيحائها المعنى والمعنى، وذلك من جراء تأثره بالفلسفة اليونانية (٢٩٢). فكل هذا وإن ملا، تمهيد للعملية التأليفية. يقول الفناجسي: (ومع هذا البيان كله فالقصيدة عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار، فإذا كنت قد ذكرت الموضوع والوجه في اختياره، وعلى أي مسقة يكون المرضي منه والمكروه بما فيه مقنع وكفاية، ثم شرعت الآن في الكلام على التأليف بحسب ذلك، وبينت منه الوجوه التي بها يحسن أو يقبح - كان الكلام في معرفة الفصاحة وحقيقتها واضحاً جلياً. (٢٩٢))

وتتبادر إلى ذهننا من وحي هذا أطراف ثلاثة:

- ١- عناصر التأليف.
- ٢- حسن التأليف (الغاية).
- ٣- الفصاحة والبلغة.

 (٢٨٨) سر الفصاحة ص ٦٤ ط. دار الكتب العلمية.

(٢٨٩) المصدر السابق ٩٢ - ٢٢٢.

(٢٩٠) المصدر نفسه، ٢٢٤ - ٢٢٧.

(٢٩١) المصدر نفسه ٩٢ - ٢٨٨ - ٢٩١.

(٢٩٢) سر الفصاحة ٩٤ ط. دار الكتب العلمية. نقد الشعر ص ١٧، كتاب الخراج وصناعة

الكتابة ص ٢٧ - ٥٥.

(٢٩٣) سر الفصاحة ٩٥ - ٩٦. طبعة دار الكتب العلمية.

تشكل هذه الأمور مجتمعة علاقة متعددة فيما بينها. وهذا لعمرى يزيد التأليف قوة ومثانة. وقد أطال الخفاجي بحكم تفرع القضايا في لغة سهلة واضحة الدلالات، ويتميز بالأمانة والفردية، والاتباعية في الفكرة، وهو الشيء الذي دفعه إلى التوسع لإظهار شخصيته في حيز الاقتباس.

٦- الكلام في الألفاظ المؤلفة (٢٩٤):

يعرض في حدود هذا الجانب حشداً من القضايا مصنفة في مستوياتها، مع بعض التداخل بينها على جهة الاختلاف أو الائتلاف، وبخاصة في الأمور المتشابهة التي قد تلتبس على القارئ كالتقديم والتأخير إزاء القلب والعكس والتبديل، والجناس تجاه المطابق والتكافؤ، والسجع حيال القافية إلى غير ذلك. ويعتقد في مواقفه الاهتداء برأي سابقه مثل: قدامة (-٥٢٢٧/٩٤٨م) حيث يأخذ عنه الفكرة ويمضي في التعبير عنها بتفصيل يسلمه إلى الإثبات والإسهاب؛ وأبي الحسن الرماني (-٥٢٨٤/٩٩٤م) وابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م)، وأقاني الجرجاني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) والآمدي (-٥٢٧٠/٩٨٠م) والمبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) والأسمي (-٢١٦ أو ٢١٧/٨٢١ أو ٨٢٢م) والجاحظ (-٥٢٥٥/٨٦٨م) وبشر بن المعتمر (-٥٢١٠/٨٢٥م). وهذا لا يعني أن الرجل اتباعي خالص، بل هناك ما يدحض ذلك، كتلك المعارضات التي اتقد بها الرماني وقدامة والآمدي وغيرهم. ثم إنه يكثر من الشواهد الشعرية والتعليق عليها في معرض مناقشته وتحليله إزاء مواقف الغير، التي تحمله إلى الأسباب رغبة منه في إحقاق الحق وإيصال الفكرة إلى القارئ وإثبات مكانته الإبداعية في حيز التأليف.

٧- الكلام في المعاني مفردة في ضوء اللغة التأليفية (٢٩٥):

يفرد الخفاجي هذا الفصل للحديث عن المعاني مفردة على غرار ما قبلها. والكلام هنا على المعاني من حيث وجودها في الألفاظ المؤلفة على طريقة الشعر والرسائل ونحوهما، وبيان الأوصاف المطلوبة في المعاني، ومنها إثنا عشر قسمًا. (٢٩٦)

(٢٩٤) مر الفصاحة ٩٢ - ٢٢٢ طبعة دار الكتب العلمية.

(٢٩٥، ٢٩٦) مر الفصاحة ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١.

٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧ ط. دار الكتب العلمية.

يقدم الخفاجي لهذا الفصل بتمهيد مسهب، ويحدد الاتجاه الذي يسير فيه، وبليغة المعاني التي (تستعمل في صناعة تأليف الكلام المنظوم والمثور، ويبين كيف يقع الصحيح فيها والفاقد، والتام والناقص). (٢٩٧) لأن غير هذا في رأيه (ثمرة علم المنطق، ونتيجة صناعة الكلام، ولنا بذاهبين في هذا الكتاب إلى تلك الأغراض والمطالب). (٢٩٨) ويعود في هذا الموضوع إلى الإشارة في أنه إذا كانت اللغة مواضعة فالمعاني (ليس فيها شيء من ذلك، وإنما معيارها العقل والعلم وصفاء الذهن). (٢٩٩) وهذا التمهيد عن باب التأليف مدخل فني لاستئناف ومباشرة القضايا المعروضة للدراسة، بأسلوب يسير واضح الإجراء، سلس اللغة، بين الدلالة، دقيق في التعبير عن الجزئيات والتفاصيل، إلا أنه يحزو إلى بعض الترتيب في ذلك، حيث يتكلم في مكان عن أمر ثم ينصرف عند ليبدأ إكمالاً في موضع آخر. وقد يعود ذلك إلى حاجة في نفس الخفاجي الشاعرة، المتكلمة، الناقدة، الأدبية، البدعية التي تشكل تيارات مختلفة. ويمضي بعد ذلك إلى عرض قضايا في سياق الشواهد القرآنية (٢٠٠) والشعرية (٢٠١) والشرية (٢٠٢) وضروب من الشروح والتعليقات الموجزة أحياناً، والمتساوية في المقدار أحياناً والمكثفة أحياناً أخرى. ويكثر من الاستشهاد بالشعر مقابل القرآن والشر. فهو يضع لكل مسألة نماذج عدة من هذا الفن، وربما يكون ذلك لانتشار العيوب في الشعر مع شيوعه في الأوساط المختلفة، وأهميته في ذلك العصر، أو لإتيانه أشياء مستجدة لم يمهدها الناس أو عيوباً تؤثر على حسن التأليف في الفصاحة والبلاغة، ولكونها فوق هذا تمثل أوفق عينات التمثيل والتعليل والتفسير في ممارسته هذه. وكان لا بد على النقد والبلاغة الاحتراس والتحرز لما يوجب الطعن في هذه الآثار. وهو الشيء الذي يقل في الشر وينعدم في القرآن الكريم. أما الشروح والتعليقات فجاءت رداً على الاختلاف أو نصرة للاختلاف من جهة، والتوسع في مناقشة أفكار الآخرين مثل قدامة (٢٠٣) (٥٢٢٧هـ/١١٤٨م) والآمدي (٢٠٤) (٥٢٧٩هـ/١١٨٠م) وغيرهما.

-
- (٢٩٧) سر الفصاحة ٢٢٤.
 (٢٩٨) المصدر نفسه ٢٢٤.
 (٢٩٩) المصدر نفسه س ٢٢٥.
 (٣٠٠) سر الفصاحة ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٧.
 (٣٠١) المصدر السابق ٢٢٥، ٢٢٦.
 (٣٠٢) المصدر نفسه ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٧١ وغيرها.
 (٣٠٣) المصدر نفسه ٢٤٢ (باب المستحيل والممتنع مثلاً).
 (٣٠٤) المصدر نفسه ٢٤٥ (باب المتناقض والممتنع مثلاً).

ويتميز هذا الفصل بالمرونة في امتداد وارتداد (الالتفات) والبر في موضع والوصل في مكان لاحق، أو الإشارة إلى تقارب أو تباين قضية كان البعض يعتقد أنها من قبيل واحد أو العكس. ويعبر عن هذا في مياق لغوي يسير موح، مستوفياً في تأليفه الدال والمدلول في الكلام، تعبيراً دقيقاً واعياً ومحدوداً، يتسم بقرب متناوله في المستويات، وبمعان تنأى عن الصبغة الفلسفية العميقة رغم استخدامه الاستقرار ومطوارة الأشياء في قضايا. ومع هذا كله فالفئة مشبعة بأصالة في التأليف وفردية في الأسلوب.

٨ - الكلام في التفضيل والموازنة (طبقة الشعراء ومستويات شعرهم). في ضوء التأليف. إن القضايا والأفكار التي تجسدها لغة الخفاجي في هذا الفصل تكمن في الأمور التالية:

- (١) المزاجية في قياس الشعر والموازنة في طبقة الشعراء. (٢٠٥)
- (٢) اعتبار القائل قبل قوله في ضوء الحكم النقدي الموضوعي المنهجي. (٢٠٦)
- (٣) المعيار الزمني معيار خطير في الجوانب التاريخية وثانوي ومساعد في العملية النقدية. (٢٠٧)
- (٤) الموضوعية والمنهجية في النقد معيار موضوعي نزيه وعادل. (٢٠٨)
- (٥) الشطرية أو الجزئية في النقد أمر غير كاف لإقامة الحجة والدليل في الحكم (٢٠٩)، فلا يمكن أن نأخذ بيتاً أو اثنين أو حتى ثلاثة أو فصلاً أو أكثر من ذلك دون بلوغ نصاب النص، ثم تحاكم الأديب من خلال هذه الجزئيات. لأن الأديب قد يصيب في كثير من المواطن ويخطئ في بعض المواطن. وعلى هذا فليس من العدل اجتزاء التماذج السلبية القليلة - في شطريتها - من مجموع الإنتاج ثم نعتة بالإساءة بمقتضى ذلك. والعكس أن نأخذ عينة أو أكثر جيدة من إنتاج الفنان الفاضل ونقضي له في ظل ذلك.

٢٠٥) مر الفصاحة ٢٧٨ - ٢٨٥ ط. دار الكتب العلمية.

٢٠٦) المصدر نفسه ٢٧٨ - ٢٨٥ ط. دار الكتب العلمية.

٢٠٧) المصدر نفسه ٢٧٨ - ٢٨٥ ط. دار الكتب العلمية.

٢٠٨) المصدر نفسه ٢٧٨ - ٢٨٥ ط. دار الكتب العلمية.

٢٠٩) المصدر نفسه ٢٧٨ - ٢٨٥ ط. دار الكتب العلمية.

وقد سار ابن سنان في تعبيره سيراً موقفاً مراعيّاً مقتضى حال كل موطن والوصل والفصل لكل وضع، حيث يغيب الحشو وفضول القول. وقد جاءت لغته دالة مركزة في مدلولاتها، على جهة التحديد والدقة والوضوح والسهولة، متممة بأسالة منشئها في التأليف وفردية في الأسلوب. وهو مبدع لغة وفكراً ومنهجاً، إذ تراءى يستقي الأفكار من مصطلحات تختلف عنه أو ياتلف معها ويشرحها ويعلق عليها في ظل التجربة والخبرة. وقد جاءت الشواهد القليلة في هذه المواضع مناسبة لموجب حاجة كل موقف. واستطاع بذلك كله أن يبلغ فكرته من خلال لغته في يسر وحكمة ووضوح في إطار الهدف المنشود.

٩ - الكلام في الفرق بين المثلوم والمثور في ضوء التأليف (٢١٠):

إذا كان هذا الفصل يحتاج إلى بحث كثيرة حتى تستوفيه حقه، فإن الخفاجي أوجز ذلك الحجم الكبير في ثلث صفحات. وربما أراد بذلك أن يسدي من خلال ذلك، في إيجاز الفرق الكامن بين الطرفين، واكتفى بعرض التباين وميزات كل فن عن الآخر على جهة التفضيل والموازنة، فكان يعرض الأفكار جازمة ومعمّقة دون أدلائه برأي خاص، اللهم إلا ما اختلط برأي السابقين. وقد ترك في هذه الحالة القارئ يطلب ضروب التأويل. وفي الحقيقة تمرد هاتان القضيتان إلى الطبع والذوق والميول. ومن ذلك قوله: (فالذي يصلح أن يتوله من يغضل النظم أن الوزن يحسن الشعر، ويحصل للمكدم به روح ما لا يكون للمكدم المثلور، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين والثناء به ما لا يكون للمكدم المثلور... (٢١١)) إزاء قوله: (وأما الذي نقوله في في تفضيل الشعر على النظم هو أن الشعر يعلم فيه أمور لا تعلم في النظم، كالمعرفة بالمخاطبات، وبيئة الكعب والعمود والتقليدات، وأمور تقع بين الرؤساء والملوك يحرف بها الكاتب أمورهم، ويطلع على خفي أسرارهم، وأن الحاجة إلى صناعة الكتابة ماسة (٢١٢)).

(٢١٠) سر الفصاحة ٢٨٧ ط. دار الكتب العلمية.

(٢١١) المصدر السابق ٢٨٨.

(٢١٢) المصدر نفسه ٢٨٨ - ٢٩١.

كل هذا ورد في عبارات سهلة، وقررات مختصرة، موحية بمقتضى الحال، بعيدة عن التعميد اللغوي والمعنوي. وبهذا تبنى للخفاجي توميل الفكرة بسهولة. والفردية في أسلوبه والأصالة في بحثه قائمتان؛ تنم عن إبداعه في هذا القبيل. ويكفيه ما قدم، لأن الحديث في المنظوم والمشور قد سبقه في الحديث حوله ابن قتيبة (٢١٢) (٥٢٧٦-هـ/١٨٨٩م) في كتابه "الشعر والشعراء" وقدامة (٢١٤) (٥٢٢٧-هـ/١٤٤٨م) في نقد الشعر ونقد الشر المنسوب إليه، وابن سلام (٢١٥) (٥٢٢٢-هـ) في طبقاته وابن المعتز (٢١٦) (٥٢٩٦-هـ/١٠٠٨م) في الشعر والشعراء.

١٠- الكلام فيما يحتاج إليه مؤلف الكلام:

فصل مختصر موح بخلفية واسعة، عبارة عن ناصح الى كل ناشئ في النقد والأدب والبلاغة، تبرز فيه شخصية واضحة. ويُعد هذا الفصل ملحقاتاً مهماً يجب على المؤلف أن يقف عليه بالإضافة إلى شتات الناصح المنتشرة في تصانيف هذا الكتاب. وقد تمكن من تبليغ فكرته.

فلتسائل بعد هذا كله عن طبيعة اللغة التأليفية التي يترجها ابن سنان واتجاهها ومدى مساهمتها في رسم الصورة التأليفية والبيانية من خلال المقاييس والشروط التي رشحها صاحبنا في إمار الفصاحة والبلاغة السائرتين في ضوء رقابة النقد، والبعد الذي ينبثق عن هذا التأليف الذي يرقى لأن يكون في مجموعه نظرية قائمة بذاتها.

وإذا عدنا إلى كتاب "سر الفصاحة" نجد ترتيباً وانسجاماً متناسقاً ومتصاعداً يحمل في ركابه عناصر العملية التأليفية كلها، التي اختارها الخفاجي. فهو يستهل مشروعه بمقدمة يوضح فيها الغاية والبعد البناء الذي يفسر هذه الظاهرة من أولها إلى آخرها، ومنها النزلة الرفيعة التي يجب أن تكون عليها اللغة العربية بخامة، وأهليتها في المحافظة على قوتها في البيان.

(٢١٢) أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥٢٧٦-هـ/١٨٨٩م).

(٢١٤) نقد الشعر ونقد الشر والخراج وصناعة الكتابة لقدامة (٥٢٢٧-هـ/١٤٤٨م).

(٢١٥) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (٥٢٢٢-هـ/٨٤٦م).

(٢١٦) البديع في الشعر عبد الله بن المعتز (٥٢٩٦-هـ/١٠٠٨م) شرح وتعليق محمد بن عبد

المنعم خفاجي، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ. وأنظر سر الفصاحة

٢٨٨ - ٢٩١ ط. دار الكتب العلمية.

ونراه بعد ذلك ينطلق من أصغر وحدة، وهي الصوت (٢١٧) الذي يراه مؤسساً للحرف (٢١٨) ومختلفاً عنه في آن واحد؛ وأن الأخيرة هيئة لأدول (٢١٩). وإذا أمعنا النظر في هذين العنصرين نلغني أنهما يشادن بحق المادة الخام للكلام كله، هذه المادة التي تدخل في الكلام بوصفها وحدة بنائية أساسية هي وحدة التاليف على مستوى المفرد ومستوى السياق. فهي تدرج في الكلام على جهة الإجماع الذي يحدد ترتيبها ووجه نطقها في نطاق الحرف العربي. فالكلمة العربية محروقة بخصائصها لما تتميز به عن غيرها من اللغات وإن تقاطعت معها في نطق كثير من الأصوات والحروف. فهي تتسم بالدقة والحساسية والانفعالية، والدليل على ذلك النغور الذي إذا دخل الكلام تأثرت فصاحته وبداغته وكان عيباً يبيناً في نظر البدقة والبيان والنقد. مثل لفظه "العنخ" (٢٢٠) و"مستشزرات" (٢٢١)، وفي سياق الكلام كقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر (٢٢٢)
هذا بالإضافة إلى بعض ما يستكره من دلالة كثير من الكلمات التي لا يرخاها الخفاجي.

وإذا كانت هذه الظاهرة سائرة إلى البناء الشكلي حيث تثقل كاهل الكلام بطريقة أو بأخرى من قبيل التنافر أو الكراهة الدلالية المحدودة، فهي من ثمة تؤثر سلباً على الفصاحة. ولهذا الأمر أيضاً يأتيه منمياً إذ يتسرب إلى المعنى فيضني عليه نوعاً من الفحش أو الالتباس يحدد السياق الذي ورد فيه.

-
- (٢١٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٥ وما بعدها.
(٢١٨) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢ - ٤٥.
(٢١٩) أسباب حدوث الحروف لابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله البخاري - ٤٤٢٨ هـ) ص ١٦٠، ١٦١، ١٠٢-١٠٤ تحقيق محمد حسن الطيان، يحيى مير علم. دار الفكر ١٩٨٢ م.
(٢٢٠) جمهرة اللغة لابن دريد (- ٢٢١ هـ) ص ١/٦ وما بعدها. مكتبة المشى بغداد. وأنظر معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (- ١٧٥ هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ص ٥٥/١. دار الرشيد. وزارة الثقافة والإعلام. الجمهورية العراقية ١٩٨٠ م. وأنظر لسان العرب لابن منظور ٧٥/٨ (خصم) دار صادر بيروت (٤).
(٢٢١) لسان العرب لابن منظور (- ٥١١ هـ - ١٢١١ م) ج ٤/٤٠٥ دار صادر بيروت (٤).
والشاهد قوله: غداؤه مستشزرات إلى الأعلى تفلل الداري في مثنى ومُرسَل.
ومستشزرات: مرتفعات.
(٢٢٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٨.

وإذا تابعنا هذه القضية في تصاعدها نجد الكلمة تتحول في المستوى الثالث بعد الصوت والحرف إلى وحدة أساسية في بناء التأليف أو التركيب أو النظم كما يصطلح عليه البعض (٢٢٢). وبموجب اللفظة المفردة يصل إلى الحديث عن التأليف بمقتضى الفصاحة والبلاغة في سياق نقدي، حيث يوضح مفهوم كل جانب والفرق بينهما. وما نفهمه في هذا الإطار هو أن الفصاحة تقتصر على وصف الألفاظ بينما البلاغة تجمع وصف الألفاظ إلى جانب المعاني، وفي هذا المستوى تنتج الصورة البيانية الناتجة عن تفاعل ثنائية المبنى بالمعنى. ويبنى نظرتنا في هذا القيل على معطيات سابقة إلا أنه يفرض شخصيته نسبياً في إبراز التقاء الفصاحة بالبلاغة في الظهور والبيان. (٢٢٤)

ثم ينتقل إلى الحديث عن مفهوم الكلام الذي يجري بين الفائدة والاستعمال والدافعة والإهمال في معرض آراء اللغويين إلى مفهوم اللغة على أنها الصرح أو الغاية التي يسعى إليها التأليف، ولكن أي تأليف؟ إن التأليف المقصود هنا هو ذلك البناء اللغوي والمعنوي الذي رشح شروطه ومقاييسه ابن سنان الخفاجي (-٥٤٦٦). واللغة بهذا المنظور عامة، فيها الجيد والردى، ولذلك تراءى يتحدث عن طبيعة اللغة العربية وميزتها عن اللغات الأخرى (٢٢٥). ويسرد بعض النماذج التي أنكرها غير العرب على بعض فصحاء العرب نتيجة الترجمة التي تنقص من حداثة اللفظ وعذوبة صورته؛ ويسوق إلينا عينات لفظية مثل "أههخ" والتي نطقها أحد الأعراب خطأ بما فيها من تقارب الحروف وتنافرها، والكلمة المعروفة هي "أههخ" وتعني ضرباً من النبات، و"مستشزرات" وغيرها كثير.

وبموجب اللفظة المفردة يصل إلى الحديث عن التأليف القائم على الألفاظ المؤلفة، إذ يفحصها على طريقة معالجته لقضية المفرد وفي الوقت نفسه ينظر إلى اتصالها ومدى تفاعلها مع ما قبلها وما بعدها في سياق البناء الشكلي. وإذا كان كلامه منصباً على المبنى في هذا المقام من

(٢٢٢) في قضايا النقد الأدبي عند العرب. الدكتور عبد الحميد جيدة ص ١٤٧ وما بعدها. دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع. طرابلس لبنان ١٩٨٥ م. وأنظر دلائل الإعجاز في علم المعاني تأليف عبد القاهر الجرجاني (-٥٤٧١ هـ أو ٥٤٧٤ هـ). ص ٢٠ وما بعدها تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا. مكتبة القاهرة. شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٢٨١/١٩٦١ م. مصر.

(٢٢٤) ص الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٨ - ٦٢.
(٢٢٥) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ٤٨ - ٥٨.

باب التصريح، فإن المقصود يتعدى إلى المضمون أيضاً وإن كان ذلك جزئياً ونسبياً من خلال تطبيقه. فإذا كان يفرد الجانب الشكلي في كلامه عن البيت السابق مثلاً (٢٢٦) على مستوى المفرد والجملة، فهو يروم الصورة اليبانية من خلال ذلك لا محالة؛ إلا أنه أراد أن يكون واضحاً أمام المتلقي، فلجأ إلى مبدأ الفصل الصوري، ثم يستقل بعد ذلك إلى الحديث عن المعاني (٢٢٧) والتي يعاملها بالمقابل كما عامل الألفاظ على حدة (٢٢٨) ومثل هذا كمثل انفصال صريحتين على ثبج البحر والتقاءهما بعدئذ، لأنهما لا تخرجان في واقعهما عن اتساقهما إلى حين واحد وكتلة واحدة في إعطاء حركة التمرج التي يتسم بها البحر ككل. وقس على ذلك نظام الذرة القائم على شحنة موجبة وأخرى سالبة في اجتراح تيار الكهرباء. فالفصل في هذه الثانية يعني بطائفة فاعلية هذه الذرة وتحويلها إلى غير الصورة التي هي عليها. (٢٢٨)

فإذا وقفنا عند وصف الألفاظ مفردة وصولة تكون إزاء الفصاحة التي يقصرها الخفاجي على حسن وصف الكلمات، وهذا يعني التأليف على مستوى البناء الشكلي ويساوي هذا شطر البلادة (٢٢٩) وهذا أمر أقام عليه الخفاجي نظريته.

وإذا أخذنا العناصر التأليفية المتصاعدة التي رشحها ابن منان لممارسته، نجد أنها تكبر عند كل مستوى، فهي تبدأ صوتاً ثم تتحول إلى حرف فكلمة ثم كادماً فلفظة. وهذا أمر فيه ما يوحي بالفضلة والذكاء والتدبير.

وإن كان السار كما قلنا متميزاً بفردية صاحبه أو تبعيته لبانيه؛ فهو يشخص الموقف التألفي تشخيصاً حتى يبدو ملموساً واضحاً كالبناء. وإذا كان الخفاجي قد عرّض قضية الأصوات والحروف والكلام على الجانب الفلسفي، فهذا أمر يعود إلى طبيعة ثقافته في معرفة الأشياء ومطورتها، ورغبته في التعمق في المسائل وتوضيح المصطلحات وتوصيل الفكرة إلى المتلقي بطرق شتى. وهذا ما وقع فحواً، لقد أخذنا الكثير من هذا على طريقة تنوع الأساليب في الدراسة والتلقين.

(٢٢٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٨.

(٢٢٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٤ وما بعدها.

(٢٢٨) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ٥٨ - ٨٩.

(٢٢٩) المصدر نفسه ط. دار الكتب العلمية ص ٥٩-٦٢ وأنظر ص ٢٢٤-٢٧٧.

ويمثل الشطر الأول (البناء الشكلي) من الممارسة هذه التركيب العضوي الجمالي، إذ يهتم باتساع الألفاظ ومدى إيجازها ومادومتها في نفسها أولاً ثم في السياق الشكلي ثم البياني.

ونلاحظ اهتمام الخفاجي بالمعنى يأتي ضمناً فيما تفيد الألفاظ في ذاتها أولاً ثم مع غيرها. فالقارئ عندما يطالع الكتاب يدرك ذلك الفصل الواضح بين اللفظ والمعنى، وخصوصاً عندما يتحدث عن الجانب الشكلي على حدة (٢٢٠). ثم يتحدث عن المعاني مفردة (٢٢١). وفي المرحلة الثانية يعود ليربط بين الطرفين حيث يوضح أن الكلام على المعاني من حيث توجد في الألفاظ المؤلفة على طريقة الشعر والرسائل ونحوها ويبين الأوصاف التي تتطلب من المعاني (٢٢٢).

وإذا وازنا بين المبنى والمعنى في هذا القليل نجد أن الخفاجي يحاول أن يزن ويفحص كل طرف على حدة (٢٢٢). فتبدو ضروب الفصل جلية إلا أنها تتصل عندما يتكلم، عن المعاني مفردة ويجريها في السياق. إنك تراه يعطي لكل جانب حقه، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على مراعاة التظهير.

-
- ٢٢٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٥ - ٢٢٢.
٢٢١) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٤ - ٢٢٧.
٢٢٢) المصدر نفسه ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٤ - ٢٢٧.
٢٢٣) المصدر نفسه ط. دار الكتب العلمية ص ١٥ - ٢٢٧.

توطئة ابن سنان ونظرية التأليف

التأليف هو انضمام الشيء إلى الشيء والأشياء الكثيرة أيضاً. (١) وتقول: (ألفت بين القوم تأليفاً إذا جمعتهم بعد تفرق). (٢) وهذا ما يوافق تركيب ونظم الأجزاء بعضها مع بعض على جهة التوافق والتآلف، أو قل هو تعليق الأجزاء بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض. (٣)

وهذا أمر ليس بجديد على الأدب العربي، بدليل أن العرب قد استخدمته في مختلف مؤلفاتها بطرق شتى، قبل أن يصبح جاهزاً بين يدي ابن سنان (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) الذي أفاد من ذلك الشتات كله فكرة جعلها أساساً لنظرية التأليف. وإذا أصعبت النظر وجدت الموضوعات التي دخلت في نظريته ليست بجديدة، وإنما الجديد فيها هو استغلال الفكرة بفضل فطنته وذكائه، التي جعل منها ميزاناً لتصوير محاسن الكلام وإبرازها ما ينطوي عليه من روعة وتأثير وقيم جمالية.

وإذا استقرنا هذه الفكرة ألفينا جذورها في كتب النحو والبلاغة عند العرب وغير العرب، تشتمل على قضايا اتخذها الخفاجي سبيلاً لبلوغ غايته المنشودة، التي أقام عليها مسألة الإعجاز. (٤)

-
- (١) أنظر معجم مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (-٥٢٩٥/١٠٠٤م) ص ١٢١/١، دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه ط١/القاهرة (٤).
(٢) جمهرة اللغة. ابن دريد (أبو بكر بن الحسن الأزدي البصري - ٩٩٢/٥٢٢١م ص ٢٧٤/٣ أعادت طبعة بالأوفست مكتبة الشئى ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب. دار صادر (٤) ط١/ط. مجلس المعارف الشمانية حيدر آباد الدكن ١٢٤٥هـ.
(٣) عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ٤٧٤/١٠٧٨م أو ١٠٨١م) تقدم وبلاغته. الدكتور أحمد مطلوب ص ٥١، الناشر وكالة المطبوعات الكويت (١٦/١٢٩٢/١٩٧٢م بيروت).
(٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٢ - ١٥.

ومن هذه البذور ما عقد أرسطو (-٢٢٢ق م) من دراسات في البلاغة والنقد، فيما يتعلق بأجزاء القول. لقد أفرد فصلاً لذلك، وتحدث فيه عن اللفظة وأقسامها ومقاطعها الصوتية وحروفها وغيرها مما له علاقة بعلم البلاغة (٥)، كما تناول في المقالة الثالثة من كتاب الخطابة (٦) عن ضرورة اعتبار ومراعاة العلاقات بين الجمل والأسلوب المنفصل والأسلوب المتقطع، وحذف أدوات الوصل والتكرار. (٧)

ومفاد هذا كله أن أرسطو قد جعل هذه القضايا مرتكزاً في دراسته للأساليب والفروق بينها، وبخاصة أسلوب الخطابة الذي أولاه أهمية كبيرة لما يحتاج المؤلف فيه إلى حسن اختيار الألفاظ الملائمة في التأليف الجميل المؤثر. وقد كان لهذا الجانب عناية مميزة من قبل الهنود الذين بلغت عندهم فكرة التأليف مستوى راقياً في الدقة والاختيار، ودلينا على ذلك ما جاء في الصحيفة الهندية عند الجاحظ (٨) (-٥٢٥٥/٨٦٨م) من أصول تتصل بالخطيب وصفاته وبأسلوب، وما أورده البيروني (٩) (-٥٤٤٠/١٠٤٨م) في تاريخ الهند ووصفه للمجهودات البلاغية المتعلقة بتقنية الإعجاز في كتابهم الديني (١٠).

- (٥) فن الشعر لأرسطو (-٢٢٢ق م) تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ص ٥٥ وما بعدها، القاهرة ١٢٧٢/١٩٥٢م. وأنظر عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ص ٥١.
- (٦) الخطابة لأرسطو (-٢٢٢ق م) الترجمة العربية القديمة، ص ١٨٥ وما بعدها، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي. القاهرة ١٩٥٩م/١٢٧٩هـ. (وأنظر ترجمة إبراهيم سلامة ٢٤/القاهرة ١٢٧٢/١٩٥٢م).
- (٧) عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ص ٥١، ٥٢.
- (٨) البيان والتبيين. الجاحظ (عمرة بن بحر -٥٢٥٥/٨٦٨م) تحقيق عبد السلام محمد هارون ص ١، ٨٨، ٩١، ٩٢. القاهرة ١٢٦٧/١٩٢٨م.
- (٩) في تحقيق ما للهند. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (-٥٤٤٠/١٠٤٨م) ص ٢٠، ٢٤، ٨٠، ٨٢، ١٠٤، ١١٧. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن.
- الهند ١٢٧٧/١٩٥٨م. وأنظر الفلسفة الهندية. البيروني (-٥٤٤٠/١٠٤٨م) ص ٢٢، ٢٥، ٩٥، ٩٩. مراجعة وتقديم الدكتور عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف. منشورات الكتب المصرية. سيديا. بيروت (٤).
- (١٠) المدخل إلى دراسة البلاغة العربية. السيد أحمد خليل ص ٧٧، ٧٨ دار النهضة العربية. بيروت ١٣٨٨/١٩٦٨م.

وقد كان اللغويون والنحويون يدرسون الكلام ويحلّلونه تحليلًا ويقفون عند الصوت والحرف والكلمة والجملة (السياق)، وما يجري فيها من تقديم وتأخير أو فصل أو وصل أو حذف أو إثبات (ذكر). ولعلّ من هؤلاء الذين وقفوا عند هذه الأمور الخليل بن أحمد (-١٧٥٠هـ/٧٩١م) وسيبويه (-١٨٠هـ/٧٩١م) وأبو علي الجبائي (-٢٠٣هـ/١١٥م) وأبو هاشم الجبائي (-٢٢١هـ/٩٢٢م) والهاضي عبد الجبار (-٤١٥هـ/١٠٢٤م) والشريف المرتضى (-٤٢٦هـ/١٠٤٤م) وأبو الفتح عثمان جني (-٢٩٢هـ/١٠٠١م).

وبخاصة سيبويه (-١٨٠هـ/٧٩١م) الذي أخذ عنه غيره من العلماء. غير أن هؤلاء لم يعملوا عملهم هذا تحت مصطلح التأليف أو النظم كما عند عبد القاهر الجرجاني (١١) (-٤٧١هـ أو ١٠٧٨هـ/٤٧٤م) أو ١٠٨١م). وإنما كان ذلك كله عبارة عن قواعد فنية تجري في العرف المألوف لا يجوز مخالفتها، يجري عليها كلام العرب وإنشائها.

ولذا فلا ينبغي أن ننسب إلى من سبق ابن سنان (-٤٦٦هـ/١٠٧٢م) نظرية التأليف، وإن كان يتطالع معهم في شتات القضايا، لأن صاحبنا أسس تلك النظرية على فكرة ومفهوم خاص به؛ وإلاّ لكان سر الفصاحة إحدى النسخ أو القول المكررة عن تلك الكتب، هذا مع العلم أن الموضوعات التي تأسست عليها نظرية التأليف الخفاجية، كانت صوتية وحرفية ونحوية وكلامية وبلاغية وغيرها، أفاد منها ابن سنان وجسدها في عمله أحسن تجسيد.

ونجد أيضاً إرهادات لفكرة التأليف عند عبد الله بن المقفع (-١٤٢هـ/٧٥٩م) عندما أشار إلى صياغة الكلام (١٢). واقتبس العلماء هذه النواة من ابن المقفع، ووظفوها في

-
- (١١) أنظر معالم المنهج البلاغي. الدكتور محمد بركات أبو علي ص ١٢-٤٢. (باب عبد القاهر والنظرية) وأنظر أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ١٠٧٨هـ/٤٧٤م) وأزن مع سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية.
- (١٢) عبد الله بن المقفع من أئمة الكتاب (١٠٦-١٤٢هـ/٧٢٤-٧٥٩م) (قال عنه الخليل: ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله). أنظر ترجمته في أمراء البيان ص ١٩٩-١٥٨، لسان الميزان ٢/٢٦٦، أمالي المرتضى ١/٩٤، دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٨٢، خزنة الأدب ٢/٤٥٩، ٤٦٠، أعلام الزركلي ٤/١٤٠، وأما قوله فأنظر: الأدب الصغير. عبد الله بن المقفع (-١٤٢هـ/٧٥٩م) تحقيق أحمد زكي باشا ص ٢١٩، جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ١٩١١م/١٢٢٩هـ. وأنظر رسائل البلاء محمد علي كرد ص ٥-٦. لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢/القاهرة ١٩٤٦م/١٣٦٦هـ. وأنظر طبعة دار الكتب العربية الكبرى ١٩١٢م/١٣٢٢هـ.

أعمالهم دون الإشارة إلى صاحب الفضل، ومنهم الجاحظ (-/٥٢٥٥م) الذي يقول: (قائما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير(١٢))، وابن سلام الجمحي (١٤) (-/٥٢٢١م) وقد تحدث الجاحظ عن التأليف وسمى أحد كتبه (نظم القرآن) (١٥).

والجاحظ من خلال آرائه يوقن بأن القرآن الكريم معجز بتأليفه ونظمه وما يكتنفه من فصاحة وبلاغة مؤثرة، وعلى ذلك أقام الجاحظ نظرياته في الأدب. (١٦)
ونرى الفكرة نفسها تتطور وتنمو، ويغيد منها أبو سعيد السيرافي (-/٥٢٦٨م) وتتضح أكثر عندما يتكلم عن معاني النحو. (١٧)

وفوق هذا فلتقصية إعجاز القرآن الكريم أثر فعال في تشكيل نظرية التأليف عند الخفاجي فقد رأت جماعة من المتكلمين أن وجه الإعجاز هو ما انطوى عليه القرآن الكريم من النظم الغريب المخالف لنظم العرب وشرهم، في مطالعته ومقاطعته وفواصله. وذهبت جماعة منهم إلى أن

(١٢) أنظر الحيوان. الجاحظ (-/٥٢٥٥م) ص ١٢٢/٢ تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة ١٢٦٧/١٩٤٨م.

(١٤) طبقات فحول الشعراء. ابن سلام الجمحي (-/٥٢٢١م) ص ٥. تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني. القاهرة (٤). قال في صناعة النقد: (صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم بها كسائر أصناف العلم والصناعات...).

(١٥) الحيوان ١/٩. وقال: (كما عبت كتابي الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليف وبيدع تركيبه).

(١٦) وقال (وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه أسدق، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به) الحيوان ١٠/٤. وأنظر عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ص ٥٢ (ولو أن "نظم القرآن" بين أيدينا لاستطعنا أن نكشف عن رأيه الواضح في هذه المسألة، لأن النصوص التي نقلت عنه لا تعطي فكرة دقيقة) ويبدو أن الكتاب مقنود.

(١٧) الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس - ١٠٠٩/٤٠٠م) تصحيح وشرح وضبط أحمد أمين وأحمد الزين ١٠٧/١. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان (٤). وأنظر معجم البلدان. ياقوت الحموي (-/٥٢٢٦م) ص ١٠٥/٢ دار صادر بيروت (٤).

وجه الإعجاز في مجموع الأمرين: النظم أو التأليف، وكونه في أعلى درجات البلاغة. (١٨)

ولأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (- ٢٠٦/١١٨ م) كتاب في إعجاز القرآن، سماه "إعجاز في نظمه وتأليفه" والذي يذكره الدكتور أحمد مطلوب في كتابه (١٩).

ونجد أيضاً أبا سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (- ٢٢٨/١٤٩ م) يرى أن إعجاز القرآن في فصاحة ألفاظه وحسن التأليف المتضمن أسح المعاني، وله في ذلك، رأي. (٢٠)

وقد تحدث الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (- ٢٨٦/٩٩٦ م) هو الآخر عن هذا الأمر، وهو الذي يستند الخفاجي صراحة في مواطن عدة من كتابه. إذ يرى أن تأليف (نظم) القرآن الكريم أعلى مرتبة في حسن البيان ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد. (٢١)

(١٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٢-١٥ (المقدمة) وص ٩٩ وما بعدها، وازن مع ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى - ٢٨٨/٩٩٦ م) والخطابي (- ٢٢٨/١٤٩ م) وعبد القاهر الجرجاني ٤٧١ هـ أو ٤٧٤/١٠٧٨ م أو ١٠٨١ م تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ص ٨٧، ٨٨، ٨٩ وما بعدها. دار المعارف بمصر (٤). وأنظر عبد القاهر الجرجاني بلاغته وثقده ص ٥٤.

(١٩) عبد القاهر الجرجاني: بلاغته وثقده ص ٥٤، يقول الدكتور أحمد مطلوب: (ولا نعرف عنه شيئاً مع أن عبد القاهر شرحه مرتين، لأن الأصل وشرحيه لم تعمل وإن كان العنوان يظهر أنه عالج مسألة النظم وأقام عليها إعجاز القرآن).

(٢٠) أنظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٢٦ يقول: (عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعها الأخص الأشكل الذي يكون منه مقوماً للبلاغة). وأنظر عبد القاهر وبلاغته وثقده ص ٥٤.

(٢١) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ص ٩٨.

ويرى الباقلاوي أبو بكر محمد بن الطيب (- ٤٠٢/١٠١٢م) أن كتاب الله عز وجل معجز بتأليفه ونظمه، لأن ذلك خارج عن جميع وجوه التأليف والنظم المعتاد في كلام العرب (٢٢).

لقد نزل القرآن الكريم، فكان الحجة البلاغية القاطعة في الإعجاز، وقف إزاءه أفصح العرب مهوورين عاجزين، وما كان عليهم سوى الإقرار بذلك. ولكن الحجة أُعِيَتْهُمْ ووقفت ألسنتهم واحتجبت أسواتهم وهم ينصتون إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يبلغ الناس قوله تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (٢٢). وقوله تعالى: (أم يقولون اقتراء، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استلغتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله، وأن لا إله إلا هو فهل أتم مسلمون) (٢٤). وقوله تعالى: (قل لن اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (٢٥).

(٢٢) إعجاز القرآن. الباقلاوي أبو بكر بن الطيب (- ٤٠٢/١٠١٢م) تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف. القاهرة (٤). وأنظر عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ص ٥٥ يقول: (فأما شأن نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ولا إمام يقتدى به، ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الغد الغريب والشيء القليل العجيب). وقال: (ليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها وكونها على وزن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم - وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومأخرة ومتروكة في الوجود وليس نظم سواها). وأنظر كتاب التمهيد للباقلاني (- ٤٠٢/١٠١٢م) ص ١٥١ تحقيق يوسف مكارثي اليسوعي - بيروت ١٢٩٥هـ - ١٩٧٥م. وقال عن القرآن الكريم: (وهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم على نبوته من ثلاثة أوجه: أحدها ما فيه من عجب النظم (التأليف) وبديع الرصف، وأنه لا قدرة لأحد من الخلق على تأليف مثله ولا تأليف سورة منه أو آية بقدرة آية). أنظر: نكت الاختصار لنقل القرآن. الباقلاوي (- ٤٠٢/١٠١٢م) ص ٥٩. تحقيق محمد زغلول سدام. الاسكندرية ١٩٧١م - ١٢٩١هـ.

(٢٢) البقرة / ٢٢.

(٢٤) هود / ١٢، ١٤.

(٢٥) الإسراء / ٨٨ وأنظر عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده ٢٤٥/٢٤٦.

ونجد ذلك واضحاً عند القاضي عبد الجبار (-/٥٤١٥-١٠٢٤م) صاحب كتاب المغني (٢٦)، الذي يرى أن الفصاحة والبلاغة تقومان على ضم الكلمات وتقارنهما (التأليف)، وله في ذلك رأي.

وهذا ما كان عليه مدار فكرة التأليف قبل القرن الخامس الهجري، ولم يكن ذلك بين المعالم إلا حين جاء عبد الجبار (-/٥٤١٥) وربط الفصاحة بالتأليف وأقام عليها نظريته في إعجاز القرآن. ولما جاء فيما بعد ابن سنان (-/٥٤٦٦-١٠٧٢م) وجد هذا الركام من النظريات والآراء في بيئات المعتزلة والأشاعرة، وشاهد تصارع العلماء حول قضية الإعجاز؛ فتصدى إلى فصل النزاع وحل المشكل بتأليف كتابه "سر الفصاحة" في هذا الخصوص.

ولنظرية التأليف الخفاجية أسس تقوم عليها:

- (١) التأليف على مستوى الجزئ: الصوت والحرف (٢٧).
- (٢) التأليف على مستوى الجزء: الكلمة (٢٨) (تلاؤم وتناظر حروفها في التأليف).
- (٣) التأليف على مستوى السياق الشكلي: (٢٩) (الألفاظ المؤلفة).
- (٤) التأليف على مستوى السياق المعنوي (٣٠) (المعاني المفردة).

(٢٦) أنظر المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار الأسد أبادي (-/٥٤١٥-١٠٢٤م) الجزء السادس عشر في إعجاز القرآن. يرى أن الفصاحة والبلاغة تقومان على ضم الكلمات وتقارنهما (التأليف) قال: (أعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضع التي تتناول الضم...) أنظر المغني ١٦/١٩٩ وما بعدها (باب الإعجاز).

(٢٧) سر الفصاحة ص: ١٥ - ٢٩.

(٢٨) المصدر السابق ص: ٥٨ - ٨٩.

(٢٩) المصدر نفسه ص: ٩٢ - ٢٢٢.

(٣٠) المصدر نفسه ص: ٢٢٤ - ٢٧٥.

والملاحظ أن الخفاجي يعتمد في أسلوب امتدادي تصاعدي الجزء لاثبات قيمة الكل في التأليف. ويعتمد في ذلك علوماً شتى (٢١) وبخاصة علم البيان (٢٢) وعلم البديع (٢٣) وعلم المعنى (٢٤). ومجموع الأطراف التي استخدمها الخفاجي في كتابه تؤسس نظريته في التأليف؛ في سياق نقدي مزدوج يستند إلى الأدب والنقد والبلغة.

وعلى غرار هذا كله حري بنا تقديم الجوانب التي تنبني عليها نظرية التأليف الخفاجية.

(٢١) سر الفصاحة ١٥ - ٢٣ ، ١١٦ - ٢٢ ، ٢٩ - ٤٨ ، ٤٥ - ٥٨ ، ٥٨ - ٩٢ ، ٨٩ - ١١٠ .

(٢٢) المصدر السابق ١١٠ - ٢٢٢ .

(٢٣) المصدر نفسه ١١٠ - ٢٢٢ .

(٢٤) المصدر نفسه ٢٢٤ - ٢٧٧ .

قضايا النقد في سر الفصاحة

قبل عرض ودراسة ومناقشة هذه القضايا، حري بنا تحديد مفهوم هذا النقد الذي يحتكم إليه الأدب وغيره من الأعمال التي تقوم على ضروب التأليف والنظم حتى نكون على بينة من أمرنا في هذا المنطلق. فالنقد هو دراسة الأعمال الفنية وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بطورها المشابهة لها أو المقابلة (١)، وتحديد قيمها الجمالية الفنية والغائية من خلال تذوق تشترك في تشكيله موضوعية العقل وانفعالية الوجدان، أي أن النقد عملية مركبة تنطوي على عناصر التحليل والتقييم والكشف عن جوانب الكمال والنقص في العمل الفني وتحديد مستوياتهما (٢) فيه ثم الحكم عليهما ببيان قيمتهما ودرجاتهما (٣). ومن هذا كله ندرك أن للنقد وظيفتين تنحصران في التفسير والحكم، بمعنى أن الناقد الأدبي يصدر الأحكام في قضايا الأدب ومشكلاته. (٤)

وقبل أن يعرف النقد بهذه المواصفات كعلم قائم بذاته، كان رغم وجوده وفعاليته فرعاً لا يتجزأ عن تاريخ الأدب في أولياته، وكان النقاد القدامى من الشعراء واللغويين والمثقفين من الحكم وعامة الناس. فكل واحد منهم كان يدلي بدلوه بين الدلاء على جهة الموضوعية والخبرة أحياناً، وعلى جهة المزاجية والجزئية أو الشطرية أو اعتبار السبق الزمني أو القائل قبل القول. وكل هذا كان نغثات أو قمل إرهابات وبواكير بدائية تغذي روافدها في تشكيل صورة نقدية معينة ذات معالم ومي�م يميزها زمانها ومكانها وثقافتها. ومن المعلوم أن تاريخ الأدب لن تقوم له قائمة ما لم يستند إلى أسس ماضية سابقة تشمل في تراث الأمة. (٥)

(١) دراسات في النقد الأدبي. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٨. دار الطباعة المحمدية بالأزهر. القاهرة (٤).

(٢) عن اللغة والأدب والنقد. الدكتور أحمد العزب ص ٢٥٧. دار المعارف ط١/١٩٨٠م/١٤٠١هـ.

(٣) دراسات في النقد الأدبي. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٨.

(٤) المرجع السابق ص ٨.

(٥) المرجع نفسه ص ١٢.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نفرق بين النقد الأدبي كفن وكلم. فالتقد كفن وجد بوجود الأدب منذ الجاهلية، والدليل على ذلك أن النابعة الذبياني (-١٨ق هـ) كادت تنسب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. (٦) والنقد كعلم مبتذل يعمل على تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية والتعبيرية، وتوضيح منزلته وآثاره في الأدب. (٧) وهو على رأي ابن سلام (-٢٢١هـ/٨٤٥م) صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم بها كسائر أسناف العلم والصناعات. (٨)

وإذا رجعنا إلى "سر الفصاحة" نجد يضم جانباً أدبياً يعتمد التأليف في النظم والشعر، وجانباً نقدياً يعتمد قواعد ومعايير في النقد الأدبي والبديعي. ولتقصر على ضوء معطيات مفهوم النقد السابقة حدّ البلادة وبعدها وغايتها ومدى اتصالها بالنقد الأدبي الذي تتقاطع معه أحياناً وتتعاقد معه أحياناً أخرى، وتلتحم معه أحياناً أخرى في تقوية الحجّة وإمداد الحكم الصحيح. وكما يتضح في "سر الفصاحة" فالبلادة في أغلب المواضع تنازع النقد الأدبي وتقسيه وتصيب الموقف بصفة نقدية بادية؛ فلا يضير غياب الطرف الآخر، بل يقوم في مكانه مقام النائب أو البديل حسب مقتضى كل حالة ومليمة كل مسألة. وهنا يكمن التقاء الطرفين، وزد على ذلك أن لفظة بلادة لما تقرأها في مصادر الرعي الأول لما قبل القرن الرابع الهجري نجد أنها تؤدي المفهوم العام للقول الجميل الذي يبلغ به الأديب درجة من الجودة والإبداع. (٩) وصارت لها فيما بعد فنون تقوم عليها، تمثل قواعد أو مقاييس ملزمة وعامة، لا يجوز مخالفتها، كذلك التي سخرها ابن سنان (-٤٦٦هـ/١٠٧٢م) في صمارته النقدية. (١٠) وهما يكن من أمر فإن الطرفين وإن اختلفا في أصلهما فهما يلتقيان في وظيفتهما النقدية. فكلاهما يعمل على التحليل والشرح وتمييز الجيد من الرديء، كما فعل الخفاجي (١١)، ثم الحكم بعد ذلك. وإذا كانت

-
- (٦) الشعر والشعراء: ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم - ٢١٢ - ٢٢٨هـ/٨٨٩م) دار إحياء العلوم. بيروت ط ١/١٩٨٤م/١٤٠٤هـ.
 - (٧) دراسات في النقد الأدبي محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٢.
 - (٨) طبقات فحول الشعراء ص ٥.
 - (٩) تاريخ النقد الأدبي والبلادة حتى القرن الرابع الهجري. الدكتور محمد زغلول سلام ص ١٩، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية. جلال حري وشركاء (٤).
 - (١٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية (مجمل الكتاب).
 - (١١) دراسات في النقد الأدبي. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٧-٨.

البلاغة تسمى إلى التأثير الجمالي وتهدف إلى كشف مواطن الحسن والرداءة في العمل الأدبي، فإن النقد كذلك يرمي إلى تحديد القيمة الجمالية الفنية والغائية من خلال تذوق تشترك في تشكيله موضوعية العقل وانفعالية الوجدان. (١٢)

وقد نظرت في الأمر جيداً، وقابلت بين الجانبين من حيث الأصل والبعد والغاية، فראيت أن البلاغة وإن كانت عالمياً يستقل في ذاته، فإن مهمتها تجرّها إلى الاتصال والتبعية إلى غيرها من الفنون، كما هو الآن شأنها مع النقد الأدبي. وبهذا التقدير تصغر البلاغة أمام جبروت النقد إذ تنضاف قواعدها ومعاييرها إلى صالح النقد الأدبي ليشد من أثره في مواجهة الآثار النظرية والشرية في سياق التأليف.

وكتاب "سر الفصاحة" الذي بين أيدينا كتاب جليل، عظيم الخطر، كبير الأثر في بحوث النقد والبلاغة، مشهور بين العلماء، مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق. (١٢) وهو فوق هذا بحث مفصل في أصل النقد العربي، وفي أسرار الفصاحة والبلاغة وأوصافها في اللفظ وفي النظم وفي المعنى. (١٤) وهو في ذلك كله وبما يحتويه من نظريات حافلة في الأدب والنقد بشطريه: الأدبي والبلاغي، ذو فاعلية خطيرة على الثقافة الأدبية والبيانية. (١٥) وهو في نظر علماء البيان والنقد صورة من صور التفكير البياني في القرن الخامس الهجري. (١٦)

(١٢) عن اللغة والأدب والنقد. الدكتور محمد أحمد العزب س ٢٥٧، دار المطارف. القاهرة ١٩٨٠م/١٤٠١هـ.

(١٣) دراسات في النقد الأدبي. محمد عبد المنعم خفاجي س ٢٤٨.

(١٤) المرجع السابق. محمد عبد المنعم خفاجي س ٢٤٨.

(١٥) المرجع نفسه س ٢٥٩، وأنظر في الأدب والبيان. الدكتور محمد بركات أبو علي س ٧. دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان (٤) وأنظر الحياة الأدبية في العصر العباسي محمد عبد المنعم خفاجي س ٢٨٢، دار العهد الجديد للطباعة. القاهرة ١٩٥٤م/١٣٧٤هـ. وأنظر البيان العربي. الدكتور بدوي طبانة س ١٥٢-٢٤٥. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٧٦م/١٣٩٧هـ. وأنظر البلاغة تطور وتاريخ الدكتور شوقي ضيف س ١٥٢-١٥٩ دار المعارف ١٩٦٥م/١٣٨٥هـ. وأنظر تاريخ علوم البلاغة العربية. الدكتور عبد العزيز عتيق س ٢٢٦ - ٢٤٤ دار النهضة العربية/بيروت - لبنان ١٩٧٠م/١٣٩٠هـ. وأنظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها. أحمد المراغي س ٩٨. طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر ١٩٥٠م/١٣٧٠هـ.

(١٦) في الأدب والبيان س ٧.

وإذا عدنا إلى مقدمة الكتاب (١٧) نجد يذكر دوافع تأليفه، وهي أمر يمثل وضعية نقص على الساحة الأدبية والتدنية () في القرن الرابع الهجري على وجه التحديد، كما يصرح بذلك الخفاجي نفسه. وتمثل هذه الوضعية في الاختلاف حول مفهوم الفصاحة وحقيقتها والعلم بسرّها (١٨). وإذا كانت الفصاحة قاصرة على حسن وصف الأنفا مباشرة (١٩)، فإننا نستشف من وراء ذلك البعد ضمنية تتعدى سهامها لترتطم بالبلاغة (٢٠) التي تشمل حسن وصف الأنفا مع المعاني حتى قيل في خصوص هذا التقاطع: إن الفصاحة أحد شطري البلاغة (٢١)، وهذا تحديد ونعت أوفى وأليق.

ونرى الخفاجي في هذه الصدارة يحدد غاية وبعد دراسته فيقول: (اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرّها، فمن الواجب أن نبين ثمره ذلك وفائدته، تتم الرغبة فيه، فنقول: أما العلوم الأدبية فالأمر في تأثير هذا العلم فيها واضح، لأن الزبدة منها والنكتة نظم الكلام على اختلاف تأليفه، ونقد ما يختار منه وما يكره، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة، بل هو مقصور على المعرفة بها، فلا غنى للمتبحر الأدب عما نوضحه ونشرحه في هذا الباب... وأما العلوم الشرعية فالمعجز الدال على نبوة نبيّنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو القرآن، والخلاف الظاهر فيما به كان معجزاً على قولين: أحدهما أنه خرق العادة بفصاحته وجرى ذلك مجرى المصاحفة، وليس للذهاب إلى هذا المذهب مندوحة في بيان ما الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقفاً خرج عن مقدور البشر، والقول الثاني أن وجه الإعجاز في القرآن سرف العرب عن المطارحة مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف، وأمر القائل بهذا يجري مجرى الأول في الحاجة إلى تحقق الفصاحة ما هي؟ يتقطع على أنها كانت في مقدورهم، ومن جنس فصاحتهم. (٢٢)) ويستدل لذلك على ادعاء مسيلمة

(١٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٢.

(١٨) المصدر السابق ص ١٢.

(١٩) المصدر نفسه ص ٥٨ وما بعدها.

(٢٠، ٢١) المصدر نفسه ص ٥٩ وما بعدها (التقاء الفصاحة بالبلاغة في سمة الظهور والبيان) وأنظر تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ/١٠٧٨م أو ١٠٨١م) تأليف عبد العزيز عبد المعطي عرفه ص ٩٤. دار الطباعة المحمدية. القاهرة ١٩٨٢م/١٤٠٤هـ.

(٢٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٢ - ١٤.

الكذاب (٢٣) (-٥١٢/٦٢٢م) وغيره الذي لم يفلح شيئاً، والسبب في ذلك أن الكدام الذي جاء به من عنده خال من الفصاحة التي وقع فيها التحدي. (٢٤)

ومن هذه المعطيات نستشف منطلق الخفاجي الثنائي الكامن في:

- ١- الأول يتصل بتأليف نظم القرآن الكريم.
- ٢- والثاني يتصل بتأليف (نظم) فن القول العربي. ويشكل لنا هذا الوضع سورة تقابلية ترجح فيها كفة فصاحة القرآن الكريم على فصاحة كلام العرب، لخرقه العادة وسرفه بمعجزته الخفية وراء السطور، المتمثلة في دقائق ولطائف سحرية جمالية مؤثرة معبرة دالة يصطر إزاءها جيد ما جادت به القريحة العربية في هذا الخصوص.

ولا ننسى أن الخفاجي قد جاء في القرن الخامس الهجري، ورأى ما نزلت إليه الفصاحة في عصره، فأراد أن يتصدى إلى إصلاح ذلك ما أمكنه، فحاول تحديد الفصاحة تحديداً دقيقاً يعتمد الدراسة السابقة والتجربة الخاصة في النقد والبلادة والنحو واللغة في كتابه (٢٥). وبهذا الاعتبار يكون بحثه لا محالة جمعاً وتلخيصاً وانتقاء لشتات أفكار سابقه؛ مستدركاً للنقص الذي أغفلوه.

(٢٣) مسيلة الكذاب هو مسيلة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة. أنظر الكامل لابن الأثير ١٢٧/٢-١٤٠. شذرات الذهب. أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (-٥١٠٨٩/١٦٧٨م) ص ٢٢/١ دار المسيرة. بيروت ط ١٢٩٩/٥١٢٩٩م.

(٢٤) سر الفصاحة. ط. دار الكتب ص ١٤. وأنظر في الأدب والبيان الدكتور محمد بركات ص ١٦.

(٢٥) سر الفصاحة. ط. دار الكتب العلمية ص ١٢ وما بعدها. (مقدمة الكتاب). وأنظر تاريخ النقد العربي في القرن الخامس الهجري إلى العاشر الهجري. الدكتور محمد زغلول سلام ص ٢٥٤. دار المعارف بمصر (٤).

إن الباحث المتطلع إلى مكتبته "سر الفصاحة" يجد من القضايا والمواقف النقدية والبلاغية والأدبية ما يشفي ظمأه، وتشكل في مجموعها ممارسة قائمة بذاتها، تنبئ عن كفاءة صاحبها وضلوعه في هذه الفنون بخاسة وعلوم العربية بعامة. وما يتميز به ابن سنان (-١٠٧٢هـ/١٠٧٢م) أنه قد نهج طريقاً واضح الإجراء، حزون المنبر، شأنك اثنايا، مفيداً للمتلقي، إلى جانب استقراء محكم سلس في عرض القضايا وإعلان المعطيات، وسرد الفرضيات، واستنتاج القواعد، وتطبيق الأحكام وإسداء النصيحة. فإني إن أنعمت النظر ملياً في تضاعيف هذا الكتاب تلقى مستويات تبدأ صغيرة دامت ثم تكبر فتكبر حتى تبلغ النضج، إلى أن يحتدم سراع الجدل والخلاف في محط الارتكازات، ثم تأخذ في السهولة شيئاً فشيئاً لتقدم نامة، مستاغمة إلى ذهن القارئ، وترى أيضاً حدة في الربط المحكم، وخرباً من التشويق أحياناً والفاتر أحياناً أخرى. وذلك رغبة من المؤلف في إثارة انتباه القارئ وتوكيد الحقيقة، وتديلاً على تفاعل الأجزاء سابقها مع لاحقها. ثم إن مسار هذه الفصول المختلفة من أسولها المتعددة يتجه صوب مستقر واحد لها، هو ذلك العنوان "سر الفصاحة" الذي انطوى فيه عالم الكتاب الأكبر. فالأجزاء بهذا التقدير متقاربة متداخلة، متشاكسة متقاطعة، يخدم بعضها بعضاً، ويدفع نحو الإيجاب. وبهذا يكون مضمون الكتاب مستويات متكاملة تجترح في آخر مدافعها مقصد الخفاجي. وهكذا يتلَبَّأُ أمامنا السيل، ويسوغ لنا تناول الجاذب النقدي (بلاغة ونقداً) بعون الله. ونحاول أن ندرس هذه الحقائق في ضوء أفكار الخفاجي وفلسفته، وفقاً لما يمليه هذا الدرب من صباحت نقدية وأدبية وبلاغية مردها إلى "سر الفصاحة"، وما هو حري بالإشارة في هذا المقام، هو أن المساحة النقدية المستخرجة تكاد تغطي سعة الكتاب. ومن هذا المبدأ نحصر الآراء والقواعد والمعايير الخفاجية ونحاول دراستها ما أمكن دراسة وافية.

المستوى النقدي الأول

يتضمن هذا الفصل الحديث عن تأليف الصوت والحرف والكلمة في ضوء الفصاحة والنقد، وعن انتقادات حول تسمية حروف المعجم، وعن عدة حروف العربية في رأي ابن سنان، وعن الألف الساكنة أبداً. وعن مخارج وصفات الحروف. وستكلم عن كل جانب في موضعه المناسب.

أولاً: تأليف الصوت والحرف والكلمة في الفصاحة والنقد:
استهل الخفاجي دراسته بالبحث في جزئيات صجمل التأليف من النظم والشر. فنراه قبل أن يتطرق إلى الصورة الكلية يتذبذب مدخلاً صغيراً ضيقاً يتسع في كل مستوى اتساعاً تصاعدياً، فيتحدث عن جزئيات هذه الصورة الكلية وعناصرها. فالتأليف بهذا المفهوم تركيب وتعبير دال. فالجملة تمثل سياقاً يتظم في لسته عدد من الألفاظ المفردة ينضم بعضها إلى بعض، وهذه هي المرحلة الثانية التي تنحصر في حدود الكلمة التي تتكون من أجزاء أو وحدات تعرف بالمقاطع (Segments)، وكل جزء منها يتألف من أصوات (١).

ولسائل أن يسأل ما مكان هذه الأصوات والحروف كوحدات جزئية في العملية النقدية بعامة وفي الممارسة النقدية الخفاجية بخاصة؟ والجواب على ذلك يعود لأهمية هذه العناصر مجتمعة وخطورتها في التأليف من جهة، ومن ناحية أخرى فهي تمثل ذلك العراك النقدي الذي تجاذب أطرافه أبو علي (٢) (-٥٢٠٢/١١٥م) وأبو هاشم (٣) (-٥٢٢١/٩٢٢م) الجبائيان

(١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٥-٢٢، البيان العربي. الدكتور بدوي طبانة ص ١٨٩، مفتاح اللسانيات جورج موان.

P. 98 Clefs pour la linguistique. Georges Mounin. Collection "Clefs" Sehers lere edt. St-Etienne - France 1969 (La Segmentation en Phonemes)

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن سدام أبو علي الجبائي (٢٢٥-٥٢٠٢/٨٤٩-٩١٥م) من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. أنظر هامش سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢١. وأنظر آراءه في المغني للقاضي عبد الجبار ٢١/٧، ٢٩، ٤٦، ٤٧.

(٣) عبد السدام بن محمد الجبائي من كبار المعتزلة، صاحب البهشية. أنظر فهرست ٢٦١، إنباء الرواة للقطبي. تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل ٩٦/٢، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٩، ٢١، ٢٢، ٤٦، ٤٧، ١٤٨، ١٤٩، وفيات الأعيان. تحقيق الدكتور إحسان عباس ٢٦٢/٢.

والقاضي عبد الجبار (٤) (-١٠٢٤/هـ ١٠٤٤م) والمرضى (٥) (-١٠٤٤/هـ ١٠٦٢م) وابن سنان (-١٠٧٢/هـ ١٠٦٦م) وكلهم من المعتزلة؛ وذلك الذي كشف عن خلفية علمية واسعة يحجبها سطر تلك الأجزاء، بأسلوب فلسفي كلامي، دقيق يعتمد الخبرة والفتنة ودقة الملاحظة وفنية الجدال وغزارة الحجّة. والدليل على ذلك القضايا المهمة التي تنم عن تفكير عميق والتي سنأتي إلى عرضها.

إن ابن سنان (-١٠٧٢/هـ ١٠٦٦م) في بحثه هذا قد اتّبع نهجاً شمولياً في فحص وفهم تفاصيل الجهاز اللغوي بمقتضى نظرية التأليف. ولذا كان من الواجب عليه اعتماد أطراف مختلفة في أصولها مؤتلفة في مستقرها في هذه الدراسة، منها الأصوات والحروف والكلمات كمرحدات أساسية تجدها على مستوى الكلمة وسياق الجملة وسياق النص. أما الأمور التي دار الانتقاد حولها فقد تم استنباطها من معرض الحديث الذي أثاره ابن سنان (-١٠٧٢/هـ ١٠٦٦م) في كتابه، وما له علاقة حميمة به في كتاب المذني للقاضي عبد الجبار (-١٠٢٤/هـ ١٠٤٤م) والذي يعتمد ابن سنان في دراسته، وهي:

١- الصوت عام لا يختص: (٦)

الصوت عملية عامة يشترك فيها الإنسان والحيوان والجماد، ألا أن المضار التي تحدث تميزه عن غيره. فـ صوت الإنسان يتولد في جهاز تتنظم فيه الأصوات التي تخرج مستعيلة ساذجة يعرض لها في الحلق والتم والشفتين مقاطع تنبئها عن امتدادها، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً. (٧) والحرف الذي يعد المرحلة الناجزة التي ينتهي إليها الصوت يحدد إدراكه

(٤) أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأمد آبادي شيخ المعتزلة في عصره. انظر طبقات المعتزلة لابن المرتضى. تحقيق سوسنة ص ١١٢.

(٥) الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى. انظر وفيات الأعيان ٢/٢١٢.

(٦) سر الفساحة ط. دار الكتب ص ١٥ - ٢٢.

(٧) المصدر السابق ص ٢٢.

ومعقوليته وعرضيته. (والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله (٨)). أما أصوات الحيوان فتتسم هي الأخرى بالإدراك والالتميز، إلا أنها تحدث عن مصدر غير واع ولا عاقل والحرف دليل الفكر. فالإنسان يتساوى في حيوانيته مع الحيوان في المستوى الأول وينفصل عنه عند حد الحرف، ولأجل ذلك سمي البشري حيواناً تاملاً لأن الحرف وحدة كلامية يفكر بها هذا الإنسان، وذاك ينعدم عند الحيوانات. أما صوت الجمادات فهو يحدث نتيجة تصاك الأجرام والأجسام فيما بينها، فينشأ في الفراغ لا في الآلة المبنية (الجهاز الصوتي).

٢- الصوت مذكر يرد مؤثراً على جهة التأويل: (٩)
إن الأصل فيه أن يكون مذكراً (لأنه مصدر كالضرب والقتل) (١٠) إلا أنه قد يجيء في بعض المواضع مؤثراً من طريق التأويل مثل ما جاء عند الشاعر رويشد بن كثير الطائي (١١).
يا أيها الذي تهبط به المطر
بلغني أسد ما هذه الصوت ؟

(٨) رسالة أسباب حدوث الحروف ابن سينا (-٥٤٢٨/١٠٢٦م) ص ١٠٢، ١٠٤، ١٦٠، ١٦١.
١٧١، ٨٥. وأنظر سورة لقمان/ ١٩ (واقصد في مشيك واغصص من موتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير). وأنظر المغني للقاضي عبد الجبار (-٥٤١٥/١٠٢٤م) تقويم إبراهيم الأبياري.
إشراف الدكتور طه حسين ط ١/ ١٢٨٠هـ/ ١٩٦١م. مكتبة دار الكتب ج ٧/ ٧، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢١، ٢٢، ٢٨، ٤٠، ٤١، ٤٢.

(٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٦.
(١٠) مصدر السابق ط. دار الكتب ص ١٦. وأنظر سر صناعة الإعراب لابن جني لأبي الفتح عثمان -٥٢٩٢/١٠٠١م ج ١/ ١٢. تحقيق مصطفى السقا وآخرين. مصلفي البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٤م/ ١٢٧٤هـ. وأنظر المذكر والمؤنث لابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) تحقيق طاروق نجم عبد الله. دار البيان العربي. جدة ١٩٨٥م/ ١٤٠٦هـ. وأنظر المذكر والمؤنث للمبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) ص ٨٦. تحقيق رمضان عبد التواب وصالح الدين الهادي. وزارة الثقافة. مركز تحقيق التراث. القاهرة ١٩٧٠م/ ١٢٩٠هـ.

(١١) أنظر لسان العرب. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم -٥٧١١/١٢١١م) (صوت) دار سادر بيروت (٤). وأنظر كتاب سيويه (-٥١٨٠/٧٩٦م) ص ٢٢، ٢٥. بولاق سنة ١٢١٦/ ١٨٩٨م. وأنظر الخصائص لابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) ج ٢/ ٤١٦ تحقيق محمد علي النجار. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٥٢م/ ١٢٧٢هـ/ ١٢٧٦هـ.

والعلة في ذلك إفادته الإغاثة عند الخفاجي ومثل ذلك ما حكاه الأصمعي (-٥٢١٧/٨٢٢م) عن أبي عمرو بن العلاء (-٥٢٤٦/٨٦٠م) أنه سمع بعض العرب يقول: فلان جاءته كتابي، فاحتقرها، فقال له: أتقول جاءته كتابي؟ قال: نعم: أليست بصحيفة؟ (١٢)

ومن الملاحظ إذاً وازناً بين معاني الخفاجي في هذا الخصوص وما هو موجود في "مرصعة الأعراب" لابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) (١٢) نجد مقتني آثاره بالزيادة أحياناً وبالنقص أحياناً وبالاقتصار على النقل أحياناً أخرى. وقد أغفل ابن سنان من اقتباسه أن هذه الظاهرة من قبيل الضرورة أعني تأنيث المذكر، ذلك أنه (خرج من أصل إلى فرع، وإنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التذكير، لأن التذكير هو الأصل، بدلالة أن الشيء مذكر، وهو يقع على المذكر والمؤنث. (١٤))

٢- الأصوات أعراض متماثلة ومختلفة لامتناع: (١٥)

إن مدار الحديث في هذا الموضوع حول ما ذهب إليه أبو هاشم عبد السام بن محمد الجبائي (-٥٢٢١/٩٢٢م) إلى أن المختلف من الأصوات متضاد، وهو الأمر الذي توقف المرتضى (-٥٤٢٦/١٠٤٤م) عن القطع عن ذلك. فأما أبو هاشم فقد اعتمد في تضادهما طريقتين؛ أولهما: أن حمل الصوت على اللون حيث كان إدراك كل واحد منهما مقصوراً على حاسة واحدة، فلما قطع على تضاد المختلف من الألوان قال بمثل ذلك في الأصوات. وثانيهما أن

١٢) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٦، مرصعة الأعراب ج ١/١٢ وأنظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي لابن الأثير (-٥٥٧٧/١١٨١م) ص ٢٠ (حيث رواية الأصمعي). وأنظر الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري للأعدي (-٥٢٧٠/٩٨٠م) تحقيق السيد أحمد مقرر ١/٤٥، دار المعارف بمصر ١٢٨٠/١٩٦١م. وأنظر المعاني الكبير لابن قتيبة (-٥٢٧٦/٨٨٩م) ج ١/٨٧. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد ١٩٤٩م/١٢٦٩هـ (٢ ج).

١٢، ١٤) الكامل للمبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/١٠٧ مكتبة مصر ومطبعها. القاهرة (٤).

١٥) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩، وأنظر المعني للقاضي عبد الجبار ٧/٢١، ٢٨ (ينقل عن المعني).

الصوت مدرك، فهو هيئة المحل إذا أوجب مختلفة هيتين استحال اجتماعهما للمحل في حالة واحدة، كما يستحيل ذلك في الألوان، وليس بعد امتناع اجتماعهما في المحل الواحد في الوقت الواحد إلا بالتضاد. (١٦)

فالقاضي عبد الجبار والمرضى والخفاجي مجمعون على عدم التضاد، ويتحدون بموجب ذلك أبا هاشم بدليل أنه لا يجوز حمل الصوت على اللون، لأن الأول حاسته السمع والثاني حاسته البصر، وإن كان يجمع بينهما مركز الإدراك. وأما حجة أبي هاشم في التضاد هي (إن الشيء إذا احتاج إلى معنى في محله، فضاء يحتاج إليه. (١٧)) ويشبه هذا الوضع بحال الإرادة والكراهية والاعتقاد وأصداده. (ولو احتاج الكلام في جنسه إلى بنية لاحتاج كل جزء منه إلى البنية التي يحتاج الحرف الآخر إليها. (١٨)) وهذا أمر مردود عليه.

فالخفاجي يتهم الموضوعية العلمية في نقد أبي هاشم لمخالفته القاعدة المجمع عليها في الاختلاف وعدم التضاد. فهو القائل: (إن الأصوات غير متضادة، لأنها غير باقية، والمنافاة إنما تصح في التضاد الباقي، أنه أراد عدم أحد المتضادين إذا كان واجباً، لأنه مما لا يبقى، فليس لوجود ضده حكم يخالف عدمه. (١٩)) وابن سنان هنا يجاري أستاذ عبد الجبار (-١٠٢٤/٥٤١٥م) في انتقاد أبي هاشم (-١٢٢٢/٥٢٢١م)، ويجعل معطيات أبي هاشم أمامه: (الأصوات متضادة (٢٠) - حمل الصوت على اللون (٢١)). ويمضي إلى تشخيص الموقف بالشرح والتحليل والتشيل. فيقرن تمثيل الأصوات المسوغة بالألوان المرئية فإذا هما متباينان. ويرى أن هذه المقابلة لا تنفي بالفرق المطلوب، إذ أن الأولى تنسم بالاختلاف الصوتي

-
- (١٦) سر الفصاحة مطبعة دار الكتب العلمية ص ١٩، ٢٠ وأزن مع المفني ٢١/٧، ٢٨.
 (١٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩، ٢٠ وأزن مع المفني للقاضي ٢١/٧، ٢٨.
 (١٩) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ١٩، ٢٠ وأزن مع المفني للقاضي ٢١/٧، ٢٨.
 (٢٠) وأنظر رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا (-١٠٢٦/٥٤٢٨م) يقول: (قد تختلف باختلاف الأجرام) ص ٦٢.
 (٢١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩، ٢٠.
 (٢٢) المصدر السابق ص ١٩، ٢٠.

(المقاطع) ، وأن كل مقطع يباين غيره في التصويت في الوصول إلى الحروف ومن ثمة إلى الكلام الذي يمثل في مجمل تأليفه بناء من مختلف المقاطع المتباينة. وهذا الاختلاف لا يعني عند الخفاجي وأنصاره تضاداً بل هو اختلاف في الصفات والمخارج لئلا تلتبس الحروف عند السامع، بينما الألوان تتميز بالمكانية والبصرية إذ يظهر فيها التضاد موضعياً كالأبيض والأسود الذي يثبت على الحيز، الشيء الذي ينعقد في الأصوات التي تتسم بالفراغ. فالمقابلة أو حمل طرف على آخر غير صحيح.

ويواصل ابن سنان عمله مقترناً ومجيباً: (ولتأمل أن يقول ما ذكره أولاً، وما أنكرت أن تكون الأصوات والألوان وإن اتفقت في الإدراك كل واحد منها بحاسة واحدة تختلف، فيكون المختلف من الألوان متضاداً دون الأصوات، ولا يوجب الاتفاق في قصر الإدراك على حاسة واحدة تساوي جميع الأحكام، كما أنها وإن اتفقت عندك في ذلك لم تتفق في أن الأصوات تبقى، لا في أن الأصوات يضادها ما يحدث بعدها، كما كان ذلك في الألوان، وإذا جاز مع التساوي فيما ذكرته من قصر الإدراك على حاسة واحدة الاختلاف في أحكام كثيرة، فأحر أن يكون المختلف من الأصوات غير متضاد، وإن كان المختلف من الألوان متضاداً لامتناع اجتماعهما فيه في ذلك الوقت الواحد، بل معال الحروف المتغيرة، وإن كان المحاذن مختلفين فإد سبيل إلى القطع على التضاد باستحالة اجتماعهما في المحل، لأن كل واحد من الصوتين المختلفين لا يصح أن يحل محل الآخر (٢٢)). ويعني هذا تولدها ومخارجها وسماتها في مدارج مختلفة من الجهاز الصوتي.

٤- الأصوات أعراض لا أجسام: تدرك وتعتل: (٢٢)
تؤكد هذه القاعدة حقيقة ما ورد في الاختلاف وعدم التضاد في الأصوات. فالاختلاف نعت للأصوات والتضاد ميزة للألوان. والقاعدة هنا هي أن (الأصوات أعراض منها المتماثل والمختلف (٢٤)). فهي ذات صفة زمانية فراغية على عكس الألوان الزمانية المكانية. وفي هذا الخصوص نجد أنفسنا إزاء أمرين، أحدهما أن الأصوات أعراض معقولة تدرك وثانيهما أن الأصوات أعراض لا أجسام.

(٢٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٩، ٢٠. المعني ٢٨/٧ (ينقل عنه الخفاجي).
(٢٣، ٢٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٩، ٢٠. المعني ٢٨/٧ وأنظر مدخل إلى علم اللغة. الدكتور محمود فهمي حجازي ص ٢٥-٤٨. دار الثقافة القاهرة ١٩٧٨م/١٢٩٩هـ.

ويمكن استخلاص هذا القول في تبيان الاختلاف والاختلاف في الأمور التالية:

- ١- الصوت معقول يدرك بحاسة السمع متماثلاً ومختلفاً مع ما يحدث بعده أو قبله (٢٥).
- ٢- الإدراك يتعلق بأخص صفات الذات (الإنسان الحيوان الناطق) (٢٦).
- ٣- الصوت عرض لا جسم، ولا صفة لجسم. (٢٧)
- ٤- الأجسام متماثلة ومختلفة متضادة، والأصوات أعراض مختلفة لامتضادة. (٢٨)

ويقول ابن سنان في الرد على أبي هاشم الجبائي (-٥٢٢١/٩٢٢م) أيضاً في تضاده عن تماثل الأجسام التي تقابلها الألوان. (والذي يدل على تماثل الأجسام أنا ندرك الجسمين المتقي اللون، فيلبس أحدهما علينا بالآخر، بأن نقله إلى موضعه، ولم يلبسنا على الإدراك إلا لاشتراكهما في صفة تناولها الإدراك (٢٩)).

وتفسر هذه الحال البيزة الزمانية (أي أن الأصوات تصدر ويتم الاتصال والإدراك في حيز الفراغ، ومع ذلك تظل الوحدات الصوتية هي وإن تجددت على كل مستوى وعند كل شخص. بينما الألوان تتسم بالمكانية أكثر من الزمانية بدليل أنها ترمز على حيز مكاني في زمان معين ثانوي، قد يطرأ عليها تغير أو تبديل يجري تحت رقابة الإدراك (ومثل ذلك في علمنا أنا ندرك الجواهر على الحد الذي يدرك عليه الكلام، دليل على أنه مخالف له، ولو كان عن جنسه لوجب صحة البقاء عليه كالجواهر، ولو صح بقاءه لأدّى إلى يوثق بشيء من الكاد، لأنه كان لا ينكر بقاء الزاي والياء وقت وجود الدال في (زيد)، ثم تتنقل هذه الحروف أجمع إلى أذنه، فسمعه على هذا الحد، فلا يكون (يزدا) أو (ديزاً) (٢٠).

-
- (٢٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٦-٢٠ وأزن مع المظني للقاضي ٢٤/٧ وأندثر رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا (-٥٤٢٨/١٠٢٦م) ص ١٢.
 - (٢٦) المصادر السابقة.
 - (٢٧) المصادر السابقة.
 - (٢٨) المصادر السابقة.
 - (٢٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٦-١٧ (ابن سنان ينقل عن المظني مع تصرف في العبارة واختلاف طيف في السيف والمصلح). أنظر المظني ٢٤/٧.
 - (٢٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب ١٦-١٧ وأزن مع المظني ٢٤/٧.

وعذوة على ذلك، فلا يصح أن يُقال: (إنه يستقل إلى الأذان بحسب حدوثه، لأنه كان لا يمنع انتقاله على الوجه الذي ذكرناه، ولو وجب إذا انتقل الزاي أو الياء أن يبتقا حتى يستقل الدال، فيعود الأمر إلى ما قلناه. (٢١)) ثم يعود الخفاجي ليؤكد من جديد أن الصوت محمول لأنه يدرك، ولا خلاف بين العلماء في وجود ما يدرك. (٢٢)

٥ - هل يحتاج الصوت إلى صخر؟ وهل يحتاج مع وجوده مع المحل إلى حركة وبنية وصلابة؟ (٢٣)

فالمسألة في هذه المرحلة على غاية من التعقيد، قائمة على ضروب من الفلسفة، وهي فوق ذلك موطن اختلاف علماء الكلام حولها مثل أبي علي الجبائي (-٥٢٠/٩١٥ م) وأبي هاشم الجبائي (-٥٢١/٩٢٢ م) والقاضي عبد الجبار (-٥٤١٥/١٠٢٤ م) والمرتضى (-٥٤٢٦/١٠٤٤ م) وابن سنان الخفاجي (-٥٤٦٦/١٠٧٢ م). ومحط الانتقاد يكمن فيما ذهبه أيضاً أبو هاشم إلى عدم وجوب المحل للصوت، حيث يُرجع ذلك إلى انقطاع الطست وتسكينه؛ مع العلم أن أبا هاشم ومن جرى مجراه (أجازوا وجود القليل من الصوت مع السكون عند تنأيه ثم انقطاعه، ومنعوا من وجوده من فعل الناس مع السكون حالاً بعد حال (٢٤)).

ويرد عليه الخفاجي بأن شأن ما يقع عندهم (أبي هاشم وأتباعه) بآلة كشان ما يقع من غير آلة. (٢٥) فهذه المعطيات والفرضيات في حد ذاتها تقاطع واختلاف، على ضوءها يتبين ما آلت إليه نتائج نظرياتهم (٢٦)، ذلك أنهم اعتبروا عملية الانقطاع بعد التسكين لدى الناطق شبيهة

(٢١) سر الفصاحة ط. دار الكتب ١٦-١٧ وازن مع المعني ٢٤/٧ (ابن مينا يقتبس الفكرة).

(٢٢) المصدر السابق ١٦ - ١٧ وازن مع المصدر السابق ٢٤/٧.

(٢٣) المصدر نفسه ٢٠ - ٢١ وازن مع المصدر نفسه ٢٦/٧، ٢١.

(٢٤) سر الفصاحة ص ٢٠، ٢١ وازن مع المعني للقاضي ٢٦/٧، ٢١.

(٢٥) المصدر السابق ٢٠، ٢١ وازن مع المصدر السابق ٢٦/٧، ٢١. وأظهر ما قاله ابن مينا (-٥٤٢٨/١٠٢٦ م) في أسباب حدوث الحروف ٥٦، ٥٧، ٥٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥ (مع انفراده في استخدام المصطلح الصوتي).

(٢٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٠، ٢١ وازن مع المعني ٢٦/٧، ٢١ (حيث نظرية الخفاجي ونظرية أبي هاشم وعبد الجبار في هذا الخصوص).

بانقطاع الصوت على الطست في أثناء تسكينه، ولقد أقروا وجود القليل من الصوت بعد تولده وانقطاعه وتناهيته، وهذا أمر لا يرى حدوثه إلا في المستوى الثالث من هذه العملية، حين يتشرب في الفراغ ثم يتحول إلى سدى نتيجة ارتطامه بالحواجز. وهذا أمر يدخل في وجود الصوت في الهواء. غير أن أبا هاشم (-٥٢٢١/١٢٢م) وأتباعه لم يحددوا بعد مقصودهم وتركوا المجال مفتوحاً. وابن سنان لا يرى سلامة هذا الرأي في (منع وجود الصوت من فعلنا حالاً بعد حال (٢٧)). والصوت في حقيقة أمره إنما يحدث متقطعاً؛ فالزاي مثلاً مخالف للراء وغير مناقض له، وخلاف هذا يعني عكس وظيفة الجهاز الصوتي. فالتقطيع (٢٨) في هذا المقام يمثل الوحدات الأساسية للنطق. ولقد هذا موجه إلى أبي هاشم ومن يرى رأيه. (٢٩)

ويلتقي الخفاجي أيضاً مع القاضي في الرأي، في (وجوب المحل للصوت) و(لا يجوز وجود الصوت إلا في محل). أما من أثبت جميع الأعراس في غير محل بحجة أنه يتولد باعتماد مصاكة الأجسام، ولاختلافه باختلاف محله. فإنه ينشأ في الطست خلاف ما يصدر في الحجر.

يقول الخفاجي: (قد ثبت وجود بعض الأصوات في غير محل، فإذا ثبت ذلك في بعضه ثبت في جميعه، لأن الأصوات متفقة في أنها لا توجب حالاً لمحل ولا جملة. (٤٠)) ويضيف (والأصوات تدرك بحاسة السمع في محالها ولا تحتاج إلى انتقال محالها وانتقالها، وكونها

(٢٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٠ - ٢١، المفني ٢٦/٧.
(٢٨) التقطيع: Segmentation. أنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٦، سر صناعة الأعراب ١/١٥، وأنظر التطور اللغوي. الدكتور رمضان عبد التواب ص ٦٦-٦٧ مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٨٢م/١٤٠٤هـ. وأنظر مفتاح الألسنة. جورج موانن ص ٩٨-١٠٠.
P. 98, 100 Clefs pour la linguistique. Georges Mounin (Segmentation en Phonemes)

(٢٩) المفني ٢٢/٧-٤٠ يقول القاضي: (فأما الكلام فإمّا لا يصلح إيجاده إلا في محل مبني كاللسان واللهوات، لأن ذلك آلة لنا في إيجاده) ويعني بالمحل المبني الموضع من الجهاز الصوتي الذي تتكلم فيه الأصوات.
(٤٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٠ (في انتقاد أبي هاشم وأنصاره) وازن مع المفني ٢١/٧.

أعراضاً منع انتقالها) (٤١). ويقول: (لو اختلفت لجاز أن تشمل إلى بعض الحاضرين دون بعض، ولو كان الأمر كذلك لما وقع الفرق مع السلامة بين جهة الصوت والكلام مكانهما) (٤٢).

٦- هل يوجد الصوت في الهواء؟ (٤٣)

يرى ابن سنان إيجاب هذا الأمر حيث يجيب عن ذلك بأن الصوت يتولد في الهواء، والبعد المخصوص مانع من إدراكه، فإذا هو تولد فيما يقرب أدرك في محله وإن لم يتصل بحاسة السمع (٤٤). ويرد على اقتراض السائل عما قد يصدره القصار من أصوات، وهو يضرب الثوب على الحجر من بُعد قليل، فيسبق النظر السمع (٤٥). ويشرح هذا المشكل بقوله: (والذي يدرك بعد مهلة هو غير الصوت الذي تولد عن الصلابة الأولى، لأن ذلك إنما يدرك لبعده (٤٦)). وهذه المعطيات جميعها دلائل على وجود الصوت في الهواء.

٧- هل يجوز البقاء على الأصوات؟ (٤٧)

ما نقوله في هذا الموضع هو أن (البقاء عرض لا يصح أن يحل العرض (٤٨)) و(إبقاء الأصوات يعني استمرار الإدراك مع السلامة وارتفاع الموانع (٤٩)). فلو كان الصوت مدركاً على هذه الوتيرة أي باستمرار الإدراك لتعذر فهم الكلام المسموع، لأن أساسه حروف تدرك في نسق منطوق، وعندئذ لا يكون على سبيل المثال (زيد) أولى من (يزد) أو غير ذلك مما يتفهم من حروف (٥٠). والعلة عند الخفاجي في عدم البقاء على الأصوات والتي تكمن في العلاقة اللاتناظرية التالية: (لو كان الكلام أيضاً باقياً لكان لا يتغير إلا بفساد محله، لأنه لا ضد له من غير نوعه، ولا تقع الأصوات من فعل العباد إلا متولدة (٥١)). والدليل على ذلك تعذر

(٤١، ٤٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٠ - ٢١ وأزن مع المفني ٢١/٧.
(٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢١، ٢٢، المفني ٢١/٧، ٢٢،
رسالة أمياد حدوث الحروف ص ٥٦، ١٠٤، ١٠٢، ٩٧ يقول: (إن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية) وهو يعني وجود الصوت في الهواء).

(٤٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٢.

(٤٨، ٤٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٢.

(٥٠، ٥١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢.

إيجادها عليهم إلا بتوسط الاعتماد والمصاكة (٥٢)؛ وهذا عند الخفاجي مما لا يقع إلا متولداً، شأنه في ذلك شأن تولد الآلام (٥٣).

فكل هذه السوابق في حقيقتها انتقاد لمن يخالف مذهب الخفاجي فيما رآه وأقره.

٨ - من الصوت إلى الحرف في الفصاحة والتقد: (٥٤)

لقد بينا ما فيه الكفاية في الأصوات التي اعتبرناها من المستوى الأول في النطق، وعرفنا كيف تنشأ في الآلة المبنية واللهوات. وكنا قد ذكرنا العرنية والاختلاف والتطبيع والإدراك والمعقولة، وهي خصائص تتجه إلى الإنسان دون سواه. وفي هذه الحالة يتجلى لنا أن للصوت بداية في نشأته ونهاية تنبأ بحدود شيء معين ياتلف معه في أغلب مواصفاته ويختلف عنه في بعض وهو الحرف. فالحرف في أصله صوت اكتسب خصائص أخرى، فصار أكثر تطوراً بل صار كما قلنا يميز الإنسان عن الحيوان والجماد. وهو يمثل مرحلة متطورة بالنسبة للصوت. فانتظر إذن إلى الاجراءات التي تفصل الصوتية عن الحرفية فيما يقوله الخفاجي نفسه: (والصوت يخرج مستطافاً ما ذجاً حتى يعرض له في الحلق والقم والشفتين مقاطعٌ تشبه عن امداد، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً (٥٥)). ويمكن الفرق بين الطرفين في كون (الحرف هيئة للصوت، عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسوع (٥٦)).

فإذا كان الصوت يمثل المادة الأصلية في النطق، فهو المرحلة الاستقلالية المهمة في تكوين الحرف، بدليل أن لأول حدوداً تنتهي عند حدود الثاني، فإذا به يتبين أن الحرف قد تحول إلى هيئة لهذا الأول، مؤهلاً لأن يتنظم في تركيبة كدائمة معينة من الأصوات الواعية المدركة المعقولة التي تتحول بعدئذ إلى حروف تخص الإنسان وحده.

٥٢ ٥٢) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية س ٢٢، مر صناعة الإعراب لابن جني (١٠٠١/٥٣٩٢ م) ج ١/١٥ - ١٦.

٥٤) مر الفصاحة ط. دار الكتب س ٢٢، وأنظر شرح الأصول الخمسة. القاضي عبد الجبار (١٠٢٤/٥٤١٥ م). تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم تحقيق عبد الكريم عثمان. مكتبة وهبه. ص ١٩، ٤٢٩ القاهرة ١٩٦٥ م/١٣٨٥ هـ.

٥٥) مر الفصاحة ط. دار الكتاب ص ٢٢ - ٢١.

٥٦) المصدر السابق س ٢٢ (وهنا موطن اختلاف الصوت عن الحرف). وأنظر رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٦٠-٦١، ١٠٣، ١٠٤.

وفي هذه المرحلة يكون الجانبان كياناً واحداً. وما يُميز أيضاً الجانب الثاني كمصطلح صوتي هو أنه سُمي كذلك لأنه حدّ متقطع للأول، أو لأنه يفيد في ذاته معنى الجهة أو الناحية كحرف الشيء وجهته. (٥٧)

٩ - اختلاف الحروف باختلاف المقاطع الصوتية: (٥٨)

يوافق هذا باب (الأصوات أعراض مختلفة لا متضادة، معقولة تدرك (٥٩)). والعامل المشترك والفاصل بين الصوت والحرف هو أن الحرف هيئة لهذا الصوت عارضة له يتميز بها عن غيره من الأصوات. (٦٠)

ويعرض الخطاجي كيفية خروج الصوت وتكونه على طريقة ابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) إذ أن الصوت في رأييهما يخرج مستطيلاً ماذجاً، فإذا وضع المرء أنامله على خروق الحلق، حدثت المزاوجة بين الصوت والحرف، ويبيّن عند ذلك الحد اختلاف الأصوات عن بعضها (٦١). وهذه الظاهرة أشبه ما تكون بالثاني في وليّته، ولذا ذهب قوم إلى تشبيهه

(٥٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٢، اللسان ابن منظور (-٥٧١١/١٢١١م) حرف ٩/٤١، سر صناعة الإعراب ١١/١، ١٥-١٦-١٧. مجاز القرآن لأبي عبيدة (-٥٢٠٩/٨٢٤م) ٢/٤٦ تحقيق سزكين وفيه العبارة كالتالي: (كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم). وأنظر كتاب التعريفات. علي بن محمد الشريف الجرجاني (-٥٨١٦/١٤١٢م) ص ٩٠ مكتبة لبنان. بيروت ط ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ. وأنظر مفتاح اللسانيات جورج موان ص ٩٨، ٩٩. Clefs pour la linguistique P.98, 99.

(٥٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٩ وما بعدها وازن مع المفني ٢١/٧ ص ٢٨.

(٥٩) المصدر السابق ص ١٩.

(٦٠) المصدر نفسه ص ١٩، ٢٢، وأنظر رسالة أسباب حدوث الحروف ص ١٠٢. وأنظر مفتاح اللسانيات ص ٩٨، ٩٩، ١٠٠. P. 98,99,900 Clefs pour la linguistique باب التقطيع الصوتي. La Segmentation en Phonemes.

الحلق بالنائي (٦٢). فإذا وقع الصوت في الحلق والغم بالاعتماد على جهات مختلفة تحول إلى حروف. والاختلاف قرينة التقطيع الصوتي، ولأجل ذلك إذا سمعت صوتاً ناتجاً عن صاغة الأجسام في الخارج كصوت الحجر أو غيره، فهو صوت من المستوى الأول (أي الصوت العام) لا مقاطع (٦٢).

١٠- عدة حروف العربية في رأي ابن سنان: (٦٤)
أهي ثمانية وعشرون أم تسعة وعشرون؟ وما هي الحروف المستبحة اللاحقة، والمقبولة المختارة في التأليف؟

إن الداعي إلى هذا هو ذلك الاختلاف القائم بين ابن سنان ومن يرى رأيه من مثل الخليل بن أحمد (-١٧٥هـ/٧٩١م) وسيبويه (-١٨٠هـ/٧٩٦م) وابن دريد (-٢٢١هـ/٩٢٢م) وابن جني (-٢٩٢هـ/١٠٠١م) وغيرهم على جهة وبين أبي الباسم المبرد (-٢٨٦هـ/٨٩٩م) على جهة مناقضة. فإذا كانت الطائفة الأولى والتي تمثل الغالبية ترى عدة حروف العربية تسعة وعشرين، فإن المبرد يراها ثمانية وعشرين ليس غير. وإذا كانت هذه الحروف في ترتيبها على الخارج هي:
(الهمزة - الألف - هـ - ع - ح - غ - خ - ق - ك - ج - ي - ش - ص - ن - ز - ط - ت - د - س - ز - ح - ظ - ث - ذ - ف - م - و). (٦٥) فإن المبرد يجتزئ من ذلك الحساب الهمزة ولا يعتمد عليها. (٦٦)

١٦٢ ١٦٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٩-٢٦. سر صناعة الإعراب ١/٦، ١٤ (ابن سنان ينقل عنه) رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٦٠ (والصوت فاعله الضل التي عند الحنجرة بتقدير السح ويدفع الهواء المخرج وقرعه، وآلة الحنجرة والجسم الشبيه بلسان المزمار... ومادته الهواء الذي يموج عند الحنجرة). وأنظر أيضاً سر صناعة الإعراب ١/٦٨، ٦٩. وأنظر جمهرة اللغة لابن دريد (-٢٢١هـ/٩٢٢م) طبعة بالأوفست دار صادر بيروت ١/٦، ٧ وما بعدها.

١٦٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٦. وأنظر كتاب العين للخليل بن أحمد (-١٧٥هـ/٧٩١م). تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي ١/٥٧ دار الرشد للنشر. العراق ١٩٨٠م/١٤٠١هـ. وأنظر كتاب سيبويه تحقيق هارون ٤/٤٢٢، ٤٤/٢. وأنظر جمهرة اللغة ١/٦ وما بعدها.

١٥) سر صناعة الإعراب ١/٥١ (ينقل عنه).

١٦) أنظر المتضبط تحقيق عبد الخالق عزيمة ١/١٩٤، ١٩٦، ٢٢٨.

ومخالفة المبرد للقاعدة يدفع ابن سنان إلى اقتاده (٦٧). وكلامنا هنا في العدة على الحروف الأصلية التي يقوم عليها التأليف لإعطاء الفصاحة التي يرومها صاحبنا. ولذا نراه ينصب تسعة وعشرين أصولاً تدخل في حسن التأليف، وأخرى تابعة يؤخذ بها في القرآن الكريم وفصيح كلام العرب، وعددها ستة وهي: النون الخفية والهمزة المخففة واللف التنخيم واللف الإمالة والسين التي كالجيم والصاد التي كالزاي (٦٨).

١١ - الألف الساكنة أبداً: (٦٩)

يستهل الخفاجي هذه المسألة بمعطيات المبرد (-/٥٢٨٦م ٨٩٩م) إذا وضع الخط و، لا، ي أتى ب(لا) على وزن (ما)، لأن الألف الساكنة لا يصح الابتداء بها، فجاء بحرف قبلها ليدعها ويمكن النطق بها، ويقع تمثيل ذلك (٧٠). ويعلق على ذلك في أن المبرد (-/٥٢٨٦م ٨٩٩م) ليس غرضه من هذا تبيان كيف يتركب بعض هذه الحروف من بعض، كما يقول المعلوم (لام ألف). إنما كان هدفه أن يوضح التركيب لبيته في الحروف كافة، وهو في هذا لم يقتصر على الألف مع اللام فحسب (٧١). ذلك أن قاعدة المبرد هي (أن الألف لا تزداد أولاً لأنها لا تكون إلا ساكنة، ولا يبتدأ بساكن، وتزداد ثانية فما فوق (٧٢)).

فلزيادة على تصور أبي العباس تخول اعتماد موقفه للوصول إلى التصريح: (وأما الألف فلا تكون أصلاً في اسم ولا فعل، وإنما تكون زائدة أو بدلاً، أو لا تكون أبداً إلا ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا متناً، أي مفتوحاً، لأن الفتحة من الألف، والضمه من الواو والكسرة من الياء (٧٢)).

٦٧، ٦٨ مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٩، مر صناعة الإعراب ١٥/١ وأنظر مفتاح العلوم ص ١٤٥ وما بعدها.

٦٩ مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٧، وأرن مع المقضب تحقيق عضية ١٩٤/١، ١٩٦.

٧٠، ٧١ المصدر السابق ص ٢٧، وأرن مع المصدر السابق ١٩٤/١، ١٩٦.

٧٢ المصدر نفسه ص ٢٧، وأرن مع المصدر نفسه ١٩٤/١، ١٩٦.

٧٢ المصدر نفسه ص ٢٧، وأرن مع المصدر نفسه ١٩٤/١، ١٩٦.

فابن سنان يعود لتدعيم رأيه إلى ابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) في قوله (اعلم أن واضع حروف الهجاء لما لم يمكنه أن ينطق بالألف التي هي مدّة ساكنة (٧٤)، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، دعمها بالألف قبلها متحركة، ليتمكن الابتداء بها، فقال: هـ - و - لا - ي - قول (لا) بزنة (ما) و(يا) و(لا) كما يقول المعلمون (لام ألف) وذلك أن واضع الخط لم يرد أن يرينا كيف أحوال هذه الحروف إذا تركبت بعضها مع بعض (٧٥)).

وهذا القول يتوعدنا إلى الفصل بين أشكال الحروف فيما بينها وبين الحروف كونها أعراضاً مختلفة تسمع وتدرّك كوحدات أساسية في تركيب الكلام.

فموقف ابن سنان وابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) متنع، وموطن الأخذ على المبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) جلي. وقد يسأل سائل: لم اختيرت الألف الساكنة دون سائر الحروف، وماذا جيء لها بهمة الوصل كما فعلت العرب ذلك بالساكن لما لم يكن ابتداءً نحو: اضرب - اذهب - انطلق وغير ذلك؟ وهذا هو الأمر الذي ذكره المبرد في أثناء حديثه. (وأما الهمزة فموضع زيادتها أن تقع أولاً نحو: أحمر وأحمد وإسلاف، وكذلك في جمع التكسير نحو: أقفل، أفلس وأفعال كأعدال وأجمال، وفي الفعل كقولك: إكراماً وإحساناً فهذا موضعها (٧٦)). والجواب على هذا هو (أن همزة الوصل لو جيء بها قبل الألف توسّلت إلى

- (٧٤) سر صناعة الإعراب ١/٤٨، ٤٩ (مدّة ساكنة توسّلت إلى النطق).
- (٧٥) المصدر السابق ١/٤٨، ٤٩ (ينقل عنه الخفاجي في كتابه ص ٢٧ وأنظر موقف سيوييه في كتابه تحقيق هارون ٤/١٧٧، ١٧٩، ٢٧٢، جمهرة اللغة ١/٧-١١، العين ١/٤٧، إزاء موقف المبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) في المقتضب تحقيق عزيمة ١/٢٢٨، ٢٢٩ (فهلّا ألّوا على الألف حركة ما بعدها إذا سكّنها؟ لأن الألف هذه مدّة، فما فيها عوض من الحركة، على ما تقدم به قولنا من احتمالها واحتمال ما كان مثلها الساكن المدغم، لما فيها من المدّة وفيما بعدها من الاعتماد، ولو أقيت عليها حركة لزمك أن تهمز، لأن الألف متى تحركت صارت همزة).
- (٧٦) المقتضب المبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ١/١٩٤، ١٩٦. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٩٦٢، ١٩٦٩م/١٢٨٢/١٢٨٦هـ. وأنظر سيوييه تحقيق هارون ٤/٢٢٧.

الطلق بالألف الساكنة، لما أمكن ذلك، ولأدلتهم الحال إلى نقص الغرض الذي قصدوا إليه، وذلك أن همزة الوصل كانت مكسورة، كما جرت العادة فيها، ولو كسرت قبلها لانتقلت الألف ياء لانكسار ما قبلها، فكنت تقول: (إي) فلا تصل إلى الألف التي اعتمدتها. فلما لم يجز ذلك عدلوا إلى الكادم من بين سائر الحروف (٧٧).

وعلى هذا يتناول الخفاجي تمثيل الموقف اعتماد برأي ابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) بكلمتين فيهما الألف مع اللام وهما (الرجل والجارية)، ويسأل كما سأل ابن جني قبله: كيف تجعل الهمزة في ورود اللام هنا مع الألف ورود الهمزة هناك مع اللام، وليس بين الوضعين تناسب ولا معارضة (٧٨). ثم يضيف: (وهل يصح أن يقال: إن الألف الساكنة التي لا يمكن أن يبتدأ بها في النطق، بل تحتاج إلى حرف قبلها يتوصل به إلى النطق بلام التعريف التي هي ساكنة مثلها، وكل من الحرفين يحتاج إلى ما يحتاج إليه الآخر (٧٩)).

١٢ - عادات الحروف التأليفية: (٨٠)

يشير ابن سنان (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) إلى خلو اللغة العربية من حروف توجد في غيرها من اللغات، وعلى وجه التحديد لغة الأرمن، ربما لأنها أقرب إلى محيطه الجغرافي، وعدتها على حد تصريحه (أنها على ما قيل ثلاثون حرفاً (٨١)). ويرى أن متأمل هذه اللغة يلاحظ تشابهاً بين الحروف الأرمنية على تشابه اللام والصاد في لغة العرب؛ حيث يبرز تقاربها وكثرة تقارب مخارج الحروف وتشابهها دليل على التكلف والاستئصال اللفظي في هذه اللغة. وهذا التقارب والتشابه من دواعي تصنيف الكتب تبيان الفروق الكامنة بينها. ويختصر الخفاجي القضية من جهة في الأعراب، منبهاً إلى التباس اللام والصاد بعامة عندهم، اللهم إلا من شذ عنهم من الفصحاء، وهذا في نظره مؤشر إلى شدة التشاكل، ويطرح مسألة الاحتجاج بالكادم الفصح عند الأعراب الذين صاروا فيما بعد (في عهد الخفاجي) في حاجة ماسة إلى اقتباس اللغة من

- (٧٧) سر صناعة الأعراب ١/٤٨، ٤٩.
 (٧٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٨ وأزن مع المقتضب. تحقيق عضيمة ٨٢/١ وسيبويه. تحقيق هارون ٢/٦٤، ٢٧٢.
 (٨٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٦.
 (٨١) المصدر السابق ص ٥٦، ٥٧.

الحضر، وإصلاح منطقتهم بأهل المدر (٨٢)). ثم ينتقل إلى سبب وجود المهمل في اللغة العربية إذ يقول: (وقوع المهمل في هذه اللغة على ما قدمته لك في الأكثر من إطرار الأبنية التي يصعب النطق بها لضرب من التقارب في الحروف، فلا يكاد يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لحزونة ذلك على ألسنتهم وثقله. ويستدل بما روي عن الخليل بن أحمد، (-٥١٧٥/٧٩١م) القائل: (سمنا كلمة شعاء وهي الصهخع وأنكرنا تأليفها، وقيل إن أعرابياً سئل عن ناقته فقال: تركتها ترعى الصهخع، فلما كشف عن ذلك، وسئل الثقات من العلماء عنه أنكروه ودفعوه، وقالوا: نعرف الصهخع، وهذا أقرب إلى تأليفهم (٨٢)).

وما نقوله في هذه الكلمة أنه ربما نطق بها الأعرابي على هذا الشكل نظراً لتقارب الحروف من جهة، أو لحفظه إياه سماعاً فالتبس الأمر في النطق، وما يكون قد حصل، ومثله كثير في حياتنا الاجتماعية. وأما حجة الخفاجي في ذلك (أن الذي فيه حرفان حسب، وحروف الحلق خاصة مما قل تأليفهم لها من غير فصل يقع بينها، كل ذلك اعتماداً للخط، وتجنباً للثقل في النطق، فأما القاف والكاف والجيم فلم تتجاوز في كلامهم البتة، لم يأت عنهم (تج) ولا كج ولا جك ولا قك ولا كق). وكل ذلك فراراً ما ذكرناه إلا أن هذه الحروف قد تكررت في بعض الكلام (٨٤). ويستدل لهذا المقام بمقال رؤية بن العجاج (-٥١٤٥/٧٦٢م).

لو أحسن الأقرب فيها كالمق (٨٥)

(٨٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٧.

(٨٢) المصدر نفسه ص ٥٦. والخليل بن أحمد الفراهيدي (-٥١٧٥/٧٩١م). أنظر مراتب النحويين. أبو الطيب اللغوي عبد الواحد بن علي اللغوي (-٥٢٥١/٩٦٢م) ص ٢٧-٤٢. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة نهضة مصر. القاهرة (مقدمة ١٩٥٥م/١٢٧٥هـ). وأنظر الجوهرة ١/١ (الصهخع)، اللسان (صهخع)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلد الدين السيوطي (-٥١١١/١٥٠٥م) ٨/١ تحقيق محمد أحمد جاد الله المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة (٤) (٢ ج). والصهخع ضرب من النبت. (٨٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٥٧.

(٨٥) ديوان رؤية بن العجاج (-٥١٤٥/٧٦٢م) تحقيق وليم بن الورد البروسي ص ١٠٦. مطبعة دروغولين ليسع ١٩٠٢م/١٢٢١هـ. العين. تحقيق درويش ١١/١، المزهر ١/١٩٢، سيبويه. تحقيق هارون. ٤/٤٤٥، ٤٥٠ (باب الإدغام). وأنظر العين تحقيق السامرائي والخزومي ١/٥٠، ٦١ الجوهرة ٨/١-٩. سر صناعة الأعراب ١/٢٥-٧٧. المقتضب ١/٢٢٨-٢٤٢ وأزن مع سيبويه ٤/٤٤٥، ٤٥١. والمحقق: (الطول عامة) وقيل الطول للمفاحش في دقة.

ولسائل أن يقول: فيم تتمثل ممارسة ابن منان (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) التقديرة وهو غارقة كل الفرق في عباب التأليف؟ والجواب على ذلك أن مستوى الأصوات والحروف مباحث مفردة ومتصلة مع بعضها (الكلمة). والتدرج المنطقي المتسلسل الذي نهجه ابن منان ذو دلالة عقلانية، ألا ترى أنه شكل هرمًا تصاعدياً، فهو يثبت الخطوة الأولى جيداً على أرضية موضعه حتى إذا تمكن من نفسه وأدرك أنه على مدّ الخطوة الثانية قادر فعل. وتشعر وأنت تتابعه كأنه يهديك بخطى هادئة متمكنة تحت وقع مباحثه، ثم يتناوب في مرحلة الانتقال إلى الفصل التالي حين العودة إلى ما تقدم ليتجلى لك ذلك التقابل المحكم، وحينئذ تعلم أن السابق تمهيد لللاحق، فأنك إن فهمت الأصوات فهماً كاملاً، يسهل عليك لا محالة امتياع مقصده. ثم إذا بلغت مخارج الحروف وأقسامها وصفاتها من حيث تقاربها وتباعدها تدرك جيداً الغاية من هذا الإجراء كله، وكأنه يتمشى سلباً منصوباً، وفي ثانياً هذا كله يعرض رأيه فيما ينبغي وما لا يجب، وهذا ضرب من النقد الخفاجي. وبعد هذه الجولة الخفية نعود إلى استخلاص الخطوط العريضة لنظرية ابن منان في علمية التأليف، وهي ثلاثة أقسام:

- ١- تأليف الحروف المتباعدة وهي المرئية المختارة عند ابن منان وقد رأينا نماذج منها (٨٦).
- ٢- تصنيف الحروف نفسها، وهو ما يلي هذا القسم درجة وحسناً (٨٧).
- ٣- تأليف الحروف المتقاربة المتجاورة، وهو إما قليل في الكلام أو منبؤز رأساً لما تقدم (٨٨).

١٢- مخارج الحروف وصفاتها عند ابن منان: (٨٩)

- ١- مخارج الحروف وصفاتها:
فالحرف على حد تعريف ابن سينا (هيئة للصوت عارضة له تميزه عن غيره (٩٠)).
والحرف هو الوحدة الأمامية في تأليف الكلمة والسياق، ويشترط أن تكون وحدات متماثلة أو مختلفة لا متضادة في إعطاء التأليف السليم، وقد يحدث أن تتقارب هذه الحروف في مخارجها فيقع التنافر أو الالتباس أو الإخفاء والإدغام. والقاعدة السليمة أن تكون الحروف متباعدة في مخارجها لتجنب الاشتغال في النطق. وعلى هذا فبحث المخارج وصفات الحروف أمر ضروري لا جترأح الفصاحة.

٨٦، ٨٧، ٨٨) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٨.

٨٩) مر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٩ - ٢٠.

٩٠) رسالة أمياب حدوث الحروف ص ٦٠-٦١.

ومخارج الحروف عند الخفاجي ستة عشر مخرجاً: ثلاثة في الحلق: أولها من أقصاء مخرج الهمزة والألف والهاء، ويليه وسط الحلق حيث مخرج العين والحاء، ثم من فوق ذلك مع أول الفم مخرج الفين والطاء، ثم من أقصى اللسان مخرج القاف، ومن أسفل ذلك وأذن إلى مقدم الفم مخرج الكاف، ومن وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى مخرج الجيم والياء والشين، وفي أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الصاد، ومن حافة اللسان من أدناها إلى متنها طرفه مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان مخرج الراء، وما يلي طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والياء والدال، وما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين، وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الطاء والياء والدال، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج القاف، ومن بين الشفتين مخرج الميم والواو، ومن الخياشيم خروج النون الخفيفة (٩١).

٢- صفات الحروف:

أ) الحروف المجهورة والمهمومة: الجهر لدى ابن سنان في الحرف إذا أشيع الاعتماد في موضعه ومنع النفس إذ يجري معه حتى يقتضي الاعتماد ويجري الصوت، ومدلول الهمس فيه إذا ضعف الاعتماد في الصوت حتى يجري معه النفس (٩٢). وعدد حروف الهمس عشرة وهي: الهاء والحاء والخاء والكاف والسين والصاد والياء والشين والطاء والقاف، يجمعها في اللفظ (متشحك حصة) وجمعت أيضاً (مكت فحشه شخص) وما سوى ذلك من الحروف هو المجهور (٩٣). وهذا جرياً على ما جاء به سيبويه (-٥١٨٠/٧٩٦م) وابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) وابن ميتا (-٥٤٢٨/١٠٢٦م) وغيرهم.

(٩١) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٩-٢٠ (الترتيب على نهج سيبويه) تحقيق هارون ٤٢١/٤ وما بعدها، العين تحقيق عبد الله درويش ص ٤٥، ٥٤ ط. الثاني. بغداد ١٩٦٧/٥١٢٨٦. سر صناعة الإعراب ٥٢/١، الجمهرة ٦/١-٧، رسالة أسباب حدوث الحروف ٧٢-٨٥، المقتضب ٢٢٩/١، ٢٢٠ (المبرد يختلف قليلاً في الترتيب). وأنظر سيبويه. تحقيق هارون ٤٢٢/٤-٤٢٣.

(٩٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٠.

(٩٣) سر صناعة الإعراب ٦٨/١، ٦٩، سيبويه ٤٢٤/٤، الجمهرة ٨/١ رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٧١-٨٥. مفتاح العلوم ص ٤ وما بعدها.

ب) الحروف الشديدة والرخوة والمتوسطة: (٩٤) فالشديدة ثمانية أحرف وهي: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والذال والتاء والباء يجمعها في قولك (أجدت طبقك أو أجذك طبقك) (٩٥).

ج) الحروف المنطبعة والمنقحة: مفهوم الإطباق لدى ابن سنان (أن يرفع المتلفظ بهذه الحروف لسانه ينطبق بها الحنك الأعلى، فينحصر الصوت بين اللسان والحنك). وعدتها أربعة أحرف وهي (الصاد والضاد والطاء والظاء) وما سواها من الحروف مفتوح غير منطبق (٩٦).

د) حروف الاستعلاء وحروف الانخفاض: يعرف ابن سنان الاستعلاء ب(أن تصعد في الحنك الأعلى) وعددها سبعة: الخاء والفين والقاف والضاد والظاء والصاد والطاء، وما سوى ذلك من الحروف فهو منخفض (٩٧).

هـ) الحروف المذلة: وهي ستة ولها جنسان: جنس الشقة وهي الفاء والميم والباء، لا عمل للسان في هذه الأحرف الثلاثة، وإنما عملهن في التقاء الشقين وأسفلهن ثم الباء ثم الميم (٩٨). والجنس الثاني من المذلة: بين أسلة اللسان إلى مقدم الفار الأعلى وهي الراء والنون واللام، وهي متزجات بصوت الفة، لأن الفة صوت من أصوات الخيشوم مركب فوق الفار الأعلى إليه يسو هذا الصوت (٩٩).

(٩٤) مس الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠.

(٩٥) المصدر السابق ص ٢٠، مس صناعة الإعراب ١/٦٨، ١/٦٩، سيبويه ٤/٤٢٤، ٤٢٥، الجوهرة ١/٨، ابن مينا ٧١ - ٨٥.

(٩٦) مس الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢١، مس صناعة الإعراب ١/٧٠، سيبويه ٤/٤٢٦، الجوهرة ١/٨.

(٩٧) مس الفصاحة ص ٢١، مس صناعة الإعراب ١/٧١-٧٤، سيبويه ٤/٢٤٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٤/٤٢١-٤٢١، العين. تحقيق السامرائي والمخزومي ١/٤٧ وما بعدها. الجوهرة ١/٧، المنتضب ١/٢٢١، ٢٢٢ (حيث مواطن الاختلاف والاختلاف مع سيبويه ٤/٤٢٢).

(٩٨) مس الفصاحة ص ٥٦.

(٩٩) المصدر السابق ص ٥٦.

المستوى التقدي الثاني
في الكلام واللغة والفصاحة والبلاغة والتقد (١)

أولاً حقيقة الكلام:

يأتي الكلام عند الخفاجي في المستوى الثاني بعد الأصوات والحروف والكلمة، وتلك خطوات ذكية منه إذ انطلق من الأول ليصل إلى الثاني، في نسق متصل متساعد. والفكرة ليست بدعاً منه، وإنما هي أمر سابق عليه، اختلف حوله العلماء من أهل اللغة والنحو والمتكلمين. وإذا تأملنا نظرية صاحبنا نجدها على القوة بمكان، ذلك أنه استفاد من خبرة متقدميه في هذا الميدان، وما استحدث في عصره، وبذلك تكونت لديه صورة أوضح وأقوى وموقف إلى الصواب أقرب. وإذا كان الكلام هو (الذي لا يكون إلا أصواتاً تامة مفيدة) (٢) عند أهل اللغة فالأمر غير كذلك عند أهل الكلام، فالكلام لديهم كلام أفاد أم لم يفد، وبهذا نشأ التباين فوجد ابن سنان نفسه أمام أمرين:

١- رأي أهل اللغة.

٢- رأي أهل الكلام.

فما عساه يفعل؟ ثم يكن الخفاجي متطرفاً أو متحيزاً إلى طرف دون الآخر بقدر ما كان موضوعياً، وهو الذي خاض بعلمه في كلا الاتجاهين. لقد تجرد من اعتزاليته إلى جانب أهل الكلام مثل أبي علي الجبائي (٢٠٢-٩١٥م) وأبي هاشم الجبائي (٢٢١-٩٢٢م) والمرتضى (٤٢٦-١٠٤٤م) والقاضي عبد الجبار (٤١٥-١٠٢٤م) وجعل القضية على منبر الموضوعية، وفحص مداخلها ومخارجها ومخارجها، فكان حكمه أمراً وسملاً. لقد استفاد من الفريقين من الناحية الفلسفية والجدلية ومن الناحية التركيبية (المورفولوجية) ومن الناحية الشكلية. وجعل التأليف مياراً والقواعد اللغوية والمنطق حكماً في ذلك؛ فرأى أن في الاختصار على رأي المتكلمين نقصاً في التأليف الذي يخدم الفصاحة والبلاغة، وهو أمر يستوجب الفائدة. فلو أخذ بالرأي الأول يكون قد تناقض في الدعوة إلى الفصاحة والبلاغة، ثم تناول القضية من حيث اللغة فوجد أن الفائدة أمر لا مناص منه، كيف لا واللغة وسيلة للتعامل والتفاهم في المجتمع؟ وبهذا يكون منهج الخفاجي تكاملياً في ممارسته. ويجدر بنا تقديم المعنويات التي تمثل وجوه الاختلاف بين الطرفين وإبراز موقف ابن سنان إزاء هذا وذاك.

(١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠، ٢١.

(٢) اللسان (كلم).

١- المتكلمون يركزون على الجانب الفلسفي الجدلي في قيام الكلام الذي ينشأ بمساهمة مجموعة من العناصر، بدءاً من الصوت والحرف والكلمة، ثم إن هذه الأخيرة مجتمعة في تركيبية لفظية واعية، معقولة ومدركة. ويهتمون بطبيعة وظيفية كل عنصر في نفسه دون علاقته مع غيره في إعطاء الفائدة. والدليل على ذلك أنهم يبحثون هذه الوحدات على حدة واختلافها عن غيرها. قال أبو علي الجبائي (-٥٢٠/١١٥م): (إن الحروف غير الأصوات وإن الكلام هو الحروف (٢)). ومثله قال ابن سينا (-٥٢٨م): (الحرف هيئة للصوت، عارضة يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة واقل تميزاً في المسموع (٤)).

لقد تلقى أبو علي انتقاداً من قبل القاضي (-٥٤١٥/١٠٢٤م) وتبعه في ذلك ابن سنان؛ ذلك أن الكلام لا يقوم على الحروف دون الأصوات، وكلا الطرفين صنوان لا يفترقان أبداً. والانتقاد هنا لا يمس قول ابن سنان. ويقول أبو علي (-٥٢٠/١١٥م) في مقام آخر: فيما يتعلق بالمتكلم والمحمول: (إنهما كلام وإن لم يتعارفهما الصوت (٥)).

فالحرف ينعدم بالعدم الصوت والعكس صحيح، والصوت هو المادة الأساسية للحرف الذي هو هيئة لصاحبه. واعتقد أن الذي حمل أبا علي (-٥٢٠/١١٥م) إلى القول بهذا ظنه أن الشيء إذا نشأ وتطور ثم بلغ أشده استقل عن غيره، وهنا ربما يكون قد رأى أن الصوت قد نضج وصار ذا حدود تفصله عن الصوت بل أذابت هذا الأخير في كيانه فأصبح الحرف يحوي الصوت ولكن دون التصريح به. ويرد عليه القاضي (-٥٤١٥/١٠٢٤م): (وإنما نقول إن الصوت يوجد معه إذا كان مسموعاً، لأن الكلام هو الصوت عنده، فكيف يصح أن نقول في حد بيان الكلام: إنه أصوات متقطعة (٦)).

٢) المظني للقاضي ص ٧/٧.

٤) رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٦٠.

٥) المظني ص ٧/٧؛ من الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢١، ٢٢.

٦) المظني ص ٧/٧ وأنظر مدخل إلى علم اللغة. الدكتور محمود فهمي حجازي ص ٤٦. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة ط ١٩٧٨م/١٢٩٩هـ. يقول: (إن الوحدات الصوتية في اللغة، الواحدة يكون لها تتابع تحدد البنية المقطعية). وأنظر علم اللغة تأليف الدكتور عبد الواحد وافي ص ١٩١. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ط ١٣٦٢/١٩٤٤م. يقول: (المقطع الصوتي هو كمية الأصوات...). وأنظر دروس في علم الأصوات العربية. جان كاتينو. ترجمة صالح القرمادي ص ١٩١. تونس ١٩٦٦م/١٣٨٦هـ.

ونرى أيضاً أبا هاشم الجبائي (١٢٢١/٥٢٢٢م) يستند أبا علي إغفاله الأصوات، إذ يقول: (إن الحرفين والحروف متى حصل فيها هذا الضرب المعقول من النظام فيجب كونه كلاً، ولا يكون بهذه الصفات إلا وهو أصوات متقطعة (٧)). كما يتقدم القاضي بقوله: (والذي نختاره في حد الكلام: أنه ما حصل فيه نظام مخصوص من هذه الحروف المعقولة، حصل في حرفين أو حروف، فما اختص بذلك وجب كونه كلاً، وما فارق لم يجب كونه كلاً، وإن كان من جهة التعارف لا يوصف بذلك، إلا إذا وقع ممن يفيد أو يصح أن يفيد، فلذلك لا يوصف منطلق الطير كلاً، وإن كان قد يكون حرفين أو حرفاً منظومة (٨)).

أما ابن سنان فهو صاحب القسط الأوفر في هذا الخصوص، يذهب مذهب أبي هاشم والقاضي ويناقض أبا علي، وهو القائل: (والكلام عندنا ما انتظم من هذه الحروف التي ذكرناها أو غيرها على ما بيناه من أننا لا نذكر إلا حروف العربية دون غيرها من اللغات، وحدء ما انتظم من حرفين فصاعداً من الحروف المعقولة، إذا وقع ممن تصح عنه أو من قبيله الإفادة (٩)). وينصب لهذا الأمر شروفاً:

١ - الانتظام: يقول: (وإنما اشترطنا الانتظام لأنه لو أتى بحرف ومعنى زمان وأتى بحرف آخر لم يصح وصفه بأنه كلام (١٠)).

٢ - الحروف المعقولة: تميزها عن اللامعقولة كمطلق الطير الذي لا يصح أن يوصف بأنه كلام، وحبته في هذا (أصوات بعض الجمادات ربما تقطعت على وجه يلتبس بالحروف، ولكنها لا تميز وتتفصل كتحصيل الحروف التي ذكرناها (١١)).

٧) المغني ٨/٧ وأنظر دروس في علم الأصوات العربية ص ١٩١ وأنظر مفتاح اللسانيات جورج مونان ص ٩٨، ٩٩. P. 98,99,100 Clefs pour la linguistique. Georges Mounin.

٨) المغني ٦/٧.

٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢١، ٢٢ وأنظر المغني ٧/٧، ٨ (موقف أبي علي أبي هاشم والقاضي).

١٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢١، ٢٢.

١١) المصدر السابق ص ٢١، ٢٢.

٢- وقوع الأصوات ممن يصح منه أو من قبيله الإفادة: والسبب في ذلك (لأن يلزم أن يكون ما يستمع من بعض الطيور كالبيضاء وغيرها كلاماً. وقلنا القليل دون الشخص لأن ما يسمع من الصجون، يوصف بأنه كلام، وإن لم تصح الفائدة منه وهو بحاله، وليس كذلك الطائر (١٢)).

ثانياً - الكلام في العربية يبدأ بمتحرك ويقف على ساكن، ويكون حرفين فصاعداً:

فالكلام لا يقوم في أقل من حرفين. يتناول الخفاجي أفعالاً ممثلة مثل (وقى) و(وعى) ويوضح أنها كلام حتى عندما تصرف في الأمر فتصير (ق) و(ع). ولعله في ذلك (أن المنطوق به في هذا القول حرفان، والفئة التي وقف عليها عند السكت هي حرف (١٢)).

لقد سبق أن مثلنا وذكرنا مركز ثقل الحرف وتمدد الصوتي ذات اليمين وذات الشمال، وبيننا امتداد الراكز حول السكون أطول عند التناهي، لأنه يتمدد إلى أن يستقر على ساكن، وهذا ما يوائم مفهوم وطبيعة الفئة، إلا أن البداية تكون أقل امتداداً من النهاية، والدليل على ذلك أواخر التعوافي حيث يظهر الإشباع (١٤)، ذلك أن القاعدة هي (الكلام في العربية يبدأ بمتحرك ويقف على ساكن (١٥)). والكلام هنا ليس باعتباره وحدات صوتية وحروفاً، ولكن عندما يبدأ بالكلمة الواحدة أو ينقلص من الجملة إلى كلمة، كما فعل الخفاجي

١٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢١، ٢٢ وأنظر البغني ٧/٢٠٦ رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٧٢ وما بعدها.

١٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٢. وأنظر كتاب العروض والتعوافي ابن جني (-٢٢٩٢/١٠٠١م). تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ص ٢١-٢٢-٢٢. مطابع دار العلم بيروت - لبنان ط ١٢٩٢/١٩٧٢م.

١٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢، وأنظر معجم المصطلحات البلاغية. الدكتور أحمد مطلوب ١/٢٠٧. مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦/١٩٨٦م (باب، الإشباع).

١٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢.

في أمثله ب(وقى) و(وعى) التي سار فيها الكلام إذا كتب حرفاً واحداً أي من (وقى) و(وعى) إلى (ق) و(ع)، وإذا نطق كان حرفين بما في ذلك غنة الوقف. وهذا يوافق قاعدتنا في ابتداء الكلام العربي بمتحرك وانتهائه بساكن (١٦) (ع) ويتفق الخفاجي في هذا مع سيويه (-/٥١٨٠م ٧٩٦م) وأبي هاشم (-/٥٢٢١م ٩٢٢م) والقاضي عبد الجبار (-/٥٤١٥م ١٠٢٤م) (١٧).

ثالثاً: الكلام بين الفائدة والاستعمال والافائدة والاهمال:

يصرح ابن سنان بمخالفة سيويه (-/٥١٨٠م ٧٩٦م) في رأيه، في أن (الكلام هو المفيد دون غيره (١٨)). ويتضح هذا التباين من قوله: (وإن قيل إن أتباع النحويين في مثل هذا الباب أسوغ، لأنهم أهل هذا الشأن، وأرباب هذه الصناعة، قلنا: إنما يجب اتباعهم فيما يحكون عن العرب ويروونه، وليس هذه المسألة من قبيله، بل العرب مجمعون معنا على تسمية الكلام المفيد بأنه كلام، وليس يمكن جحد ذلك عنهم (١٩)).

ولعل الخفاجي قد تأثر بأستاذ القاضي عبد الجبار (-/٥٤١٥م ١٠٢٤م) في انتقاد أهل اللغة حيث يقول: (فليس ما يقوله أهل العربية من أن الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى

-
- (١٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢. وأنظر سيويه. تحقيق هارون ٢١٨/٤، ٢٢٩، ١٤٤ (حيث انتلاف الفكرة والتمثيل والإجراء والمقصد).
- (١٧) المغني ٩/٧، ٢٧ (حيث ينقل عنه ابن سنان في سر الفصاحة ص ٢٢، وأنظر شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٩).
- (١٨) المغني ٢٧/٧، شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٩، سيويه تحقيق هارون ١٤٤/٤. (ابن سنان ينقل عن القاضي في كتابه).

- (١٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٧، ٢٨ وازن مع المغني ٩/٧ (الرد على أهل اللغة والنحو...). وفي شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٩ يقول القاضي: (ولا يجب أن يكون مفيداً بخلاف ما ذهب إليه شيخنا أبو هاشم، وإلا كانوا لا يعدون المهمل من أقسام الكلام وقد عرّوه منه، وأيضاً فلو كان الكلام هو ما يفيد، على ما يحكى على أبي هاشم، لكان يجب في عقد الأصابع والإشارة بالرأي أن يكون كلاماً، ومعلوم خلافه) وأنظر سيويه ٢٢٠/٢، ٢٢٣، ٢٢٠/٢، ٢٢٠/٤-٤٤. أنظر الكامل ص ٢٢٦.

بقادح فيما قلناه ، لأنهم قصدوا إلى الكلام الذي حدّدناه ، فسنفوه أستاذاً ، ولم يفعلوا كون جميعه حروفاً منطلومة نظاماً مخصوصاً ، ولم يتصدوا بقولهم : (وحرف جاء لمعنى) إلى ما ذكرناه ، فليس لأحد أن يقول قد سموا ما هو حروف - ليس - بحرف - كلاماً (٢٠) .

وأهل العربية من مثل سيبويه (٥١٨٠/٧٩٦م) والجاحظ (٥٢٥٥/٨١٨م) وغيرهما يشترطون الفائدة في قيام الكلام . وهو ما أفاد معنى (٢١) .

ويرى ابن سنان أن ما ذهب إليه أهل اللغة سطحيّ إذا ظلت النظرة على قصورها هذا ، مثله في ذلك كمثل الضارب وما يصدر عنه من فعل الضرب . وفي هذه الحال يتساوى المتكلم والضارب في القيام بالحدث ، وهذا وصف عام في هذا الحدث ، ومعنى هذا جريان الوصف على أي شخص ضارب أو محرّك أو مسكن وغير ذلك من الأفعال وليس الأمر كذلك للأسباب التالية :

- ١ - وصف المتكلم من طريق الفعلية (٢٢) .
- ٢ - عدم إخافة كلام النائم أو الساهي إليهما لانعدام القصد (٢٣) . وفي هذا يقول الخفاجي : (والكلام يقع من النائم والساهي بحسب قدرتهما ولتقهما واللغة العارضة في لسانهما وغير ذلك من أحوالهما ، على أنّا قد احتزنا بذكر التقدير في كلامنا ، لأن من المعلوم أن كلام النائم لو كان قاصداً لوقع بحسب قصد ، أو أنه مخالف لكلام غيره ، ويدل على ما ذكرناه أيضاً أنهم يضيفون الكلام المسموع من المصروع إلى الجني لما اعتقدوا تعلقه بقصد وإرادته (٢٤) .

-
- (٢٠) سر الفصاحة ط . دار الكتب ص ٢٧ ، ٢٨ ، المعنى ٩/٧ .
 - (٢١) سيبويه تحقيق هارون ٢١٦/٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠/٢ . وأنظر البيان والتبيين للجاحظ تحقيق هارون ٧٩/١ . وأنظر جمهرة اللغة ١٦٩/٢ ، ديوان الأدب لأبي إبراهيم الفارابي (٥٢٥٠/٩٦١م) . تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور إبراهيم أنيس ص ٧٥ . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية . القاهرة ١٢٩٤/١٩٧٤م . وأنظر المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي (٥٢٧٧/٩٨٧م) . تحقيق اسماعيل أحمد عمارة . مراجعة الدكتور نهاد موسى ص ٢٥ ، ٢٦ . منشورات الجامعة الأردنية عمان ١٩٨١م/١٤٠٢هـ .
 - (٢٢) (٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢) سر الفصاحة ط . دار الكتب العلمية ص ٢٧ ، ٢٨ ، المعنى ٩/٧ وما بعدها .

ونستشف من هذا أن الخلاف كامن في اعتقاد المتكلم بنسبته وفعاليته في كلامه مع اشتراطهم القصد في وقوع الكلام. وهذا مجرد حدث. ويرى الخفاجي الحجة عليهم في كلام النائم والساهي والمبرم الذي هو كلام مع انعدام القصد (سيطرة اللاشعور). وبذلك يكون أهل العربية يناقضون أنفسهم من حيث لا يعلمون. ففني القصد يعني نفى الكلام والعكس صحيح عندهم، إلا أن الحالة اللاشعورية للفرد تجعله يتكلم في لحظات معينة دون ضبط ولا انضباط، فيصدر الكلام نتيجة قَلَّتْ أو كَبَّتْ أو أحلام أو غير ذلك، فيخرج هذا الكلام من مخزون الشخص في وقت تكون إرادته وقصده غائبين. ومهما يكن فإن هذا الكلام يدخل في عداد الكلام. ومن جهة أخرى أثبتوا الكلام عند المصروع بحجة أن هذا الأخير ينوب عنه الجنّي الذي يسلب منه هذه الإرادة وهذا القصد. إذن فالأمر يعني بنا إلى ثنائية:

- ١ - حدوث الكلام على مستوى جهاز المشروع. (حدوث الكلام من قِبَل المتكلم).
- ٢ - انتقال الإرادة والقصد إلى الجنّي (غير المتكلم). (٢٥)

ويرد عليهم الخفاجي قائلاً: (وهذا كان خطأ منهم وجهلاً، فلا يغير دلائلنا منه، لأننا إنما استدللنا باستعمالهم على وجه لا فرق فيه بين الفاسد والصحيح، لأن عبارتهم تابعة لاعتقاداتهم، ولا فرق بين أن تكون تلك الاعتقادات علماً أو جهلاً، كما يستدل على أن لفظة إله في لغتهم موزوعة لمن يحق له العبادة تجب لها، وإن كان هذا الاعتقاد منهم في الأصنام فاسداً، فإن قالوا: إنما أضافوا الكلام المسموع من المصروع إلى الجنّي لما اعتقدوا أن الجنّي قد ملكه وخلطه، وأن الكلام حال في الجنّي دونه، فيعود الأمر إلى أن المتكلم بالكلام من محله، قلنا: ليس يعتقدون أن آلة المصروع ولسانه قد صارا للجنّي دونه، لأنهم لا يضيفون إلى الجنّي كل كلام يسمع من المصروع، كالنسيج والقراءة وما يجري مجراهاً ما يعتقدون أن الجنّي لا يقصده، وإنما يضيفون إليه ما يعتقدون أنه لا يكون من مقصود. غير الجنّي، فدل على أنهم لا يضيفون الكلام إلا إلى من وقع بحسب أحواله ومقصوده على ما قدّمناه (٢٦)).

ويرى ابن سنان أن موقف أهل اللغة في هذا الخصوص قائم على ضرب من الاحتمال والاعتقاد ونجمل هذه المعطيات فيما يلي:

٢٥، ٢٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٤، ٤٥ وأنظر المظني ٧ / ٩ وما بعدها.

- ١ - لا يتم الكلام إلا بالقصد. (٢٧)
- ٢ - انعدام القصد عند الساهي والتائم والمصروع يقتضي انعدام الكلام عندهم. (٢٨)
- ٣ - صرف القصد عن المصروع إلى الجني يقتضي غياب أحد الطرفين. (٢٩)
- ٤ - الكلام الموجود في الصدى يستحيل أن يكون كلام الجني من جهة، ولا كلام الله عز وجل (القرآن) بدليل أنه ربما يكون هذا الكلام زيفاً أو كذباً وعيلاً، والله عز وجل مُنَزَّهٌ عن ذلك، أو يكون كلام لا متكلم به. ويقول ابن منان: (فيجب أن يكون كلاماً لمن فعل أسبابه وَوُجِدَ بحسب دواعيه وقصوده، وليس لهم أن يمتنعوا من وجود الكلام في الصدى، لأنه عندهم معنى في النفس، لأننا قد بينا أن الكلام هو هذه الأصوات المخصوصة فيما تقدم، ولا شبهة في وجودها في الصدى (٢٠)).

رابعاً: اللغة في ضوء الفصاحة والبلاغة والنقد عند الخفاجي:

تأتي هذه المسألة في درامة ابن منان في المستوى الثاني من الممارسة النقدية بعد الأصوات والحروف والكلمة وحقيقة الكلام. ويجري هذا الباب على أسس سبعة منها اثنان يجريان مجرى النقد وذلك تتوفر المعطيات والفرصيات والاختلافات والأحكام، ويقدم الميزات التي تختص بها لغتنا العربية عن غيرها. وينطلق ممّا إذا كادت اللغة مواضعة أم توقيف. ويعرفها بأنها (أصوات وحروف يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) (٢١)). ويدل ذلك على أنها وسيلة اجتماعية وفنية خطيرة في حوزة البشر، وينوء بسعة وكرم هذه اللغة وفضلها عن غيرها وأنها تنبؤ عن التكلف والاستئثار اللفظي وانفرادها بالضاد (٢٢).

-
- ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٤، ٤٥، وأنظر رأي أبي هاشم (-٥٢٢١هـ/١٩٣٣م) والقاضي (٤٤١٥هـ/١٠٢٤م) في الصلبي للقاضي ١٦/٧، ١٧، ١٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ وشرح الأصول الخمسة ٥٢٨، ٥٢٩.
 - ٢١) المصدر السابق ص ٤٨، وأنظر في قضايا النقد الأدبي عند العرب. الدكتور عبد الحميد جيدة ص ١٤٧ وما بعدها، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع. طرابلس لبنان ١٩٨٥م.
 - وأنظر قضايا النقد الأدبي المعاصر. الدكتور محمد زكي العشماوي ص ٢٠٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م. (باب مفهوم اللغة).
 - ٢٢) الصدر السابق ص ٤٨.

ويجدر بنا بعد هذا تفصيل ما أمكن القضايا التي جاء بها ابن سنان في ضوء رأيه:

١ - اللغة مواضعة أم توقيف؟

إنها مسألة استتجناها من مشروع الخفاجي الفني لأهميته وخدمته موضوعنا هذا، وهي قضية ذات علاقة متينة بالإنسان وتاريخه واجتماعه وثقافته. فاللغة على وجه العموم عامل حيوي، لولاه لكان كل ما أردناه عالماً راكداً غامضاً. وقد شاء الله عز وجل أن تكون اللغة عُملةً تتداول في الوسط البشري. وقد ترجعنا إلى بداياتها على وجه العمود. وما نقوله في هذا الخصوص أن كيانها تزامن مع كيان البشر، فهي أداة وُجدت من أجله. وقد لاحظنا أن البعض قد انطلق من ساحة مكوث آدم وحواء في الجنة، ولا تنكر أن يومها كانت لغة قائمة للتبليغ والتوصيل والتفاهم، ولكن أية لغة؟ الله أعلم. ولا نستطيع الانطلاق من عالم ميتافيزيقي غيبي نعتق في مواجهته إلى الدليل القاطع، بل نعدل عن ذلك ونقصر اهتمامنا على لغة البشر وهم على وجه الأرض التي عهدناها، بعد انفصال الإنسان عن ذلك العالم. وآية ذلك قوله عز اسمه: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ (٢٣)).

إن هذه الآية الكريمة خير مؤشر على ما قلناه، وقوله تعالى: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤)). تفيد الانفصال عن ذلك العالم. وقوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٢٥)).

ومن هذا التحول كان البدء اللغوي المهود. فأول ما وطئت قدم آدم الأرض كان مجهزاً برصيد من اللغة يتمثل في قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٦)). يمكنه من التعامل والتفاهم في موطنه

٢٢) سورة البقرة / ٢٥.

٢٤) سورة البقرة / ٢٦.

٢٥) سورة البقرة / ٢٧.

٢٦) سورة البقرة / ٢٨.

الجديد. ومن المعلوم أن أسرة آدم عليه السلام كانت يومها قلة في العدد، وعلى هذا فاللغة توافق الوضع والحال. وفي اعتقادي أنه في البداية نفسها لا تجزم بتوقيفها، بل كانت الظروف تحدياً يدفع هذا الإنسان إلى التطلع والتسمية واشتقاق الأسماء بمقتضى إجماع بين الأطراف. ومن هنا كانت بواكير المواضع.

والمواضع والتوقيف من القضايا التي أثارها الخفاجي، وهي من الإشكال بمكان دار أمرها بين مُنكرٍ ومؤيدٍ. فابن منان يرى أن (اللغة عما تواضع القوم عليه من الكلام أو يكون توقيفاً) (٢٧). ويستدل بأشلة (يُقال في لغة العرب: إن السيف القاطع حسام، أي تواضعوا على أن سموه هذا الاسم) (٢٨). ثم يقول: (فأما قولهم في لغة بني تميم كذا، فراجع إلى ما ذكرناه، والمعنى أن بني تميم تواضعوا على ذلك، ولم يتواضع أهل الحجاز عليه) (٢٩).

فاللغة على رأي الخفاجي مواضع في أصلها وليست توقيفاً، ويرى أن الأمر يخص قول الله تعالى في هذا الصدد: ويرى أن الاقتدار إلى الاضطراب إلى قصد هو محط الارتكاز ومحور الإشكال. والعلة في ذلك (أن أحدث كلاماً لم يعلم أنه قد أراد بعض السميات دون بعض، ولو اقترن بهذا الكلام إشارة إلى معنى دون غيره، لأننا لا نعلم توجه الكلام، إلى ما توجهت الإشارة إليه) (٤٠)؛ وإنما يعلم ذلك بعضنا من بعض بالاضطرار إلى قصد، وتخصص الإشارة بجهة المشار إليه لا يعلم بها هل الاسم للجسم أو للونه أو لغير ذلك من أحواله، وأما إذا تقدمت المواضع بيننا وخاطبتنا القديم تعالى بها، علمنا مراده لمطابقة تلك اللغة (٤١).

- (٢٧) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٨. ميبويه تحقيق هارون ٢/٢٨، الخصائص ١٦٢/١، اللسان (وضع) و (وقف). الزهر ٩/١.
(٢٨) الزهر ٩/١ والأمثلة في مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٨.
(٢٩) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٨.
(٤٠) متناح اللسانيات جورج موان ص ٧٩.

P. 79, 87 Clefs pour la linguistique. Georges Mounin (Code et message).

- (٤١) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٨. وأنظر دلائل الإعجاز ص ٢٥٢، وأنظر قضايا النقد الأدبي المعاصر الدكتور محمد زكي العشماوي ص ٢٠٢، ٢٠٣. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر ١٩٧٥م. وأنظر الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم البيان. الدكتور جعفر دك الباب (مجلد الكتاب) دار الجيل دمشق ١٩٨٠م. وأنظر في قضايا النقد الأدبي عند العرب. الدكتور عبد الحميد جيدة ص ١٤٧ وما بعدها. دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع. طرابلس لبنان ١٩٨٥م.

ولعل ابن سنان يعني بقوله ما أورده جورج مونان في كتابه "مفتاح اللسانيات" في باب (الإشارة والبلاغ (٤٢)) وأما الأسس التي تشمل نظرية الخفاجي في هذا القبيل، فهي:

- ١ - إجماع القوم على تسمية معينة إجماعاً عاماً.
- ٢ - الإشارة في التخصيص من مجموع المسيات.
- ٣ - الاضطرار إلى القصد في الإجماع.
- ٤ - التوقيف في قوله تعالى توقيف لغوي ودلالي.

وإذا رجعنا إلى رأي أبي علي الفارسي (-٥٢٧٧/١٨٧م) وتلميذه أبي الفتح عثمان بن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) في خصائصه نجده يقول: (إن أكثر أهل النظر على أن اللغة تواضع وامطلاح، لا وحي وتوقيف (٤٢)). ويتخذ من يقول يتوقيفها كما فعل أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد حين قال: (هي من عند الله، واحتج بقوله سبحانه (وعلم آدم الأسماء كلها) (٤٤)). ويوضح الأمر قائلاً: (وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله، أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة. فإذا كان ذلك محتملاً غير مستنكر سقط الاستدلال به في بعض كلامه (٤٥)). وهذا أيضاً رأي أبي الحسن الأخفش (-٥٢١٥/٨٢٠م) على أنه لم يمنع قول من قال: إنها تواضع منه، على أنه قد فسر هذا بأن قيل: إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات، ففلبت عليه، واشتمل عنه ما سواها لبعد عهدهم بها (٤٦)).

(٤٢) مفتاح اللسانيات. ص ٧٩ - ٨٧.

P. 78, 87 Clefs pour la linguistique (Code et message).

(٤٢) الخصائص ٤٠/١ وما بعدها (منعة أبي الفتح عثمان بن جني (-٥٢٩٤/١٠٠١م) تحقيق محمد علي النجار. مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢/٥١٢٧١م.

(٤٤) البقرة / ٢١ (وتماصها فيما سبق).

(٤٥، ٤٦) الخصائص ٤١/١.

فابن مثنان إذن يوافق ابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) في المواضع بدليل تصريحه: (إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضع... وذلك بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فساعدوا فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضوئ الكل واحد منها سمة ولفظاً، إذا ذكر عُرف ما مسماء، ليمتاز عن غيره، وليفني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين (٤٧)). وهذا تعليل لمن قال: إن اللغة لا تكون وحياً.

وقد استثنى الخفاجي كلام الله تعالى، وهذا أمر أراء على وجهين:
١- ما علمه الله لآدم من أسماء حين أنزله إلى الأرض لقوله تعالى: (فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٤٨)). وقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٤٩)). وقوله عز اسمه (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٥٠)).

فآيات الثلاث متصلة ثنية بمستويات ثلاث، الأول والثاني خطبيان في تعلم الأسماء وتلقي الكلمات ثم الانفصال عن العالم الآخر. وقد أنزل آدم عليه السلام مجهزاً برسيد لغوي يمكنه من مجابهة مشاق هذه الحياة الغريبة عنه. وفي هذه الأوليات كانت اللغة مناسبة لبداية الحياة البشرية؛ وبعدما تطاول الأمد احتاج الناس إلى اجتراح ضروب من المسميات موافقة لمقاصدهم (٥١)). وإذا نظرنا إلى مجمل مسيرة اللغة لدني تطوراً هائلاً طرأ عليها ووسّعها، وهذا راجع إلى الإجماع والاصطلاح المتواصل.

أما الوجه الثاني فيمكن فيما أنزله الله تعالى على رسله وختاماً بما أوحى به إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وفي هذه الحالة التحرز والاحتراس واجباً، فالأمر موقوف على اللغة والدلالة التي أنزل على هيتها وغايتها، لقوله تعالى: (وَلَن تَجِدَ لِسَانَ اللَّهِ تُحْيِي (٥٢))

(٤٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٨ وأنظر القول في الخصائص ١٢/١، ٧١ وأنظر في علم اللغة. الدكتور عبد الصبور شاهين. مؤسسة الرسالة ط ٤/٤٠٤/١٩٨٤م.

(٤٨) سورة البقرة / ٢٧.

(٤٩) سورة البقرة / ٢١.

(٥٠) سورة البقرة / ٢٦.

(٥٢) الخصائص ٢/٢٨، ٢٩، المزهر ١/١ - ١٠.

و(ولن تجد لسنة الله تبديلاً(٥٣)). وفي هذا يقول ابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م):
(وقالوا: والتقديم - سبحانه - لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحداً على شيء إذ قد ثبت أن
المواضعة لا بدّ معها من إيماء وإشارة بالجراحة نحو الموما إليه والمشار نحوه(٥٤)).
(وقالوا: والتقديم سبحانه لا جراحة له، فيصبح الإيماء والإشارة منه بها، فبطل عندهم أن
تصح المواضعة على اللغة منه تقدست أسماؤه(٥٥)).

٢- هل اللغة توقيف؟

هذه القاعدة على خلاف المواضعة. قال أبو الحسين أحمد بن فارس
(-٥٢٩٥/١٠٠٤م): (اعلم أن لغة العرب توقيف(٥٦) ودليل على ذلك قوله تعالى (وعلم آدم
الأسماء كلها(٥٧)). ويثبت ابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) بقوله: (هذا موضع معوج إلى
فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واسطادح، لا وحي
ولا توقيف(٥٨)).

ثالثاً: الفصاحة والبلاغة في ضوء أنتقد الخفاجي:

يمد هذا الجانب الغاية التي يسمى إليها ابن سنان في بحثه هذا، لأنه يمثل محط ارتكاز
مجمل الموضوع ومحموره. ويحملنا هذا إلى القول: إن كل ما تقدم وسيلحق ذو علقه تفاعلية
وكيدة تصب في هذا الباب، وأكثر من ذلك إن عنوان البحث مأخوذ منه. وانظر إلى تقنية

(٥٢) فاطر ٤٢.

(٥٤) الخصائص ٢/٢٨٨، ٢٩.

(٥٥) الخصائص ١/٤١ وما بعدها، المزهري ١/١٢ وما بعدها.

(٥٦) الخصائص ١/٤١ المزهري ١/٨-١٢، الصاحبى لابن فارس (-٥٢٩٥/١٠٠٤م) ص ١٥،
المكتبة السلفية. القاهرة ١٩١٠م/١٢٢٨هـ.

(٥٧) البقرة / ٢١ وتامها فيما سبق.

(٥٨) الخصائص ١/١٠ - ١١، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٨. وانظر علم
اللغة. الدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٧٤، ٧٥. مكتبة نهضة مصر ط ١٣٨٢/١٩٦٢م
المزهري ١/٨.

الرجل وأسلوبه الذي ينفذ إلى مدارج ومعارض ومخارج قائمة على حسن التخلص من مرحلة إلى أخرى. فأنك كلما سارته خطوة ألفتته يرتقي درجات متصاعدة متجهاً من البسيط إلى المركب، مروراً بالربط والتوضيح والنقاش والتشيل ليصل إلى مبلغ التعقيد؛ ثم يشرع بعد ذلك في النزول حيث ينتهي إلى تثبيت الموقف وتطبيق الحكم واستنباط القاعدة.

فالفصاحة والبلاغة أمر أشكل على الكثيرين في التمييز بين الطرفين. فالفصاحة كما قال ابن سنان تمنى (الظهور والبيان) (٥٩) وهذا هو العامل المشترك بين الجانبين (الفصاحة والبلاغة) (٦٠). ولعل جل العلماء يتفقون على هذا بطريقة أو بأخرى (٦١). غير أن عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ/١٠٧٨ أو ١٠٨١م) يخالف هذا الرأي حين عقد فصلاً تحت عنوان: (فصل في الرد على من يقول: الفصاحة للفظ وتلاوم الحروف) (٦٢).

ونفهم من هذا أن الخفاجي يتجه بنظريته اتجاه امتدادياً انطوائياً من الجزء إلى الكل؛ بينما الجرجاني ينهج نهجاً ارتدادياً انطوائياً من الكل للعودة إلى الجزء. فالأول يشبث قيمة الكل من خلال الجزء والثاني يشبث قيمة الجزء من خلال الكل (السياق) فلا حياة ولا قيمة للفظ إلا في السياق مؤلفاً مع غيره. بينما ابن سنان يرى قيمة الجزء مهمة في قيام التأليف بشئى مستوياته. ونراء يفصل الأشكال في تمييز الفصاحة عن البلاغة في نعت الأولى بوصف الألفاظ (٦٢) والثانية بوصف الألفاظ مع المعاني (٦٤). ويشير إلى اتفاقها في (البيان والظهور).

١٥٩، ٦٠) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٨ وأنظر البيان والتبيين. تحقيق هارون ٨٨/١-٩٦-١٠٦-١١٢، ١١٥.

٦١) كتاب الصناعين. تحقيق البجاوي ص ١٠، ١٦ وتحقيق الدكتور قبيصة ص ١١٥، ٢٢؛ نهاية الإيجاز تحقيق بكر شيخ أمين ص ١٨٩ دلائل الإعجاز تحقيق محمود شاكر ص ٥٧ الشل السائر تحقيق محي الدين ١/٦-٧-٦٤، ٧١، ١٨٦. محتاج العلوم ص ١٩٦.

٦٢) دلائل الإعجاز تحقيق محمود شاكر ص ٥٧.

٦٣، ٦٤) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٨ وأنظر فصول في البلاغة. الدكتور محمد بركات ص ٢٥ وما بعدها (باب اتقاء الفصاحة بالبلاغة). وأنظر البلاغة عرض وتوجيه وتفسير الدكتور محمد بركات ص ٩٥ - ١٦٤، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م.

إذن فالعصيتان تختلفان في أصلهما وتحددان في الوظيفة اليبانية. فالطرفان يقومان على فصاحة الألفاظ مباشرة وعلى البلاغة ضمناً. ولما أمنت النظر وجدت الخفاجي قاسراً همه على فصل المستويين والإشارة إلى التقائهما في البيان. فعناصر المستوى الأول تركيبة تدخل من خلال ترابطها في تشكيل السياق. وعلى هذا فهو يحتاط ويفرد كل جانب على حدة ثم يربطهما، تماماً كما يفعل البناء الماهر الذي يأخذ اللَّيْنَاتِ المناسبة من حيث مادتها وشكلها وموقعها إلى جانب غيرها لتلتحم مع الأخريات، وتعطي في آخر مطافها سورة ملامعة كان يقصد إليها هذا البناء في مشروعه. فالخفاجي أيضاً إزاء هذا الركام الهائل من الكلمات، فهو يفحصها داخلياً وخارجياً، إذ هي الأخرى تقوم على عناصر أسفر وهي الأصوات والحروف، وينظر مدى انسجامها وامتجابتها في الجوار. فإن تقاربت ظهرت اللكنة والتنافر واللبس في التأليف، وكان ذلك عيباً ترفضه الفصاحة والبلاغة، وإن تباعدت وتناصبت في المخارج حسن ذلك في التأليف، بعدما يرفع النور. وأما المستوى الثاني وهو (حسن وصف الألفاظ مع المعاني) (٦٥). فنلاحظ أن طرف المعنى قد تدخل يعطي حياة واتجاهاً دلاليّاً لهذه الألفاظ المتألّقة المترابطة ارتباطاً يغني إلى البلاغة في التعبير عن القصد. وبهذا تمتاز البلاغة عن الفصاحة في رأي الخفاجي القائل: (وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً) (٦٦).

إذن فالفصاحة على مذهب ابن سنان قوامها الألفاظ على انفرادها، والتي تحسن إذا خلت من العيوب كالتنافر والوحشية والغرابة وغيرهما، ويزيد هذا وضوحاً قوله: (والبلاغة لا تكون إلّا وصفاً للألفاظ مع المعاني، ولا يُقال في كلمة واحدة تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة) (٦٧).

ثم إننا إذا وازنا بين هذا وما جاء به عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١) أو (٤٧٤/١٠٧٨ أو ١٠٨١م) في نظرية النظم، نجد الاختلاف في المستوى الثاني والاختلاف في الأول. حيث إن هذه النظرية تركز أساساً على علاقات الأجزاء في التأليف، ولا تعترف كل الاعتراف بالمفرد على حدة.

(٦٥) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٨ - ٥٩.

(٦٦) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ٥٩.

(٦٧) المصدر نفسه ص ٥٩، اللسان (فصح) و (بلغ).

ولعل هذا ماخذ يوجه إلى ابن سنان. ولا يعني هذا أن الطرفين مخطئان، فلكل واحد منهما وجهة نظر علمية، غير أن الجرجاني مار ميراً ارتداً والخفاجي امتد في نظريته امتداداً. وهذه علاقة عكسية تأتلف في أشياء وتختلف في أشياء، وهي من المتانة بـمكان إذا تكاملتا. ولعل نظرية عبد القاهر ذات حظ أوفر في الوسط النقدي المعاصر حيث صار الشعار المرفوع أن اللفظة لا تعيش إلا في السياق من خلال علاقاتها مع الأجزاء الأخرى. وهي التي تفيدنا من طريق لقها التصويرية التي لا تفصل بين المبنى والمعنى. وبهذا تكون هذه اللغة أشكالاً ثلاثة:

- ١- شكل الصورة اللفظية.
- ٢- شكل الصورة الدلالية المباشرة.
- ٣- شكل الصورة الدلالية الانطباعية: ومن هذا كله تنتج الصورة البائية.

ولتبيان معالم التقاء الفصاحة بالبدعة (١٦٨)، نقول: إن القطع في هذا هو أن الألفاظ قبل دخولها في عالم التأليف أو النظم تكون خالية من عيوب التنافر والوحشية والغرابة الخارجية عن العرف، وتكون خالصة من التعقيد، مؤهلة في فصاحتها لتدخل عالم البدعة مقادها (بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في قلبه، مع الاحتراز في الإيجاز. غير أننا إذا امتدنا قليلاً إلى الأمام نجد العلوي يحيى بن حمزة (-٥٧٤٩/١٢٤٨م) يكاد يجمع شتات الخدوف القائم بين ابن سنان والجرجاني، إذ يفرد لذلك باباً خامساً تحت عنوان (في بيان الفصاحة المعنوية (١٦٩)).

وفصاحة الألفاظ إنما تكون بتجنب تقارب المخارج في الحروف والوحشي والغريب المبتذل الذي ينبوعه الذوق ويمتجه السمع ويتجاءه الطبع. وإذا كان هذا واضحاً، فلم يبق لنا سوى تطبيق هذه الآراء على الآثار العربية دون الخروج عن أمثلة ابن سنان، شعرها وشراها. ولقد كفانا الخفاجي مشقة البحث عن ذلك، إذ قدم لنا ما يوفي بعون الله بالفرض

-
- (١٦٨) أنظر في قضايا النقد الأدبي عند العرب ص ١٥٢. (مقارنة نظرية النظم عند العرب بالمنهج اللغوي: Philopogie). سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٩، كتاب الصنائع. تحقيق الدكتور قميحة ص ١٥ - ١٨، نهاية الإيجاز تحقيق تکر شيخ أمين ص ١٨٩، البيان والتبيين. تحقيق هارون ١٨٨/١ - ١١٥، وأنظر فصول في البدعة. الدكتور محمد بركات ص ٢٧ والبيان العربي ص ٥ - ٦. المثل السائر تحقيق محي الدين ١١٢-٦/١، ١٦٤، ٧١، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٢، الطراز ٢/٢٦٠ - ٢٦٦.
- (١٦٩) دلائل الإعجاز تحقيق محمود شاكر وأسرار البدعة. وأنظر الطراز ٢/٢٦٠ - ٢٦٦. سر الفصاحة ص ٥٨ وما بعدها.

المقصود. ويشير قبل هذا إلى مسألتي الفصاحة والبلاغة على أنهما من الصعوبة بمكان نتيجة اختلافات الآراء حولهما؛ ذلك أن القضية هذه أعت أربابها المقتدرين من مثل الجاحظ (-٢٥٥هـ/٨٦٨م) والآمدي (-٢٧٠هـ/٩٨٠م) اللذين يجعل صورتهما في عصرهما إزاء زمان وإزاء المدعين الكثير بالمعركة في هذا الفن. ولا يزال الأمر في حاجة ماسة إلى التوضيح في نظر الخفاجي. ولهذا يرى نفسه مسؤولاً ومكلفاً بحمل هذه الرسالة الإصلاحية لإزاحة هذا الإشكال. والقاعدة التي ينطلق منها هي: (إن الفصاحة نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، ومتى تكاملت تلك الشروط، فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف، وبوجود أعدادها تستحق الأطراح والذم (٧٠)).

وإذا قرأنا جيداً "سر الفصاحة" نجد الخفاجي يحدد الأبعاد والاية التي يسمى إليها في مقدمته. وقد كان يرمي من خلال تأليفه هذا إلى توضيح حقيقة الفصاحة أولاً ثم حقيقة البلاغة؛ ويكشف عن السر العجيب المؤثر الذي يشد المتلقي إليه أيما شد، متخذاً في ذلك فصاحة القرآن الكريم نموذجاً أمثل تقاس في ضوئه فصاحة تأليف كلام العرب في شتى مستويات نظمه ليعرف جيداً من رديئه. وعدوة على هذا فالخفاجي واثق من أن لكل جمال في الكلام المؤلف سبباً يمكن الاهتداء إليه، يمكن أن يدركه الذوق من غير أن يعرف العلة أو السبب (٧١))، كذلك اللطائف والدقائق الكامنة وراء ألفاظ القرآن الكريم. وبهذا الحل يكون كتابه عبارة عن موضوع يستطيع الباحث من خلال ذلك امتشاح سبب ذلك الجمال والتأثير. وللذوق والطبع في هذا الخصوص نصيب وافر. قص على ذلك العالم الخبير صاحب الذوق والطبع إذا وقف على علم العروض والنحو علل في البيت الوزون والكلمة المعربة (٧٢). ويقرأ أيضاً أن القواعد المتعددة التي نصبها في كتابه تمكن الحارث والناشيء ومن لا درية له ولا سابق دراية بالفصاحة من التمييز في الكلام بين الفصيح وما هو دونه. ومن هنا يمكن أن تصوّر كتابه في وضع مشابه للعروض إزاء النظم والنحو تجاه الكلام الفصيح. وهذا التقابل ينبري بخلفية الخفاجي الثقافية في علوم العربية. وتستشف أيضاً في أماكن عدة من هذا المؤلف شخصيته الوثابة الطموحة إلى الإبداع والأصالة والفردية؛ على أنه استقى الكثير من السابقين فظلّ تابعاً لهم، إنما الأمر في استدراكاته وأفكاره الطائفة لهم في المنهج والأسلوب والفكرة، وهذا الشيء الذي يميزه بحق عن غيره ويعطيه حق الفردية والإبداع.

(٧٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٥ - ١٢ (المقدمة).

(٧١) البلاغة العربية: نشأتها وتطورها. الدكتور حفني محمد شرف. الناشر مكتبة الشباب القاهرة (٤).

(٧٢) المرجع السابق ص ٢٥١.

وسر الفصاحة في واقع أمره قائم على أساس الفرق بين الفصاحة والبلاغة. يقول الخفاجي: (والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلاّ وصفاً للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفصل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه (٧٢)).

وعلى أساس هذا التمييز نكون إزاء قسمين كبيرين؛ أولهما في الفصاحة التي تنطوي على أقسام جزئية هي الأخرى:

- ١- ما يوجد في اللفظة الواحدة (٧٤).
- ٢- ما يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض (٧٥)، ويعني به الكلام في الألفاظ المولدة، وفيه عرض الكلام المؤلف وما يجب أن يتوفر في هذه الألفاظ المفردة.
- ٣- ما يوجد في المعاني (٧٦).

ويعدّ هذا التقسيم خطوة من قبل ابن سنان إذ يصرف همه كله بادى ذي بدء إلى المبني في مفردة وهو أمر محمود عند أنصار مبدأ الفصل بين اللفظ والمعنى، ومذموم عند أصحاب مبدأ المزج بين هذا وذاك، أي أن غايتهم في ذلك تفاعل المبني مع المعنى في إعطاء لغة تصويرية وشعارهم في ذلك أن الكلمة لا تعيش إلاّ في السياق، وهو ما فعله الرائد عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١ أو ٤٧٤ هـ/١٠٧٨ م أو ١٠٨١ م) في هذا المضمار في نظرية النظم. إلاّ أنه لا يجوز قطف الثمار قبل أوانها، فقد فكرت في الأمر ملياً ورأيت أن الرجل يتهج أسلوباً خاصاً به، وهو محق في ذلك، لأن الطرق قد تتعدد في الوصول إلى هدف معين. ورأيت أنه يريد أن يغوص في أعماق الأشياء. كيف ذلك؟ إن الرجل قد أخذ بما يعرف في النقد المعاصر بنظرية الأشكال. فالشكل الأول يتجه سوباً إلى الصورة اللفظية، وينظر وحداتها جزءاً جزءاً ثم يرى مدى تلاؤم هذه العناصر كالألفاظ مفردة في التركيبة (Structure) اللفظية. وكذلك فعل ابن سنان. ثم الشكل الثاني الذي يتجه رأساً إلى المعنى المباشر الذي أنشأته الصورة

(٧٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٨-٥٩ (في الفرق بين الفصاحة والبلاغة)

(٧٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٦٢.

(٧٥) المصدر السابق ص ٩٢.

(٧٦) المصدر نفسه ص ٢٢٤.

اللفظية في تألفها مع بعضها. وفي هذه الحالة تكون فيها الدلالة أقرب ما تكون إلى ما توحيه هذه الألفاظ المؤلفة مع بعضها ^{المعنى} فلا تحتاج إلى إجهاد الفكر في فهم الأشياء. وأما الشكل الثالث فيعتمد الشكل الأول والثاني كوسيلة للوصول إلى الدلالة الانطباعية والصورة البيانية حيث يكثر الرمز والتأويل في فهم الأشياء. وهذه الحالة تستوجب ثقافة وخبرة واسعة وإجهاد فكر في فهم مقصد الأمور الواردة من طريق التأويل، ولعل الشكل الثاني والثالث موطن التقاء بين الخفاجي والجرجاني (٧٧).

وما يطمئن علينا إدراكه واعتباره هو غاية ابن سنان في ممارسته، فهو إنما أراد أن يفحص ذلك الكيان الواحد من الألفاظ المفردة في ذاتها والمؤلفة مع غيرها ليبيّن لنا ذلك التركيب الجزئي الذي تقوم عليه من الأصوات والحروف على مستوى اللفظ المفرد والسياق الشكلي والمعنوي. فهو بهذا يوصل الأجزاء ببعضها ^{المعنى} ويفحص عناصرها من حيث تقارب الحروف وتباعدها في تأليف الكلمة ثم الجملة ثم النص ووحشتها وغرابتها وتعقيدها وعرفيتها. وتلك شروط توزن في شونها الكلمات المفردة والمؤلفة لتيبين رداؤها وقبحها في تأسيس التأليف الفصيح ثم البليغ. وفي هذه الحالة يتبين لنا جلياً مدى الاتصال بين المبنى والمعنى عند الخفاجي. ولا عجب إذا رأينا سلك في المعاني الأسلوب الذي طبقه في الألفاظ مفردة ومؤلفة. فالعملية آتية ليس إلا، بمعنى أن صاحبنا يرى النص المؤلف شريحة فنية أشبه ما تكون بأي عينة مشخصة قابلة للتجريب والملاحظة والتحليل والاستنتاج. وهذه الشريحة الفنية إزاء عينة مقابلة أخرى مشخصة تنطوي على طبقات، بعضها فوق بعض، فيأتي المتخصص فيرى كل طبقة ذات خصائص. ألا ترى أنه انطلق من الفصاحة والبلاغة الموجودتين على مستوى المفرد والجملة. والنص بهذا التقدير عينة فنية قابلة للتجريب والتشخيص شأنها في ذلك شأن أية عينة أخرى. فالمستوى الأول كما ذكرنا هو شكل الألفاظ (الصورة اللفظية)، والثاني هو شكل المعاني (الصورة الدلالية البيانية)، والثالث هو المعاني الانطباعية أو التأويلية أو الذاتية. وإذا كانت تنعدم مياهم ومعالم البنية الكلية في انفصال واتصال الأجزاء، فإن الأمر كذلك إذا عاشت اللفظة في منأى عن السياق. ومجرد انتظامها مع غيرها في نسق لغوي متعارف عليه

(٧٧) انظر دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني (١٤٧١هـ أو ١٠٧٨هـ/١٠٨١م) وأنظر فصول في النقد. الدكتور محمد بركات ص ٢٥ وما بعدها (التقاء الفصاحة بالبلاغة).

يتزاوج اللفظ من المعنى وتقوم للألفاظ حياتها. ونسبه الخفاجي في هذا البحث بطبيب حكيم يتعامل مع إنسان، يفحص تفاصيل جسده بدقة ولطف ليعرف مدى تأثير تلك الأعضاء على روحه ونفسه. كأن ابن سنان يتعامل مع الجهاز اللغوي على طريقة الحكيم نفسها؛ وكأنه رحمه الله يعيش معنا دقائق العصر الراهن بأفكاره ومنهجه وفلسفته وأسلوبه. فلا غرابة إذا أدرجنا الخفاجي في عداد المعاصرين الخالدين بفكرهم وروحهم وإبداعهم لكل زمان.

وبعد هذا كله نرى ابن سنان قد رسم نهجاً يجمع بين النظرية والتطبيق، في كل خطوة من خطواته النقدية. ولذا يتعين تفصيل هذه الطريقة لنجعل القارئ على هدى من أمرنا. ونعود إلى رد البنود التي تجسد الممارسة من بسيطها إلى مركبها. وقبل هذا نشير إلى أن صاحبنا كان يأخذ ببداية المستوى والرحلة (الاتقالية الآتية من حالة إلى أخرى، إذ أنه عندما يفرغ من مسألة يتقل إلى أخرى لاحقة تكون الأولى مقدمة لها). ولذا ترى ما أخذ به يضفي على منهجه ضرباً من الترتيب الواعي الذي لا تهزم آثار ذلك الالتفات الاستدادي والارتدادي الذي يوجد في ممارسته، والذي جاء لأجل تأكيد الحقيقة وتبليغ الفكرة، ثم إنك تراء في مواضع لاحقة يراعي ذلك ويطبق شروماً وقواعد ومعايير يشرحها ثم ينتقلها في حالات مختلفة تمثل نماذج تطبيقية في علميته النقدية.

أولاً: فيما يوجد في اللفظ المفرد:

إن مجرد ذكر هذا العنوان، تطالحنها قاعدة الخفاجي في قصره (حسن وصف الألفاظ على الفصاحة) ألا وهو القائل (الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ (٧٨)). وهذا حد لا ينبغي تعديده لأن نخرج على نطاق الفصاحة. وتنطوي تحت هذه القضية شروط ثمانية مرشحة لخوض غمار النقد على مستوى الألفاظ. وإذا نحن أمعنا فيها النظر وجدناها قوانين نقدية تنظيمية، تنفصل في أجزائها وتتصل في جملتها، ترمي إلى استدراك نقائص التأليف في عناصر الكلمات. ولسائل أن يقول: فيم العلة في نقدية هذه الشروط المنصبة؟ والجواب على ذلك أن المسائل المطروقة يتأهبها نقص أو عيب أو فساد أو شذوذ ينافي فصاحة أجزائها. فالناقد في مثل هذه الحالة يتدخل لاستدراك هذه السليبيات واقتراح حل سليم. ونحن الآن أمام حشد من القضايا اعتراها النقص واعتورها السلب، فحق عليها الانتقاد وحق علينا تبينها.

١ - التأليف بالحروف المتباعدة:

وفي رأيي هذا شرط انتقائي، اجتناب الخفاجي من خلال مطالعته الكثيرة من أثر التراث العربي، فرأى أن هذه الظاهرة تتكرر في كلام العرب، ولكن الكثير من تأليف وحداتها لا يستسيغه الذوق والطبع وينفر عنه السمع، وهذا شيء ينعدم في كلام القرآن الذي يَرَاهُ نموذجاً مثلاً يصغر أمامه أي تأليف بشري لخرقة العادة وبصرفه الناس عن معارضته لما يخفيه من لطائف ودقائق جمالية تأثيرية. فإذا كانت ألفاظ القرآن الكريم خلوة من العيوب، فإن كلام العرب فيه من ذلك الكثير في نظمهم وشرهم؛ وتكاثرت هذه المضلات حتى صارت حسب الخفاجي أمراً يخشى من زحفه على الساحة الأدبية. وإذا كنا فيما سبق قد تحدثنا عن طبيعة الصوت ومواصفاته، فإننا الآن ندرسه كوحدة أساسية في النطق، وفي تأليف الكلمة في نفسها أولاً ثم في مساهمتها في السياق؛ مختلفة لا متضادة حتى تصير كأنها ذقون مزجت فيها ألوان مختلفة متباعدة كالأبيض والأسود، أو كالصورة التي نستشفها من قول أبي الشيمس؛ استدلل بها الخفاجي:

فألوجه مثل الصبح مبيض . والفرع مثل الليل مسود (٧٩)
خداًن لما استجمعا حسناً . والخند يظهر حسنه الخند.

فالرسام إذا أراد تشخيص هذين البيتين، يعمد إلى رفق الأبيض والأسود اللذين هما لوان متباعدان بل متضادان في رسم صورة معينة، بما يعرف باللون الثنائي. وهذا تفسير مادي لحسن التأليف بالحروف المتباعدة.

٢ - التأليف بالحروف المتقاربة: (٨٠)

وهذا الشرط يناقض السابق، وهو الموطن الذي يتقدم الخفاجي على مستوى المفرد. فإذا أخذنا مثلاً كلمة (همخع) نلاحظ فيها تقارباً في مخارج الحروف. وفي هذا يقول: (وحروف الحلق مزجة في القبح إذا كان التأليف منها فقط (٨١). والهاء والعين والخاء من حروف الحلق المتقاربة، ولذلك لا يحسن التأليف بها. وقس على ذلك ما تقارب من الحروف في صدارج أخرى في الحلق والحنجرة والقم والشمسين والأنف.

(٧٩) أنظر أشعار أبي الشيمس تحقيق عبد الله الجبوري ص ٤٥. وأنظر من الفصاحة ص ٦٤ ط. دار الكتب العلمية.

(٨٠، ٨١) من الفصاحة ص ٥٧ وأنظر جمهرة ابن دريد (٢٢١-هـ) (حيث يورد الخليل (١٧٥٠-هـ/٢٩١٠م) حول مساعده من أعرابي كلمة (همخع) فينكر تأليفها).

ثانياً: أن تجد اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها، وإن تساوت في التاليف من الحروف المتباعدة (٨٢)

هذا الشرط شبيه بما قاله ابن جني (٨٢) (- ٥٢٩٢/١٠٠١ م) والخفاجي لا يزال يرفد العناصر الفنية لتقريب الفهم وإمامة الفموس، وتشخيص الموقف عن طريق المقارنة بين صورة وأخرى. يتناول الأنغام والألوان على أن لها مدًى وَوْحاً تأثيرياً في النفس، فالأنغام تدرك بالسمع والألوان بالبصر، والعلة في ذلك أن العناصر المنتظمة في نسق منسجم تُعطي رونقها وجمالها، كذلك في فن القول، ونخص هنا التاليف على مستوى المفرد. ومن المعلوم أن التاليف في هذا الخصوص في حقيقته عناصر مركبة بأسلوب مسبق ومعهود. والذي نقوله هو أن اللفظة بعامة والألفاظ بخاتة أنماط جاهزة بالمواضع في المجتمع، على خلاف الألوان التي مادتها غُفْلٌ. فالستقر من هذه الزاوية واحد وإن اختلفت الأسباب وتعددت العناصر التاليفية. ومثال ذلك: (ع ذ ب) = صورة لفظية حين تتنظم على هيئات مختلفة تعطي مفاهيم متعددة: عذيب = اسم موضع، عذبية: اسم امرأة، عذب وعذاب وعذَّب وعذاب... فإذا نحن راعينا التاليف المتباعد الحروف، نجد في هذه الألفاظ ما لا نجد في التاليف المتقارب الحروف. ومن هذه الحالة يظهر قصد الخفاجي في تمييز التاليف. وفوق ذلك يصر على وضع الحروف في الموضع المناسب للتاليف حتى تكون اللفظة رائعة فصيحة. ومثال على ذلك: (الحنن والسلوج) فلا (يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الحسن غصناً أو فنتاً أحسن من تسميته عسلوجاً وأن أغصان البان أحسن من عسلوج الشوخط في السمع (٨٤)). ويورد ابن منان مجموعة من النماذج في الشعر والنثر تكثف ألقافاً حسنة التاليف والأخرى ذميمة. فأما المحمود منها فمثل (تفاوح) (٨٥) في قول المتنبي (- ٥٢٥٤/١١٦٥ م). وأما المذموم منها فمثل (الجرشي) (٨٦) عند أبي الطيب أيضاً، و(الحقلد) (٨٧) عند زهير بن أبي سلمى.

- (٨٢) مر الفصاحة ٥٧ ط. دار الكتب العلمية.
(٨٢) مر صناعة الإعراب ٧٧/١ وأزن مع مر الفصاحة من ٥٧ ط. دار الكتب العلمية.
(٨٤) مر الفصاحة من ٦٥ ط. دار الكتب العلمية.
(٨٥) أنظر ديوان المتنبي / مكبره / ٢ / ٢٠. ومر الفصاحة من ٦٧ ط. دار الكتب.
(٨٦) ديوانه/عكبري/١/٩٩ في مدح سيف الدولة (الجرشي: النفس)، مر الفصاحة ٦٧.
(٨٧) ديوان زهير سنة ثلث م ٢٢٤. والحقلد: الضيق البخيل، وأنظر الموازنة تج صقر ٢٨٤/١ الصناعتين تج البجاوي وأبو الفضل ١/١٢٧. مر الفصاحة ٦٧.

- (٨٥) والساهد: إذا سارت الأحداج فومه نباته... تقاوع مسك الغايات ورنده
(٨٦) والساهد: مبارك الاسم أغر اللقب... كرسم الجرشى شريف النسب
(٨٧) والساهد: آتني نقي لم يكثر غنمه... بسوكة ذي قرين ولا محتدر

ثالثاً: أن تكون غير متوعرة وحشية: (٨٨)

وهذه قاعدة الجاحظ (-/٥٢٥٥م-٨٦٨م) (٨٩) في أصلها. ومن أمثلتها (كهل) (٩٠) عند أبي تمام، و(تكاكؤون) (٩١) عند أبي علقمة النحوي و(افرتعوا) (٩٢) أيضاً. و(قنطر) (٩٣) عند أبي تمام و(دردديس) (٩٤) و(الفلواء) (٩٥) و(هيلع) (٩٦) لدى جرير و(عجالط وعكالمط) (٩٧) لدى شاعر لكرة، و(قرامس وحضيمس) (٩٨) عند شاعر مجهول أيضاً، و(المرمريسا) (٩٩) لدى محمد بن مناذر (-/٥١٩٨م-٨١٣م)، و(بوزع) (١٠٠) لدى جرير والخليل بن أحمد (-/٥١٧٥م-٧٩١م) و(عقرقس) (١٠١) عند البحتري (-/٥٢٨٤م-٨٩٧م)

- ٨٨) البيان والتبيين تحقيق هارون ج ١/٧٥-٨٨ وأنظر ١/١٢٥-١٢٦ حيث وسية بشر بن المعتمد.
- ٨٩) ديوان أبي تمام/مكبره/تحقيق عزام ٤/٥٢٢.
- ٩٠) أدھر سر الفصاحة ص ١٧ ط. دار الكتب العلمية.
- ٩١) المصدر نفسه ص ٦٧ ط. دار الكتب العلمية.
- ٩٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي تحقيق عزام ٤/٤٥٢. (الدرديس والقنطر: الداهية)، سر الفصاحة ص ٦٧.
- ٩٣) المصدر نفسه.
- ٩٤) ديوانه بشرح التبريزي تح عزام ١/٢٠. سر الفصاحة ١٧.
- ٩٥) ديوان جرير تحقيق نعمان أمين طه ص ٩١٢.
- ٩٦) أدھر الموازنة تح سقر ١/٢٨٤. سر الفصاحة ٦٧، ٦٨.
- ٩٧) الموازنة تح سقر ص ١/٢٨٥، اللسان (عجلط) بلا نسبة، سر الفصاحة ٦٨.
- ٩٨) الموازنة تح سقر ١/٢٨٥، اللسان (قرس)، سر الفصاحة ٦٨.
- ٩٩) الأغاني (لثاقه) ٤/٩٢. سر الفصاحة ٦٨، الموشح تح الجاوي ص ٤٥٢، الموازنة تح سقر ١/٢٨٦.
- ١٠٠) ديوان جرير ص ٩١٠، سر الفصاحة ص ٦٨.
- ١٠١) ديوان البحتري (-/٥٢٨٤) تحقيق السيوفي ١/١٤٩، سر الفصاحة ص ٦٩، معجم البلدان ٢/٤٤٤.

و(الدحرنيين) (١٠٢) عند عشرة، و(الفداغم) (١٠٢) لدى الكميث، و(جييناء) (١٠٤) لدى أبي تمام، و(بوتى) (١٠٥) عند مالك بن أسماء بن خارجة، و(سنيق وسنم) (١٠٦) عند امرئ القيس و(مسرح) (١٠٧) لدى المجاج و(عسطلوس) (١٠٨) في قول ذي الرمة، و(علافة) (١٠٩) عند أبي تمام، و(جوشوشم) (١١٠) عند البحري، و(مهلق) (١١١) لدى أبي تمام، و(حيزيون) (١١٢) عند القطامي.

- ١٠٢ ديوان عشرة. تحقيق مولوي ص ٢٠١، وأنظر الموازنة تج مقر ٢٢٥/١ مجمع الأمثال للميداني. تحقيق صبي الدين عبد الحميد ١٢٤/١. الدحرنيان: أحدهما مدحرضن والآخر وسع.
- ١٠٢ شعر الكميث تحقيق د. سلوم ٦٥/٢. سر الفصاحة ٦٩، الموازنة تج مقر ١٠٨/١.
- ١٨٢/٢ اللسان (فدغم) ٤٥١/١٢. الفدغم: الفهم الحسيم الطويل في عظم.
- ١٠٤ ديوانه يشرح التبريزي. تحقيق عبد الله عزام ٥/٢. معجم ما استعجم. تحقيق مصطفى السقا ٤٢٢/٢. سر الفصاحة ٦٩.
- ١٠٥ ديوان الوليد بن يزيد. تحقيق غابري ص ٦٩. الشعر والشعراء تج شاعر ٧٨٢/٢ معجم البلدان (بوتى) ٦٤٩/٢. سر الفصاحة ٦٩.
- ١٠٦ ديوان امرئ القيس. تحقيق أبو الفضل ص ٧٦. سر الفصاحة ٦٩ ط. دار الكتب
- ١٠٧ ديوان المجاج. تحقيق د. عزم حسن ص ٢١١. سر الفصاحة ص ٧٠ ط. دار الكتب
- ١٠٨ ديوان ذي الرمة. تحقيق عبد القدوس أبو صالح ٥٢٦/١. اللسان (عسطلوس) ١٤١/٤. سر الفصاحة ص ٧٠. العسطلوس: رأس النصارى، رومية وقيل شجر يشبه الخيزران وقيل هو الخيزران.
- ١٠٩ ديوان أبي تمام/تبريزي/تج عزام ٢١١/١. الموازنة تج مقر ٤٠٦/١ (استحسنه الآمدي). سر الفصاحة ص ٧٢. علث التي دخلطه. وكل شئين خلطاً فهما علاقة ومنه اسم اشتق علافة استعمل رجل. وهذا الذي يجمع من ههنا وههنا.
- ١١٠ ديوان البحري. تحقيق السيرفي ١٢٢٧/٢. الموازنة تج مقر ١٧٤/٢ (جوشوشم: قطعة من الليل). سر الفصاحة ص ٧٢ ط. دار الكتب العلمية.
- ١١١ ديوان أبي تمام/تبريزي/تج عزام ٢٢٩/٢ في مدح مالك بن نويرة. الموازنة تج مقر ١٠٦/١. سر الفصاحة ص ٧٢. صهلوق: صوت شدة اللسان ٢٠٧/١ (صلوق).
- ١١٢ ديوان القطامي تحقيق د. السامرائي ومطلوب ص ٤٦. سر الفصاحة ص ٧٢ (حيزيون: المعجون).
- تابع ١٦ الشنيق: البيت المجرى، والشنيق: البقرة، اللسان (سنق) ١٦٥/١.

يرى ابن سنان أن هؤلاء الشعراء طلبوا الإغراب في أفعالهم حتى نزل قولهم إلى مستوى العامة، (فما أقبح ما وقع لهم) (١١٢) ويقول: (وقد رأيت أن جماعة يتعمدون هذا قلت لهم: إن سررتكم وحشي اللغة، فيجب أن تفتحوا بسوء حظكم من البلاغة) (١١٤). وما جاء به ابن سنان موقف تقدي في ضوء ميزان العقل ومقياس الذوق. فإذا كان من باب العلم صحيحاً ما يتقدم، إلا أنه حين ينصرف إلى القائل يمس شخصه؛ وعذره في ذلك زمني ليس إلا. ألا ترى كيف ينزل بالرجل فيجعله في درجة الجاهل. ثم إن مسؤولية أغلب هؤلاء قد تكون ذات عذر إذا استخدموا مثل هذه الألفاظ (بوتى وبوزع وجشحات) وغيرها، لأنها في رأيي ألفاظ موحية بدلالات قد تنعدم في مرادفها أو بديلها إن وجد. إلا أن هؤلاء الرجال شعراء قادرين على الانتقاء من القاموس العربي الواسع في حالة توفر البديل، وإلا كان العذر حليفاً لهم. ولربما طفت في كثير من الأحيان النزعة المنطقية على الشاعرية في نفس الخفاجي فجعلته ينسى أنه يتعامل مع فن لا يستند في كليته إلى المنطق ولا إلى ثبوت القواعد. وإذا كان الصدق الفني شرطاً أساسياً، فإنه مع ذلك لا يفيد في كل أحواله حقيقة الصدق إلا ضمناً من طريق التأويل. وفي قلبي أن جريان العقل مع الجزم يعود عند الخفاجي إلى كونه تأثر بعلم المنطق الذي تقوم أسسه على قواعد وأحكام ثابتة.

(١١٢) سر الفصاحة ص ٧٠. (وإن كان هؤلاء الشعراء أرادوا الإغراب حتى يتساووا في الجاهل).
(١١٤) المصدر نفسه ص ٧٠. (بكل ما هم العامة و أكثر الخاصة عما أقبح ما وقع لهم).

رابعاً: أن تكون الكلمة غير ماقطة عامية: (١١٥)

أصلها عند الجاحظ (-٥٢٥٥/٨٦٨م) وبذلك يصرح الخفاجي. ولا يقصد بذكر العوام الفلاحين والحشوة والصناع (١١٦). وقد وردت أمثلة هذه الكلمات كثيرة في نظم الشعراء الذين يتقدم ابن سنان باعتبار ذلك عيباً ذا أثر سلبي في الفصاحة ثم البلاغة. منها ما ورد عند أبي تمام في قوله (تفرعن) (١١٧) و(زنى) (١١٨). وعند زهير (القل) (١١٩)، و(قابري) (١٢٠) عند أبي تمام أيضاً؛ و(أوجمتها) (١٢١) عند ابن نباتة السعدي، و(مراويلاتها) (١٢٢) لدى أبي الطيب المتنبي و(عنب الثعلب) (١٢٣) عنده أيضاً، و(كيميا) (١٢٤) لدى أبي تمام.

فإذا نظرنا إلى التركيب الداخلي لهذه الألفاظ نجدها مع تأليفها من حروف متباعدة المخارج تفيد في دلالتها شيئاً ماقطاً أو عامياً مبتذلاً. ف(تفرعن) لا يستعملها ولا يستطيعها ذوق الخفاجي ذلك أنها مشتقة من الفعل (تفرعن)، وهو لفظ العامة، وعادتهم أن يقولوا: تفرعن فلان إذا وسغوه بالجبرية (١٢٥).

- ١١٥، ١١٦) من الفصاحة ط. دار الكتاب ص ٦٦ وأنظر البيان والتبيين. تحقيق هارون ١٢٥/١، ١٢٦ - ١٢٧.
- ١١٧) المصدر السابق ص ٧٢ وأنظر ديوان أبي تمام/تبريزي ١١٦/٢، الموازنة ١/٢٢٦، وأنظر سورة التازعات/١٥-١٧.
- ١١٨) ديوان أبي تمام/تبريزي/١٦٩/٢، الموازنة تحقيق سقر ٢/٢٤٥، حيث قد الأدي (وهي في غاية ما يكون من مخف المعنى وركاكة (زنى) لأنها من ألفاظ الجهال في نظر الخفاجي. وأنظر الموشح ص ٤٧٧، الوصاة ص ٦٧، من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٧٤ - ٧٥.
- ١١٩) ديوان زهير/ نسخة ثعلب/ص ٩٩، من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٧٤.
- ١٢٠) ديوان أبي تمام/تبريزي/تحقيق عزام/٢٠٦/٤، من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٧.
- ١٢١) ديوان ابن نباتة السعدي ص ٢٧ تحقيق عبد الأمير الطائي.
- ١٢٢، ١٢٣) ديوان المتنبي/عكبري/١٤٧/١، من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٧٤.
- ١٢٤) ديوان أبي تمام/تبريزي/تحقيق عزام ٢/٢٥٤ في مدح أبي الحسن بن هيثم. وكيميا المجد تعني الجواهر، من الفصاحة ط. دار الكتب ص ٧٦.
- ١٢٥) من الفصاحة ط. دار الكتاب ص ٧٥، ٧٦.

ويقدم لنا كلمة (فطير) (١٢٦) التي يستحسن تأليفها ودلالاتها إزاء ما تقدم من كلمات لا يختارها.

إن ما جاء من الألفاظ في هذا القبيل بعضها متنافر وبعضها وحشي غريب وبعضها ماقط مبتذل من حيث شكله وتركيبه ودلالته. فكانت تجيء هذه الكلمات أحياناً عامة مهذبة مثل (فطير)؛ ذلك أنها في موضعها المناسب في التأليف، لو وضعت لفظة أخرى فصيحة غيرها ما كانت على هذه الدرجة من الحسن في نظر الخفاجي. وقد ذكرنا العرف اللغوي الذي له نصيب وافر في حكم هذه القوانين عامة. وقلنا: إن اللغة ملك عام، ولكن الاختيار والاتقان واجب في فن القول تمييز الجيد من الرديء. ومن هنا نرى ابن منان يتشدد في عمله للحفاظ على نقاء اللغة، للوصول بكلماتها إلى أرقى درجات الفصاحة والبلاغة، وكيف لا وهي الوحدات الأساسية في العملية البنائية التأليفية. يقول ابن منان في هذا الصدد: (وليس لأحد أن يتخيل أن العذر في إيراد هذه الألفاظ وأمثالها تعذر ما يقع موقعها في النظم، كما يظن ذلك بعض المتخلفين في هذه الصناعة، وذلك أنه ليس يجب على الإنسان أن يكون شاعراً ولا كاتباً ولا صاحب كلام يؤثر ولفظ يروى، ولا يجب عليه، لو وجد هذا أن ينظم تلك القصيدة التي وردت فيها هذه اللفظة ولا البيت في القصيدة، فكيف نعذره إذا أورد لفظة قبيحة جارية مجرى ما ذكرناه، وهو قادر على حذف البيت كله وإطراح ذكر جميعه، إن لم يكن قادراً على تبديل كلمة منه (١٢٧)).

ويقول في موضع آخر: (وأمثال هذا كله في الأشعار المطرحة كثير، ولو تأملت، قصيدة واحدة ممن يدعي القريض في هذا العصر، وجدت فيها عدة أمثلة لكل ما أنكره، إلا أنني اعتمد على التمثيل بأشعار هؤلاء الفحول المتقدمين في هذه الصناعة لأمر: أولها سيادة هذا الكتاب من تهجينه بذكر غيرهم، وثانيها أن اللفظة التي تكره في نظم هؤلاء الحذاق تقع فريدة وحيدة يظهر مبايحتها لكلامهم، فالعلم بها واضح، وكشفها جلي (١٢٨)).

١٢٦، ١٢٧) سر الفصاحة ط. دار الكتاب ص ٧٥، ٧٦.

١٢٨) أبو نصر عبد العزيز محمد بن ثبابة من شعراء بغداد (٢٢٧-٤٠٥هـ) اشتهر بالمدح لسيف الدولة الحمداني والمهلبلي الوزير وعبد الدولة... وأخباره في يتيمة الدهر للشعالي ص ٢٧٩/٢ تحقيق محي الدين وتاريخ بغداد ٤٦٧/١٠. سر الفصاحة ٧٢.

قالبديوي صاحب الطبع في هذا الفن أعذر من القروي المتكلف، لأن هذا لا يعرف هذه إلا بعد البحث والطلب، وتجشم النناء في التصحح، وعلى قدر ذلك يجب لومه والإنكار عليه (١٢٩). فكل نتاج أدبي أو فني يصطبغ بالألوان التي تتيحها البيئة ويساعدها على ذلك الزمان ومروته (١٣٠). وزد على ذلك فالأدب صورة تعكس آثارها هذه العوامل والظروف البيئية المختلفة (١٣١). وأما الأدباء الكبار فقد اتسموا (ما لم يكن متوعراً وحشياً، ولا ساقطاً سوقياً) (١٣٢).

خامساً: أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة: (١٣٣)

يعد هذا الشرط مقياساً من الخطورة بكان على مستوى معة الكتاب جميعها، لأن العرف العربي تنجر تحته كل القواعد العربية دون استثناء، لأنه القانون الذي ينظم العلاقات العلمية والفنية. ولذلك فالعرف قاعدة عامة ذات ركن مادي ومعنوي تفيد الإلزام والديمومة ومخاطبة الجميع، ولذلك لا يجوز مخالفتها. ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة، ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة، وقد يكون ذلك لأجل أن اللفظة بعينها غير عربية (١٣٤). ولذلك أمثلة عدة منها: المقراض التي أنكرت على أبي الشيمس (١٣٥) وعلى

١٢٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٧٢.

١٣٠) أنظر مناهج الدراسة الأدبية. تأليف شكري فيصل ص ١٥٧، دار العلم للملايين ط ١٩٨٢/٥١٤٠٣/٥٤.

١٣١) فصول في النقد العربي وقضايا تأليف خير شيخ موسى ص ٢٢٤ وما بعدها باب الملامح البيئية وأثرها في الشعر والشعراء في النقد العربي ص ٥٢. دار الثقافة. الدار البيضاء المغرب ط ١٩٨٤/٥١٤٠٤/١٤. وأنظر النقد الأدبي لكارلوني وفيللو ص ٥٢، ترجمة كيتي سالم، بيروت ١٩٧٢/٥١٢٩٢. وأنظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب: الدكتور إحسان عباس ص ٥٠. دار الثقافة. بيروت - لبنان ط ١٩٨٢/٥١٤٠٤/٤. وأنظر طبقات فحول الشعراء. تحقيق شاكرون ٢٠٤/١، ٢٧٧، وأنظر الحيوان ١/١٩٦، ١٩٧، ٢/٦٩ وما بعدها.

١٣٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٦٦، البيان والتبيين ص ١/١٢٧ تحقيق هارون.

١٣٣) ١٢٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٧٧، البيان والتبيين تحقيق هارون ١/١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.

١٣٥) أشعار أبي الشيمس الخزاعي ص ٧٤ جمع عبد الله الجبوري، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٧٧.

البحثري (١٢٦). فالمقراض على ما يُقال ليس من كلام العرب، وقد تكون عربية عبّر بها عن غير ما وُضعت له في عرف اللغة والأدب (١٢٧) عند أبي تمام، والسبب في ذلك أن هذه الكلمة جاءت مكان الثيب وهي مخالفة لها في الدلالة في كلام العرب، والأيم هي التي لا زوج لها، بكرة كانت أم ثيباً (١٢٨). وسلف عند البحثري. والسلف هو التي والكبر وهذا مذهب العامة، أما العرب فتقول: سلفت المرأة عند زوجها إذا لم تُحفظ عنده، وسلف الرجل أيضاً إذا كرهته.

٢- وقد يكون على جهة الحذف: كذكر رؤية بن العجاج (الحما...) (١٢٩) وهو يريد الحمام، استغنى عن الميم طلباً للقافية ومجاراة للوزن. و(لاك) (١٤٠) لدى النجاشي الحارثي وهو يقصد (لكن).

(١٢٦) ديوان البحثري ص ١٢٠٨/٢ تحقيق الصيرفي، الموازنة ١٩٨/٢ (وناقده البحثري هو الشريف الرضي - ٤٠٦ هـ في كتاب: "الشيب والشباب").

(١٢٧) ديوان أبي تمام/التبريزي. تحقيق عزام ٢٥٢/٢ في مدح محمد بن الهيثم، من الفصاحة ط. دار الكتب ص ٧٧، وأنظر الوصافة ص ٧٩، الموازنة ١٥٨/١، ٢٥٥، ٢٥٦ وأنظر ديوانه أيضاً ١٩٤٥/٢ في مدح حميد الطوسي، وأنظر مودة النور ٢٢، من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٧٨ (يقول ابن سنان في "الأيم": وهي القضية التي غلط فيها الإمام الشافعي (- ٢٠٤ هـ) أنظر ترجمته في وفيات الأعيان ص ١٦٢/٤، تاريخ بغداد، ٥٦/٢، ٧٢، الفهرست ٢٠٩/١، ٢١٠).

(١٢٨) ديوان أبي تمام/التبريزي/تحقيق عزام ٤٠٩/٢، من الفصاحة ص ٧٩ وأنظر مجمع الأمثال للميداني. ص ٢٤٠ تحقيق الدكتور عباس وشركة (رَبّ سلف تحت الراعدة)، وأنظر اللسان (سلف).

(١٢٩) ينسب سيبويه إلى العجاج. وجاء هذا الرجز ضمن أرجوزة مطبوعة في شرح الشواهد للعيني. وأنظر خزانة الأدب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي (- ١٠٩٢ هـ/١٩٨٢ م) ص ٥٥٤/٢ مطبعة الميرية ط١/بولاق (٤).

(١٤٠) أنظر سيبويه ٩/١، المعاني الكبير لابن قتيبة ٢٠٧/١. (الضمير في لست يعود على الذنب الذي يحاوره في شعره. والقصيدة في شعر النجاشي الحارثي. تحقيق الدكتور سلوم النعيمي. أنظر مجلة المجمع اللغوي العراقي ١١١/١٢، شواهد سيبويه للأعظم الشتمري ٩/١ (حذف النون من لكن لاجتماع الساكنين ضرورة لإقامة الوزن... ومعنى البيت أنه وصف الذنب وهو في رفقته في صحراء عديبة الماء، وتصور أن الذنب حين دعاء قال له: لستُ جاء ليما دعوتني إليه لأنني وحش وأنت إنسان، ولكن اسقني إذا كان لديك ماء يغسل عنك)، من الفصاحة ص ٨٠.

والشاهد: فلستُ بآثية ولا استبريئة... ولا لئ. اسقني إن كان مأوك ذا فضل.

٣- وقد يكون على جهة الزيادة: كان تشيع الحركة قصير حرفاً في قول إبراهيم بن هرمة (مترج) وهو يريد (مترج) ، و(انظروا) (١٤١) عند أيضاً وهو يعني (انظروا) ؛ و(الصارف) (١٤٢) عند الفرزدق وهو يريد (الصارف) .

٤- وقد ترد الكلمة على الوجه الشاذ القليل: وهو أردأ اللغات فيها لشذوذها ، والكثير أبداً خفيف كما يقول النحويون في خفة الأسماء لكثرة استعمالها (باهت) (١٤٢) في قول البحتري وهو يعني (مبهوت) و(الذ) في شعر المتنبي وهو يقصد (الذي) . وهي لغة شاذة قليلة ، و(التوراب) (١٤٤) عند كذلك وهو يريد (التراب) وهي لغة شاذة قليلة رغم سحتها .

٥- أن تكون الكلمة بخلاف الصيغة في الجمع أو غيره: كما جاء عند الطرماح (الحنات) (١٤٥) وجمعها الصحيح (حنة واحن) ولا يقال حنات . ويقول الأسمعي (-/٥٢١٧م٨٢٢) في هذا متقدماً: (كنا نطن الطرماح شيئاً حتى سمعنا قوله هذا البيت (١٤٦)) .

١٤١) ديوان إبراهيم بن هرمة ص ٨٤ تحقيق المبيد في مدح عبد الوهاب بن سليمان ، وهذا البيت في رثاء ابنه وهو عن عيب الرجال بمترج ، أي بعيد عن العيب ، سر الفصاحة ص ٨٠ . وأنظر ديوانه ص ١١٨ ، سر الفصاحة ص ٨١ .

١٤٢) ديوان الفرزدق/الساوي/٢/٥٧٠ وتخرىج البيت في معجم شواهد العربية لهأرون ٢٤٠/١ ، وأنظر سر الفصاحة ص ٨١ .

١٤٣) ديوان البحتري/الصيرفي/٢/١٠٢ الموازنة ٢/٢١٥ الباهت: الدهش ، سر الفصاحة ص ٨١ .

١٤٤) ديوان المتنبي/عكبري/٤/٢٠٦ في مدح بدر بن عمار . وأنظر ديوانه/عكبري/٢/٥٠ في رثاء عبد الله بن سيف الدولة: أيفطمه التوراب: أي أيفطمه التراب وهو في مباء ، أنظر اللسان (ترب) ، سر الفصاحة ص ٨١ .

١٤٥ ، ١٤٦) سر الفصاحة ط . دار الكتب العلمية ص ٨١ وما بعدها . وأنظر ديوان الطرماح . تحقيق الدكتور عزة حسن ص ٢٥ دمشق ١٢٨٨/٥١٩٦٨م .

٦- أن يبدل حرف من حروف الكلمة بغيره:
مثل (الثعالب والأرانب) (١٤٧) بدل (الثعالب والأرانب) في شعر النمر بن تولب، طلباً للقفية والوزن. و(شفادي) عوض (شفادع) في قول منسوب لخلف الأحمر.

٧- إظهار التضمين في الكلمة:
كقول الشاعر (خنثوا) (١٤٨) بدل (خنثوا) فأظهر التضمين فأقل كاهل تأليف الكلمة، فأثر على فصاحتها.

٨- صرف ما لا ينصرف:
كقول حسان بن ثابت (جبريل) (١٤٩) بالتثنية بدل عدم التثنية ومنع صرف ما لا ينصرف. والشاهد: *وَجِبْرِيلُ آمِنُ اللَّهِ فِينَا* وروح القدس ليس له كفاء.

١٤٧) البيت لأبي كاهل الإشكري كما في اللسان. أنظر سيويه ٢٤٤/١ (رجل من بني يشكر، وهو منسوب إلى النمر بن تولب في معجم شواهد العربية لهارون ٤١٤/١. وهو غير موجود في شعره صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي. وأنظر انكت الحسان في شرح غاية الإحسان لأبي حيان النحوي (-١٠٨٢/٥٤٧٥م) تحقيق الدكتور عبد الحسين القلي ص ٢٤٩. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٥/١٩٨٥م. وأنظر "شفادي" في سيويه يذكر الشتمري ٢٤٤/١ على أنه مصنوع لخلف الأحمر. وهو في شرح أبيات سيويه لأبي محمد يوسف بن حسن المرزبان (-١٢٨٥/٥٩٩٥م). تحقيق محمد علي سلطاني ٤٥/٢. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق ١٩٧٦-١٩٧٦م. وأنظر تخريجه في معجم شواهد العربية لهارون ٥٠٧/٢. وأنظر الموضح تحقيق البجاوي ص ١٤٨، والساعتين تحقيق البجاوي وأبو الفضل ص ١٥٠.
١٤٨) اللسان (خنث)، سيويه ١٠/١ لقضب بن أم صاحب. وأنظر معجم شواهد العربية ٢٢٩/١ حيث تخريجه. سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٨٢.
١٤٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٨٢، ديوان حسان بن ثابت. تحقيق الدكتور وليد عرفات ١٨/١. دار صادر بيروت ١٩٧١ (١-٢ج)، الموضح تحقيق البجاوي ص ١٤٤.
"وقد أجاز البصريون والكوفيون صرف المصنوع في الضرورة".

٩- منع الصرف مما ينصرف:

ومن ذلك منع العباس بن مرداس (مرداس) (١٥٠) مما لا ينصرف. فالكوفيون وحدهم يجيزون منع المنصرف ضرورة. والشاهد:
 و ما كان حصن ولا حابس
 عامل مرداس معاملة المنوع من الصرف = عدم التسوية.
 ١٠- قصر المدود: مثل (عدا...)(١٥١) بدل (عداء) قصر الشاعر طلباً للوزن والقافية.

١١- مَدَّ المقصور:

كورود (غناء) عند أعشى قيس بدل (غنى) (١٥٢) مراعاة القافية. إلا أنه عند الأنباري (٥٥٧٧/١١٨١م): (لا يجوز أن يكون هذا من ضرورة الشعر كما ذهب إليه الكوفيون، لأن مَدَّ المقصور رَدَّه إلى غير أصل، فلم يجزه، بخلاف قصر المدود (١٥٢)).

وفي رأيه (الفنى) خلاف (القدر). فاما قول الشاعر فالرواية (ولا غناء) بفتح الغين، والغناء: الكفاية، كما قال (بالي: يُيالي بلاد)، وهو عند الفراء يكتب بالألف (١٥٤).

 (١٥٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٨٢، الشعر والشعراء ٦٢٤/٢. نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت - لبنان ١٩٦٤م/١٢٨٤هـ.
 (١٥١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٨٢. ديوان الأعشى. تحقيق محمد محمد حسين ص ٢٩ المكتب الشرقي للنشر والتوزيع. بيروت ١٩٦٨م/١٢٨٨هـ. النكت الحسان ص ١٩٥.
 (١٥٢) ١٥٢ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٨٢ والبيت بلا نسبة في معجم شواهد العربية لهارون ٢١/١.

(١٥٤) في كتابه حلية العقود في الفرق بين المقصور والمدود للأنباري كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد (٥٥٧٧/١١٨١م) ص ٢٤. تحقيق عطية عامر. معهد الدراسات الشرقية. متوكهولم ١٩٦٦م/١٢٨٦هـ. والبيت في شرح ديوان زهير صنعة ثعلب ص ٧٢. وأنظر الوشح. تحقيق البجاوي ص ١٤٥، عبث الوليد للمعري. تحقيق محمد عبد الله المدني. بإشراف محمد الطيب الأنصاري. وتقديم شكيب أرسلان ومحمد حسين هيكل ص ٢٦. أسعد الطرابزوني المدني. دمشق ١٩٢٦م. وأنظر المقنوس والمدود للفراء (أبي زكريا يحيى بن زياد (٥٢٠٧هـ)) تحقيق عبد العزيز اليميني الراجكوتي ص ١٨، دار المعارف بمصر ١٩٢٧/١٢٢٧م، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٨٢.

١٢ - حذف الإعراب للضرورة:

كسكين (أشرب) (١٥٥) والأصل (أشرب) عند امرئ القيس بن حجر.

١٢ - تانيث المذكر على بعض التأويل وتذكير المؤنث:

كقول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها. (١٥٦)
وقول آخر:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم. (١٥٧)

ويعقب الخطابي على هذا قائلاً: (فإن هذا وما جرى مجراه، وإن لم يؤثر في فصاحة الكلمة كبير تأثير، فإني أؤثر صيانتها عنه، لأن الفصاحة تنبئ عن اختيار الكلمة وحسنها وملاوتها، ولها في الأمور سمة نقص، فيجب إطراحها على ما ذكرته، يختلف قبحه في بعض المواضع دون بعض على قدر التأويل فيه وحكمه (١٥٨)).

١٤ - إدخال الألف واللام على الفعل:

كقول الشاعر ذوي الخرق الطهوي:

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقاً إلى ربنا صوت الحمار اليجدع. (١٥٩)

(١٥٥) ديوان امرئ القيس. تحقيق أبو الفضل من ١٢٢ ٠ ٤١٢، الكامل للمبرد (-/٥٢٨٦م ٨٩٩م) تحقيق إبراهيم أبو الفضل وشامة ١/٢٤٤، سر الفصاحة ٨٢. وأنظر النكت الحسان ٢٤٤، معاني القرآن للفرام (-/٥٢٠٧م ٨٢٢م) تحقيق محمد علي النجار وآخرين ٢/٢٢٠، سر الفصاحة ٨٢.

(١٥٦، ١٥٧) سر الفصاحة ٨٢، المذكر والمؤنث للمبرد (-/٥٢٨٦م ٨٩٩م) تحقيق رمضان عبد التواب وصالح الدين الهادي من ٨٦ مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م. وأنظر الكامل ١/٥٠، ١٠٧/٤. وأنظر ما تلحن فيه العامة للكسائي من ٥٢، سر صناعة الإعراب ١/١٠٢. (١٥٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية من ٨٤.

(١٥٩) المصدر السابق من ٨٤، وأنظر ميبويه ١/٨٢، ٨٧ يقول: (... وذلك أنه عمل في معنى فعل قد أشبه الأسماء، فإذا كان فيه الألف واللام عمل فعله قولاً واحداً كان ماضياً أو بمعنى الحال والإقبال، وذلك أن الألف واللام من الموصولات، ولا يوصل الموصول إلا بالجملة).

١٥ - تشديد الكلمة المخففة:

كقول منظور بن مرشد الأمدي: "كان مهواها على الكلل" (١٦٠).

١٦ - تحريك الـ"آ" التي تقع قبلها كسرة في الرفع والبحر:

كقول الشاعر:

ما إن رأيت ولا أرى في مدتي كجواني يلعبن في الصحراء. (١٦١)
فما ذكره يدخل في باب الزيادة، ولهذا قبحت الكلمة، وإن لم يكن لها كبير أثر على الفصاحة.

أرى

سادساً: ألا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره. (١٦٢)
ومعنى هذا إذا وردت الكلمة في تعبير يكره ذكره قبحت وإن كملت الصفات التاليفية كـ(صرم) عند أبي صخر الهذلي و(غانط) لدى عمرو بن معد يكرب.

سابعاً: أن تكون الكلمة مقتدة غير كثيرة الحروف.
فالكلمة إذا زادت عن الأمثلة المعتادة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة: مثل (مطاطيسي) لدى أبي نصر بن ثبابة و(أذريجان) (١٦٣) في قول أبي تمام و(سويداوات) لدى المتنبي، و(جوباوات) لدى أبي تمام.

ثامناً: أن تكون الكلمة مصهرة في موضع عُبرَ بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل يجري هذا المجرى.

١٦٠ (اللسان (كلل)، الخصائص لابن جني (-٥٢٩٢) تحقيق النجار ٢/٢٥٩، معجم شواهد العربية لهارون حيث تخريج البيت، سر الفصاحة ٨٢.

١٦١ البيت بلا نسبة أنظر الموشح. تحقيق الجاوي س ١٤٩ وتخرجه في معجم شواهد العربية لهارون ١/٢٤.

١٦٢ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية س ٨٦.

١٦٣ المصدر السابق س ٨٩. وأنظر ديوان أبي نصر بن ثبابة. تحقيق عبد الأمير الطائي س ٢. وأنظر الأمالي الشجرية ١٨٢/٢. وأنظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي تحقيق عزام ١٢٢/٢، سر الفصاحة ٨٨ وأنظر تهذيب الصحاح. تحقيق أبو الفضل وعطار ١/٢٨٢، الكامل للبرد تحقيق أبو الفضل وشحاتة ٤١/٤. وأنظر ديوان المتنبي/عكبري/١/٢٢٠، اللسان (سود)، سر الفصاحة ٨٨. وأنظر ديوان أبي تمام/تبريزي/تحقيق عزام ١/٢٤٢، سر الفصاحة ٨٨ في مدح إسحاق بن إبراهيم.

فالحجاجي في هذا المقام يؤثر التصغير ويوجب ذكره في الأقسام المفصلة، إذ قد يكون ذلك من قبيل الاختصار بالتصغير. ومن ذلك (رويحة) (١٦٤) في قول الشريف الرضي (٤٠٦-هـ/١١١٥م)، و(وميضة) (١٦٥) في شعر أبي العلاء ساعد بن عيسى لكاتب، و(أزيرق) (١٦٦) لدى المعري، و(قمير) في قول المخزومي أو لعمر بن أبي ربيعة و(حبيبتان) لدى المتنبي.

فالعبرة حسنت بالتصغير برويحة، لأن الريح في هذا السياق نسيم مريض ضعيف، فكان بها للكلمة طلاوة وعذوبة. وأراد الشاعر ب(وميضة) أنها خفية تدق على من ينظرها ولذلك حسنت العبارة بها، وكذلك الأمر بالنسبة لأزيرق وقمير الذي جعله الشاعر مصغراً لأنه لم يكتمل بعد، وهو تصغير مختار عند الحجاجي، وقس على ذلك (حبيبتين).

ويشير الحجاجي إلى أن المبرد (٢٨٦-هـ/٨٩٩م) زعم أن التصغير في كلام العرب لم يدخل إلا لفي التعظيم. (١٦٧) ويبين موقفه من ذلك قائلاً: (ويقوي عندي ما ذهب إليه أبو العباس المبرد أنهم إذا وضعوا للتصغير أمانة للتحقير والتعظيم معاً؛ فقد زالت الفائدة به، ولم يكن دليلاً على واحد منهما، بل يرجع إلى المتصود باللفظة، ويلتمس بيان ذلك من جهة المعنى دون اللفظ، فليس للتصغير تأثير) (١٦٨). ويضيف قائلاً: (وعلى كلا القولين فليس التصغير عندي وجهاً من وجوه الفصاحة إلا في الموضع الذي ذكرته دون ما يسمونه تصغيراً في التعظيم) (١٦٩). ويأتي لذلك بأمثلة ك (ثيئة) عند المتنبي في إفلتها تصغير وتكبير.

(١٦٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٨٩. وأنظر ديوانه ط. الأخبار (بومبي) ص ٤٦٦.

(١٦٥) أبو العلاء ساعد بن عيسى الكاتب من معاصري ابن سنان (٤٦٦-هـ/١٠٧٣م). أنظر الصحاح (عق). ثم أقف على مظهر روايته، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٠. (١٦٦) شرح التنوير على سقط الزند ٥٦/١. سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٠. وأنظر ديوان عمر بن أبي ربيعة تحقيق محمد ضحي الدين عبد الحميد ص ٩٦ والكامل للمبرد تحقيق أبو الفضل وشحاتة ٢٤٦/٢ قال المبرد: (قوله قمير إنما صفه لأنه ناقص عن التمام، وهذا في أو الشهر، وكذلك يصغر في آخر الشهر، لأن النقصان فيها واحد...). وأنظر ديوان المتنبي/عكبري ١٨٠/٢، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩١، في مدح شجاع بن محمد الطائي السنجي.

(١٦٧، ١٦٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩١. وأنظر الكامل ٢٤٦/٢. (١٦٩) المصدر السابق ص ٩١.

وهذا ليس مختاراً في نظره. و(أغيبس) (١٧٠) عند أبي نصر بن ثبّانة في صفة الحية، وهو تصغير مرضي لأن الحية توصف بأنها لا تقتذي فقد جف لحمها وذهبت الرطوبة منها. و(أميحابي) لدى أبي الطيب، يختاره لأن العادة الجارية في قلة عدد من يصحب الإنسان، لذا فقد كانت في الأكثر ثلاثة، وقد جرى في الشعر كثيراً لهذه العلة ذكر الصاحبين والخليين، كما فعل امرؤ القيس حين قال:

خليتي مرّاً بي على أمّ جندب تُفَضُّ لَبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَذْبُوبِ (١٧١).

فالشروط الثمانية مجتمعة في حقيقة أمرها جملة من القواعد النقدية تتجه إلى تصويب ونقل ليس القيمة الجمالية في الألفاظ وما يتأبها من عيوب تؤثر على هذا الجمال فيكون أمراً سليماً على الفصاحة ثم على البلادة.

(١٧٠) أنظر ديوان أبي نصر بن ثبّانة. تحقيق عبد الأمير الطائي ص ٢٤. سر الفصاحة ٩١. وأنظر أيضاً ديوان المتنبي بشرح العكيري ٢٥٢/١. سر الفصاحة ٩١ في مدح علي بن إبراهيم التنوخي. وأنظر أيضاً ديوان/عكيري ٧٤/٢. سر الفصاحة ٩٢ في مدح سيف الدولة.

(١٧١) ديوان امرؤ القيس. تحقيق أبو الفضل ص ٤١. سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٩١. وأنظر التصغير في المتنّيب للمبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) تحقيق عبد الخالق عزيمة ٢٤/٢ وما بعدها. والمفصل لابن يعيش ١١٦/٥. ميبويه ٧٩/٢، ١٠٦. أمالي الشجري ٢٥/٢، المنصف ١/٦٤، ١٤٩/٢، اللسان (دلي) و (غدو) والخصائص ٢٥٤/١.

المستوى النقدي الثالث

الألفاظ مؤلفة والمعاني مفردة في ضوء الفصاحة والبلاغة والتقدير (١٧٢)

أولاً: الألفاظ مؤلفة: (١٧٢)

إن كمال كل صناعة من الصناعات في نظر الخفاجي بخمسة أشياء، على ما ذكره الحكماء مثل أرسطو (-٢٢٢ ق م) وغيره. فالموضوع قد يكون على سبيل المثال الخشب عند التجار في صناعة النجارة، والصانع هو النجار، والصورة هي كالتربيع المخصوص إذا كان الموضوع كرسيًا، والآلة مثل المنشار والقذوم وما يجري مجراهما، والفرض هو أن يقصد على هذا المثال الجلوس فوق ما يصنعه. (١٧٤)

وقياساً على هذه المعطيات تتجسد لدينا الصورة التأليفية كما يراها ابن سنان:

- ١- الموضوع هو الكلام المؤلف من الأصوات والحروف والكلمات وما بينها من تأليفات. (١٧٥)
- ٢- الصانع هو المؤلف كالشاعر وال كاتب والفنان بعامه. (١٧٦)
- ٣- الصورة هي الفصل في الشر والبيت في الشعر.
- ٤- الآلة: أقرب ما قيل فيها: إنها طبع النظم والعلوم التي اكتسبت بعد ذلك كما يقول: (ولهذا لا يمكن أحداً أن يعلم الشعر، من لا طبع له، وإن جهد في ذلك، لأن الآلة التي يتوصل بها غير مقدور لمخلوق، ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود كل ما يحتاج إليه من آلاتها. (١٧٧)
- ٥- الفرض: وهو بحسب الكلام المؤلف، فإن كان مدحاً كان الفرض بد قولاً ينبىء عن عظم حال المدح، وإن كان هجواً فالضد، وعلى هذا القياس كل ما يؤلف، وإذا تأملته وجدته كذلك. (١٧٨)

١٧٢، ١٧٢، ١٧٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٩٢، ٩٤، الموازنة ١/٤٠٢، نقد الشعر لقدامه. تحقيق كمال مصطفى ص ١٧، فن الشعر لأرسطو (-٢٢٢ ق م) تحقيق عبد الرحمن بدوي. ترجمة عن اليونانية ص ٨٥-٩٦. الناشر مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٥٢ م.

١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٩٢، ٩٤، نقد الشعر ص ١٧، فن الشعر ٨٥ - ٩٦.

وحول هذه الصورة يختلف الخفاجي مع قدامة ابن جعفر رحمه الله (-٥٢٢٧/١٤٤٨م) في الموضوع. فالأول يراء في الألفاظ والثاني يراء في المعاني. (١٧٩) ولهذا نرى ابن سنان يستند أبا الفرج فيما ذهب إليه وذلك من خلال قوله له: (خبرنا عن الألفاظ التي أخذها هذا الصانع المؤلف فالفها، إذا لم تكن عندك موضوعاً لصناعة، فما منزلتها من الأقسام التي اعتبرها الحكماء في كل صناعة، والتأمل قاص بصحتها) (١٨٠). ويضيف قائلاً: (ولحن نرى الألفاظ تأثيرها في هذه الصناعة التي كدنا عليها تأثير بين في الحسن والقبح، ولا يجوز أن تكون هذه المعلقة الوكيدة غريبة منها، فإن قلت هي الآلة، قلنا لك: وأي صناعة من الصناعات تصاحبها الآلة بعد فراغ الصانع منها حتى تصير أصلاً والموضوع تابعاً لها؟ فإنا نجد الألفاظ على هذه الصفة، فبطل هذا الوجه أن تكون آلة. وفساد أن تكون الألفاظ هي الصانع المؤلف أو الصورة المصنوعة أو الفرض المقصود فلنرى لا يخفى على أحد. فمتى أخرجت الألفاظ من أن تكون موضوعاً لصناعة التأليف أخرجتها من جملة الأقسام المعتمدة، ولحن نجد تعلقها ظاهراً) (١٨١).

لماذا تكون الألفاظ هي الموضوع عند ابن سنان؟

١ - المعاني وتأليف الألفاظ هي صناعة هذا الصانع الذي ألقنها في الموضوع، وهي التي تكمل الأقسام المذكورة. (١٨٢)

(١٧٩) وازن بين ر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٩٢، ٩٤. وقد الشعر ص ١٧. وفي الشعر ٨٥-٩٦. يقول قدامة: (إنما احتاج الكاتب فيها أن يكون متمهراً في أصل الترميل، عارفاً بوجود المعاني، فإنه يتفرع له فيه ما يرفعه، ويقول: (إن المعاني كلها مرسنة للشاعر وله أن يتكلم منها فيما أحب وأقر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيها، إذا كادت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أن لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة فيها مثل الخشب للتجارة والفضة للصياغة...).

(١٨٠) صر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٩٤. وازن مع نقد الشعر ص ١٧. وكتاب الخراج.

(١٨١) المصادر السابقة نفسها والصفحات ذاتها.

(١٨٢) صر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٤.

- ٢ - الألفاظ ليست من عمل الصانع، وإنما له منها تأليف بعضها من بعض حسب (١٨٣).
- ٣ - الألفاظ هي المرفوعة على ما ذكر (١٨٤).
- ٤ - أمثلة على ذلك: من ادعى أن الألفاظ من ألف لفظ رديئة، فإن تلك ليست هي، بل هي في ذلك كمثل النجار إذا هو صنع كرسيًا من خشب رديء فليس يعيب في صناعته، وهذا رأي قاسد عند الخطابي. وأما رايه في ذلك هو كون المرفوع الذي من الخشب الرديء يقابل كثر المرفوع الذي من الألفاظ الرديئة. والعلة في ذلك أن العيب غير كاف في قلة بصيرة الصانع لعرفته، إذ لو استخدم خشبًا جيدًا لكان الكرسي بحسب ذلك وبحسب المهارة (١٨٥).
- ٥ - الفرض: هو تشكيل ما أقيم من أجله المشروع الفني كالكرسي مثلاً الذي يقابله جهاز لغوي مؤلف من ألفاظ شتّى يجمعها إلى بعض بطريقة متعارف عليها عند القوم (١٨٦).
- ٦ - المرفة: وهي هيئة البنية المرفوعة من مادة الخشب، يقابلها الجهاز اللغوي المؤلف من تأليف الكلمات (١٨٧).
- ويربط ابن سنان هذه المصطلحات مجتمعة في التأكيد على الموضوع الذي يقول فيه: (ومع هذا كله فالفضاحة عبارة عن حسن التأليف في المرفوع) (١٨٨).
- ويرى ابن سنان أن التأليف في فن القول صناعة لا تيسر لأي كان، بل هي من الصعوبة بمكان، ويرشح لذلك شروطاً منها:
- ١ - الذوق والطبع لتمييز الجيد من الرديء (١٨٩).
 - ٢ - الخبرة والعلم (١٩٠).
 - ٣ - التخصص في إطار ميول الفنان الأديب والناقد والشاعر (١٩١).
 - ٤ - المرفة بالمنهجية والموضوعية العلمية لدفع الإيجاب واستدراك السلب وإمداد الحكم العادل (١٩٢).

١٨٣ - ١٨٤) مر الفضاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٤.
 ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧) مر الفضاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٤ - ٩٥.
 ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢) المصدر السابق ص ٩٥.

وبعد هذا التقديم المحكم، يحتل ابن سنان إلى معالجة أمور يائية في ضوء النقد والبادئة؛ في معرض حقائق لسردها في مواضعها وفق ما نصبه ورسمه الخفاجي، وهي عبارة عن مسائل تمثل الشروط والمعايير النقدية التي يرى عدم مخالفتها لضبط التأليف في إطاره السليم ومنها:

١ - التكرار: (١٩٢)

يتناول الخفاجي هذه القضية أولاً من حيث تأليف اللفظة مفردة من حروف متباعدة المخارج. والمطلوب في هذا، من التأمل اجتناب ترديد الحروف المتقاربة في تأليف كلامه، لتدني النغور، لأن هذا ردى على مستوى المفرد ومستوى السياق؛ ولأن مثل هذا إذا استمر في التأليف طال واتسع. (١٩٤) ويعني بهذا قبح التكرار في المفرد والسياق. وهو بهذا العمل ينظر إلى التأليف على المستويين، أي أنه يدرس المسألة في مهبها ثم عندما تتسع في السياق وتنضج. فإذا كان البعض يعتبر التكرار في السياق المتسع محموداً في حالات معينة (١٩٥)، فإن الخفاجي يرفض ذلك ويعده عيباً ومضلة يجب تفاديها. ومن ذلك قول أبي تمام:

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضى. (١٩٦)
فأبو تمام قد شيق على نفسه وشق عليها من جرأ العمل في التكرار.

ومثل هذا فعل المتنبي في شعره والذي اتصر إليه أبو العلام المبري (-٥٤٤٩/١٠٥٧ م) بالحكم عليه بالحسن والتدبير حين قال: (هذا والله شعر مدبر). (١٩٧)

-
- (١٩٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٧ وأنظر البيان والتبيين ١/١٠٥، المثل السائر تحقيق محي الدين ٢/١٢٨، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تحقيق محي الدين ص ٢٥ عالم الكتب بيروت ١٩٤٧ م/٥١٢٦٧، مصطلحات مطلوب ٢/٢٢٦.
(١٩٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٧.
(١٩٥) أنظر البيان والتبيين تحقيق هارون ١/١٠٥.
(١٩٦) ديوان أبي تمام/تبريزي/ تحقيق عزام ٧/٢٠٧، سر الفصاحة ص ٩٨.
(١٩٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٨.

ومضروب البث في التقيد اللفظي ذلك البيت الذي ينسب تأليفه إلى الجحّ للمثلة التي
يكنفها، حتى إن المرء ليجز عن إنشاده ثلاث مرات متتابعة دون غلط.
وقبسر حرب بمكان قفر وليس قمر ب قمر حرب قبسر. (١٩٨)

- وأشلة هذا التكرار كثيرة في الشعر العربي. فهو موجود في نظم محمد بن يسير
الرياشي. (١٩٩) ثم يتقل إلى دراسة هذه الظاهرة في ضوء مواقف علماء النقد والبيان، منهم
أبو الحسن الرمازي (-٥٢٨٤/١٩٩٤م) الذي يتقدم في جملة التأليف قائماً في ثلاثة أقسام:
- ١- المتناظر في التأليف. (٢٠٠)
 - ٢- المتناظر في الطبقة الوسطى في التأليف. (٢٠١)
 - ٢- المتناظر في الطبقة العليا في التأليف. (٢٠٢)

ويتضح هذا جلياً من خاتمة نظريته إذ يقول: (والمترادف في الطبقة العليا القرآن كله،
وذلك بين لمن تأمله، والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تدوّم الحروف نحو الفرق بين
المتناظر والمتناظر في الطبقة الوسطى) (٢٠٢). فالخفاجي لا يرى سلامة هذا الرأي ولا هذا
التقسيم الشاذي، ويقترح بدل ذلك تقسيماً ثنائياً ينحصر في:

- ١- المترادف في القرآن الكريم. (٢٠٤)
- ٢- المترادف في فصيحة لغة العرب. (٢٠٥)

- (١٩٨) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٨، البيت مجهول القائل وأنظر البيان والتبيين
١/٦٥، الحيران تحقيق هارون ٢٠٧/٦، معاهد التنصيص تحقيق عبد الحميد ص ٢٥.
(١٩٩) أنظر البيت لمحمد بن يسير الرياشي وأخباره في الأغاني (الثقة) ١٢٤/٢.
(٢٠٠) أنظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمازي. تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلزل
ص ٨٧ وما بعدها وأنظر طبقات المترادف تأليف أبي القاسم البلخي (-٥٢٨١/١٢١٩م)
والقاسمي عبد الجبار (-٥٤١٥/١٠٢٤م) والظاهر الجشي (-٥٤٩٤/١١٠٠م) تحقيق المرحوم
فؤاد سيد ص ١١٠/الدار التونسية للنشر ١٩٧٤/٥١٢٩٢م وأنظر نزاهة الألباء تحقيق الدكتور
السامرائي ص ٢٢٢.
٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ثلاث رسائل ص ٨٧ وما بعدها وأنظر من الفصاحة ط. دار الكتب
العلمية ٩٩.
٢٠٤ ٢٠٥) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٩.

ويرى أنه لا فرق بين فصيح الكلام الوارد في القرآن الكريم وكلام العرب من الوجهة التأليفية بغض النظر عن المصدر المؤلف. ويقول الخفاجي في توضيح هذا: (ومضى رجع الإنسان إلى نفسه وكان معه أدنى صرة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يباهي القرآن في تأليفه) (٢٠٦).

ويربط الخفاجي تلك المفاهيم بالحقائق التالية:

- ١ - وجه الإعجاز في القرآن الكريم سرف العرب عن معارسته. (٢٠٧)
- ٢ - وجه الإعجاز في القرآن الكريم خرق العادة بفصاحته وبلوغته. (٢٠٨)
- ٣ - التدوّم في تأليف حروف القرآن الكريم وجه من وجوه أسرار فصاحة القرآن وإعجازه. (٢٠٩)
- ٤ - الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم كانت قد تكلمت بها العرب قبل نزوله. (٢١٠)
- (ولولا ذلك لم يكن القرآن عربياً ولا كانت العرب فهمته) (٢١١)، وبين مذهبه في ذلك قائلاً: (قد أقررت الآن أن في كلام العرب ما هو متلائم في الطبقة العليا وهو الألفاظ المفردة، ولم يتوجه عليك في ذلك ما يفسد وجه إعجاز القرآن) (٢١٢). ويعني بهذا (إن أحد الوضعين كالآخر) (٢١٣).
- ٥ - إذا كانت الحروف متباعدة كان التأليف متلائماً، وإذا كانت متقاربة كان التأليف متنافراً. (٢١٤)

ومن هذا كله يتضح أن التأليف على ضربين: متلائم ومتنافر. وتأليف القرآن وفصح كلام العرب من المتلائم، ولا يتضح هذا في وجه من وجوه إعجاز القرآن، الكريم. (٢١٥)

وإذا كان التنافر عند الرماني (- ٢٨٤ هـ / ٩٩٤ م) إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الظفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأن هذه الحالة في رأيه أشبه ما تكون برفع اللسان وإرجاعه إلى موضعه، وكلا الحالين فيه استعصاء على اللسان. وأن الاعتدال يكمن في السهولة ولأجل ذلك نرى في الكلام الإدغام والإبدال. (٢١٦)

(٢٠٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٩.

(٢٠٧ ٢٠٨) المصدر السابق ص ١٠٠ ١٠١ وأزن مع ثلاث رسائل ص ٨٧ ٨٨ وما بعدها.

(٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٩٩-١٠٢ وأزن مع ثلاث رسائل ص ٨٧ وما بعدها.

فالخفاجي يخالف الرماني (-٢٨٤هـ/١٩٤م) الرأي فيما ذهب إليه إذ لا يرى البتة التنافر في بعد ما بين المخارج بل في تقاربها، ويمثل الوضع بكلمة (أم) المبنية على حروف أشد بعداً عن بعضها، فالأول حلقي واللام في وسط الفم والميم شفوي. وهذا التأليف في نظر الرماني (-٢٨٤هـ/١٩٤م) تنافر إذا كان يقصد بذلك التأليف المتباعد، وهذه اللفظة على غاية ما يمكن من البعد. وقس على ذلك (أم) و(أو)، ذلك أن الواو أبعد الحروف من الهمزة والميم أيضاً. وهذا عكس ما نلاحظه في تأليف (عج وسن) لما يوجد فيهما من التنافر الشديد في المخارج. (٢١٧) وأما الإدغام والإبدال فهما شاهدان على تنافر الحروف نتيجة التقارب لا التباعد في رأي ابن سنان، فهما لا يجيئان في الكلام فراراً من التقارب، وبهذا يكون قد (بان) أن تكرر الحروف والكلام يذهب بشرط الفصاحة. (٢١٨)

ولذلك أمثلة عديدة تجد مثلها عند أبي تمام (٢١٩) والمتنبي (٢٢٠) في سياق تكرر الحروف المتقاربة مع العلم أن الخفاجي يرضى أحياناً هذا التكرار إذا كان المعنى لا يتم إلا به.

- (٢١٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٠٢.
 (٢١٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٠٢-١٠٦، نقد الشعر ص ٢٦٦، العدة تحقيق محي الدين ٧٠/٢.
 (٢١٩) ديوانه بشرح التبريزي/تحقيق عزام ١١٦/٢، سر الفصاحة ١٠٢، في مدح أبي الليث الراقبي والاعتذار إليه، والبيت الشاهد:
 كريم متى أمدحه والورى
 معي ومتى لمته لمته وحدي.
 تكرر حذف الحلق مع ملاحظة المعنى واختيار الألفاظ.
 (٢٢٠) ديوانه/عكبري/٢١٦/٤، سر الفصاحة ١٠٢ والبيت الشاهد:
 العارض الهتن بن الهتن إيسا
 ن العارض الهتن ابن العارض التن.
 تكرر حروف متقاربة وتكرار الكلمات. وديوانه/عكبري/٢٧٧/١، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٠٢ والبيت الشاهد فيما يلي:-
 وأدت أبو الهيجاء ابن حمدان يا أبتة
 وحمدان حمدون وحمدون حمارف
 تشابه مولود كريم ووالد.
 وحارث لقمان راشد.

٢ - التقديم والتأخير: (٢٢١)

ان الأصل في التأليف أن يكون الكلام مرتباً متتالياً في نسق لغوي معين يؤدي دلالة معينة؛ إلا أنه قد يشابه التقديم وتأخير مع بقاء الدلالة على حالها، وهذا مقبول في الفصاحة والبلاغة، إلا أن هذا الأمر إذا لم يحسن المؤلف (التألف) فيه وضع الألفاظ موضعها الصحيح والمناسب يغني إلى تشويش في عناصر التأليف في الشكل ثم إلى التباس الدلالة والصورة وتمييدها، وهذا أمر مذموم في عالمي الفصاحة والبلاغة. والقاعدة الأصلية (ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير، حتى لا يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعراجه في بعض المواضع، أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة كالصلة والموصول وما أشبههما). (٢٢٢)

وأشهر مثال على ذلك عند الفروزمي في قوله:
وصا مثله في الناس إلا صليكا ... أبو أمه حيّ أبوه يقاربه. (٢٢٢)

فهذا التقديم والتأخير أدى إلى إحالة المعنى وفساد الإعراب.

٢ - المقلوب: (٢٢٤)

الأصل في الكلام ألا يكون صحولاً عن وجهه، إلا أن العادة قد تعارفت على هذا النمط فرفدته في فن قولها وكلامها. وهو مع ذلك أمر يستسيغه المتميز في فنه والسمع لذا فالاحتراز مطلوب عند الناشئة في تعاطيهم هذا الفن، لتلافي العيوب التي ذكرناها. وقد شاع هذا النمط الفني حتى صار نوعاً من التفنن والبراعة عند كبار الشعراء والكتاب. وأما عند الخفاجي في الأساس (ألا يكون مقلوباً، وعكسه وضع الألفاظ موضعها). (٢٢٥)

٢٢١، ٢٢٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١١١، وأنظر سيبويه ط. بولاق ١٢/١
٢٢٢) ديوانه تحقيق الصاوي ١٠٨/١، سر الفصاحة ص ١١١ في مدح خال هشام بن عبد الملك وأنظر الواسطة للجرجاني (٢٩٢هـ) ص ٤٢٩ والشاهر هو:
وما مثله في الناس إلا صليكا أبو أمه حيّ أبوه يقاربه.
والمقصود هو: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا صليكا أبو أمه وأبوه يعني هشاماً لأن أبا أمه أبو المدوح.

٢٢٤، ٢٢٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١١٤. اللسان (قلب).

وأمثلة هذا الفن وافرّة، نجد مثلها عند عروة بن الورد البصري (٢٢٦) والفرزدق (٢٢٧) والناطقة الجمدي (٢٢٨) والسنتي (٢٢٩) وفي القرآن الكريم (٢٣٠) أيضاً. ثم يتطرق الخفاجي إلى مثال فيه المقلوب، وكان يتناوله ابن جني (-٥٢٩٢/١م) في قول السنتي:

نحن ركب من الجنّ في زي ناس... فوق طير لها شخوس الجمال. (٢٢٩)

(٢٢٦) ذيل شرح ديوان عروة بن الورد بشرح ابن السكيت تحقيق محمد أبو شنب س ٢٠٥ ولا يوجد في تحقيق عبد المعين الصلوحى مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ١٩٦٦م/١٢٨٦. سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١١٤، وأنظر البيتين أيضاً في ديوان النحلية تحقيق نعمان أمين طه س ١٨٧ والشاهد هو:

فلو أني شهدت أبا سعاد غداة غدا لمهجة يفوق
فديت بنفسي نفسي ومالي وما آتوك إلّا ما أطيق.

والمعنى أني غير قادر على إلّا أفديك نفسي ومالي لأنني مجبول على ذلك.

(٢٢٧) شرح ديوان الفرزدق جمع وتعليق عبد الله اسماعيل الصاوي ٨٧٠/٢ صاحب دائرة المعارف للإعلام العربية. المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد مطبعة الصاوي ط ١٢٥٤/١٢٢٦م. والشاهد هو:

وألمس عسال وما كان صاحباً رفعت لناري موهناً فأتاني.

ليست النار هي التي يرفع لها وإنما النار هي التي ترفع. فكان القلب على جهة الإيهام.

(٢٢٨) ديوانه س ٢٢٥؛ اللسان (زنى)، الموازنة ٢٠٩/١، أمالي المرتضى ٢١٦/١، سر الفصاحة ١١٥، والشاهد قوله:

كأدت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم.

الزناء: لغة المجاز مدودة.

(٢٢٩) ديوانه/عكري ١٢٣/١، سر الفصاحة ١١٥، والشاهد:

و عذلت أهل العشق حتى ذقت فحبت كيف يموت من لا يعشق. وهو من سجع المقلوب، أقرب تأويل لذلك: كيف يموت من غير عشق لمن لا يعشق، لأنه يعاني ما يواجهه الموت.

(٢٢٠) القصص ٧٦ (إن قارون كان من قوم موسى فبى عليهم، وآتيناه من الكور ما إن صلاته تنوء بالصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) وهذا في صريح القول ليس فيه من القلب شيئاً، وأنظر معاني ألفراء تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبي والنجدي، ناصف ٢٨٥/٢، سر الفصاحة ١١٦.

وقد سبق أن فسّر ابن جني: (نحن ركب من الإنس في زي الجن فوق جمال كأنها
شخوص طير). فحول ما جاء في الشاهد عن وجهه لفهم ما يقصد الشاعر. ويعتبر الخفاجي
ذلك تعسفاً من أبي الفتح لا تقود إليه ضرورة، ويرى في ذلك ضرباً من المبالغة على عادة
الشعراء، ويرى تأويل ذلك: (نحن قوم من الجن لجوبنا الفلاة والمهائم والقفار التي لا تسلك،
وقوله قرعنا فيها، إلا أننا في زي الإنسان، وهم في الحقيقة غير كذلك، ونحن فوق طير في
سرعة إبلنا، إلا أن شخوصنا شخوص الجمال، ولا شك أيضاً في ذلك. (٢٢١)

وموطن هذا الشاهد يبين وجوه الاختلاف التأويلي والالتباس الذي يفتقر الكلام،
فيستحي فيه إدراك دلالة المقصود دون عناء. وهذا اثر من نواقص الفصاحة والبلاغة التي
تعتمد البيان والظهور والقدرة على تبليغ الفكرة إلى المتلقي. وهذا الشاهد قد
صرف ابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) إلى تأويل انطباعي يختلف عما رآه الخفاجي؟

٤ - التفسير: (٢٢٢)

التفسير شرط خطير في العملية التأليفية ومهم في يد الناقد، ويعني (أن يرى في كلامك
لبساً يكون صريحاً، أو خفياً الحكم، فترده بكلام يوضح توجيهه ويظهر المراد منه) (٢٢٢).
كان يأتي البيت مثلاً على ضرب من الاحتمال في إفادة مفهوم ما، وأن يكون الذي يجيء به
من الكلام موضعاً لحكم خفي. وقل إن شئت هو: (كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل ردّ
أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر). (٢٢٤)

(٢٢١) ديوان المتنبي/عكبري/١٩٤/٢ وأنظر تأويل ابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) في كتابه
الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي لابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) تحقيق محسن غياض ص ٤١،
طبعة بغداد، دار الحرية للطباعة ١٢٩٢/١٩٧٢م، ص الفصاحة ١١٧.
(٢٢٢) ص الفصاحة ص ١١٨، اللسان (فسر)، الطراز ١٠١/٢، ١٠٢، ١١٤، المدة
تحقيق محي الدين ٢٢/١.
(٢٢٣، ٢٢٤) المصادر السابقة والصفحات ذاتها.

ويرى ابن سنان التفسير في صحة التأويل تجنب وقوع الفساد في الكلام (إذ لو حمل على ظاهره لكان سواباً صحيحاً) (٢٢٥). ويتخذ من ذهب إلى تفسير قول الفرزدق إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول (٢٢٦) وقوع فيه الفساد. وإذا أمعنا النظر في هذا البيت نجد على ضربين من الاحتمال:

- ١- عبارة (أعز وأطول) قد تعني عزيزة.
- ٢- قد تعني أعز وأطول من بيتك يا جرير. والخطاب هنا هجو لجرير. وبهذا يكون التأويل تمسكاً في هذا المقام لأن قصد الشاعر جلي، وخطابه اللفظي ظاهراً، والمعنى (وهو أعز وأطول من السماء) (٢٢٧). ولهذا الغرض كان إنشاء النظم، وهذا وجه من المبالغة، معهود في فن القول (وليست من الكراهة والغرابة بشيء) (٢٢٨). والذي أفهمه من ابن سنان أن في البيت شكلين أولهما ظاهر وهو الخطاب الشفاف اللفظي (الصورة اللفظية)، وثانيهما هو الخطاب المتبصر (الصورة الانطباعية التأويلية الذاتية). وهاتان الحالتان كثيراً ما تحمل المفسرين إلى الفساد. كما هو الشأن في البيت الشاهد السابق. ولذا يتعين على المؤول الاحتراز والتحوط. (٢٢٩)

٥- الاستعارة والتشبيه: (٢٤٠)

فلاستعارة فن ذو حظ وافر في فن القول. وتعني (إدعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من اليبين؛ كقولك: لقيت أمداً، وأدت تعني به الرجل

-
- (٢٢٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١١٨.
- (٢٢٦) ديوان الفرزدق/الصاوي/٢/٧١٤، سر الفصاحة ص ١١٨.
- (٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١١٨.
- (٢٤٠) المصدر نفسه ص ١١٨ وأنظر كتاب التعريفات لملي بن محمد الشريف الجرجاني (٥٨١٦/١٤١٢م) ص ٢٠، مكتبة لبنان بيروت طبعة ١٩٨٥م. وأنظر شرح التلخيص لأحمد مطلوب ٢٢١ منشورات مكتبة النهضة ببيروت ١٩٦٧/٥١٢٨٧م. وأنظر ثلاث رسائل ص ٧٩، دلائل الإعجاز تحقيق شاعر ٢٢٢، أسرار البلاغة ص ٢٩، نهاية الإيجاز ص ٨٤، البيان والتبيين تحقيق هارون ١٥٢/١، تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢، فنون بلاغية. الدكتور أحمد مطلوب ١٢٢، وقد حذرها الرماني بأنها: (تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقد للبدانة). وأنظر ما له علاقة بهذا القول في سر الفصاحة ١٢٥.

الشجاع ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينة، يسمى استعارة تصريحية وتحقيقية نحو: لقيت أسداً في الحمام. وإذا قلنا المنيّة أي الموت أنشبت أي علقت أظفارها بفلان، فقد شبهنا المنيّة بالسبع في اغتيال النفوس أي إهلاكها من غير تفرقة بين نفاع وضرار، فأثبتنا لها الأظفار التي لا يكمل ذلك الاغتيال فيه بدونها تحقيقاً للمبالغة في التشبيه. فتشبيه المنيّة بالسبع استعارة بالكناية وإثبات الأظفار لها استعارة تخيلية، والاستعارة في الفعل لا تكون إلاّ تبعية ك (نطق الحال). (٢٤١)

ويشير الخفاجي إلى أن الاستعارة قد وقعت بين رافض لضروب اللغو والمبالغة لما تفيده من التشبيه، وهي فوق هذا فن استجد وانتشر عند المحدثين بصورة رهيبة كما هو الأمر عند أبي نواس (٨١٢/٥١٩٨ م) وأبي تمام (٨٤٥/٥٢٢١ م) والمتنبي (١٦٥/٥٢٥٤ م) والمعري (١٠٥٧/٥٤٤٩ م) وغيرهم كثير. وهذا الحد الزماني لاستحداثها ورفدها في فن القول دليل على هذا الفن قبل هذا العهد الذي كان يجري تحت اقتضاب وتحفظ، بل الناس أنفسهم لم يكونوا يتقبلونها تقبلاً كاملاً مع أنها فن جميل يزيد فن القول جمالاً. ويعتبر هذا النوع في نظر الرافضين خرقاً ومخالفة للعرف والعادة. وبين مؤيد متصر، ويجري هذا الفريق قياس الأمر في ضوء معايير منظمة ومنهجية معقولة، كما فعل الخفاجي ومن جرى مجراه. فهو يرى الاستعارة أقساماً:

- ١- استعارة قريبة مختارة: يرتضيها قربها من الواقع وإفادتها الحقيقة.
- ٢- استعارة مبنية بعيدة غير مختارة للرابتها وجموح الخيال فيها بعيداً عن الواقع.
- ٢- استعارة وسطية بين القريبة والمبنية البعيدة.

(٢٤١) سر الفصاحة ص ١١٨ وأظهر كتاب التعريفات لملي بن محمد الشريف الجرجاني (١٤١٢/٥٨١٦ م) ص ٢٠ مكتبة لبنان بيروت طبعة ١٩٨٥ م. وأظهر شرح التلخيص لأحمد مطلوب ٢٢١ منشورات مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٧/٥١٢٨٧ م. وأظهر ثلاث رسائل ص ٧٩ دلائل الإعجاز تحقيق شاعر ٢٢٢ أسرار البلاغة ص ٢٩ نهاية الإيجاز ص ٨٤ البيان والتبيين تحقيق هارون ١٥٢/١، تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢ فنون بلاغية. الدكتور أحمد مطلوب ١٢٢، وقد حدّث الرمانى بأنها: (تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقد للبدانة). وأظهر ما له علاقة بهذا القول في سر الفصاحة ١٢٥.

إلا أنه أكثر انحصاراً إلى القرينة، فهو يراعي في ذلك العرف . ومقتضى حال فن القول . ولذلك تراء يدتي جموح الخيال المفرط، ويقترح وضع "كاد" كإشارة على دلالة الاستعارة . وله الحق في اشتراطه هذا . غير أنني حين أعدت النظر ملياً، وفصلت الأمر تفصيلاً في مستويات الأحداث، وجدت أن "كاد" وإن كانت تعمل عملها، إلا أنها أقل إيظافاً في صميم الحدث والصورة . كيف ذلك ؟ لأن للفعل سهاماً متفاوتة بين الحدث والقصور، بحسب استخدامها من قبل المؤلف، فإذا كان الخيال مجنحاً كان الحدث نافذاً موافقاً لمقتضى الحال؛ وإذا كان قاصراً على الوقائع فبحسب ذلك . أما أن تأخذ استعارة موهلة ثم تقصرها بكاد لتقربها من الحقيقة، فهذا أمر يحد من قوة الخيال، بل ويقوده إلى السطحية وبالتالي إلى فشل الشاعر في التعبير عما يخالجه وما تمليه عليه دقته الشعرية . فالإبداع لا يحتمل القيود، لأن ذلك أمر يشكله الانفعال والوجدان والتجربة والنكهة الفكرية، وهي عناصر يملكها الفنان من فطرته واكتسابه ولا تفرض عليه فرضاً . ثم إن جمالها يعود إلى ما تروخى في جملتها من نظم . (٢٤٢)

ويستقل بعد هذا إلى أبي الحسن الرماني (-٢٨٤هـ/١٩٤م) الذي يرى الاستعارة قريبة صخارة وبميدة مطرحة على مذهب الخفاجي . فالأولى: ما كان بينها وبين ما استعير لها تناسباً قوياً وشبه واضح، والبميدة: إما أن تكون قائمة على بعد ما استعيرت له في أصلها أو أنها تكون مبنية على غيرها، ولأجل ذلك فهي مذمومة . ويضرب لذلك أمثلة توضيحية فيها الجيد والردى . (٢٤٢)

(٢٤٢) دلائل الإعجاز تحقيق شاعر ٧٨-٧٩، ٨٠ وما بعدها . وأنظر الغزويني وشروح التلخيص الدكتور أحمد مطلوب ص ٢٩٧ . مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ . (٢٤٢) ثلاث رسائل ٧٩-٨٢ وأذن مع سر الفصاحة ص ١١٩ وما بعدها . ويحدد الرماني الاستعارة ضمن أمور: ١- كل استعارة لا بد لها من أشياء: مستعار ومستعار له ومستعار منه . ٢- اللفظ المستعار قد نقل عن أصل إلى فرع للبيان . ٣- كل استعارة بليغة هي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، إلا أنه ينقل الكلمة، والتشبيه بأداته الدالة عليه في اللفظ . ٤- كل استعارة حسنة توجب بلاغة بيان لا تنوب مثابه الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به ولم تجز الاستعارة . ٥- كل استعارة لا بد لها من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللفظ كقول امرئ القيس في سقة الفرس (قيد الأوابد) والحقيقة فيه: مانع الأوابد، وقيد الأوابد أبلغ وأحسن . ٦- لا بد من بيان لا يفهم بالحقيقة .

وإذا كانت الاستعارة عند الرماني (تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للبيان) (٢٤٤). وهي بذلك تغاير التشبيه في الأداة الدالة على أن الكلام على أصله. وابن سنان يعتمد نظرية الرماني في الاستعارة فيتنصر إليه في مواضع ويستقدم في مواضع أخرى. إذ يلتقيان في التمثيل في قوله تعالى: (قال ربّ إني ومن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً، ولم أكن بدعاك ربّ شقياً). (٢٤٥)

جاءت الآية الكريمة في الاستعارة على أسلوب بيان ما لا يفهم بالحقيقة، تمثل مستوى فرعياً تابعاً، منقولاً أو معارفاً عن أصل الحقيقة التي هي كثرة شيب الرأس؛ ثم إن إشار الشيب بكثرة وسرعة كان شبيهاً باشتعال النار على حقيقتها. وهذا شيء أحسن وأبلغ له موقع في البلاغة عجيب. (٢٤٦) يستند الخفاجي أبا الحسن في أن التشبيه في الكلام على أصله لم يغير عنه في الاستعمال؛ (٢٤٧) بحجة أن مخرج الاستعارة ما ليست العبارة في الأصل. (٢٤٨)

وفي تفرقة بين التشبيه والاستعارة يأتي بالأداة التي تفصل هذا عن ذلك؛ بدليل أنه قد يرد مجرداً منها، وله في البلاغة موقع عجيب مما لو كان مقيداً به. ويسوق لتعزيز رأيه أمثلة شاهدة من الشعر في قول أبي القاسم علي بن اسحاق الزاهي (٢٤٩) مجردة من أداة التشبيه. سفرن بدورا وانتقم أهل^ه ومن غصونا وانتقم جأذرا. (٢٥٠) ومع ذلك فالبيت ينطوي على تشبيه محض يختلف عن الاستعارة. وأمثلة هذا واضحة في شعر

(٢٤٤) ثلاث رسائل ٧٩ - ٨٢.

(٢٤٥) سورة مريم ٤/ ثلاث رسائل ٢٩-٨٢، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١١٩.

(٢٤٦) ثلاث رسائل ص ٧٩، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١١٩.

(٢٤٧) المصدران نفسهما والصفحات ذاتها.

(٢٤٨) ثلاث رسائل ٨١-٨٢، سر الفصاحة ١١٩ وما بعدها.

(٢٤٩، ٢٥٠) أبو القاسم علي بن اسحاق الزاهي (١٢٠هـ/١٩٢م) - (٢٥٢هـ/١١٢م) أنظر

ديوانه تحقيق سامي الدهان ٤٥٢/٢؛ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١١٩.

الراواء الدمشقي (٢٥١) ، وفي القرآن الكريم (٢٥٢) . ويجتبي نموذجاً شعرياً لمفيل الفنوي في الاستعارة بالمفهوم الصحيح ، في قوله:
وجعلت كوري فسوق ناجية يَتَنَاقَشُ شَحْمَ مَتَامِهَا الرَّحْلُ. (٢٥٣)
(الرحل يقات شحم السنام) عبارة مستعارة ومنقولة عن الأصل الحقيقي: (كان الرَّحْلُ يتخون الشحم ويتنص منه) والعامل المشترك بين الأصل والفرع (الشحم مادة تقات) ، ولذا فهي في نظر ابن سنان استعارة مرضية، كما هي كذلك في رأي الآدي (-٥٢٧٠/١٩٨٠م) ، والحلة في اختيارها: القرب والمناسبة والشبه الواضح). (٢٥٤)

ويبدو حسب الاختلافات أن موضوع الاستعارة قد أشكل على البعض في تطبيقه أو استنباطه من نظم الشعراء ، ومثال ذلك ما جرى بين ابن سنان والآدي حول ما قاله امرؤ القيس بن حجر (-٨٠٠ ق هـ) .
قللت له لما تملى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل. (٢٥٥)
ويراء الآدي في غاية الحسن والجودة والصحة لوصفه أحوال الليل الطويل في امتداد رمسه وتشاقل مدره للذهاب والانبعث وتترادف أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً ، ولأجل هذا

٢٥١ ديوان الراواء الدمشقي. تحقيق سامي الدهان ص ٨٤ المجمع العلمي العربي. دمشق ١٩٥٠م/١٣٧٠هـ. وأنظر شرح مقامات الحريري للشرشي ط. خفاجي ٥٧/١. والبدیع لابن منذر ص ٥٧ منسوب لعبد المحسن السوري. سر الفصاحة ١١٩، ثلاث رسائل ١٢٢، فنون بلاغية ص ١٥٧ والشاهد قوله:

وأسبلت لؤلؤاً من نرجس فسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد.
شبه الدمع باللؤلؤ، والين بالنرجس والخد بالورد والأنامل بالعناب والسن بالبرد دون أدوات التشبيه.

٢٥٢ سررة الفرقان/٢٢، الحاقة ١١، ١٦، يس/٢٧، التكويد/١٨، الإسماء ٢٩. وأنظر هذه الآيات وتفاصيلها في سر الفصاحة ١١٩، ١٢٠ وما بعدها، ثلاث رسائل ٢٩-٨٦.

٢٥٣ ديوان مفيل الفنوي. تحقيق محمد عبد القاهر أحمد ص ١٠٨ دار الكتاب الجديد. بيروت ١٩٦٨م. الموازنة ٢٥٥/١، سر الفصاحة ط. دار الكتاب ص ١٢١.

٢٥٤ ديوانه تحقيق أبو الفضل ص ١٠٠، الموازنة ٢٥٠/١، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٢١.

٢٥٥ الموازنة ٢٥٠/١، ٢٥١ وأزن مع سر الفصاحة ١٢١.

حسن عند أن يستعير للوسط اسم الصلب ويجعله متمطياً للاعتداد، وسلح أن يستعير للصدر الكلل لنهوضه. (وهذا أقرب الاستعارات من الحقيقة لشدة ملامة معناها لمعنى ما استعيرت له) (٢٥٦). وقال على غرار هذا التعليل (وقد غاب امرأ القيس بهذا البيت من لا يعرف موضوعات المعاني والاستعارات ولا المجازات وهو في غاية الحسن والجودة والصحة). (٢٥٧)

قابن سنان يناقش الآمدي الذي يعتبره أستاذاً له، ويفند رأيه بقوله: (وبيت امرئ القيس ليس عندي من جيد الاستعارة ولا رديئها، بل هو من الوسط بينهما) (٢٥٨). ويرجح على هذا البيت بيت طفيل الغنوي السابق. ويرى ما جاء به الآمدي يحسن بعضه لأجل بعض. فذكر الصلب يحسن من أجل العجز، والوسط والتمطيل من أجل الصلب والكلل لمجموع ذلك (٢٥٩). وتلك في نظره استعارة مبنية على غيرها وبالتالي فلا تقع من البادعة موقع الحسن والجودة والصحة، على خلاف استعارة طفيل المحمودة لأنها بنفسها وكونها غير محتاجة ولا مفتقرة إلى مقدمة تجليها. (٢٦٠)

ولهذا الفن أشلة كثيرة استخدمها الخفاجي لمعالجة هذه القضية على اختلاف أحوالها ومواقف العلماء إزاءها بالجودة أو الرداءة. فقد وردت عند زهير بن أبي سلمى (٢٦١)

(٢٥٦) الموازنة ١/٢٥٠، ٢٥١ وازن مع سر الفصاحة ١٢١.
(٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٢١، ١٢٢، الموازنة ١/٢٥٠، ٢٥١.

(٢٦٠) المصدران السابقان والصفحات ذاتها.
(٢٦١) ديوان زهير شعبة ثعلب س ١٢٤ في مدح حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الغزاري والشاهد هو: (سحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعُري أفراس السبا ورواحله، وأنظر الموازنة ١/٢٥٠، ٢٥١، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٢٣، وهذا البيت غير وارد في الموازنة وجاء في سر الفصاحة.

التي يرجح عليها أيضاً استعارة طفيل لبثائها على غيرها وعدم غناها بنفسها، وعند الشريف الرضي (٢٦٢) (-٥٤٠٦/١٠١٥ م) وما جاء به أبو ذؤيب الهذلي (٢٦٢) (-٥٢٧/٦٤٧ م).

ويستل بعد هذا إلى نقد موقف القاضي الجرجاني (-٥٢٩٢/١٠٠١ م) إزاء الاستعارة في مواضع عدة من الشعر قد التبس أمرها على الدراميين، في استنتاجها وتقييمها؛ ومنها ما جاء في شعر المتنبي (-٥٢٥٤/٩٦٥ م) في قوله:

مسرة في قلوب الطيب مفرقتها وحسرة في قلوب البيض واليب. (٢٦٤)

وهذه الاستعارة عند الخطاجي أبعد ما تكون من هذا الباب، يتوجه له في الاستعارة للطيب والبيض واليب قلوباً تسر وتتحسر (٢٦٥). وأمثلة هذا عند ابن أحر (٢٦٦) والأشهب بن

(٢٦٢) ديوان الشريف الرضي ٦٤٨/١ دار صادر بيروت (٤). وأنظر ديوانه طبعة نخبة الأخبار ص ٢٧٨، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٢٥. والشاهد هو:

أرسل النسيم بواديكم ولا برحت حوامل الزمن في أجدالكم تنفع.

ولا يزال جنين النبت ترضعه على قبوركم القراضة الهمع.

والحكم عليها: أنها من أحسن الاستعارات وأيقها لأن الزمن تحمل الماء، وإذا همت وضعت، فاستعارة الحمل لها والوضع قريبة من الحقيقة وكذلك جنين النبت، لأن الجنين مستور مأخوذ من البجته، وإذا كان النبت مستوراً والفيث يستقيه كان ذلك بمنزلة الرضاع.

(٢٦٢) أنظر أشعار الهذليين للسكري تحقيق فراج ٨/١. والشاهد هو:

وإذا النية أنشبت ألفقارها ألفت كل تمية لا تنفع.

استعارة وسطية. وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٢٥.

٢٦٤، (٢٦٥) ديوانه/عكبري ٩٠/١ (اللب: الدروع الجملدية، يريد أن البيض والدروع حزينة على أخذ سيف الدولة التي يريها تركها ارتداءها، وهي من ملابس الرجال، والطيب يسر حين تمتعه، وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٢٦.

(٢٦٦) ديوان ابن أحر الباهلي (أبي الخطاب عمرو بن أحر الباهلي) تحقيق الدكتور حسين علوان ص ٨٧. مجمع اللغة العربي دمشق (٤). والشاهد:

(وَلَهَتْ عَلَيْهِ كُلُّ مَصْفَاةٍ هُوَ جَاءَ لَيْسَ لَهَا زَبْرٌ) جعل للريح لباً على منوال (للطبيب قلب) وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٢٦.

رميلة (٢٦٧) والكميت (٢٦٨) والبحري (٢٦٩) وأبي تمام (٢٧٠) وأبي الدأفر العمي (٢٧١).

(٢٦٧) البيت للأشهب بن رميلة. أنظر البيان والتبيين. تحقيق هارون ٥٥/٤، الوساطة للجرجاني. تحقيق أبو الفضل والبجاوي ص ٤٤٢، المؤلف والمختلف للأصدي ص ٢٢. مكتبة القدسي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١٩٨٢/٥١٤٠٢/٢، الصانعين للصكري. تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٢٨٥ بلا نسبة، خزنة الأدب للبغدادي ٥٠٨/٢، والأشهب بن رميلة شاعر إسلامي مخضرم أدرك كثرة عثمان بن عفان (ض) وأخباره في: الأغاني (ثقة) ٢٦١/٩، الإسماعية لابن حجر ١١٥/١، والشاهر هو:

هم ساعد الدهر الذي يَتَمَتَّى به وما خير كف لا تنوء بساعد
على قياس النموذجين السابقين، وأنظر من الفصاحة ص ١٢٧.

(٢٦٨) أشعار الكميت الأصدي (أبي المستهل الكميت بن زيد بن خنيس (- ٦٠ - ٥١٢٦). جمع وتقديم داود سلوم ١٤/٢، مكتبة الأندلس بغداد ١٩٦٩/م ١٢٨٩، من الفصاحة ١٢٧، الوساطة ص ٤٤٢، والشاهد:

ولما رأيت الدهر الدهر وعرا سبيله وأبدى لنا ظهراً أجباً مصمماً.
وقوله: لما رأيت الدهر يقلب ظهره على بطنه فعل المَعَك بالزمل.

(٢٦٩) ديوانه تحقيق الصيرفي ١٠٧٢/٢، من الفصاحة ص ١٢٢، الوساطة ٢٤٢، ٢٤٢، والشاهر قوله: فلو أن مشتاقاً تكلف غير ما في طبعه لمشى إليه المنبر.
(٢٧٠) ديوانه/تبريزي/تحقيق عزام ٤٥٥/٢، الوساطة ٢٨، الموازنة ٢٤٥/٢، الصانعين تحقيق البجاوي ٦٠-٢٠٢، من الفصاحة ١٢٥. في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الكفري. الأخدعان: عرقان في العتق خافيان. الخرق: الحق. في شاهد قوله:
يا دهر قوم من أخدعك فقد استجبت هذا الأنام من خرقك.

استعارة مبنية في رأي الخفاجي.

(٢٧١) أنظر الموشع للمرزباني تحقيق البجاوي ص ٤٢٩، الصانعين تحقيق البجاوي ورفيقه ٢٠٢، من الفصاحة ١٢٤، والشاهد في قوله:

باس الهوى في فؤادي وفرغ التذكار. استعارة مبنية.

استعار للهوى (باس) والتذكار (فرغ)، وهذا ترخيص لا يحمل على التحقيق، ولا يتبع فيه الرخص، فقد حملها على أشد الرخص إحالة وفساداً. أنظر من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٢٤.

فكل الشواهد التي تقدمت على مجرى المتنبي في استعارته (للبس قلوباً واليبس والطيب).
 كاستعارة (للزمان فؤاداً) و(للريح لباً) و(للدهر ساعداً) و(للمنبر أرجلاً) و(للهمى بأش
 وللتذكار فرخ) و(للدهر أخدعين) جميعها استعارات مبنية بعضها على بعض. وفي هذا يقول
 ابن سنان ردّاً على من خالف رأيه (فإن ادعى صحة هذا التخريج، وألحقه بما ذكره في بيت
 أبي تمام (٢٧٢) (-٥٢٣٢/٨٤٦م) أوجب الإمساك عنه، وإن أفصح بخلاف العلة الموجودة في
 الأبيات التي ذكرها الجرجاني (القاضي - ٥٢٩٢/١٠٠١م) على أنه قال في آخر كلامه: إن هذه
 أمور لا تحمل على التحقيق، ولا يتبع فيها الرخص، ثم حملها على أشد الرخص إحالة
 وفساداً (٢٧٢). ويضيف: (ومن التوسط الذي حمده القاضي وأشار إليه ألا يتعدى في
 الاستعارة حدّها ولا يعدل على منهجها). (٢٧٤)

يُميّز الخفاجي بين الاستعارة وبين مقابلة اللفظ باللفظ في كل موضع من الكلام، الذي هو
 في رأيه ضرب من المجاز: (والمجاز لا يُقاس عليه، ويستند من يقع في هذا الالتباس، إذ
 يقول: (وليس يحسن بنا أن نقابل اللفظ باللفظ في كل موضع من الكلام، قياساً على مقابلة
 اللفظ (٢٧٥) في قوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة، فمن عفى وأصلح فأجره على الله، إنه لا
 يحب الظالمين). (٢٧٦)

واقاعدة السليمة هي ما أوردناه في الفرق بين الاستعارة والتشبيه. ويعتبر هذا
 انصراف عن مسار الاستعارة إلى باب آخر هو مقابلة اللفظ باللفظ، كان يحذف المضاف ويُقام
 المضاف إليه مقامه كما هو الشأن مثلاً في قوله تعالى: (وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي
 أقبلنا فيها وإنا لصادقون) (٢٧٧). وهذا على خلاف ما جاء في قوله تعالى: (قال ربّ إني
 وهن العظم مني، واشتعل الرأس شيباً، ولم أكن بدعائك ربّ شقياً) (٢٧٨).

(٢٧٢) ديوان أبي تمام (-٥٢٥٤/٨٤٦م) يشرح أبي البقاء العكبري. تحقيق مصطفى السقا
 وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ٢٧٧/٤. شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي
 ١٢٧٦/١٩٥٦م (٤ ج) في مدح عند الدولة أبي شجاع فنا خسرو (-٥٢٤٥/٨٥٩م).
 أنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٢٥.

(٢٧٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٢٤، الواسطة ٢٤٢.

(٢٧٤) المصدر السابق ص ١٣٤، المصدر السابق ٢٤٢.

(٢٧٥) المصدر نفسه ص ١٣٢.

(٢٧٦) الشورى / ٤٠.

(٢٧٧) يوسف / ١٢.

(٢٧٨) مريم/ ٤، وأنظر ثلاث رسائل ٢٩-٨٢، سر الفصاحة ط. دار الكتب ١١٩.

ثم يستقل بعد هذا كله إلى نقد الاستعارة في رأي صاحب بن عباد (-٥٢٨٥/١٩٩٥م). ونشير إلى أن لهذا الأخير كتاباً مفرداً في الكشف عن مساوئ المتنبي (٢٧٩) (-٥٢٥٤/١٩٦٥م) في بعض ما نحتاج إليه في بحثنا هذا. وعنوان الكتاب يتجه بنا راسماً إلى سلبية هذا الشاعر الفحل. وفعلاً هذا ما كان يقصد إليه صاحب من خلال عمله هذا. ويتضح هذا الانتماء في ضوء موضوعية ابن منان تجاه المواقف التي منها الشاهد على الاستعارة. قال المتنبي (-٥٢٥٤/١٩٦٥م):

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل. (٢٨٠)
يجعل صاحب بن عباد الشاعر في وضعية نقص وتبعية لمن سبق ممن يرجعهم عليه حيث يقول:
(ولمّا سمع الشعراء قبله قد أبدعوا) (٢٨١) تشبه بهم فجعل للبنين حلواء. (٢٨٢)
وبعد هذا من الاستعارة الرديئة، ويتصرّ له الخفاجي حين يقول: (بأن الزائد في قبحه قوله: حلواء - لأن المستعمل في هذا الفن حلوة، وتلك اللفظة مفردة لأمر آخر حقيقي غير مستعار فيه. (٢٨٢)

وقياماً على هذا يذم الاستعارة التي جاء بها أبو تمام لبعدها كل البعد ودلالاتها على تصنع وتعمل ناطقها وإن كان هذا الأخير يسعد الخاطر على الاتيان بالمعجب الغريب (٢٨٤).

٢٧٩، ٢٨٠) الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد (-٥٢٨٥/١٩٩٥م) تحقيق محمد حسن آل ياسين ص ٤٩. مكتبة النهضة. طبعة المعارف. بغداد ١٢٨٥/١٩٦٥م. وأنظر يتيمة الدهر ١/١٢٧، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٢٥ في رثاء سيف الدولة وأنظر ديوانه/عكبري/٥٢/٢.

٢٨١، ٢٨٢) الكشف عن مساوئ المتنبي ص ٤٩، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٢٥ يورد صاحب البيت الذي احتذاء أبو الطيب وهو
(بيد السماك خطامها وزمامها وله ظهر المبرّة مركب).

٢٨٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٢٥ وأزن مع الكشف ص ٤٩.
٢٨٤) ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (-٥٢٣٢/٨٤٦م) بشرح الخطيب التبريزي ١١٠/٢ تحقيق محمد عبد عزام. دار المعارف. القاهرة، ١٢٧٧/١٢٨٥/١٩٥٧م/١٩٦٥م (٤ ج). وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٢٥ والبيت الشاهد هو:
وكم أحرزت منكم على قبح قدّها صروف النوى من مرهف حسن القد.
والمعنى: كم فرق بيني وبين أحبتي صروف الدهر.

وفي مقابل هذه النماذج البعيدة الاستعارة شواهد مختارة مرضية في مثل شعر الشريف الرضي (-/٥٤٠٦م) الذي راعى في ذلك أقرب الحقيقة والمناسبة بين الأصل والفرع (أي بين العبارة الأصلية والعبارة المستعارة المثقولة). إذ يضع هذه الصورة في ضوء ما قاله شيخه أبو العلاء المعري (-/٥٤٩٩م) : (إن من الشعر ما يصل إلى غاية لا يمكن تجاوزها، وهذا البيت عندي (٢٨٥) من ذلك القليل حسناً وصحة نسيج وعذوبة لفظ) (٢٨٦). ويستدل أيضاً بنمرذج (٢٨٧) من أستاذ أبي العلاء؛ يجد في قرب الاستعارة التي كانها حقيقة.

ويتسع نطاق الدراسة إلى أن يتقاطع مع أبي بكر الصولي (-/٥٢٣٥م) صاحب كتاب (أخبار أبي تمام) (٢٨٨). وفيه مواقف عدة حول أبيات شعرية من هذا القبيل قد تشابه واختلف أمرها على الباحثين. وبخاصة ما جاء في (ماء المدام) (٢٨٩). ومدى مجاراته للعرف وقربه أو بعده عن الحقيقة والمناسبة. فتعجب النقاد من دلالة هذه العبارة، ونسوا أنهم يقولون: (كلام كثير الماء) (٢٩٠) و(ما أكثر ماء الأخطل!) (٢٩١) و(ماء الصبابة) (٢٩٢) و(ماء الهوى) (٢٩٣) بمعنى الدمع. ومثل ذلك في شعر ذي الرمة (٢٩٤).

(٢٨٥) ديوان الشريف الرضي (-/٥٤٠٦م) ١/٦٥٩، دار صادر بيروت (٤) (وأنظر طبعة نخبة الأخبار - بومبي ص ٨٤م)، سر الفصاحة ص ١٣٥، والشاهد فيه: وما نطلة مشمولة في مجمة وعطاها صفا من الطود قارع. (٢٨٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٣٥. (٢٨٧) شرح التنوير على سقط الزند ٢/٤٥؛ سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٣٩. والبيت الشاهد في وصف كثرة الأسفار وكان حبك قال لي في السرى فالطم بأيدي العيس وجه السبب. استعارة قريبة من الحقيقة، ولو قيل جاز وإن كان على محض الاستعارة أحسن. (٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠) ديوان أبي تمام/تبريزي/تحقيق عزام ١/٢٢ وأنظر الخبر في أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي (-/٥٢٣٥م) ص ٢٢. تحقيق خليل محمد عماكر ومحمد عبد عزام ونظير الإسماعيلي. مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٦/١٩٣٧م. وأنظر الموازنة ١/٢٦١ (الأمدي يفترض على أن يعاب أبو تمام بهذا البيت). وأنظر سر الفصاحة ص ١٤٠. (٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣) سر الفصاحة ص ١٤٠، أخبار أبي تمام ص ٢٢ وما بعدها. (٢٩٤) ديوان ذي الرمة تحقيق أبو صالح ١/٢٧١. وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٤٠. أخبار أبي تمام ص ٢٤.

و(ماء الشباب) (٢٩٥) عند أبي الصّاهية وعمر بن أبي ربيعة (٢٩٦).
وقد بلغ هذا الاستنكار إلى أن (سأل سائل أبا تمام أن ينفذ له في إنشاء شيئاً من ماء الملام) (٢٩٧).

ويرى ابن سنان ما جاء به الصولي (-٥٢٢٥/٩٤٦م) ضرباً من حمل اللفظ على اللفظ، أي (فإني صب قد استعذبت بكائي) إزاء (لا تسقني ماء الملام)، وهذا أمر تحمله العرب من اللفظ فيما لا يستوي معناه (٢٩٨). قياًساً على قوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (٢٩٩). وقوله عز وجل: (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) (٣٠٠). إنما حمل اللفظ على اللفظ، فخرج الانتقام بلفظ الذنب، لأن الله عز وجل لا يمكر، وغير هذا كثير. كل هذا لأجل أن أنصار أبي تمام (-٥٢٢٢/٨٤٦م) قد تصرفوا في التأويل له، فقال بعضهم: إن أبا تمام أبكاه الملام فهو يبكي على الحقيقة، فتلك الدموع هي ماء الملام. وهذا الاعتذار عند الخطاجي قاصد، لأن أبا تمام قال: قد استعذبت ماء بكائي، وإذا كان ماء الملام هو ماء بكائه، فكيف يكون مستعذباً له؟ (٣٠١) ثم يخلص على غرار هذا إلى الحكم بعد ما تشكل الصورة النقدية في ذهنه: (هذا جملة ما قاله أبو بكر، وهي غير لائقة بمثله من أهل العلم بالشعر) (٣٠٢). ثم يحلل المشكل بأن ما جاء به الشعراء من (كلام كثير الماء وماء الشباب وغير ذلك) لا يحسن أن يقال مثلاً: شربت ماء أعذب من ماء هذا الثوب. والمراد بذلك الروث كقولك: ثوب له ماء أي رائحة وذو روث، ذلك (أن القول مخصوص بحقيقة الماء لا بماء هو مستعار له) (٣٠٣)، إلا أن ما جاء به أبو تمام (ماء الملام) لا يفيد الروث لاتجاهه في سياق المذمة والملاة (٣٠٤).

(٢٩٥) ليس في ديوان ذي الرمة، ونسبه الصولي في "أخبار أبي تمام" ص ٢٥ وأنظر من الفصاحة ص ١٤١.

(٢٩٦) ديوانه ص ٤٢١، تحقيق محمد صفي الدين عبد الحميد؛ أخبار أبي تمام ص ١٢٥، من الفصاحة ط. دار الكتب ١٤١.

(٢٩٧) من الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٤١ (نسبها بعض الرواة إلى عبد الصمد بن المعتز، من شعراء الدولة العباسية). أنظر ترجمته في الأغاني ٢٢٦/١٢ (ط. دار الكتب) وكان يلتقي بأبي تمام في المجالس، بصري المولد والمنشأ، وكان والده وجدّه من الشعراء وكنيته أبو القاسم، وأنظر أخبار أبي تمام ص ٢٦.

(٢٩٨) من الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٤٠، ١٤١.

(٢٩٩) انشوري/٤٠ وتماها (فمن عنى وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين).

(٣٠٠) آل عمران / ٥٤.

(٣٠١) ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٤٠، ١٤١، أخبار

أبي تمام ص ٢٢ - ٢٦.

٦- حسن التشبيه: (٢٠٥)

من الصحة في الكلام سحة التشبيه وهو (أن يقال للشئين مثل الآخر في جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تباين البتة، لأن هذا لو جاز لكان أحد الشئين هو الآخر بعينه، وذلك محال) (٢٠٦).

والأحسن في التشبيه أن يشبه الشيء في غير أكثر صفاته ومعانيه، وبالمضد حتى يكون ردء التشبيه بحروفه، فالكاف وكان وما يجري مجراها، وقد يكون بغير حرف ظاهر المعنى. ويستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز. (٢٠٧)

والأصل في التشبيه الحسن عند الخفاجي (أن يمثل اللائب الخفي الذي لا يُعَاد بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه، فيكون حسن ذلك لأجل القلو والمبالغة) (٢٠٨).

إن التشبيه في نظره بهذا المفهوم قسمان:

- ١- تشبيه بالأداة.
- ٢- تشبيه بدون أداة، وهو الأحسن والأبلغ في فن القول، وهو إما محمود وإما مذموم. ومن الملاحظ أن الخفاجي قد اقتصر في هذا الفن على ما يحتاج إليه في توضيح الفصاحة والبلاغة، على خلاف ما فعله غيره من العلماء. وما نقوله في هذا الصدد هو أن الرجل قد وجد نفسه إزاء ركाम تراثي هائل تتمثل فيه نماذج فنية يعقورها عيب في البنى أو المعنى؛ ومنها هذا الجانب، فرأى أن يتخذ مواطن سليباتها حتى لا تكون أثراً سلبياً على كلام العربية.

٢٠٥، ٢٠٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٤٦، نقد الشعر ص ١٢٢، المثل السائر ١٨٨/١، ٢٨٨، ٢٢٩/٢. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، البيان والتبيين ١٩/٢، طبقات فحول الشعراء ١/٥٥، ثلاث رسائل ص ٧٤، الصاعقة تحقيق البجاوي ورفيقه ٢٢٩، الكامل ٧٦٦/٢، العمدة تحقيق محي الدين ١/٢٨٦، مفتاح العلوم ص ١٥٧، الجامع الكبير ص ٩٠، الطراز ١/٢٦٢، ٢/٨٧، أسرار البلاغة ٧٢، ٨٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٦، ٢٥٦. تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دلائل الإعجاز. تحقيق شاعر ٤٢٤، ميوه ٨٢/٢. ٢٠٧، ٢٠٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٤٦ وأنظر نقد الشعر ص ١٢٢ في باب نعت التشبيه.

وإذا كان التشبيه صريحاً بالأداة وبليغاً مجرداً منها لديه، فهذا دليل على مدى إدراكه الدقيق الواعي للمستويات الدلالية والشكلية الكامنة في كل عينة من فن القول. أليس هو القائل: (وقد يكون بغير حرف على ظاهر المعنى، ويستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز) (٢٠٩). وهذا وجه دقيق في تنظير القواعد التي سنرى منمولاها في تطبيقاته وضروب تقدم فيها.

أما التشبيه بالأداة فكتوله تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده، فوقاء حسابه والله سريع الحساب) (٢١٠). وفي الشعر كقول النابغة الذبياني (١٨٥ ق ٦٠٤/٥):

فأنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلئت أن المتأى عنه واسع (٢١١)
فالتشبيه في هذا البيت يجمع الظهور بدليل أن الناص إذا علموا أن الليل لا بد أن يدرك المرء، فهو على ذلك أمر مألوف؛ متعارف عليه، وللنبالة علاقة بإدراك النعمان بن المنذر للنبالة. فالعلاقة بين الحقيقة وما يقابلها في سنة الكون جعلت المسألة في موضع متشابه أعظم وأبلغ في المدح.

ومن مختار التشبيه بالأداة أيضاً قول عدي بن الرقاع العاملي (٢١٢) والمعمري (٢١٣)
وأما التشبيه المجرد من الأداة فكتول أصرى القيس:
سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً بعد حال (٢١٤).

٢٠٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٤٦.

٢١٠) النور ٢٩/.

٢١١) ديوانه تحقيق شكري فيصل ص ٥٢، سر الفصاحة ٢٤٧. وأنظر ديوانه تحقيق كرم البستاني ص ٨١. دار صادر بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٢/٥١٢٨٢ م.

٢١٢) سر الفصاحة ٢٤٨، اللسان (رتق) وأنظر أخبار الشاعر في طبقات فحول الشعراء. تحقيق شاكر ٦٩٩/٢، الشعر والشعراء ٢١٨/٢، الأغاني (ثقافة) ٢٠٠/٩، السنة شدة النعاص، رتقت: تهيات.

٢١٢) شرح النوير ٤٨/١، سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٤٨ والشاهد قوله:

والخل كالماء يبدى ضمائر مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

يعني أن الخليل في صفاء الخلقة وكدورتها كالماء حين يصفى ويعكر، فإذا صفى ظهر ما فيه وإن عكر خفي ما فيه.

٢١٤) ديوانه تحقيق أبو الفضل ص ٢١، سر الفصاحة ص ٢٥١.

ومثل هذا عند النابغة الذبياني (٢١٥) وديك الجن (٢١٦) والواواء الدمشقي (٢١٧)، وكلها من مختار التشبيه الذي له في البلاغة وقع عجيب.

فإذا كانت هذه النماذج في رأي ابن سنان تتسم بالصحة والجودة والحسن والبلاغة، فإن غيرها من هذا الفن ما هو دون ذلك حسناً وبلاغة لما يتأبه من العيوب، من ذلك قول الكمي:

كان الخطامط من عليها
أراجيز أسلم تهجو غفاراً (٢١٨)
ومن ذلك أيضاً قول علقمة بن عبدة (٢١٩) الذي بنى تشبيهه على غير حقيقة مشاهدة في الواقع.

(٢١٥) ديوانه تحقيق شكري فيصل ص ٧٨، سر الفصاحة ٢٥٢، الصناعتان تحقيق الدكتور منيد قبيصة ص ٢٧٠ (انك) يقصد النعمان. والشاهد:

فأنك شمس والملوك كواكب
إذا ملئت لم يبدُ منهن كوكب.

(٢١٦) ديوان ديك الجن تحقيق الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبودي، دار الثقافة بيروت. والبيت غير موجود في ديوانه هذا ولا ديوانه جمع عبد الميمى الملوحى ومحي الدين درويش (٤). سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٥٢، والشاهد:

مفرن بدوراً وانتقن أهلة
ومسن غصوناً والتقتن جاذراً.

(٢١٧) ديوان الواواء الدمشقي أبي الفرج محمد بن أحمد الفسائي. تحقيق سامي الدهان ص ٨٤، المجمع العلمي العربي. العراق ١٩٥٠م/١٣٧٠هـ؛ سر الفصاحة ٢٥٢، الصناعتان تحقيق البجاوي ص ٢٥١، والشاهد:

فأسبلت لؤلؤاً من لرجس وسقت
ورداً وعصت على العتاب بالبرد.

(٢١٨) شعر الكمي بن زيد الأسدي (١٣٥٠هـ/٣٧٤م) ١/١٩٥٠. جمع وتقديم داود سلوم. مكتبة الأندلس ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م. (٢ ج)، الموشح تحقيق البجاوي ص ٣٠٥، سر الفصاحة ٢٥٢، اللسان (غلمط) الخطامط: صوت غليان القدر.

(٢١٩) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلام الششمري تحقيق الصقال والخطيب ص ٧٠، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٥٢، والشاهد قوله:

كان إبريقهم ظلي على شرف
مقدم بسبا الكنان مثوم.

والواقع أن الظلي لا يكون مفدماً بسبا الكنان مثوماً، ولهذا بُني التشبيه على غير حقيقة مشاهدة معروفة، ويكون ذلك صحيحاً لو كان الأمر قصراً على الإبريق، وهذا توجيه إلى تصوّب المعنى والصورة في التشبيه. فالشاعر شبه الإبريق بالظلي في طول العنق والإشراف على الكنان.

٧- الحشـو:

ويعني في أصله عند ابن سنان (أن يكون القصد بها إصلاح الوزن أو تناسب القوافي وحرف الروي، إن كان الكلام منظوماً، وقصد السجع وتأليف الفصول إن كان مشوراً، من غير معنى تفيد أكثر من ذلك) (٢٢٠). ويرى الكلمة وحدة أساسية قد توضع في موضعها اللدني وتفيد المعنى المطلوب أو تكون مجرد حشو لا طائل من وراءه سوى الجري وراء الوزن والقافية. ويرى هذه الظاهرة على قسمين:

- أ- أن تكون الكلمة مؤثرة في الكلام: وهي على ضربين: (٢٢١)
 - ١- أن تفيد فائدة مختارة يزداد بها الكلام حسناً وطاوةً وهذا أثر إيجابي في هذا الموضوع. (٢٢٢)
 - ٢- أن تؤثر في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً وهذا أثر سلبي. (٢٢٢)

ب- أن تكون الكلمة عديمة التأثير: (٢٢٤)
أي أن دخولها كخروجها في تأليف الكلام. وبهذا يكون صاحبنا قد حدد وظيفة مفعول الكلمة في سياق التأليف من حيث أثرها الإيجابي والسلبي.

ويأتي بنماذج تحمل في طياتها حشواً، منها قول المتنبي:
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يسرى كل ما فيها - وحاشاك - فانياً (٢٢٥).
(حاشاك) في موضع حشو حسن، وهي لا تدخل إلاً لكمال الوزن، فقوله (احتقار مجرب يرى كل ما فيها فانياً) كلام صحيح مستقيم، أفادت مع إصلاحها الوزن دعاء حسناً للممدوح.

ويستند الخفاجي أبا هاشم عبد السلام الجبائي (٢٢٦) (-٥٢٢١/٩٢٢م) في هذه المسألة

-
- ٢٢٠، ٢٢١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٤٦، اللسان (حشا) ١٨٠/١٤.
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٤٦.
٢٢٥) ديوانه/عكبري/٢٩٠ وأنظر يتيمة الدهر تحقيق محمد محي الدين ٢٢٠/١.
٢٢٦) سبقت ترجمته.

إذ يلحق الحشو الجيد بالردى، وهذا ما ورد في كتاب "المسائل البعدايات" (٢٢٧) ذكرها في إيجاز القرآن حيث الشاعر إذا احتاج إلى الوزن ذكر ما يحتاج إليه. ويوضح خطأ أبي هاشم بشاهد من قول امرئ القيس: ورشت فذلت سبعة أي إذلال. (٢٢٨)
قلو كان في الكلام لكان يقول: (ورشت فذلت أي إذلال) ولو شاء لقال: (فرشت فذلت سبعة) فقد بان أنهم ذكروا المصادر والظروف ليتم الوزن في هذا الشعر المتين. وقص على ذلك ما قاله الأعشى (٢٢٩) (-٥٧/٦٢٨م) في هذا المضمار.

ويمضي على درب موضوعيته النقدية ويقول: (وأبو هاشم وإن كان العالم المتقدم في صناعة نقد الكلام المؤلف، لوقفهم النظم والنثر، كما أن من المتقدمين من يجهل أول ما يجب على العاقل فضلاً عما تجاوزهم) (٢٢٠) فليس سرفقه بالمؤلف والدارس سرفقه في العدل والألفاظ. والعلامة به مناعة نقد النظم والنثر، وفهم النظم والنثر.

فبيت الأعشى على ما وقع لأبي هاشم حشو قبيح وينعدم التناسب بينه وبين بيت امرئ القيس. قلولا الوزن لاكتفى الأعشى بقوله (فأصبحت حبة قلبها) بدل (فأصبحت حبة قلبها وطحالتها). وهذا كلام بعيد عن الصواب، لأن سبعة في بيت امرئ القيس وقوله (أي إذلال) حشو مختار يقصد في المشور مثله الحذاق بتأليفه، لأنه لو قال: (ورشت فذلت) لم يكن في الكلام دليل على أن هناك استعصاء وتثاقلاً، ويقول (سبعة) حصل اللرض ثم بعد (أي إذلال) وعف حسن لذاتها ليس بمستفاد من الأول، لموقع العجب فيه والوصف، وهذا موضع واضح. (٢٢١)

(٢٢٧) الكتاب المشار إليه (الرد على المسائل البعدايات) لأبي هاشم (-٥٢٢١/٩٢٢م) ويبدو أنه مقتود، وقد ذكره المرتضى في ترجمة الرمانى (-٥٢٨٤/٩٩٤م). أنظر طبقات المتوفى لأحمد بن يحيى بن المرتضى (-٥٧٤٠/١٢٢٩م) ص ١١٠ تحقيق مؤسسة ريفلد فلزر - الطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦١م.

(٢٢٨) ديوان امرئ القيس (-٨٠٠ق هـ) ص ٢٢. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف القاهرة. ط ٤/١٤٠٥/١٩٨٤م. وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب ١٤٩ وصدرة: (وصرفنا إلى الحسن ورق كلامها). رق: خفت، راض: لين، ذلت: رضيت إثر امتناعها أي عن طريق المداراة أذعت.

(٢٢٩) ديوانه ص ٢٧، تحقيق م. م حسين، سر الفصاحة ص ١٤٨ والشاهد: فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبحت حبة قلبها وطحالتها.

(٢٢٠) سر الفصاحة ص ١٤٨، وأنظر الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (-٥٥٤٨/١١٥٠م) ٤٥/١. ط. مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٦١م.

(٢٢١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية (ط. مصورة) ص ١٤٨.

ثم يتوجه إلى اعتقاد أبي الحسن الرماني (١٩٤/٥٢٨٤م) لأبي هاشم الجبائي (١٢٢/٥٢٢١م) في مسائله، معتمداً في ذلك المناقشة وترك المسامحة (الموضوعية) في كل لفظة من ألفاظ أبي هاشم، فلما بلغ هذه القضية ونقضاها لم يعرض إلى الموضوع الذي أثاره الخفاجي، وبدأ وكأنه متصر له وموافق، مسلم له، والسبب في خفاء ذلك على الرماني (١٩٤/٥٢٨٤م) مع علو مكانته العلمية في الأدب.

٢ - الكلمة الواقعة حشواً مؤثراً في المعنى نقصاً وفي الغرض فساداً: (٢٢٢)

فإذا كان السابق إيجابياً، فهذه على خلافه. فالكلمة تدخل أو تقع في السياق إيجاباً، فيكون ذلك عيباً في الفصاحة والبديعة. فإذا قرأنا بيتاً من الأبيات يتوفر على سريرة معينة، نلني فيه التباساً يفضي إلى احتمالات انطباعية وتأويلية، وبالتالي إلى الاختلال اللفظي والدلالي. ومثال ذلك في قول المتنبي (١٦٥/٥٢٥٤م) يمدح كافوراً.

ترعرع المَلِكُ الأُمْتَازُ مَكْتَهَدٌ
قَانَطِرٌ إِلَى الْبَيْتِ وَتَأْمَلُ خُطَابَهُ الْفُظْيُ الشَّافِثُ
ثُمَّ تَوَغَّلَ فِي الْمُسْتَوَى الثَّانِي فِيمَا يَفِيدُ الْخُطَابُ
الْمُكْتَبَسُ، فَهُوَ مَوْطِنُ أَشْرَافِهِ. أَمَّا مَدْلُولُ الْبَيْتِ فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّ كَافُوراً قَدْ تَرَعَّرَعَ مَكْتَهَدٌ فِي
حِلْمِ الْكُهُولِ قَبْلَ أَنْ يَكْتَهَلَ أَدِيباً أَوْ قَبْلَ أَنْ يُؤَدِّبَ، وَيَعْنِي أَنَّهُ بُلِعَ عَلَى الْحِلْمِ وَالْأَدَبِ؛ وَلَمْ
يَسْتَفِدْ خِصَالَهُ مِنَ التَّجَارِبِ الْمَكْتَسِبَةِ. وَأَمَّا الْحُكْمُ النَّقْدِيُّ وَالْبَدِيعِيُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ (الْأُسْتَازَ بَعْدَ
الْمَلِكِ) نَقَصَ لَهُ كَبِيرٌ. وَبَيْنَ تَسْمِيَةِ الْمَلِكِ وَالْأُسْتَازَ فَرَقٌ بَيِّنٌ، إِذْ أَنَّ الْأُسْتَازَ جَاءَتْ فِي السِّيَاقِ
حَشْوً، وَنَقَضَ بِهِ الْمَعْنَى إِذْ كَانَ الْغُرْضُ فِي الْمَدْحِ إِعْلَامُ قَدْرِ الْمَدْحُوحِ وَلَيْسَ الْقَدْحُ بِهِ. غَيْرَ
أَنَّ ابْنَ مَنَانٍ يَرَى لِلشَّاعِرِ فِي ذَلِكَ عَذْرًا، (وَذَلِكَ أَنَّهُ رَوَى أَنَّ كَافُورًا لَمَّا غَلِبَ عَلَى وَلَدِ
الْأَخْشِيدِ فَاسْتَبَدَّ بِالْأُمُورِ دُونَهُمْ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ حَدِّ الْمَذْبَرِ إِلَى الْمَالِكِ، وَلَمْ يَقَمْ لَهُ عَلَى
الْمَنْبَرِ دَعْوَةٌ، وَلَا نَقَشَ بِاسْمِهِ سَكَّةٌ، وَلَا اخْتَارَ أَنْ يَخَاطَبَ إِلَّا بِالْأُسْتَازِ، فَلَمْ يُسَمَّ فِي مَدَّةِ أَيَّامِهِ
بِالْأَمِيرِ وَلَا بِغَيْرِهِ مِمَّا يَخَاطَبُ بِهِ مَنْ جَرَى مَجْرَاهُ).

(٢٢٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٤٩.

(٢٢٢) ديوانه/عكبري/١/٢٤، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٥٠، والمعنى أن كافوراً شب وتربى وارتقى مكتهد في حلم الكهول قبل أن يكتهل أديباً وقبل أن يؤدب، يعني أنه جُبل على الحلم والأدب ولم يفد ذلك من مكسب التجارب. وفي هذا القول مبالغة كما هو واضح.

فإذا كان الأمر على هذه الحال فلا شك في صحة أن تكون (أستاذ) بمنزلة لقب لا يجوز تبديله. وقد يكون أبو الطيب لجأ إلى ذلك لعل بهذا. غير أنه في حكم النظم والشر (الآ تذكر هذه الكلمة بعد كلمة هي أشرف منها بدرجة عالية (من حيث دلالتها)، وإن زعم زاعم أن أبا الطيب قصد بقوله (الأستاذ) تفرغ كافور بذلك، ونقصه كما يقصد ذلك بذكر مواده؛ فإن أبا الطيب قال: كان كافور الإخشيدي يشق عليه أن يمرّس له بالسواد (٢٢٤). وشبه هذا عند في مواضع أخرى. (٢٢٥)

٢ - الكلمة الواقعة حشواً غير مؤثر: (٢٢٦)

وأمثلتها كثيرة في النظم والشر، ومفعولها سلبى الأثر على فصاحة وبلاغة الكلام. ومن ذلك قول أبي مام (- ٢٢٢٢ هـ / ٨٤٦ م)

جذبت نداء غدوة السبت جذبة فخرت سريعاً بين أيدي القماند (٢٢٧)
فغدوة السبت حشو لا يحتاج إليه، ولا تقع فائدة بذكره، وفي هذا يقول الخفاجي:
(فمن ذا الذي يؤثر أن يعلم اليوم الذي أعطى الممدوح فيه أبا تمام؟ وأي فرق بين أن يقع عطاء في يوم السبت أو الأحد أو غيرها من الأيام، وما بقي عليه شيء إلا أن يخبر بتاريخ ذلك الوقت وموضع ذلك اليوم من الشهر). (٢٢٨)

فمثل هذا ودلائله من الحشو الذي لا تحصل في ذكره فائدة إلا لإصلاح الوزن عيب عند ابن ستان. وما أكثر ما يستعمل أمسى وأصبح وأخواتها (٢٢٩) في هذا الموضع من الحشو. واعتبار الفائدة في النظم والشر هي الأصل.

- (٢٢٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٠.
(٢٢٥) ديوانه/عكبري/٤/١٢٧، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٠.
(٢٢٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٠.
(٢٢٧) ديوانه بشرح التبريزي تحقيق عزام ٥/٢، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٢.
الموازنة ٢٢٥/٢.
(٢٢٨، ٢٢٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٢ وازن مع ثلاث رسائل ص ٩.

٤ - وقوع القائدة في حشو القافية: (٢٤٠)

ومن ذلك قول أبي تمام:

كالظبية الأدماء صافت فارتعت زهرَ الررار الفرس والجشاثا. (٢٤١)

فالجشاث حشو لأجل القافية، فليس للظبية فضل إذا رعت الجشاث ولا له فيها ميزة على غيره من النبات؛ ومثل هذا كثير، نلقاه في شعر امرئ القيس (٢٤٢) وزهير (٢٤٣). ومن الملاحظ أن لهذا النوع من الحشو موقفاً في الفصاحة والبلاغة.

٥ - الإيغال: (٢٤٤) (ضرب من الحشو المفيد)

وهو (عبارة عن الإتيان في مقطع البيت أو عجزه) أو في الفترة الواحدة بنعت لما قبله مفيد للتأكيد والزيادة فيه) (٢٤٥). ويدل مفهوم هذا المصطلح الخفاجي في (أن أبا العباس محمد بن يزيد قال: حدثني التوزي، قال: قلت للأصمعي: من أشعر الناس؟ قال: من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً، أو بكبير فيجعله بلفظه خسيساً، أو يتقضي كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى، قال نحو من؟ قال: نحو ذي الرمة حيث يقول:

قف الميسر في أطلال مية فامال رسوماً كأخلاق الرداء السلسل. (٢٤٦)

٢٤٠، ٢٤١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٥٤. البيت لعلي بن محمد البصري الورزيني (صاحب الزنج - ٢٧٠هـ/١٨٠م) أنظر وفیات الأعيان ٢/٢٧؛ قد الشعر ص ٢٥٥، الموشح ٢٦٨، الصناعتان تحقيق الجاوي ورفيقه ص ٤٥٠ بلاد نسبة. (٢٤٢) ديوانه تحقيق أبو الفضل ص ٥٢، الصناعتان تحقيق الجاوي ورفيقه ص ٢٨١، سر الفصاحة ١٥٤ والشاهد قوله:

كان عيون الوحش حول خباننا وأرحلنا الجذع الذي لم يشتب.

زاد قبله القافية زيادة حسنة (لم يشتب) لأن الجذع إذا كان مثقوباً كان أشبه، بالميون.

(٢٤٣) ديوان زهير بن أبي سلمى (-١٢ق هـ) سبعة ثعلب (أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني) دار الكتب المصرية القاهرة ط ١٢٦٤/١٩٤٤م. (قافية الميم) وأنظر ديوانه تحقيق وشرح كرم البستاني ص ٧٧. دار صادر للطباعة والنشر-بيروت ١٢٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٢٤٤، ٢٤٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٥، اللسان (وغل) ١١/٧٢٢.

(٢٤٦) ديوان ذي الرمة (-١٧٧هـ/٧٩٢م) تحقيق عبد القدوس أبو صالح ص ١٤٥١/٢. مؤسسة الإيمان بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م (٢ ج) وأنظر قد الشعر ١٩٤. والترزي: أبو محمد عبد الله بن محمد مولى قریش (-٢٢٠هـ/٩٤١م). وتوز مدينة. أنظر طبقات النحويين واللغويين تحقيق أبو الفضل ص ١٠٦.

فتم كلامه قبل السلسل فزاد شيئاً. ومثل هذا في موضع آخر عنده، ومثل هذا لدى الأعشى. (٢٤٧)

ويقول ابن سنان: (وقد سمى أصحاب صناعة الشعر هذا المعنى الإيصال وأرادوا بذلك أن الشاعر يوغل بالقافية في الوصف إن كان وصفاً وفي التشبيه إن كان مشبهاً) (٢٤٨).

وهذا الموضع حساس وخطير يجب مراعاته لوجوده في القافية حيث إنه إذا أصاب فيه أو أخطأ الناظم كان ذلك ظاهراً مقابل وقوع ذلك في متن البيت (٢٤٩). ويقع هذا في الشر أيضاً حيث يحمل كلامه ما يوقعه في الفساد حين تتعذر عليه القريظة، ويورد المعاني البعيدة عن المقصد، وكل هذا لكي يظفر بالسجع بعد عناء، ويتبع هذا عدم تساوي تاليف فصوله. وهذا عيب شاع في عهد ابن سنان (- ١٠٧٢م). وهذا على خلاف نهج السابقين الذين كانوا يتجنبون السجع في أعمالهم، لأن تكلف ذلك لأجل القافية أو السجع يفضي إلى نفور في الكلام، ولذا طرأ خير من تجشم سماعه والوقوع في الاستقاد.

وأما زيادة (ما) (٢٥٠) في القرآن الكريم فلا أرى أبداً أنها من شطط الكلام. فلو عمدنا إلى حذفها من السياق يظل الكلام مستقيماً مفهوماً، ألا أن المعنى يصير أقل إيظاً ونفاذاً في الحدث. فأنظر إلى قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصُوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (٢٥١). وقوله تعالى (فَبِمَا تَضَعُهُمْ مِثْقَالَهُمْ) (٢٥٢).

فحكم ابن سنان في هذا المقام أن (ما) لها تأثير في حسن النظم، وتمكين الكلام في النفس، وبعد عن الأنفاط المبتذلة، فعلى هذا لا يكون حشواً لا يفيد) (٢٥٢).

٢٤٧ ديوان الأعشى الكبير قيس بن ميمون (- ٥٧/٦٢٨م) ص ٦١ شرح وتعليق محمد محمد حسن المكتب الشرقي للنشر والتوزيع بيروت ١٩٦٨م/١٢٨٨هـ. والسأهد:

٢٤٨، ٢٤٩ سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٥. كتاب صحرة يوماً ليفلحها فلم يصن ما وأوصى قومه الوعل.

٢٥٠ المصدر السابق ص ١٥٥.

٢٥١ آل عمران / ١٥٩.

٢٥٢ النساء ١٥٥ (فَبِمَا تَضَعُهُمْ مِثْقَالَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بآيَةِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا).

٢٥٢ سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٥.

وأما مجيئها حشواً زائداً في الشعر فيقول أعشى قيس:
قاذبي ما إليك أدركني الحِلْ
مُ عدائي عن هيجكم أشطالي (٢٥٤).
وقد جاءت (ما) على هذا المنوال عند المتلمس (٢٥٥) والنمر بن تولب (٢٥٦).

٦- المعاطلة: (٢٥٧)

المعاطلة ذات أثر سلبي، إذا وقعت في الكلام أخرجته عن فصاحته وبدغته، وهي أمر يخالف قاعدة الخفاجي في وضع الألفاظ موضعها اللائق بها، ولذا يتعين (لَا يكون الكلام شديد المداخلة، يركب بعضه بعضاً، وهذا هو المعاطلة) (٢٥٨). وهو التراكب اللفظي. فقد كان شعر زهير مختاراً تتجنبه هذه المحضلة. (٢٥٩).

وفي هذا الموضع يلتقي الخفاجي مع الآمدي (-٢٢٧٠/١٨٠م) ويختلف مع قدامة بن جعفر (-٢٢٧٠/١٤٤٨م)؛ والسبب في ذلك أن أبا الفرج قد أخطأ وبين غلطة الآمدي في قوله. (إن المداخلة التي تكرم، ووصف عمر رضي الله عنه زهيراً بتجنبها أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه، قال: وما أعرف ذلك إلا فاحش الامتعارة). (٢٦٠)

ومثال قدامة المتقدم في قول أوس بن حجر:

(٢٥٤) ديوان أعشى قيس (-١٢٢٨/٥٧م) تحقيق م.م. حسين ص ٥٥، وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٥.

(٢٥٥) ديوان المتلمس جرير بن عبد المسيح النخعي (-٥٠٠ ق هـ) ص ٢٠ تحقيق حسن كامل الصيرفي. جامعة الدول العربية. القاهرة ١٩٧٠م/١٤٢٩هـ؛ سر الفصاحة ط. دار الكتاب ص ١٥٧.

(٢٥٦) شعر النمر بن تولب صنفه الدكتور نوري حمودي القيسي ص ١٠٦، مطبعة المعارف (مقدمة ١٩٦٨م / ١٣٨٨هـ) سر الفصاحة ص ١٠٦ ط. دار الكتب.

(٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٥٧، اللسان (عطل)، الحيوان ٢/٢٤٤، نقد الشعر ٢٠١، الموازنة ٢٧٧/١، الصناعتان تحقيق البجاوي ص ١٦٢، الطراز ١/٥٤-٥١. ويرى صاحب الطراز المعاطلة ١- بتكرير الحروف. ٢- تكرير الألفاظ المفردة. ٣- التكرير بالصيغ. ٤- التكرار بالصفات المتعددة.

٢٦٠- سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٥٧، نقد الشعر ١، ٢.

و ذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا. (٢٦١)
 فسمى الشاعر الصبي تولبا والتولب ولد الحمار. ومثل هذا في قول جيبهه الأسي يصف
 خيلاً طارقاً فاسرع إليه (٢٦٢). حيث سمي رجل الإنسان حافراً، وهي ليست من المعاطلة بل من
 قبيل الاستعارة التي لا عذر فيه، ويرى الخفاجي أن الصحيح هو ما ذكره الآمدي في قول أبي
 تمام.

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا عنه فلم يتخون جسمه الكمد. (٢٦٢)
 فإن ألفاظ هذا البيت يتشعب بعضها ببعض، وتدخل الكلمة من أجل كلمة أخرى تجانسها وتشبهها
 مثل خان وخان ويتخون وأخ فهذا هو حقيقة المعاطلة.

٧ - التوشيح: (٢٦٤)

ويسميه البعض التسميم، ويعني عند ابن سنان: (دلالة بعض الكلام على بعض حتى يمكن
 استخراج قوافيه إن كان شعراً، ويكون بعض البيت شاهداً لبعض، فهو من النعت
 المحموده) (٢٦٥).

(٢٦١) ديوان أوس بن حجر. تحقيق محمد يوسف نجم ص ٥٥. في رثاء فضالة بن كعدة.
 الهرم: الثوب البالي، النواشر: عصب الدراع (وناشرة)، التولب: ولد الحمار مستعار لطفها.
 الجدع السيء الغذاء، تصمته بالماء لأنه ليس لبن من شدة الضر. وانظر سر الفصاحة ط. دار
 الكتب ص ١٥٧.

(٢٦٢) اللسان (حفر)، الصحاح (حفر) غير منسوب، نقد الشعر ص ٢٠٢، سر الفصاحة
 ص ١٥٧.

(٢٦٣) ديوان بشرح التبريزي تحقيق عزام ٧٤/٤. سر الفصاحة ١٥٨، ١٥٩، الموازنة
 ٢٧٧/١، نقد الشعر ٢٠١، ٢٠٢.

(٢٦٤، ٢٦٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٦٠، ١٦١، اللسان (وشح)،
 الطراز ٧٠/٢، ٧١ (ينقل عن ابن الأثير المتأثر بابن سنان في المثل السائر ٢٥٩/٢، الجامع
 الكبير ٢٤٢، فنون بلاغية الدكتور أحمد مطلوب ص ٢٠٠، ٢٩٢) (ويسمى هذا أيضاً ذا
 القافيتين)، وانظر العدة ٢٠/٢، نقد الشعر ص ١٩١، الصناعتين تحقيق البجاوي ورفيقه ص
 ٢٨٢، حسن التوصل إلى صناعة الترميل ص ٢٥٩ لشهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي
 (- ٥٧٢٥هـ/١٢٢٤م)، نهاية الأرب ١٢٧/٧، أنوار الربيع ٢٢/٢، البديع في نقد الشعر لأمامة
 بن منقذ (- ٥٥٨٤هـ/١١٨٨م) تحقيق أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد ص ٨٩
 مراجعة الدكتور إبراهيم مصطفى. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (٤)
 (وهو عند قدامة أن يكون أول البيت شاهداً بقافيتيه، ومعناها متعلقاً به، حتى إن الذي يعرف
 قافية القصيدة التي البيت منها، إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته).

لقد اتبع الخفاجي هذا الباب تمييز الالتباس على متقنيه ممن خالفوه الرأي في المماثلة وقبح الاستعارة. وإذا كان ذلك أثراً سليماً فإن التوشيح محمود في البلاغة ومن أمثلة ذلك قول أبي سخر الهذلي (عبدالله بن سلمة) (- ٥٨٠/٦١٩م).

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
وقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وكنت سناماً في فزارة تامكا
وفي كل حي ذروة وسنام. (٢١٧)
فهذان البيتان وأمثالهما حين تسمع صدورها يعرف رأماً الروي المتصود فيها، ويصف، الخفاجي ذلك بالكلمة التي تكون قافية قبل الوصول إليها. (٢١٨)

والتوشيح أو التسليم أو الإرساد والتشريع كما يسميه البعض (إنما يقع ممن كان يتعامل
التمكن في صناعة النظم، عظيم البراعة في ذلك، مقتدرأ على كثير من الأساليب). (٢١٩)

٨ - ألا يعبر في المدح بالفاظ الذم ولا عن الذم بالفاظ المدح: (٢٢٠)
وهذا شرط موجب مانع في النقد والبلاغة، يتجه إلى الأغراض الشعرية جميعها، ويعني هذا أن يلتزم الشاعر وضع الألفاظ موضعها اللائق في التعبير عن حاجته في الأغراض التي أنشئت من أجلها هذه الألفاظ، فإذا عدل عن هذا يقع في العيب ثم في الانتقاد. ويتمثل هذا الشرط في تصريح الخفاجي: (ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح، بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ الثلاثة بذلك الغرض، في موضع الجدل ألفاظه وفي موضع الهزل ألفاظه). ومن هذا المنطلق لم يكن الكلام بهذه الحال ذا وقع جميل في البلاغة.

٢١٦ شرح أشعار الهذليين بشرح السكري (الحسن بن الحسين - ٥٢٧٥/٨٨٨م) تحقيق عبد الستار أحمد فراج مراجعة محمود محمد شاكر ص ٥٥٨/٢ مكتبة دار العروبة. القاهرة ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ.

٢١٧ ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي (- ٥٢١/٦٤١م) تحقيق مطاع الطرايشي ص ١٩٨. مجمع اللغة العربية. دمشق ١٩٧٤/١٢٩٤م. ص الفصاحة ١٦٨. تامكا: مرتفعاً.

٢١٨ ص الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٦١.
٢١٩ الطراز ٢/٧٠، ٧١.

٢٢٠ ديوان أبي تمام/تبريزي/٢/٢٩١ في مدح إبراهيم بن عبيد الله، ص الفصاحة ط. دار الكتب، ١٦١ الرسالة الموضحة للحاتمي (- ٥٢٨٨/٩٩٨م) (أبو علي محمد بن الحسن المظفر، ص ٢٨/١ دار صادر بيروت ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ، وأنظر أخبار الصولي ص ٢٢.

ويفرد ابن سنان أمثلة متنوعة في هذا القبيل، قد خالفت القاعدة الأصلية ، كما جاء في شعر أبي تمام، ومن ذلك قوله:

جاء بالأصوال حتى حسبوه الناس حملاً. (٢٧١)

فالحق في هذا البيت و(يهدي ومحموم) (٢٧٢) و(الشیطان الرجيم) (٢٧٢) و(التنين) (٢٧٤) في أبيات أخرى، ألفاظ تغيد المذمة في ذاتها، ولفنها الشعراء في موضع المدح، وهذا يتجه إلى قولنا: (تعظيم الاحتقار). فهي تناقض الفرض الذي أنشئت من أجله. كيف يُبنى بناءً رائع جميل بعناصر قبيحة؟ فجمال الكل بجمال الأجزاء والعكس صحيح. أو كان يلجأ بعض الشعراء إلى ربط الفرض بالفاظ تعجز عن تشكيل مناسب وصالئم لصورة البيت كما فعل ابن الرومي (٢٧٥) (علي بن العباس - ٢٨٢/٨١٦م) الذي ردد في تشبيهه شعر المرأة بالنضة وثقلها بالذهب، لأن الصورة في هذه الحال تصبح مصطنعة في التشكيل خالية من الإيحاء والتأثير، وكذلك في هذه الحالة تشبه وردة بلاستيكية وغيرها على أنها وردة حقيقية رائحة تشم ولا تعطي رائحة.

ويعترض الخفاجي على عذر من يرجع ذلك إلى العرف، كأن يقول: كانوا كثيراً ما يشبهون الممدوح بالحية أي التنين، ويقيسون على ذلك صفات عديدة كهذه، كحية الوادي وأرقم وأسود وغير ذلك، جرياً على قول المتنبي (٢٧٦) في هذا الصدد. وينبئ الخفاجي إلى

(٢٧١) ديوان أبي تمام/تبريزي/٢/٢٩١ في مدح إبراهيم بن عبيد الله، سر الفصاحة ط. دار الكتب، ١٦١ الرسالة الموضحة للحاتمي (-/٢٨٨٨م) (أبو علي محمد بن الحسن المظفر، ص ٢٨/١ دار صادر بيروت ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ، وأنظر أخبار الصولي ص ٢٢.

(٢٧٢) ديوانه/تبريزي/٢/٢٩١، الصنائع ٢٦٧، سر الفصاحة ص ١٦١.

(٢٧٢) ديوانه/تبريزي/٢/١٦٢، العوشح ٤٨٦ (في مدح بني عبد الكريم الطائي) سر الفصاحة ١٦١.

(٢٧٤) ديوانه/تبريزي/٢/٢٩١، سر الفصاحة ١٦١، والتنين هو الحية.

(٢٧٥) البيت غير موجود في ديوانه طبعة كامل الكيلاني، ولا طبعة محمد شريف سليم ولا طبعة الدكتور نصار، وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٦٢.

(٢٧٦) ديوانه/عكبري/٢/٢٥٨ في مدح سيف الدولة سنة ٢٢٨/٩٤٩م، سر الفصاحة ص ١٦٢. والشاهد قوله:

يعد يديه في المقاشة ضيف وعيناه من تحت التريكة أرقم.
والشاهد: من شعرها من فضة وشعرها من ذهب.

صورة التزام وضع الألفاظ موضعها في أداء الغرض حيث يقول: (ألا ترى أن الإنسان إذا مدح ذكر الرأس والكاهل والهامة، وإذا هجا ذكر القفا والأخادع والقدال، وإن كانت معاني الجميع متقاربة. وليس يحسن أن يخاطب الملوك فيقال لبعضهم: وحق يافوخك أو قمحوتك أو أخادعك أو قدالك أو قفاك، قياساً على أن يقال: وحق رأسك، لأن الامتناع يختلف في الألفاظ وإن كان المعنى غير مختلف على ما قدمناه). (٢٧٧)

١- حسن الكناية:

الكناية (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له بل يأتي بتاليه فيوصيه إليه ويجعله دليلاً عليه) (٢٧٨). وعلى هذا يتعين على الناظم (حسن الكناية عن المكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح) (٢٧٩). والكناية أصل من أصول الفصاحة وشرط من شروط البلاغة). وعلى هذا يحسن بنا إقرار القواعد المنظمة التقيد التي في ضوئها يقيم مدى وقع ذلك ووقوعه في البلاغة.

١- الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح لا تكون فيه الكناية مرضية. (٢٨٠)

٢- موضع الهزل والمجون وإيراد النوادر يليق بها ذلك، وبالتالي لا تكون الكناية مرضية. (٢٨١)

٣- لكل مقام مقال ولكل غرض فنّ وأسلوب خاص (٢٨٢). (وضع الألفاظ في الموضع الذي أنشئت من أجله) وبموجب هذه المعطيات ندرك أن الخفاجي يريد نوعاً من الكناية لها وقع عجيب في البلاغة، ونوعاً آخر مذموماً لخروجها عن القاعدة الضابطة.

١- الكناية المرضية:

كقول امرئ القيس:

(٢٧٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٦٢، القمحدوة: ما أشرف على القفا من عظم الرأس والهامة فوقها.

(٢٧٨، ٢٧٩) أنظر سر الفصاحة ١٦٢ ط. دار الكتب العلمية، اللسان (كنى) الطراز ٢/٢٢٩، ٢٤٠، التعريفات للجرجاني (-/٥٨١٦-١٤١٣م) ص ١٩٧. (٢٨٠) سر الفصاحة ١٦٢.

(٢٨١، ٢٨٢) المصدر السابق ١٦٢.

(قَصْرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرَمَتْ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالاً). (٢٨٢)
 حسنت الكناية لأن الشاعر كَتَبَ عن المباحة وهي داخلة في المجون بأحسن ما كُون بما يروايتها
 من ألقاها. ويستدل الخفاجي بشاهد شري في هذا الفن هو (وأما الوديدة فهي بمنزلة ما انتقل
 من شمالك إلى يمينك عناية بها، وحياسة لها ورعاية لمواتك فيها). (٢٨٤)

والعبارة تفيد في حقيقتها إيفاد زوجة إلى زوجها ورعايتها والاهتمام بها، فكُنِيَ عنها
 الكاتب بما ورد في العبارة على وجه الكناية فكانت لها أثر جميل في البلاغة أكثر وأحسن ممَّا
 لو صيغت على ظاهر القول بالخطاب اللفظي الشفاف واقتصرت فيه على المعنى المباشر. ذلك أن
 هذه الكناية تحتمل لطائف ودقائق من المعنى والإيحاءات ما لا يحصر، تأمل العبارة تدرك ذلك.
 ولأجل ذلك قيل فيها: إن تسمية الزوجة الموفودة إلى موطن زوجها "وديدة" تساوي نصف
 البلاغة، ومثل هذا يعرف في الأدب والنقد المعاصر: بالشفرة التي تصبغ على الكلام وهجاً وتلقاً
 وتكون بمثابة مفاتيح الألغاز أو مصابيح وهاجة تنير الجهاز اللغوي الذي تعيش فيه. ولأجل
 هذا استحسنت هذه الكناية حتى سارت نموذجاً يُقْتَدَى به الكاتب (٢٨٥).

ومن أمثلة الكناية الحسنة ما ورد في قول المتنبي في الكناية عن كثرة الشوق بالنحول
 الجسدي. (٢٨٦)

(٢٨٢) ديوانه تج أبو الفضل ص ٢٢، من الفصاحة ١٦٢. رمت كما يراض البعير، ذلت:
 ادعت بعد مداراة. الحسن: ما نجد من الأمور. رق الكلام: خفت لئلا يفلن ويسمع لهم.
 (٢٨٤) لما أجاب أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون على المعتض بالله
 (-/٥٢٨٢-٨٩٥) بانقضاء ابنته إلى زوجها منه، فقال النص الذي مثلنا به. وقال الوزير أبو
 القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب: (-/٥٢٨٨-٩٠٠م) (والله إن تسميتي إياها بالوديدة نصف
 البلاغة). أبو الجيش أنظر: وفيات الأعيان تج عباس ١/١٧٢، النجوم الزاهرة ٢/١٤٨
 فوات الوفيات لابن شاعر تج عباس ١/٧٢، من الفصاحة ١٦٤ والنص أيضاً في يتيمة الدهر
 للشعالي تج محي الدين ٢/٢٥٥، الكناية والتمريض للشعالي ص ٥.
 (٢٨٥) من الفصاحة ١٦٤.

(٢٨٦) ديوانه/شرح عكبري ٢/١٤٩، من الفصاحة ١٦٥ والشاهد قوله:
 (تدعى ما ادعيت من ألم الشوق إليها والشوق حيث النحول).
 أنظر ديوانه عكبري ٢/٢٩٩، من الفصاحة ٦٥.

ب- الكناية الرديئة:

كقول أبي الطيب:

إنني على شفني بما في خمرها لأعفّ عما في سراويلاتها (٢٨٧)
كُتّي عن الأجساد بالسراويلات؛ وهذا قبيح.

ومثل ذلك في شعر الشريف الرضي في رثاء والدته: (٢٨٨)

كان ارتكاضي في حشاك ممسبباً ركني الغليل عليك في أحشائي.
ج- كناية القرآن الكريم:

سبق أن قلنا أن القرآن الكريم منزّه عن الخطأ، عالٍ في فصاحته وبلاغته وإن كان يشترك مع كلام العرب الجيد الفصيح في خصائصه الشكلية، ويختلف عنه في لطائفه ودقائقه التي تنبثق عنها أسرار الفصاحة. فقد قال تعالى (ما المسيح بن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة، كنا ياكلان الطعام، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أأن يؤفكون). (٢٨٩)

ويرد ابن سنان في هذا المقام على من قال: إن مفادها كناية عن الحدث (بل معنى الكلام على ظاهره، والسبب في ذلك أن المعبود لا يجوز أن يكون محدثاً، وعلى هذا الأساس لا يجوز أن يكون طاعماً) (٢٩٠).
وقد تطرق الجاحظ (-٢٥٥هـ) إلى ذكر هذا، وهو صحيح. (٢٩١)

١٠- ألا يستعمل في فن الشعر ألقاف العلوم الأخرى: (٢٩٢)

(٢٨٧) ديوانه/عكبري/١/٢٦٦ (ومعنى البيت أنه مع شفني لوجوههن لأعفّ من أجسادهن، سر الفصاحة ١٦٥).

(٢٨٨) ديوانه طبعة نخبة الأخبار (بومبي) ص ١٢، والدته قاطمة بنت الناصر وقد توفيت (-٢٨٥هـ/٩٩٥م)، أنظر لسان العرب (ركض).

(٢٨٩) المائدة/٧٥، سر الفصاحة ١٦٥ ط. دار الكتب العلمية.

(٢٩٠) سر الفصاحة ١٦٥ ط. دار الكتب العلمية.

(٢٩١) المصدر السابق ١٦٥ ط. دار الكتب العلمية.

(٢٩٢) المصدر نفسه ١٦٦ ط. دار الكتب العلمية.

ويعني بالعلوم الأخرى: علم الكلام، الفلسفة، الطبيعيات، الهندسة والكيمياء والنحو والمهن. وهذا أمر تنبّه إليه الخفاجي في وقت لم يبلغ النقد أشده بعد. وهذه إحدى العلامات على أصالة وفرديته وإبداعه. لأن الشعر فن يعتمد الانفعال والوجدان وإن كان الشر مطعماً بنكهة عقلية لا تملق على سعة هذا الفن، على خلاف العلوم الأخرى التي تعتمد مخاطبة الفكر واعتماد القواعد الثابتة. وبناء على هذا يكون لفن القول قاموس لغوي متميز عن غيره، وعلى الناظم أن يقتني الألفاظ التي تنشئها الفرض الذي يسمى إليه وإلا أخذ عليه ذلك وكان شعره عرضة لكل ناقد. فالألفاظ العلوم إذا أقمحت في فن القول بأن إقامتها حيث يضي نوعاً من الجفاء والنفور وحسراً للخيال الشعري في حدود الاصطلاحات هذه التي تفيد دلالات محدودة في ذاتها وفي قواعدها. والدليل على ذلك ما استتجه الخفاجي بعد ملاحظة ومعاينة عينات عدة من الشعر أصحابها إما أطباء أو فلكيون أو متكلمون أو نحويون أو حرفيون. طقت حرفتهم على ميولهم فجعلتهم يمثلون إلى حرفهم في سلوكهم كافة، منها الشعر الذي إذا قرأته عرفت مصدره، لأنه ينطوي على إرشادات تعود على صاحبها. ويجعل الجاحظ (٢٥٥هـ/٨١٨م) نموذجاً يقتدى به والذي يقول عنه (وذلك أنه إذا كاتب لم يعدل عن ألفاظ الكتاب، وإذا سئف في الكلام لم يخرج عن عبارات المتكلمين، فكانه في كل علم يخوض فيه، لا يعرف سواه، ولا يحسن غيره). (٢٩٢)

ومن أمثلة ذلك في شعر أبي تمام في استخدام ألفاظ المتكلمين. (جوهر وعرض)
 مودة ذهب أثمارها شبه وهمة جوهر معروفها عرس. (٢٩٤)
 ومثل ذلك في موضع آخر (٢٩٥)، كما فعل ذلك المتنبي (٢٩٦) (٢٥٤هـ/٩٦٥م) والشاعر

-
- (٢٩٢) سر الفصاحة ١٦٦. ط. دار الكتب العملية.
 (٢٩٤) ديوانه/تبريزي/٤/٤٦٦.
 (٢٩٥) ديوانه/تبريزي/٤/٢١٢، ٢٩١/١، سر الفصاحة ١٦٧، ١٦٩، والشاهد قوله:
 (خرقاء يلعب بالمقول حبابها كتلعب الأفعال بالأسماء) ألفاظ النحو. ديوانه تبريزي ٢٩/١ وقوله:
 (الغار والنار والمكروء والعطب والقتل والصلب والمرآن والخشب). ديوانه ٢١٢/٤.
 (٢٩٦) ديوانه/عكبري/٢٨٢/٤، ٢٦١/٤، سر الفصاحة ١٦٧. والشاهد:
 (إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم). ديوانه ٢٨٢/٢
 وقوله: (وكان عدو كائراً له يامي حروف أنيسان) ديوانه ٢٦١/٤. يعني بهذا أن له ولدين وكائراً بهما، فهما ناقصان تتخلفهما كيامين زائدتين في أنيسان.

الخليع وامق. (٢٩٧)

١١ - المناسبة: (٢٩٨)

يتجه هذا المعيار إلى سميم الفصاحة والبلاغة، وهو أمر يوجه النقد، ويشكل معاداة فنية من المبني والمعنى. أي أن المبني يشاكل معناه ويعرب عن فحواه ويواظقه في القدر بعيداً عن سماجة الاستكراء. (٢٩٩)

ولأجل هذا يرى الخفاجي المناسبة بين اللفظين شرطاً من شروط الفصاحة، وهي على ضربين:

١ - مناسبة من طريق السيفة. (٤٠٠)

٢ - مناسبة من طريق المعنى. (٤٠١)

أ - المناسبة من طريق السيفة: كقول المتنبي.

وقد سارت الأجفان قرحاً من الكا
وسار بهارا في الخدود الشقائق. (٤٠٢)

وكان عليه حسب رأي ابن جني (-٥٢٩٢هـ) وابن سنان أن يقول (قرحى) بدل (قرحا)، وإنما قال ذلك لأجل قوله بهارا طلباً للمناسبة. فهذه المناسبة التي تؤثر في الفصاحة، والشعراء الحدائق والكتاب يعتمدونها. (٤٠٣)

٢٩٧) الوامق لعله من معاصري الخفاجي إذ لا ترجمة له في المصادر. أنظر من الفصاحة ١٦٩ قول عنه (وكان بمعرة شاعر يعرف بالوامق، خليع ماجن، كان ينظم شعره في حانك وامكاف وسائغ وغيرهم، وكان يوظف ألفاظ الصناعات ومعانيها في الشعر. فما يروى له في غلام امكاف قوله فيه:

إن سنّ بالهجران شفرته ليقّد قلبي قدّ مجتهد.

فلأصبرن كصبر تجتجسة متمسكاً بمحلّل العمد.

فهذا يسوغ في مجال الخلاعة والمجون والهزل، ولا يحسن في الجد.

٢٩٨، ٢٩٩) من الفصاحة ١٧٠، البيان والتبيين ٧/٢، الحيوان ٢٩/٢، نقد الشعر ١٧١، ١٨٦، حسن التوصل ٢١٢، نهاية الأرب ١٠٧/٧ (وسمي هذا التشابه)، اللسان (نسب)، مصطلحات أحمد مطلوب ٢/٣٥٥، ٣٥٦.

٤٠٠، ٤٠١) من الفصاحة ١٧٠ ط. دار الكتب العلمية.

٤٠٢، ٤٠٣) ديوانه/عكبري/٢/٢٢٤ وكلام ابن جني هناك، من الفصاحة ١٧٠ قرحى.

جرحى.

ومن ذلك في الشر ما كتبه بعضهم: (إذا كنت لا تؤتي من نقص كرم، وكنت لا أوتي من ضعف سبب، فكيف أخاف منك خيبة أمل، أو أعد ولا من اغتفار ذلك، أو فتوراً عن لمّ شعث واصلاح خلل).

فناسب بين نقص وضعف، وكرم وسبب، وعدول وفتور - بالصيغ، وإلا فقد كان يمكنه أن يقول: مكان نقص قلة، فلا يكون مناسباً لضعف، ومكان كرم جوداً فلا يكون مناسباً لسبب، ومكان سبب شكراً فلا يكون مناسباً لكرم، ومكان فتور تقصيراً فلا يكون مناسباً لعدول). (٤٠٤)

ومثل هذا جاء في شعر أبي تمام في (٤٠٥) مناسبة بين (مهاوتنا) و(الوحش والخط)، والبحتري في (٤٠٦) مناسبة بين (أحجم وأقدم) و(مطمعاً ومهرياً) و(عنك وفيك) وأمثلة هذا كثيرة.

ب السجع والازدواج والقواصل مناسبة من طريق السيفة. والسجع (تمائل الحروف في مقاطع الفصول) (٤٠٧). ويكره البعض استخدام السجع والازدواج بحجة أنه ربما يصدر عن عمل وتكلف واستكراء فيذهب حينئذ طلاوة الكلام ويزيل مائه. ويستحسنه البعض بحجة حسن مناسبه بين الألفاظ وأثر الصنعة فيه؛ وأكثر من ذلك وروده في كلام الله تعالى وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والقصيح من كلام العرب. وقياساً على هذا فإذا كان الشعر يحسن بتماوي قوافيه فإن النثر كذلك يحسن بتماثل الحروف في فصوله.

ويرى الخفاجي أن المذهب الصحيح هو (أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة ويحيث يظهر أنه لم يُقصد في نفسه، ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيّل لأجله، وورد ليصير وصلة إليه). (٤٠٨)

(٤٠٤) مر الفصاحة ١٧٠.

(٤٠٥) ديوانه/تبريزي/ تج عزام ١١٦/٢، نهاية الأرب ينسب لابن المعتز ٩٩/٧، مر الفصاحة ١٧٠ في مدح محمد بن عبد الملك الزيات.

(٤٠٦) ديوانه تج الصيرفي ٢٠٠/١، مر الفصاحة ١٧٠ في مدح الفتح بن خاقان والشاهد: فأحجم لما لم يجد فيك مطمناً وأقدم لما لم يجد عنك مهرياً.

(٤٠٧) مر الفصاحة ١٧١.

(٤٠٨) المصدر السابق ١٧١.

وكما نرى فإن ابن سنان يأخذ المنهج الأصولي والتكاملي والحل الوسط في فصل القضية إذ يقول (إننا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه وعللنا بموجبه... ووافقنا أيضاً دليل من اختاره... (٤٠٩)). ويستند الخفاجي إلى ما حكاه الجاحظ (-/٥٢٥٥م) (-/٨٦٨م) عن بشر بن المتمر (-/٥٢١٠م) (-/٨٢٥م) في وصيته في البلادة: (وإذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها، بل وجدتها قلقة في مكانها، نافرة في موضعها، فلا تكرهها على الترار في غير موطنها، فإنك إذا لم تتعاط قريض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المشور، لم يعبك بترك ذلك أحد، وإذا أدت تكلفتها ولم تكن حاذقاً فيهما، عابك من أدت أقل عيباً منه، وأزرى عليك من أدت فوقه، وهذا كلام صحيح يجب أن يقتدى به في هذه الصناعة). (٤١٠)

وسمي تماثل الحروف في مقاطع فصول القرآن فصلاً لا أسجاعاً بحجة أن السجع هو المقصود في نفسه، والمعنى محمول عليه. وأما الفواصل تتبع المعاني، غير مقصودة في نفسها. (٤١١)

ومن الذين يكرهون السجع أبو الحسن الرماني (-/٥٢٨٤م) (-/٩٩٤م) وذلك واضح في قوله: (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، إذا كان الغرض الذي هو حكمه إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وسيلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة، ولأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة، ومثله مثل من رسع تاجاً ثم أبسه زنجياً ساقطاً، ثم نظم قلادة در ثم أبسها كلباً). (٤١٢)

(٤٠٩) سر الفصاحة ١٧١.

(٤١٠، ٤١١) سر الفصاحة ص ١٧١-١٧٢ ط. دار الكتب العلمية. البيان والتبيين ١/١٢٦.

١٢٧. وأبو سهل بشر بن المتمر (-/٥٢١٠م) (-/٨٢٥م) أنظر ترجمته في فضل الاعتزال ومطبقات المعتزلة تأليف أبي القاسم البلخي (-/٥٢١٩م) (-/٩٢١م) والقاضي عبد الجبار (-/٥٤١٥م) (-/١٠٢٤م) والحاكم الجشسي (-/٥٤٩٤م) (-/١١٠٠م) تحقيق المرحوم فؤاد سيد. الدار التونسية للنشر ١٩٩٢/٥١٢٧٤م. ص ٧٢.

(٤١٢) ثلاث رسائل ص ٨٩، سر الفصاحة ١٧٢.

وهذا أمر يرى الخفاجي خلافه ويتر أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول، والفواصل شربان: الأول يكون سجعاً وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، والثاني لا يكون سجعاً وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل. وبهذا يكون عندنا سجع متماثل ومتقارب. (ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين - أعني المتماثل والمتقارب - من أن يأتي طوعاً سهلاً وتاباً للمعاني، وبالعند من ذلك، حتى لا يكون متكلفاً يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحمس البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض) (٤١٢).

ولم يرد في القرآن الكريم إلا المحمود ومثل ذلك قوله تعالى (طه)، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى، تنزيلاً من خلق الأرض والسماوات العلى، الرحمن على العرش استوى) (٤١٤). وقوله تعالى: (والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور) (٤١٥) وفي غير هذه المواضع كثير. (٤١٦)

وإذا كان السجع والازدواج والفواصل قد يوقع صاحبه في التمثل والتكلف لتبعية المعاني لهذا الجنس، فإن البعض تمكن أن يوظف هذا في تأليف من غير إخلال. ويشير الخفاجي إلى أبي إسحاق بن إبراهيم السابي (٤١٧) (-٥٢٨٤/٩٩٤م) وأبي الفرج البياض (٤١٨) (-٥٢٩٨/١٠٠٧م) وكانا يتعاطيان السجع دون إخلال، وهم من الكتاب المحدثين. أما الضرب الثاني أعني السجع المتقارب كتوله تعالى: (ق، والقرآن المجيد، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم، فقال الكافرون هذا شيء عجيب). (٤١٩).

(٤١٢) سر الفصاحة ١٧٢ ط. دار الكتب العلمية.

(٤١٤) طه / ١ - ٥.

(٤١٥) الطور ١ - ٢ - ٣.

(٤١٦) أنظر الفجر / ٥-١١، العاديات / ١-٥٥، الفجر / ١-٤، القمر / ١-٢.

(٤١٧) إبراهيم بن هلال بن زهرون الحراني أبو إسحاق السابي (-٥٢٨٤/٩٩٤م) أنظر وفيات الأعيان ٥٢/١، النجوم الزاهرة ٢/٢٢٤.

(٤١٨) عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي أبو الفرج البياض (-٥٢٩٨/١٠٠٧م) أنظر وفيات الأعيان ١٩٩/٢، تاريخ بغداد ١١/١١.

(٤١٩) سر الفصاحة ١٧٤ وأذن مع ثلاث رسائل ص ٨٩، ٩٠. وأنظر سورة ق/١.

وإذا كانت الفواصل بادعة وبياناً عند الرماني والسجع عيباً ولكنة فإن الخفاجي يتخذ من ذلك موقفاً وسطاً ولا يصدر حكماً مطلقاً على السجع فهو (محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة بحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه). (٤٢٠)

- لماذا نقول فواصل القرآن وليس أسجاعه؟
إن الذي دعا إلى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموا المتقارب منه سجعاً في رأي ابن سنان، رغبة من أولئك (مثل الرماني) في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام، والمروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا عنده غرض في التسمية قريب، والحقيقة في ذلك ما ذكره هو فيما سبق وفيما يلي:
- ١- لافرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً؛ ومشاركة جميعه في كونه عَرَضاً أو صوتاً أو أحرفاً وكلاماً عربياً مؤلفاً. (٤٢١)
- ٢- لا فرق بين الفواصل المتماثلة والمتقاربة وبين السجع. (٤٢٢)

- لماذا لم يأت القرآن كله مسجوعاً ولماذا جاء بعضه مسجوعاً دون بعض؟ (٤٢٣)

والجواب على ذلك أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، على عرفهم وعاداتهم، لم يكن الفصح في كلامهم مسجوعاً كله تداًفياً للعمل والتكلف والاستكراء الذي ينبو عنه الذوق ويجافي الطبع العربي وخاصة في المواطن التي يطول فيها الكلام، لذا لم يرد كله مسجوعاً جرياً على العرف اللغوي والفني. ورغم هذا لم يخل من السجع، وهذه قرينة حاسمة وحسنة وشرب من إعجاز القرآن في مجيئه في مواضع دون أخرى. ومثل هذا جاء في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب قاطبة. يستدل به الخفاجي في تعزيز موقفه قائلاً: (وحدثني أبو القاسم زيد بن علي الفارسي، قال: حدثنا أبو القاسم يحيى بن القاسم القصباني قال: حدثنا دعلج، قال: حدثنا علي بن عبدالعزيز البلوي، قال: حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام عن غير واحد من رجاله عن أبي نعامة عمرو بن عيسى العدوي عن مسلم بن بديل عن إياس بن زهير بن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "خير المال سكة مابورة ومهرة

(٤٢٠) سر الفصاحة ١٧٠ - ١٧٥.

(٤٢١، ٤٢٢) سر الفصاحة ١٧٤ - ١٧٥ وازن مع ثلاث رسائل ٨٩ - ٩٠.

(٤٢٣) سر الفصاحة ١٧٤ - ١٧٥ وازن مع ثلاث رسائل ٨٩ - ٩٠.

مامورة". (٤٢٤)

ومن أمثلة السجع الواقع موقعه قول أبي الفرج البهاء (٥٢٩٨- / ١٠٠٧م) في أول رسالة له: (إذا كادت حقيقة الشكر أمال الله بقاء سيدنا الأير سيف الدولة - في متعالم العرف والعادة، إنما علة موضوعه لاستجداب الزيادة، فقد لزم بدليل العقل وحجة الفضل أن يسمى الشاعر مستزيداً لا مكافياً، ومستديماً لا مجازياً، وتبقى النعمة مطالبة بواجبها والمنة متضمنة عن صاحبها). (٤٢٥)

فهذا ومثله يتبع المعنى فيه، غير متكلف ولا مستكرم، وأمثله كثيرة.

ملاحظة:

وترك النامبة تعني التجميع عند قدامة (٥٢٢٧- / ٩٤٨م). وإذا شاب هذا الفن الميوب النافية له وشابه التكلف لا يكون مرضياً البتة. وبنو ابن سنان في هذا الخصوص إلى ألا تكون الرسالة المؤلفة كلها مسجوعة على حرف واحد (لأن ذلك يقع تعرضاً للتكرار ويصل إلى التكلف، وقد استعمل ذلك في الخطب وغيرها من الشثور، وهو يقع في المكاتبات بخاسة). (٤٢٦)

(٤٢٤) سر الفصاحة ١٧٦ ط. دار الكتب العلمية) أخرجه الإمام أحمد. أنظر مسند الإمام أحمد بن حنبل (- / ٥٢٤١م) ص ٢٧٠، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر - بيروت (٤) (أعذكما بكلمات الله التامة...) وأنظر سمط الآلي لأبي عبيد بن عبد العزيز البكري (- / ٥٤٨٧م) تحقيق عبد العزيز اليميني ١ / ٢١٧، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة ١٢٥٦ / ١٩٢٧م. وأنظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (- / ٥٢٢٤م) ١ / ٢٤٩ حيدر آباد الدكن. مطبعة مجلس دائرة المعارف العشائية ١٩٦٦م / ١٢٨٦هـ / ١٢٨٧هـ. وأنظر البيان والتبيين تحقيق هارون ٢ / ١٩.

(٤٢٥) سر الفصاحة ١٧٧ ط. دار الكتب، زهر الآداب للحصري ٢ / ٦٢. صبح الأعشى للقلقشندي ٩ / ٢٢-٢٥.

(٤٢٦) سر الفصاحة ١٧٨، نقد الشعر ص ٢٠٩ (وهو أن تكون القافية الصراع الأول من البيت الأول على روي متهيء لأن تكون قافية آخر البيت بحسبه فتأتي بخلافه=ترك النامبة=التجميع).

- هل يوجد في الشعر سجع؟ (٤٢٧)

إن القوافي في الشعر تجري مجرى السجع في الشعر، والمختار منها ما كان مستمكناً، يدل عليه الكلام، فإذا أنشد البيت عرفت رأياً قافيته.

وقد التزم بعض الشعراء في القوافي في إعادة ما يلزمه طلباً للزيادة في التناسب والإغراق في التماثل من ذلك قول الحطيئة:

ألا من لقلب عارم النظرات يتقطع طول الليل بالزفرات. (٤٢٨)

إذا ما اتريا آخر الليل اعتقت كواكبها كالجزع منحدرات. (٤٢٩)

فالتزام الرأى في جميعها قبل حرف الروي وهي غير لازمة. وهي ما يعرف بلزوم ما لا يلزم. وهذه الطريقة التي ارتادها أبو العلاء المعري (- ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م) في شعره (٤٣٠). ومثل ذلك عند البحتري. (٤٣١)

(٤٢٧) سر الفصاحة ١٧٩. يقول ابن نباتة يصف قصيدته في هذا الخصوص في ديوانه تح عبد الأمير الطائي ص ١٧٦

خذها إذا أنشدت للقوم من طرب صدورها علمت منها قوافيها.

(٤٢٨) ديوانه تح نعمان أمين طه ص ٢٢٢. وصدر البيت الأول في الصناعتين تح البجاوي ص ٢٨٤، سر الفصاحة ١٧٩.

معد، ٤٢٠) لزوم ما لا يلزم: أن تلزم القافية لوازم لا يحتاج إليها حشو البيت. وهو ما يعرف عند قدامة بلوازم القافية خمسة أحرف وست حركات. فالأحرف: الروي والردي والتأسيس والوصل والخروج، وأما الحركات: الرس والإشباع والحدو والتوجيه والمجرى والنفاذ. وقد فصل القول في ذلك المعري: أنظر شرح مقدمة لزوم ما لا يلزم. تحقيق طه حسين والأبياري ٦/١. والأبياري يسمي هذا الفن (الاعتات) في كتابه (اللغة في صنعة الشعر) تح هاشم ص ٦٠٦.

(٤٢١) ديوانه تح الصيرفي ٢٦٩/١ في المصنوع بالليله;
أسف لأقوام ملكت بعميتهم وكانت دجت أيامهم واسوأدت
مضوا لم يروا حسن عدك منظر ولم يلبسوا أنما له حين استجدت.

١٥ - ألا تكون الكلمة القافية ذات معنى مخالف لما وضع له الشعر: (٤٢٢)

هذه القاعدة شرط من شروط وضع الألفاظ موضعها، ومن شروط التناسب في الكلام. ولذا فعلى الناظم (أن يعتمد في القافية ألا تكون الكلمة إذا سكنت عليها محتملة لمعنى يقتضي خلاف ما وضع الشعر له، مثل أن يكون مديحاً فيقتضي بالسكوت عليها، وقطع الكلام بها وجهاً من الذم أو معنى يتطير منه المدوح أو ما يجري هذا المجرى) (٤٢٢). ومثل ذلك ما أنشده صاحب بن عباد (-/٥٢٨٥م) لعند الدولة في قوله:

ضمنت على أبناء تغلب تأنها فتغلب ما كثر الجديدان ثَقْلَبُ. (٤٢٤)
تطير عند الدولة من مواجهته أيام بتغلب؛ وقال: يكفي والله ذاك. ولو قال في وسط البيت - ثَقْلَبُ - لم يكن من ذلك من القبح ما يكون في القافية لأنها موضع قطع وسكوت ووقوف على ما مضى واستئناف لما يأتي. (٤٢٥)

ومثل ذلك فعل المتنبي (-/٥٢٥٤م) لما ودع عند الدولة في قوله:

وأيّا شئت يا طرّتي فكوني إذاً أو بقاءً أو هلاكاً. (٤٢٦)
قال عند الدولة: (يوشك أن يصاب في طريقه) وكانت ميتة فيه.

١٦ - عيوب القوافي: (٤٢٧)

٤٢٢، ٤٢٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٨٢ وأنظر مقدمة في صناعة النظم والشر. تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي (-/١٤٥٥م/٥٨٦٠هـ) تحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم ص ٤٩ وما بعدها. منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت لبنان (٢)
٤٢٤) ديوان صاحب بن عباد (-/٥٢٨٥م) (إساعيل بن عباد) ص ١٩١. تحقيق حسن آل ياسين. مكتبة النهضة. بغداد ١٩٦٥م/٥٢٨٥هـ.
٤٢٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٨٢.
٤٢٦) ديوانه/عكبري/٢/٢٩٥، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٨٢.
٤٢٧) سر الفصاحة ط. دار الكتب ١٨٤، ١٨٥، وأنظر حلية المحاضرة للحاتمي (-/٥٢٨٨م). تحقيق هلال ناجي ١/٩٩. بغداد طبعة ١٩٧٨م/٥٢٩٨هـ باب (أبدع حشو انظمه بيت أورد لإقامة الوزن).

(١) القافية الواقعة حشواً: (٤٢٨)

فإذا كان ورودها لأجل حرف الروي فهي حشو، وهي عيب محسوب على الشاعر، لأن هذا لا يمنع أن يتحول ذلك إلى حسن يرتضى، ولذا قانها ذات أثر سلبى على الفصاحة والبلغة. من ذلك قول أبي عدي القرشي:

ووقت الحتوف من وارث وا ل وأبقاك مالحاً ربّ هود. (٤٢٩)

تسمية الله تعالى برب هود ليس فيها معنى، ولا وجه لذلك غير أن القصيدة دالية فحسب، وإلا فالله تعالى رب نوح وكل مخلوق غيره. ومثل هذا كثير في الأشعار الضعيفة.

(٢) تجذب الإقواء: (٤٤٠)

ويضي اختلاف إعراب القصيدة، فيكون بعضها مثلاً مرفوعاً وبعضها مجروراً، وهذا موجود في أشعار العرب. وأشهر ذلك ما قاله النابغة الذبياني عندما كان داخل المدينة، فسمع أهلها ينشدون شعره على جهة الإقواء، من ذلك:

آمن آل مية رانح أو متدي عجلان ذا زاد وغير مزود. (٤٤١)
زعم البوارخ أن رحلتنا غداً وبذلك خبرنا الغراب الأمود.
فطن للإقواء وتركه.

(٤٢٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب ١٨٤، ١٨٥، وأنظر حلية المحاضرة للحاتمي (١٩١٨/٥٢٨٨م). تحقيق هلال ناجي ١/٩٩. بغداد طبعة ١٩٧٨م/١٣٩٨هـ باب (أبدع حشو انتظمه بيت أورد لإقامة الوزن).

(٤٢٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٨٥، نقد الشعر ٢٥٦، الصناعتان تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٤٥١ في هشام بن عبد الملك. وأبو عدي يعرف بالعلي. أنظر ترجمته في الأغاني (ثقافة) ١١/٢٨٥، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٨٥.

(٤٤٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ١٨٥، نقد الشعر ص ٢١٠.

(٤٤١) ديوان النابغة الذبياني (-١٨ق ٥) ص ٢٨. تحقيق كرم البستاني. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت ١٩٦٢/١٢٨٢م. (وأنظر تحقيق شكري فيصل ص ٢٨) وأنظر معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بين زياد الديلمي (-٥٢٠٧/٨٢٢م) ص ١٢٣/٢. تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار. دار المكتبة المصرية. القاهرة ١٩٥٥/١٢٧٥م. والبيت الثاني في القوافي للمبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) تحقيق رمضان عبد التواب ص ١٢ وتلقيب القوافي لابن كيسان تحقيق الدكتور السامرائي ص ٢٥، وأنظر الموشح ص ١١، وأنظر مختصر القوافي لابن جني ص ٢٠٠.

(٢) الإيطاء في القوافي: (٤٤٢)

وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة، وأمثال ذلك كثيرة، فلما أن يكون معنى القافيتين مختلفاً ونظهما واحد، فذلك ليس بمقبول، مثل أن تأتي العين ويراد بها جارحة، والعين يراد بها الذهب، وإذا أُبعد ما بين القافيتين التكررتين في القصيدة الواحدة كان أصح، وإن كان الإيطاء عيباً على كل حال. (٤٤٢)

(٤) السناد: (٤٤٤)

ومفاده اختلاف الحركات قبل الروي، كقول عدي بن زيد:

فما جأها وقد جمعت جموعاً
على أبواب حصن صليتا. (٤٤٥)

وكانت قرش يوم الفجار متساندين أي لا يتوحدون رجل واحد. (٤٤٦)

فقدت الخدم لراحمته
والنقوى قولها كذبا عموماً.

(٥) المجاز: (٤٤٧)

وحدة: (أن يتم البيت، ولا تتم الكلمة التي منها القافية حتى يكون تمامها في البيت الثاني). ويعني هنا (اسم المكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههما، وحقيقته الانتقال من مكان إلى مكان) وهو يختلف عن المجاز الذي يدل على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر. (٤٤٨)

٤٤٢، ٤٤٢ كتاب العروض لابن جني (-/٥٢٩٢م) تحقيق حسن شاذلي فرهود ص ٢٠١. مطابع دار القلم ١٩٧٢/٥١٢٩٢م؛ نقد الشعر ص ٢١٢، المعجم الجامع للغريب مفردات القرآن الكريم. إعداد عبد العزيز عز الدين السيروان. دار العلم للملايين ط ١/١٩٨٦م/١٤٠٧هـ وأظهر سورة التوبة / ٢٧.

٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٨٥، كتاب القوافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي (-/٥٥٠٢م) تحقيق حسن عبد الله الحماني ص ١٦٤. مؤسسة عالم المعرفة (٤). وأظهر نقد الشعر ص ٢١٢. وأظهر ديوان عدي بن زيد العبادي ص ١٨٢ تحقيق محمد جبار المعيد دار الجمهورية. بغداد ١٩٦٥م/١٣٨٥هـ. وأظهر القوافي لأبي يعلى عبد الباقي التنوخي (-/٥٤٨٧م) ص ١٨٤ تحقيق عوني عبد الرؤوف مكتبة الخانجي. القاهرة ط ٢/٥١٢٩٩/١٩٧٨م. سر الفصاحة ١٨٦.

٤٤٧، ٤٤٨ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٨٦، فنون بلاغية للدكتور أحمد مطلوب ص ٨٩، الخصائص ٤٤٢/٢، أمرار البلاغة ٢٢٥، الطراز ١/٦٦-١٠، دلائل الإعجاز ٥٢، نهاية الإيجاز ٤٦، المفتاح ص ١٧٠، الصمد ٨٥/٢.

ويستدل ابن مئان لذلك بأبيات كتب بها إليه شيخه المعري (-٥٤٤٩/١٠٥٢م) منها:

شبيهه بابن يعقوب ولكن لم يكن يو... (٤٤٩)
 مفا يشرب الخمر ولا يزني ولا يو...
 مع الأمواء بالتهو ة مزجاً لم يكن دو...
 ن في صبح وإصاء وهذا منكر يو...
 شك الرحمن أن يصلية في نار حُزي هو...
 لها أهل فلا يكشف ف عنه برقا السو...
 م، إن الأخضر الإبطي ن ذا الفحشاء لو يو...
 قد النار لأشياء ولول قيل له ذو...
 دنائير وأموال فيا رحمان تو...
 مع الرزق على هذا الذي منظره لو...
 لو والفعل متوق فوزن الريش لا يو...

(٦) التضمين: (٤٥٠)

ويسمى أيضاً الاقتضاء والتدوير، ويعني عند ابن مئان (ألا تستل الكلمة التي هي القافية بالمعنى حتى تكون موصولة بما في البيت الثاني) (٤٥١). ومن ذلك قول الثابتة الديباني:
 وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ آتي (٤٥٢)
 شهدت لهم مواطن سادات اتنيهم بنصح الود متي.
 فهذا الفن وإن كان يقارب ما سبقه إلا أنه يختلف عنه.

٤٤٩) هذه الأبيات في كتاب القوافي للمبرد (-٥٢٨٦) تحقيق رمضان عبد التواب، حوايات كلية الآداب، جامعة عين شمس. المجلد ١٢/١ القاهرة ١٣٩٢/١٩٧٢م (وهي غير موجودة في كتب المبرد المطبوعة ولا في مواضع أخرى). سر الفصاحة ١٨٦.
 ٤٥٠، ٤٥١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٨٧، اللسان (ضمن) ٥٥٨/٢، كتاب التمرينات للجرجاني (-٥٨١٦/١٤١٢م) ص ٦٢، المدة ١٧١/١، ٨٢/٢، ٨٤، الموشح ٢٢، مفتاح العلوم ٢٧٢، الصناعتان تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٢٦، البديع في نقد الشعر ص ٢٤٩، معاهد التنصيص ١٥٢/٤.
 ٤٥٢) ديوان الثابتة الديباني (-١٣٠٥) ص ١٢٢، ١٢٤ تحقيق وشرح كرم البستاني. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت ١٣٨٢/١٩٦٢م.

(٧) ألا يكون الروي على حرفين متقاربين: (٤٥٢)

كقول بعض العرب:

بني إن البر شيء هين المنطق اللين والطعيم. (٤٥٤)

وهذا من النادر الشاذ الذي لا يلتفت إليه عند الخطاجي.

(٨) أن تكون قافية الصراع الأول على روي ينيء أن تكون قافية آخر البيت بحسبه ،، فيأتي بخلافه: (أو التجميع) (٤٥٥)

وهو من أسهل عيوب القوافي وأقربها إلى الجواز والصحة (٤٥٦). ومثل ذلك قول عمرو بن شاس

تذكرت ليلى لات حين أذكّارها وقد حُني الأضلاع ضَلَّ بِضَلالٍ. (٤٥٧)

لما قال: أذكّارها أوصم أن الروي حرف الراء بوصل وخروج وردف قبله، ثم جاء بالقافية على اللام.

(٤٥٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٨٧. وأنظر الكافي للتبريزي تحقيق الحساني ص ١٦٦، تليق القوافي لابن كيسان ص ٢٧، تحقيق الدكتور السامرائي، الموشح تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٤٩.

(٤٥٤) اللسان (لين)، الوافي تحقيق الحساني ص ١٦١، قواعد الشعر ثعلب (أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (٢٩١هـ/١٠٢م) ص ٦٩ شرح وتعليق محمد عبد المنعم خطاجي. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٢٦٨هـ/١٩٤٨م؛ وهي في الكامل للمبرد (٢٨٦هـ/٨٩٩م) ٢/٨٥ بلاد نسبة.

(٤٥٥، ٤٥٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٨٨، نقد الشعر ٢٠٩، ٢١٠، اللسان (جمع)، الصاعقان تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٦٤ (التجميع)، المدة ١/١٤٩، ١٥٢، قانون البلاغة في نقد الشعر محمد بن حيدر فخر الدين أبو طاهر البغدادي (١٢٢٢م/٥١٧هـ) ص ٤١، تحقيق محسن غياث عجيل. مؤسسة الرسالة بغداد ١٩٨١م/١٤٠٢هـ.

(٤٥٧) كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري سعيد بن أوس بن ثابت ص ٤١، تحقيق سعيد الخوري الشرتوني. المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٨٩٤م/١٢١١هـ. سر الفصاحة ص ١٨٧. وعمر بن شاس الأمدي شاعر جاهلي، كادت امرأته تغيره بسواده. وأخباره في الشعر والشعراء ١/٤٢٥، الأغاني (ثقافة) ١١/١٨٤.

(٩) التصريح: (٤٥٨)

وهو يجري مجرى القافية عند ابن سنان، وما الفرق بينهما سوى أنه في آخر النصف الأول من البيت والقافية في آخر النصف الثاني منه، وإنما شبه مع القافية بمصراعي الباب. وهو فن استخدمه القدامى والمحدثون في أول القصيدة، وربما رددوه في أثنائها. (٤٥٩)

ومثل ذلك عند القدامى قول امرئ القيس (- ٨٠٠ هـ) في سواض شتى من شمره، منها: قفا نك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل. (٤٦٠) ويحسن هذا الفن في أول القصائد ليميز الابتداء عن غيره، ويُنهم بموجه قبل إنهاء البيت روي القصيدة وقافيتها. ويكره إذا تكرر في القصيدة الواحدة، وهو يجري مجرى الترسيع والتجنيس واللباق وغير ذلك، ويشبهه الخفاجي بالخال الذي يحسن إذا قل في بعض الوجوه ويذم إذا كثر. ودليل حسنه وروده في القرآن الكريم كقوله تعالى: (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) (٤٦١). وقوله تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) (٤٦٢).

(١٠) الترسيع: (٤٦٣)

وهو أن يعتمد تصيير مقامع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المشور مسجوعاً، وكان ذلك شبه بترسيع الجواهر في الحلي.

يحسن هذا الفن إذا قل في النظم أيضاً وإذ كثر ذم، لأن كثرة دليل على التكلف والتضع. (٤٦٤) ومن ذلك قول الخنساء في دثاء أخيها سخر:

حامي الحقيقة، محمود الخليفة مه دي الطريقة نفاع وضار (٤٦٥)
جواب قاسية، جزار، ناسية عقاد ألوية للغيل جرار

٤٥٨، ٤٥٩) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٨٨.

(٤٦٠) ديوانه تحقيق أبو الفضل ٨، ١٢، ١٨، ٢٧ نقد الشعر ص ٥٢، ٥٢.

(٤٦١) الغاشية ٢٥/٢٦.

(٤٦٢) الانفطار ١٢ - ١٤.

(٤٦٣) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩٠.

(٤٦٤) المصدر السابق ص ١٩٠.

(٤٦٥) أليس الجلساء في شرح ديوان الخنساء (- ٥٢٤/٦٤٤ م) ص ٨١ تحقيق لويس شيخو

اليسوعي. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٢١٢/١٨٩٥ م. مر الفصاحة ط. دار الكتب ص

١١٠، الصاعتان تحقيق البجاوي وأبو الفضل ص ٢٧٨.

ويحسن هذا لمناسبتة وقتله ، ويتيح إذا تكرر كقول أبي صخر الهذلي (٤٦٦) :

عذب مقبلها جدل مخلخلها كالدعس أسفلها مضمورة القدم
سود ذوائبها يفس ترايبها مَحْضُ ضَرْبِهَا صَبَّغَتْ عَلَى الْكُرمِ
سمح خادقها ذرم مراقبها يروي معاقبها من بارد شيم
عقل مقبدها حال مفلدها بَضُّ حِجْرِهَا لَفَاءٌ فِي عَمِّكُمْ

(١١) حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب:

ليكون ما يرجع من الكلام إلى المقدم مقدماً وإلى المؤخر مؤخراً (٤٦٧) . ومن ذلك قول الشريف الرضي (- ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) :

قلبي وطرفي هذا في حمى قيط وهذا في رياض ربيع (٤٦٨)
قالشاعر لما قدم - قلبي - تعين تقديم وصفه بأنه في حمى قيط ، فلو كان - طرفي - وقلبي
منك - لا يحسن في الترتيب ، أو يؤخذ قوله - في رياض ربيع - والطرف مقدم .

(١٢) التناسب في المقدار أو مراعاة النظير: (٤٦٩)

وهذا شيء يحفظه الوزن حتى لا تختلف الأبيات في الطول والقصر . فإذا دخل الزحاف بعض الأبيات وكان الشعر كله كذلك مال إلى الانكسار وخرج عن حد الشعر وكان ذلك عيباً . ناقص الطلاوة ينبو عنه الذوق (٤٧٠) . وخلاف هذا في التناسب يسمى "التخليع" عند قدامة بن جعفر (- ٢٢٧هـ / ٩٤٨م) ومثل ذلك قول عبيد بن الأبرص:

(٤٦٦) أشعار الهذليين للسكري تحقيق فراج وشاكر ١٩٦٨/٢ ، من الفصاحة ١٩١ . الصناعتين تحقيق الجاوي وأبو الفضل ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ . الدعس: كتيب الرمل ، العبل: الضخم . بض: رقيق ، لفاء: غير مسترخية ، العم: الكامل ، الشيم: البارد (في وصف امرأة)

(٤٦٧) من الفصاحة ط . دار الكتب العلمية ص ١٩١ ، ١٩٢ ، اللسان (رتب) ، الترميمات ص ٥٧ ، أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم (علي بن أحمد) ٢١٧/٥ تحقيق شاكر هادي . مكتبة العرفان - كربلاء ١٢٨٨هـ / ١٩٦٨م .

(٤٦٨) ديوان الشريف الرضي (- ٤٠٦هـ / ١٤١٥م) ٦٥٤/١ دار صادر بيروت ١٩٦١م / ١٢٨٠ع ، وأنظر ديوانه ط . نخبة الأخبار (بومبي) ص ٢٨٠ ، من الفصاحة ١٩٢ . (والبيت في اللف والنشر ، الطراز ٤٠٤/٢ .

(٤٦٩) من الفصاحة ط . دار الكتب العلمية ١٩٢ ، اللسان (نسب) ، البيان والتبيين تحقيق طارون ٧/٢ ، ١٢٦ ، ٤٥ . نقد الشعر ١٧١ ، الحيوان ٢٩/٢ ، حسن التوصل ص ٢١٢ ، نهاية الأرب ٧/١٠٧ ، أنوار الربيع ١١٩/٢ ، حلية المحاضرة ٢٢/١ (باب الإشارة) (تح هلال ناجي) .

أقفر من أهله ملحوب فالتعليقات فالذنبوب. (٤٧١)

والحكم على هذا غير مستحسن لخروجه عن أسلوب المنظوم والمثور، وهذا وإن كان مستقيماً في العروض، وكان الخفاجي يستحسن بعض الزحاف إذا قلّ، وإذا كثر تبع. (٤٧٢)

ب- تناسب الألفاظ من طريق المعنى: (٤٧٣)

بعد ما وصف ابن مثنى التآليف من طريق الصيغة اللفظية يقتل إلى الحديث عن ذلك التناسب من طريق المعنى، ولعلّ الأول توطئة حتمية للثاني حسب هذا الترتيب. ويتناول في هذا الجانب فنوناً سبعة منها:

١- الطباق والتبديل والمخالف والإيجاب والسلب.

٢- المجانس بأنواعه.

٣- الإيجاز والتطويل.

٤- القموض والتعقيد.

٥- الألفاظ.

٦- الإرداف والتبعية.

٧- التمثيل. ١- المطابق: (٤٧٤)

يضع الخفاجي شروطاً في تحديده وهي:

١- أن يكون معنى اللفظين متقارباً. (٤٧٥)

٢- أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد. (٤٧٦)

٣- إذا خرجت الألفاظ عن هذين الشرطين فليست بمتناسبة. (٤٧٧)

٤- يجمع أهل صناعة الشعر على اصطلاح المطابق الذي يختلف عند قدامة باسم التكافؤ. (٤٧٨)

(٤٧٠) نقد الشعر ص ٢٠٦ (أن يكون قبيح الوزن قد أفرط قائله في تزجيده، وجعل ذلك بنية الشعر كله حتى ميّله إلى الإنكسار، وأخرجه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه، أو يعرضه على العروض فيصح فيه، فإن جرى من الشعر هذا المجرى كان ناقص الطلاوة قليل الحلوة).

(٤٧١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٢٠ تحقيق الدكتور حسين نصار. شركة مصطلح البابي الحلبي وأولاده ١٩٥٧م/١٣٧٧هـ.

(٤٧٢) كتاب القوفي للبرد (- ٨١٩/٥٢٨٦م) ص ٤. تحقيق رمضان عبد التواب، نقد الشعر ص ٢٠٦، ص الفصاحة ص ١٩٢.

٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨) ص الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠٠. نقد الشعر ١٦٢.

ويعرفه ابن سنان بقوله: (وهو مقابلة الشيء بمثله الذي على قدره، وسوا المتضادين إذا تقابلا متطابقين) (٤٧٩). ويرى أنه يجري مجرى المجانس، ويحسن إذا قل وكان غير مقصود في ذاته ولا متكلف، ويقبح إذا كان معنى الكلمتين غير متناسب لا على التقارب ولا على التضاد. (٤٨٠)

ومن المطابق المحمود قول المتنبي (-٥٢٥٤/٩٦٥م)

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأشني وياض الصبح يغري بي. (٤٨١)

يتسم هذا البيت بعدم التكلف واستعانة الأداء، فكل لفظة تقابلها لفظة من جهة المعنى مضادة لها، من ذلك (أزورهم وأشني) و(سواد وياض) و(الليل والصبح) و(يشفع ويغري) و(لي وبني). غير أن هناك بعض الإشكال في مقابلة الليل بالصبح إشكالا زمنياً، ولهذا العلة لا يكاد كثير من أهل صناعة الشعر يجعلونه تضاداً لانعدام تساوي المقدار، ذلك أنهم يراعون في المضاد استعمال الألفاظ. وأكثر ما يقال: (الليل والنهار) ولا يقال: (الليل والصبح) لذا اعتبره البعض طباقاً غير محض، وعدم البعض طباقاً محضاً (٤٨٢). أما الألفاظ الأخرى السابقة فهي من محض الطباق للتناسب الذي بيناه. ومن أمثلة ذلك قول دعلج بن علي الخزاعي في مقابله بين (تبسم وبكى) (٤٨٢) قياساً على (الليل والصبح) والشاهد على محض الطباق ما قاله جرير بن عطية:

رياسط خير فيكم يمينت وقابض شر عنكم بشاليا. (٤٨٤)

(٤٧٩) أنظر المصادر السابقة والصفحات نفسها.

(٤٨٠) أنظر المصادر نفسها والصفحات نفسها.

(٤٨١) ديوانه/عكبري/١/١٥٩، من الفصاحة ط. دار الكتب ٢٠١، اللسان (طبق)، أسرار البلاغة ٢٠، ٢٦، الطراز ٢/٢٧٧. وأنظر اللسان (محدد)، حلية المحاضرة تحقيق هلال ناجي ١/٢٥، وأنظر مثال هذا في شعر دعلج بن علي الخزاعي (-٥٢٤٦/٨٦٠م) سنة عبد الكريم الأشتر من ١٦٠، ١٦١ دمشق ط ١٤٠٢/١٩٨٢م؛ من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية من ٢٠٢.

(٤٨٢) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية من ٢٠١.

(٤٨٢) ديوان دعلج بن علي الخزاعي سنة الأشتر من ١٦٠، ١٦١، من الفصاحة ٢٠٢.

(٤٨٤) ديوانه تحقيق أمين طه من ٨٠، من الفصاحة ٢٠٢.

والشاهد لا تنسب إلي يا معلم من رجل
طباقي مني، لأن الـ تبسم و بكى لم يكن عندهم من المطابقة الخ

ومن الطباق القبيح التكلف قول أبي تمام:
إن خفرت أموال قوم أكفهم من النيل والجدوى كفاً مقطوع. (٤٨٥)

٢ - التبديل: (٤٨٦)

حده عند الخفاجي (أن يقدم في الكلام جزء ألفاظه منظومة نظاماً وتُتلى بآخر يجعل فيه ما كان مقدماً في الأول مؤخراً في الثاني، وما كان مؤخراً مقدماً في الأول) (٤٨٧). وساء قدامة بن جعفر (- ٢٢٧/٥٢٤٨ م) التبديل (٤٨٨)، ومثل ذلك قول بعضهم (اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكر) (٤٨٩). وقول الحسن البصري (- ١١٠/٥٢٢٨ م):
(إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير لك ممن أمنتك حتى تلقى الخوف) (٤٩٠).

٢ - المخالف: (٤٩١)

هو شرب من التطبيق قريب من التضاد عند الخفاجي (٤٩٢)، وهو ما يعرف أيضاً بالطباق عند البعض ويعرف بالكافؤ عند قدامة (٤٩٣). ومثال ذلك قول أبي تمام (- ١١٦/٥٢٢٢ م)
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر (٤٩٤)

٤٨٥) أنظر ديوان أبي تمام/تبريزي/٢/٢٢٠، مر الفصاحة شاهداً في الطباق القبيح التكلف قوله: إن خفرت أموال قوم أكفهم من النيل والجدوى، كفاً مقطوع.
فهو قبيح لم يأت لجمال معناه وسلامة لفظه، بل جاء مقصوداً في ذاته.
في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري.

٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠) مر الفصاحة ص ٢٠٢، اللسان (بدل) الصناعتان ٢٧١ (المعكس) المثل السائر ١/٢٦١ (تحقيق محي الدين)، نقد الشعر (باب التبديل) المدة ٤/٢، ٢٨٦، البديع في نقد الشعر ص ٤٦، البيان والتبيين ١/١٤٥، ٧/٢. مصطلحات الدكتور مطلوب ١٧/٢، جواهر الألفاظ قدامة بن جعفر ص ٤ (عكس اللفظ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية بيروت ط ١/١٤٠٥/١٩٨٥ م. المثل السائر ١/٢٦١، ص الفصاحة ٢٠٢. الحسن البصري بن يمار أبو سعيد تابعي كان إمام البصرة في زمانه (١١٠/٥٢٢٨ م). أنظر ميزان الاعتدال للذهبي ص ١٥٤.

٤٩١ ٤٩٢) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠٤.

٤٩٣) نقد الشعر قدامة ١٦٢ - ١٨٦.

٤٩٤) ديوانه/تبريزي/٤/٨١، مر الفصاحة ٢٠٤.

ف (الحر والخنز) من المخالف في نظر الخفاجي، وهما متقاومان على رأي قدامة من جهة التضاد والسلب والإيجاب والتقابل. (٤٩٥)

ويعلق ابن سنان على هذا في أن البعض يعتبر التضاد في استعمال الألفاظ، ولا يرى بين الأبيض والأحمر تضاداً في نطاق العرف، والصحيح أن ضد الأبيض هو الأسود في التعارف عليه (٤٩٦). وما كان ما جاء به أبو تمام (حمر وخنز) من التضاد إلا قرينة الإيجاب والسلب في سياق البيت وحتمية العرف.

ومن قبيح المخالف قول أبي تمام (- ٨٤٦/٥٢٢٢ م)

مكرهم عنده فصيح وإن هم خاطبوا مكره رأوه جليبا. (٤٩٧)
فالمخالفة بين (فصيح وجليبا) قائمة إلا أن تقابل الوضمين مُرَكَّبٌ يفضي إلى احتمال آخر يدرجه في رحاب الاستعارة المستحيلة والفرس القامد. ولذا فالإيضاح في هذا الموضع مطلوب، والقدرة على التمييز معيار مهارة الشاعر في تقادي الالتباس. فإن قوله في هذه الحال يتجه اتجاهاً ثانياً:

١- اتجاه في ركاب المخالف.
٢- قد يقع الانكسار في الاتجاه العمودي السطحي في المبنى إلى الأتقي من البنية العميقة الذي يلتحم بحد الاستعارة. وفي هذا إشكال على المتلقي وعلى المتخصص إذا أراد التصنيف.

٤- الإيجاب والسلب: (٤٩٨)

استعمله الخفاجي دون تحديد مفهومه، فما هو هذا الفن إذن؟ نقول: (قد أوجب لك البيع وأوجب إيجاباً، أي لزم وألزمه) (٤٩٩). (سلب الشيء يسلبه سلباً، أخذه منه، والسلب نقيض الإيجاب وهو القبول والإلزام) (٥٠٠). وهو أمر يتعين على ناظم أو مؤلف

(٤٩٥) نقد الشعر ١٦٢ - ١٨٦.

(٤٩٦) سر الفصاحة ص ٢٠٤. (طه دار الكتب العلمية).

(٤٩٧) ديوانه/تبريزي ١/١٦٤، سر الفصاحة ص ٢٠٤ في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري.

(٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠٥. اللسان (وجب) و (سلب)، نقد الشعر ١٦٣، ٢٢٩، ٢٤٠، الموشح ٢٥٢، العدة ٦٧/٢ (باب نفي الشيء بإيجابه).

الكلام مراعاة وضع الألفاظ موضعها الصحيح اللائق والتناسب في الألفاظ والمعاني لذا يؤول ذلك إلى شروب من التأويل قد يصعب حصر دلالتها التي تخرجه عن الغرض أو توقعه في خلل تأليفي. ومن ذلك قول عبدالرحمن بن عبدالله القصي:

أرى هجرها واقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيسر. (٥٠١)

أوجب هذا الشاعر الهجر واقتل على أنهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله: (إن القتل أعفى وأيسر، فكأنه قال: (إن القتل مثل الهجر وليس مثله، ولو قال: بل القتل أعفى وأيسر، ولو قال: "بل" لكان الشعر مستقيماً، ولما جمع بين النفي والإثبات وزامن بينهما استحالة شعره وأدى ذلك إلى الفساد. ومن السلب والإيجاب قول السؤال (-٦٥٠ ق ٥/٥٦٠ م) وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول. (٥٠٢) (إيجاب وإلزام) (+) (سلب) (-)

(٢) المجانس: (٥٠٣)

هو ضرب من التناسب بين الألفاظ (وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض إن كان معانها واحداً، أو بمنزلة المشتق إن كان معانها مختلفاً أو تتوافق سيقنا اللفظيتين مع اختلاف المعنى، وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير متكلف ولا مقصود في نفسه). (٥٠٤)

٥٠١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠٥ نقد الشعر ٢٢٩، الموشع ٢٥٢.

٥٠٢) شعر السؤال بن عريض بن عادي بن جيا ص ٩١ شرح وتحقيق عيسى مابا مكتبة صادر ١٩٥١م/٥١٢٧١. سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠٥.

٥٠٣، ٥٠٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩٢. مسلم بن الوليد الأنصاري أبو الوليد (سريع الفواهي) - ٨٢٢/٥٢٠٨ م) أنظر تاريخ بغداد ٩٦/١٢ - ٩٨، الفهرست ١/١٦٠. أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر، شامي الأصل ولد: ٨٠٢/٥١٨٨ م - ٨٤٥/٥٢٣١ م) في خلافة الواثق. أنظر نزعة الأبناء تحقيق الدكتور السامرائي ص ١٢٢.

وقد تناول هذا الفن القدامى والمحدثون وقيل فيمن أفرط في استعماله إنه أفسد الشعر ويشار في ذلك إلى مسلم بن الوليد الأنصاري (مربع الفرائي-٤٢٠٨/٨٢٢م) عند القدامى، ونظيره في هذا من المحدثين أبو تمام (-٥٢٢١/٨٤٥م) الذي تطور وشاع على يده هذا الجنس، فوقع عنده الجيد والردى الذي لا غاية وراءه في التبجح. ومن هذا قول امرئ القيس:

قد طمح الطماح من بُعد أرثه ليلبسنى من دانه ما تلبسا. (٥٠٥)
ومثل ذلك في شعر زياد الأعجم (-٥١٠٠/٧١٨م) حيث التجانس بين "كاهل" وهي اسم شاعر و"كاهل" وهي مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق. والشاهد:
فبئسهم يستنصرون بكاهل ولوم فيهم كاهل وسنام.
ويتقسم في بحثه جهد دراسته في هذا الفن الجنس إلى أربعة أقسام:

- ١- الجنس المتماثل.
- ٢- الجنس الناقص.
- ٣- جناس التركيب.
- ٤- جناس التصحيف.

١- الجنس المتماثل: (٥٠٦)
وهو (تساوي اللفظتين واختلاف المعنى) عند ابن سنان، ومثله في قول الأنوف الأودي (-٥٠٠ ق ٥٧٠م):
وأقطع الهوجل مستاناً بهوجل كيراة عتريس. (٥٠٧)
فالهوجل على معنيين مختلفين وسمة نظمية واحدة، فالهوجل الأولى هي الأرض البعيدة، والثانية هي الناقة المظيمة الخلق. ويعرف هذا النوع عند قدامة (-٥٢٢٧/٩٤٨م) بالمطابق أو المتكافئ. (٥٠٨)

٥٠٥) ديوانه تحقيق أبو الفضل س ١٠٨، سر الفضاحة ط. دار الكتب العلمية س ١٩٤.
٥٠٦، ٥٠٧) سر الفضاحة ط. دار الكتب العلمية س ١٩٥.
٥٠٨) اللسان (هوجل) وأنظر الطرائف الأدبية س ١٦ تحقيق عبد العزيز اليميني. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٢٧م/١٣٥٦هـ. (والأنوف الأودي هو سلامة بن عمرو بن مالك شاعر يمني جاهلي (-٥٠٠ ق ٥٧٠م)، معاهد التنصيص ١٠٧/٤، أعلام الزركلي ٢٩٧/٢-٢٩٨).

٢ - الجناس الناقص: (٥٠٩)

ويعرف بجناس المضارعة عند قدامة ويستقدم أبو القاسم الآمدي (-٥٢٧/١٨٨٠م) الذي يوافق في ذلك الخفاجي بحجة (أن هذا اللقب وإن صح بموافقته معنى الألقاب، وإنما غير محظورة، فإن الناس قد تقدموا أبا الفرج في تليق هذه الأنواع، وكفوء المؤونة في اختراع ألقاب تخالفهم. ويرى ابن مثنى الصواب فيما ذهب إليه الآمدي. (٥١٠)

ومن مختار ذلك قول أبي تمام (-٥٢١/٨٤٥م):
يمدون من أيد عواس عواسم تطول بأسياف قواش قواضب. (٥١١)
(عواس وعواسم) و(قواش وقواضب) جناس ناقص.

ومن قبيح الجناس قول أبي تمام أيضاً:
قرت بقران عين الدين واشترت بالأشترين عيون الشرك فاسطلما. (٥١٢)
وله من هذا الجنس أبيات كثيرة، لأنه أفرط فوق ما يسمح له خاطره، فوقع في التكلف. وقد جاء هذا الفن في القرآن الكريم منه قوله تعالى: (يمحق الله الربا ويربي الصدقات، والله لا يحب كل كفار أثيم). (٥١٢) وهو سهل مستغ.

٣ - جناس التركيب: (٥١٤)

ورد هذا الفن في شعر أبي العلاء المعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) وسماء مجانس التركيب لأجل أنه يركب من الكلمتين ما يتجانس به الصيغتان. ومثل هذا في شعر المعري:
مطايا صلايا وجدكن منازل متى زلّ عنها ليس عني بمقلع. (٥١٥)

-
- ٥٠٩، ٥١٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٩٦. (الانتقاد جاء في تبیین غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر، ألفه لأبي الفضل محمد الحسين بن العميد عام ٥٢٦٥/١٧٧٥م). أنظر معجم الأدباء ٧٦/٨ ط. (رقاعي) ٥٤/٢ ط. (مرغوليوث).
٥١١) ديوانه/تبريزي تحقيق عزام ١٦٩/٢.
٥١٢) ديوانه/تبريزي/تحقيق عزام ص ١٦٩/٢.
٥١٣) البقرة/٢٧٦.
٥١٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩٨، ١٩٩.
٥١٥) شرح التنوير ١٤٢/٢.

ويذكر الخفاجي أنه لا يعرف هذا الفن لغير أستاذ المعري، ولا يستحسنه ولا يدخل في الفصاحة والبلاغة (٥١٦). وقد سماه البعض جناس التداخل (٥١٧) أو جناس التذييل (٥١٨).

٤- جناس التصحيف: (٥١٩)

أورد الخفاجي ذكر هذا المصطلح دون تعريفه، وهو (أن تكون النقط فرقاً بين الكلمتين) (٥٢٠). أي (ما تماثل ركناء خطأ واختلفاً لفظاً) (٥٢١). وقد جاء في قوله تعالى: (وهم يحسبون أنهم يحسنون) (٥٢٢). ومثل ذلك في الشعر قول البحري (٥٢٤-٥٢٨/٨م)

ولم يكن المقتر بالله إذ سرى ليمجز والمقتر بالله طالبه. (٥٢٣)
ومثل ذلك في موضع آخر (شليل وسليل). (٥٢٤)

ويعدّ هذا القسم أقل طبقات الجناس لأنه يقوم على تجانس أشكال الألفاظ (الحروف في الخط) وحسن الكلام وقبحه لا يُستفاد من أشكال حروفه في الكتابة إذ لا عادة بين سيفة اللفظ والحروف وشكله في الخط. (٥٢٥)

٥١٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩٨.

٥١٧) تحرير التحرير في صناعة الشعر والشر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأسبع (٥١٢٥٦/٥٦٥٤م) ص ١٠٧ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٩٦٢/٥١٢٨٢م.
وأنظر بديع القرآن لابن أبي الأسبع ص ٢٠. تقديم وتحقيق حفي محمد شرف. مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٧/٥١٢٧٧م.

٥١٨) تحرير التحرير ص ١٠٨. مصطلحات مطلوب ٦٨/٢ (هو تجنيس التداخل أو تجنيس الترجيع).

٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩٩. وأنظر البديع في نقد الشعر ص ١٧ الطراز ٢/٢٥٦ ٢٧٢ (المصحف تشابه خطي لا لفظي).

٥٢٢) الكهف/١٠٤ (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا).

٥٢٣) ديوانه/الصيرفي ٢١٥/١ في مدح المقتر وهجاء المستمين، سر الفصاحة ١٩٩.

٥٢٤) ديوانه/الصيرفي ١٢٦٥/٢ سر الفصاحة ١٩٩.

٥٢٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٩٩. مصطلحات مطلوب ٥١/٢ ١٠٩ (للهتداء إلى أقسام الجناس).

٢- الإيجاز والتلويل: (٥٢٦)

إن الكلمتين تتجهان إتجاهاً متناقضاً، وكلاهما داخل في عالم البلاغة فيؤثران عليها سلباً أو إيجاباً. وللتقد في ذلك كلمة في معاية المواطن التي يقع فيها. فإذا كان الطرف الأول يعني اختصار الكلام فيما قل ودل فإن الثاني على خلاف ذلك أي إطالة الكلام فيما كثر ودل أو كان حشواً زائداً على مقتضى الحال.

وقد حصر ابن مثن التمنية في أطراف ثلاثة:

١- الإشارة.

٢- المساواة.

٢- التذييل.

وتكون هذه العناصر في علاقاتها مع بعضها علاقات لا تناظرية تشكل مستويات متصاعدة، ولكل واحد منها خصائصه وسماته الجمالية في البلاغة والتقد.

١- الإشارة: (٥٢٧)

وهي: (أن يكون المعنى زائداً على اللفظ، أي أنه موجز يدل على معنى ملوّل على وجه الإشارة واللمحة). (٥٢٨)

وينصب الخفاجي الإيجاز عامة للأسباب التالية:

١- حذف فضول الكلام. (٥٢٩)

٢- التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة دالة. (٥٣٠)

٥٢٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠٥، اللسان (طال)، المثل السائر، ٧١/٢، الجامع الكبير ١٢٢. الصناعات تحقيق البجاوي ص ١٩٠ وتحقيق الدكتور قميحة ١٩١، العمد ٢٥٠/١، ثلاث رسائل ص ٧٠، البيان والتبيين ٨٢/١، ٨٦، الخصائص ٢/١، ٨٢، ٨٦، نقد الشعر ١٧٤، حلية المحاضرة تحقيق هائل ناجي ٢٢/١ (أحسن ما ورد في الوحي والإشارة). نهاية الإيجاز ص ١٤٥، المفتاح ١٢٢، نقد الشر ص ١٠٥، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٠٦، ٢٠٧.

٥٢٧، ٥٢٨) أنظر المصادر السابقة والصفحات نفسها.

٥٢٩، ٥٣٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٠٦، ٢٠٧، نقد الشر المنسوب لقدامة

ص ١٠٥.

- ٢ - الإيجاز من دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام. (٥٢١)
- ٤ - الكلام يحسن في الإيجاز: كالمخاطبات والمكاتبات والأشعار والأمور الفنية الراقية. (٥٢٢)
- ٥ - قد يحسن في بعض الكلام الإسهاب والإمالة كالخطب والكتب إذا احتاج أن يفهمها عامة الناس وأصحاب الأذهان البعيدة. (٥٢٢)
- ٦ - الألفاظ إن طالت وترددت في إيضاح المعنى أثر ذلك في الكلام، ولو اقتصر بهم على وحي الألفاظ، وموجز الكلام لم يقع لأكثرهم كأن يقال في ذكر السيف: الحسام القاطع الجزار البتار، وفي وصف الشجاع البطل القاتك التجد الباسل وما يجري هذا المجرى. (٥٢٤)
- ٧ - قد يتعطل البعض في أنه قد تقرأ هذه النصوص في مواقف حافلة تحتاج إلى تكرار الألفاظ ليكون ما يفوت سماعه قد استدرك ما ورد في معناه. (٥٢٥)
- ٨ - الإمالة بتكرير المعاني بمنزلة ترديد كلام واحد، لا تؤثر في الكلام حسناً ولا قبحاً. (٥٢٦)
- ٩ - المعنى الذي يعبر عنه بالألفاظ يسيرة قد يحسن التعبير عنه بالألفاظ طويلاً قصداً إلى إفهام العاصي والبلید، قياساً على الوحي والإشارة الواقعين في موضعها الأوفق والأحسن. ويرد الخفاجي على هذا: (إنا نسلم بذلك، لأننا ذهبنا إلى أن المحمود من الكلام ما دل لفظه على معناه دلالة ظاهرة، ولم يكن خافياً مستغلقاً). (٥٢٧)

٢ - المساواة:

(أن يكون المعنى مساوياً للفظ) (٥٢٨) وهو ما يعرف بإيجاز التقدير.

٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٢ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية
٢٠٧ ٢٠٦

٥٢٨ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢١٧، نقد الشعر ١٧١، المثل السائر ٢/٧٨،
١١٤ الطراز ٢/١٢٠، الصاغان تحقيق الدكتور مفيد قميعة ص ١٩٩.

٢- التذييل:

(أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عنه) (٥٢٩). وهو الإطبات بالتذييل. وهو صالح للمواقف الجامعة، بحيث يكون الكلام مخاطباً به عامة الناس ولا من يسبق ذهنه إلى تصور المعاني في حين الإشارة تصلح لمخاطبة الخلفاء والملوك ومن يقتضي حسن الأدب عند التخفيف في خطابه وتجنب الإطالة فيما يتكلف سماعه). (٥٤٠)

ويستند ابن سنان من يقول بالتذييل بحجة اعتبار الكلام بالإضافة إلى المخاطب به، حتى يكون ذلك مؤثراً في سحته أو فساد وحسنه أو قبحه) (٥٤١). ويرى أن هذا الوضع قد يؤدي إلى اختلال القاعدة المتعارف عليها في الاستحسان والاستتباع، ويؤول هذا إلى قولنا: (وكنا نستحسن كلام العالم الطافل وإن كان رديء التأليف، ونستقبح كلام الجاهل وإن كان في أعلى طبقات الفصاحة، حتى يكون شعر أبي عثمان الجاحظ (-٥٢٥٥/٨٦٨م) وأبي إسحاق النظام (-٥٢٣١/٨٤٥م) أعظم عندنا من شعر أبي حية النيمري (-٥٩٠/٢٢٤م) ومن جرى مجراهما). (٥٤٢)

ونفهم من هذا أن الضاجي يطلب إلى الناقد والبلدغي توخي الموضوعية في تمييز الرذالة من الحسن، وتجنب التعسف الذي يفضي إلى التحيز ومجانبة الروح العلمية كالانصراف البحت إلى الانطلاق من الشخص مجرداً عن إتجاه، والعكس في هذا هو الصحيح، أو اعتبار السبق الزمني. والحقيقة أن الجيد يتخطى حدود الزمان والمكان وإن كانت له معها عادة جدلية قائمة، والاعتبارات الشخصية، إنما النتائج هي التي تحدد تائق ذلك.

٥٢٩) سر - الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠٧، خزانة الأدب ص ١١٠، الصناعات تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٢٧٢، قانون البلادغة ٤١٦، ٤٤٩، البديع في نقد الشعر ص ٢٥، نهاية الأرب ١٤٠/٧، الطراز ١١١/٢، أنوار الربيع ٢٩/٢، ٤٢، ٤٢، شرح عقود الجمان ص ٧٤.

٥٤٠) سر - الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٠٧.

٥٤١) المصدر السابق ص ٢٠٨.

٥٤٢) المصدر السابق ص ٢٠٨. إبراهيم بن ميار بن هاني البصري أبو إسحاق النظام (-٥٢٣١/٨٤٥م) من أئمة المعتزلة أنظر: تاريخ بغداد ٩٧/٦، أمالي المرتضى ١٢٢/١، خطط المقرئ ٢٤٦/١، النجوم الزاهرة ٢٢٤/٢.

أشئلة على ذلك:

قال تعالى: (ولكم في القصاص حياة) (٥٤٢).

إن ألفاظ هذه الآية الكريمة على إيجاز ما قد (عبر بها عن معنى كثير) وهي من الإشارة وفحواها أن الإنسان إذا أدرك مؤدى هذه القاعدة الآمرة الناهية، يعرف أنه القتل بالقتل، وفي ذلك دَرَّةٌ للجرم وتنظيم للعلاقات العامة والخاصة في المجتمع، فما أكثر ما انطوت عليه هذه الآية على إيجازها وعلوها فيه. وقياماً على هذا قيل: (اقتل أنفى للقتل) (٥٤٤). وأقول هذا دون الآية الكريمة في أداء الدلالة والصورة في هذا الصدد، للأسباب التالية:

- ١- القتل النافي ما كان على وجه القصاص والعدل. (٥٤٥)
- ٢- ليس كل قتل ينفي القتل. (٥٤٦)
- ٣- في ذكر القصاص بيان للمعنى وكشف للغرض المرغوب فيه بذكر الحياة وخلوها في قولهم. (٥٤٧)
- ٤- (القصاص حياة) عشرة أحرف و(اقتل أنفى للقتل) أربعة عشر حرفاً. والآية أوجز وأدل وأوفى. (٥٤٨)
- ٥- في (اقتل أنفى للقتل) تكرير يندم في الآية. (٥٤٩)
- ٦- تكرير الحروف عيب في الكلام. (٥٥٠)

ومن الإيجاز قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (-/٥٤٠م) كرم الله وجهه ورشي عنه: (قيمة كل امرئ ما يحسن). (٥٥١)

فهذه العبارة في غاية الإيجاز مع وضوح الدلالة والحسن الذي يفني عن وصفه. وأما في الشعر فمثل قول زهير بن أبي سلمى (-/٦٠٩م)

فاني لو لقيتك واتجهنا
لكان لكل منكرة كفاء. (٥٥٢)

-
- (٥٤٢) البقرة/ ١٧٩ (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون).
- (٥٤٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢١٢.
- (٥٤٥) ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢١٢.
- (٥٥١) نهج البلاغة ١٦٨/٢ وأنظر النص في البيان والتبيين تحقيق هارون ١/٨٢، ٢/٧٧ وأنظر الصانعان تحقيق الدكتور مفيد قميحة ص ١٩١.
- (٥٥٢) ديوان زهير بن أبي سلمى (-/٦٠٩م) صنعة ثعلب ص ٨١ في الهجاء. وأنظر نقد الشعر ١٧٦ وأنظر ترجمة علي بن أبي طالب (ص) في الكامل في التاريخ (حوادث ستة ٤٠) وأنظر تاريخ الأمم والملوك للطبري (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ١٠٠٠/٥٢٢م، ١٢٩/٥-١٦٠، دار مويديان بيروت - لبنان (٤).

والقصد أنني لو واجهتك لكان عندي مكافأة لك على كل امر قد أنكره ، فجاء بالمعنى الموحى في قليل من اللفظ الدال . (وبهذا كان يوسف شعر زهير لأنه كثير الإيجاز مع الإيضاح لمعانيه) . (٥٥٣)

ومن أمثلة المساواة قول زهير أيضاً :

وسهما يكن عند امرئ من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم . (٥٥٤)
وقوله :

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والخطا أسبت حليماً أو أسابك جاهلاً . (٥٥٥)
وقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود . (٥٥٦)
وقول المتنبي :

أتى الزمان بنوء في شبيبت فسرهم وأتينا على الهرم . (٥٥٧)
وقول البحتري :

ما زال يسبق حتى قال حامداً له طريق إلى العلياء مختصراً . (٥٥٨)
أمثلة في التذييل :

قول سعدي بن زيد العبادي :

قد دنت الأديم لراهبيه وأنى قولها كذبا ومينا . (٥٥٩)
قال كذب والمين واحد .
وقول بعض الكتاب :

(وفلان ابن فلان ، الرجل المشهور بالفروسية والراجلة والشجاعة والنجدة ، وله السن والحنكة والتجارب والدربة) . (٥٦٠)

٥٥٣) سر الفصاحة ط . دار الكتب العلمية ص ٢١٢ .

٥٥٤ ، ٥٥٥) ديوانه نسخة ثعلب ص ٢٢ ، ٢٠٠ ، سر الفصاحة ص ٢١٨ .

٥٥٦) ديوانه تحقيق علي الجندي ص ٦٦ ، وأنظر غريب الحديث للهروي ٥/٢ ط . حيدر آباد .

٥٥٧) ديوانه/عكبري/٤/١٦٤ ، سر الفصاحة ٢١٨ .

٥٥٨) ديوانه تحقيق السير في ٢/٩٥٧ ، سر الفصاحة ٢١٨ .

٥٥٩) سر الفصاحة ط . دار الكتب العلمية ص ٢١٩ ، وأنظر عبث الويد للمعري (أبي العلاء أحمد بن سليمان - ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) ص ١١١ ، تصحيح محمد عبد الله المدني نشر أسعد الطرابزوني . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ط ١٩٧٠م/١٢٩٠هـ .

٥٦٠) سر الفصاحة ط . دار الكتب العلمية ص ٢٢٠ .

فهذا كله تطويل بإيراد ألفاظ كثيرة لأجل معنى واحد. ويشير الخفاجي إلى أن الفرق بين التذييل والحشو أمر يجب التحرز منه. (فالحشو لفظ يتميز عن الكلام بأنه إذا حذف منه بقي المعنى على حاله، والتطويل أن يعبر عن المعاني بالآلفاظ كثيرة، كل واحد منها يقوم مقام الآخر، فأي لفظ شئت من تلك الألفاظ حذفته، وكان المعنى على حاله، وليس هو لفظاً متميزاً مخصوصاً كما كان الحشو لفظاً متميزاً مخصوصاً). (٥٦١)

وعلى غرار هذه العمليات يخلص ابن سنان إلى الاستنتاجات التالية:

- ١- الحشو يقع في الأكثر في النظم لأجل الوزن. (٥٦٢)
- ٢- الحشو يقع في الشتر لأجل تساوي الفصول. (٥٦٣)
- ٣- إن كان المعنى ناقصاً غير مستوفٍ فذلك الإخلال. (٥٦٤)
- ٤- إن كان المعنى تاماً غير ناقص مع الحذف وبقاء المعنى بحاله ولم يتميز فتلك الإمالة. (٥٦٥)
- ٥- إن كان المعنى تاماً غير ناقص مع الحذف وبقاء المعنى بحاله وتميز فذلك الحشو. (٥٦٦)
- ٦- الحذف مع بقاء المعنى بحاله مع تمكن العبارة من المعنى بأقل الألفاظ فتلك هي المساواة. (٥٦٧)
- ٧- تمكن العبارة من المعنى بأقل الألفاظ فذلك الإيجاز والاختصار. (٥٦٨)

وفي ضوء المنظور التقدي والبلاغي يقول الخفاجي: (ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً، لا يحتاج إلى فكر في استخراجِه وتأمل لفهمه، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو مشوراً). (٥٦٩)

٤- أسباب الغموض في الكلام: (٥٧٠)

إن الأسباب التي يغمض من أجلها الكلام في رأي ابن سنان ستة (٦)، إثنان في اللفظ منفرداً، وإثنان في الألفاظ المولدة في متأى عن المعاني وإثنان في المعاني مفردة.

(٥٦١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٠.

(٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨) المصدر السابق نفسه ص ٢٢٠.

(٥٦٩) نقد الشعر ٢٤٥ (وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى). العبارة بتصرف.

(٥٧٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢١، قانون البلاغة ص ٤١٦، حسن الوصل

٢٦٢، نهاية الأرب للنويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (-٥٧٢٣/١٢٣٢م) ٨/٧،

١٤٠ (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. مطابع كوستاتسوماس، القاهرة ١٢٧٥/١٩٥٥م؛

العمدة ٩٢/٢.

١ - اللغوض في اللفظ منفرداً: (٥٧١)
(أ) أن تكون اللفظة غريبة فيما تقدم من وحشي اللغة العربية.
(ب) أن تكون الكلمة من الأسماء المشتركة في اللغة: كالصدي الذي هو العطش والطائر، والصوت الحادث في بعض الأجسام.

٢ - اللغوض في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض: (٥٧٢)
(أ) أحدهما فرط الإيجاز، كمعنى الكلام الذي يروى عن بقراط في علم الطب.
(ب) ثانيها إغلاق النظم: كآيات المعاني في شعر أبي الطيب المتنبّي وغيره، وكما يروى في كلام أرسطو طاليس في المنطق.

(٥٧١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢١، قانون البلاغة ص ٤١٦، حسن الوسل
٢٦٢، نهاية الأرب للتويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (-٥٧٢٢/١٢٢٢م) ٨/٧،
١٤٠ (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. مطابع كوستاتوماس، القاهرة ١٢٧٥/١٩٥٥م؛
العمدة ١٢/٢.

(٥٧٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢١، نقد الشر المنسوب لقدامة ص ١٠٤
(وجالينوس طبيب يوناني يعتبر من أشهر أطباء القداماء بعد أبقراط. وأبقراط طبيب يوناني (أبو
الطب) توفي حوالي (-٢٧٠ ق م) أنظر الموسوعة العربية الميسرة. إشراف محمد شفيق غربال
ص ٧. مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر. دار القلم. القاهرة ١٢٨٥/١٩٦٥م. وآيات
المعاني: سميت كذلك لأنه لا يتعاملها إلا الفحول من الشعراء، تسم بقرابة الأسلوب والعق.
أنظر الزهر للسيوطي ٥٧٨/١ تحقيق البجاوي وأبو الفضل وحامد المولى. وأنظر مقدمة المعاني
الكبير لابن قتيبة (-٥٢٧٦/٨٨٩م) ص ج. وأرسطو طاليس: فيلسوف يوناني من تلامذة
أفلاطون من إتاجه (الأوراغون في المنطق، توفي حوالي (-٢٢٢ ق م). أنظر الموسوعة
العربية الميسرة ص ١١٧. وأنظر كشف اصطلاحات الفنون للتهاوني (محمد علي بن علي -
بعد ١١٥٨/١٧٤٥م ص ٢٩٩/٥ ط. خياط بيروت ١٩٦٦م/١٢٨٦هـ. (مصورة عن طبعة عام
١٢٧٨/١٨٦١م). وأنظر بشار ذي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (مجد
الدين محمد بن يعقوب (-٥٨١٧/١٤١٥م) ٤/٢٠ من كتب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
(تحقيق محمد علي النجار).

٢ - القموض في المعنى: (٥٧٢)

- (أ) أحدهما أن يكون في نفسه دقيقتاً، ككثير من مسائل الكلام في اللطيف.
(ب) ثانيهما أن يحتاج في فهمه إلى مقدمات إذا تصورت بتي ذلك المعنى عليها، فلا تكون المقدمات حصلت للمخاطب، فلا يقع له فهم المعنى، كالذي يريد فهم الكلام والنحو وغيرها من العلوم قبل الوقوف على الأصول التي بنيت على تلك الفروع.

ثم يعقب على ذلك بما يلي:

- ١ - استعمال الألفاظ الغريبة الوحشية تنص في الفصاحة التي هي الظهور، والبيان. (٥٧٤)
٢ - استعمال الألفاظ المشتركة كالصدي، فإنه يحسن في فصيح الكلام إذا كان في اللفظ دليل على المقصود. (٥٧٥)

مثل قول المتنبي (-/٥٢٥٤م ٩٦٥م)

ودع كل صوت دون صوتي فأنني . أنا الطائر المحكي والآخر الصدي. (٥٧٦)
فلفظة الصدي في هذا المقام لا تلتبس بالصدي الذي يعني العطش، كما لا يتبادر إلى ذهن المتلقي، وإن كان على غير هذا الوجه فهو مناف للفصاحة.

وأما البيان اللذان في المعاني وهما في دقة المعنى في نفسه، وحاجته إلى الإحاطة بأصل قد بُني عليه، فليس أن يجعل المعنى الدقيق ظاهراً جلياً، جله للمعبر عنه، لكن يحتاج أن يحسن العبارة عنه ويبالغ في إيضاح الدلالة، ليكون ما في المعنى من الدقة، والطلاقة بإزاء ما في العبارة عنه من الظهور والفصاحة، وكذلك يحتاج السامع إلى إحكام الأصل قبل أن يقصد إلى فهم الفرع، ويحتاج المخاطب إلى ذكر المقدمات إذا كان غرضه أن يفهم المخاطب كلامه. (٥٧٧)

- ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٧٥) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢١.
(٥٧٦) ديوان المتنبي (-/٥٢٥٤م ٩٦٥م) ٢٩١/١ في مدح سيف الدولة وتهنئته بعيد الأضحي.
(٥٧٧) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٦. البيان والتبيين تحقيق هارون ١٤٧/٢، حلية المحاضرة للحاتمي (-/٥٢٨٨م ٩٩٨م) تحقيق الدكتور جعفر الكتاني ١٧٨/٢، المثل الصائر ٢٢٤/٢، الطراز ٦٦/٢ (الألفاظ والأحجية)، خزانة الأدب للحموي ٢٩٢، شرح عقود الجمان ١٢١، أنوار الربيع ٤٠/٦.

٥- اللفز (أو الإلغاز) في ضوء الفصاحة والبلاغة والتقد:
(اللفز الكلام واللفز فيه: عَمَى مراده وأضمه على خلاف ما أظهره، واللفز ما اللفز من كلام فشب معناه، واللفز، الكلام الملبس، وقد ألفز في كلامه بلفز إلغازاً إذا ورى فيه وعرضه ليخفى). (٥٧٨)

وقد تناوله ابن سنان اذ يقول: (إن الموضوع على وجه الإلغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه، وجعل ذلك فتناً من الفنون التي يستخرج بها إلهام الناس وتمتحن أذهانهم). (٥٧٩)

والعلة في ذلك: (لما كان وضعه على خلاف ما وضع الكلام في الأصل، كان القول فيه مخالفاً لقولنا في فصيح الكلام... صار يحسن في ما كان ظاهره يدل على التناقض أو ما جرى مجرى ذلك). (٥٨٠)

ومن أمثلة ذلك قول أحد الشعراء:
تحيا إذا ما رؤوسنا قطعت
وهي في الليل أنجم زهر. (٥٨١)
وقال المعري (-/٥٤٤٩م ١٠٥٧م)
وجبت مرايا كان إكامه
جوار ولكن ما لهن يهود. (٥٨٢)

-
- (٥٧٨) اللسان (لفز).
(٥٧٩) مر القصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٦، ٢٢٧.
(٥٨٠) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٦.
(٥٨١) لعل القائل مجهول، لم أقف على نسبه ولا على مقلان روايته، مر القصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٦.
(٥٨٢) اللزومات - لزوم ما لا يلزم - للمعري (-/٥٤٤٩م ١٠٥٧م) ٢١٤/١ طبعة دار صادر بيروت ١٢٨١/١٩٦١م.

تمجس حرياء الهجير وحوله رواهب خيط والنهار يهود.

لقد ألف أبو العلاء المعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) في (جوار) عن الجواري من الناس، وهو يقصد جريانهن في السراب، وفي قوله (يهود) من نهود الجواري، وهو يعني بذلك (نهوض) أي كأنهن يجرين في عرض هذا السراب، وليس لهن في الواقع نهوض، وأيضاً (تمجس حرياء) أي كأنه عند استقبال الشمس شبيه بالمجوسي الذي يعبد هذا الكوكب ويسجد له، وقد جعل الرواهب النعام لسواها، "يهود" يرجع إلى من يلفز بذلك عن اليهود لما ذكر المجوس والرواهب.

وقول أبي تمام (-٥٢٢١/٨٤٥م)

أهـ عوادي يوسف وصواحيه
فرضاً قديماً أدرك السؤل طالبه. (٥٨٢)

وقد عرض هذه القصيدة على أبي العيثل صاحب عبدالله بن مظهر وشاعره، فقال له أبو العيثل عند إنشاده أول القصيدة: لِمَ لم تكلم يا أبا تمام من الشعر ما يُفهم؟ فقال: وأنت يا أبا العيثل لم لم تفهم من الشعر ما يُقال؟ فاقطع أبو العيثل (-٥٢٤٠/٨٥٤م). ويقول الخفاجي: (إن الذي قاله أبو تمام وأبو العيثل صحيح، لأن أبا العيثل طلب من أبي تمام - إذا كان حاذقاً في صناعة الشعر وقد قصد مثل عبدالله بن مظهر (-٥٢٢٠/٨٤٤م) في المديح، أن يكون شعره مفهوماً واضحاً يسبق معناه لفظه، فكان هذا من أبي العيثل كلاماً صحيحاً في موضعه، وطلب أبو تمام من أبي العيثل إذا كان يدعي علم الشعر ويتحقق بالأدب؛ ويخدم عبدالله بن مظهر في اعتراض قصائد الشعراء وترتيبهم على مقدار ما يستحقه كل منهم بحظه في الصناعة أن يكون يفهم صاني الشعر، ويطلع على المعاصر والظاهر منها). (٥٨٤)

وكان هذا أيضاً من أبي تمام (-٥٢٢١/٨٤٥م) كلاماً صحيحاً؛ وكان فيه بمنزلة من يقول لصاحبه: لِمَ فعلت ذلك القمل وهو قبيح؟ فيقول: كما فعلت أنت ذلك القمل الآخر وهو قبيح؟ فيكون كل واحد منهما قد أجاب من طريق الجدال، وإن كان لم يدل على أنه أصاب أو أخطأ صاحبه). (٥٨٥)

٥٨٢) ديوانه/تبريزي/تحقيق عزام ٢١٦/١، الموازنة تحقيق سقر ١٧/٢، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٧.

٥٨٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٧. وعبد الله بن مظهر بن الحسين الخزاعي أمير خراسان وأشهر الولاة في العصر العباسي توفي (-٥٢٢٠/٨٤٤م). أنظر وفيات الأعيان تحقيق الدكتور إحسان عباس ٨٢/٢. وأبو العيثل الأعرابي: كان على خزانة لعبد الله بن مظهر بخراسان (-٥٢٤٠/٨٥٤م). أنظر وفيات الأعيان ٨٩/٢. (عبد الله بن حُلَيْد). ٥٨٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٨.

يستوجب إجهاد الفكر والتعمق إلى المستوى الثالث من البناء اللفظي لفهمه من باب التأويل والانتجاع والمثابة. ولذا فعلى الناقد أن يدرك هذه الأمور جيداً، ويساير مواضع الخفاء والتجلي. ويقابل هذا كلام ظاهر المعنى (المعنى المباشر الناتج عن البناء السطحي) ولا يحتاج إلى أعمال الفكر في فهمه، ومن هذا القبيل عامة شعر البحتري وهو على خلاف شعر المتنبي الذي انتقد صاحب أبو القاسم بن عباد (-٥٢٨٥/١١٥م) رحمه الله حتى أنه كان يسمي أبياته (رُقى القارب) (٥٨٦) لأجل ذلك الغرض. ويقول ابن سنان: (إن الناس لا يزالون إلى يومنا هذا في اختلاف طائي بعضها). (٥٨٧) وكل يذهب إلى فن ويسبق خاطره إلى غرض (٥٨٨) من ذلك قوله:

ذم الزمان إليه من أحبته
ما ذم من بذره في حَمْدِ أحمد. (٥٨٩)

وقوله:
عيون رواحلي إن حرت عيني
والنصيحة في هذا قول بشر بن المعتمر (-٥٢١٠/٨٢٥م) في وصيته: (إياك والتوغر في الكلام، فإنه يسلمك إلى التعميد، والتعميد هو الذي يستهلك معانيك، ويمنعك من مراميك) (٥٩١). وفي هذا يقول الجاحظ (-٥٢٥٥/٨٦٨م):
(ينبغي أن يكون الاسم للمعنى طبقاً، وتلك الحال له وقفاً، ولا يكون الاسم لا فاضلاً ولا متصراً ولا مشتركاً ولا مضماً). (٥٩٢)

٥٨٦) الكشف عن مساوي المتنبي ص ٤٥ تحقيق آل ياسين، يتيمة الدهر ص ١٦٢/١ تحقيق محي الدين.

٥٨٧، ٥٨٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٨.

٥٨٩) ديوانه/عكبري/٢/٨٠، سر الفصاحة ص ٢٢٨.

٥٩٠) ديوانه/عكبري/٤/١٤٢، سر الفصاحة ص ٢٢٩. حرت: تحيرت، الباطم: صوت الناقة، الموهق: لا يفصح به، رازحة: هالكة.

٥٩١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٩ وأنظر الوصية في البيان والتبيين ص ١٢٥-٩٢/١. بشر بن المعتمد اتهم إليه رئاسة المعتزلة ببغداد (-٥٢١٠/٨٢٨م) أنظر الملل والنحل للشهرستاني ٨١/١، لسان الميزان لابن حجر ٢٢/٢. (٥٩٢) العبارة في البيان والتبيين ٩٢/١.

٦- الإرداف والتسبيح:

(الإرداف من أردف، يُقال: أردفه، أي ركب خلفه، أي حمله خلفه على ظهر الدابة، فهو رديف وردف). (٥٩٢)

أما عند ابن سنان فهو ضرب من نعت الفصاحة والبلاغة وهو: (أن تراد الدلالة على المعنى فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة فيكون في ذلك التابع دلالة على المتبوع، وهذا يسمى الإرداف والتسبيح لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص لذلك المعنى وتابعه). (٥٩٤)

وإذا اتضح هذا في أذهانتنا نرى مدى هذا التنظير في الأمثلة التطبيقية: يقول عمر بن أبي ربيعة (عمر بن عبدالله - ٥٩٢/٧١١م) .

بعيدة مهوى القرط إما لنوئل أبوها وإما عبد شمس وهاشم. (٥٩٥)

أراد الشاعر أن يصف هذه المرأة بطول العنق، لو كان تمييز الموضوع له تقال: طوييلة العنق، فلم يقل، وجاء بغير ذلك من لفظ دال عليه، وليس هو الموضوع له فكان قوله: (بعيدة مهوى القرط)، فدل ببعده مهوى قرطها على طول الجسد، وجاء ذلك على وجه من وجوه المبالغة، الشيء الذي ينعدم في الخطاب الصريح الشفاف، وأن التلميح الموحى (الخطاب المتبسم) أدل وأوحى وأوسع من الأول، على البيان التالي:

٥٩٢ (اللمان ردف).

٥٩٤ من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٠، وأنظر نقد الشعر ص ١٧٨، جواهر الألفاظ ص ٧ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (-/٥٢٧٦م) ص ٢٥٠ تحقيق السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٢٧٤/١٩٥٤م. البديع لابن المعتز ص ١١٥ تحقيق عبد المنعم خطاجي، الصناعات تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٢٥٠، العدد ٢١٢/١ (تحقيق محي الدين)، الوافي للتبريزي ص ٢٦٥، قانون البلاغة ٤١٨، ٤٢٩، الجاسع الكبير ص ١٦٠، خزانة الأدب ٢٧٦، شرح عقود الجمان للسيوطي (-/٥٩١١م) ص ١١٧، أنوار الربيع ٥١/١ وأنظر مصطلحات الدكتور مطلوب ٨٩/١، ٩٠.

٥٩٥ ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي (-/٥٩٢٣م) ص ٢٠٨ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط٢/السادة بمصر ١٢٨٠/١٩٦٠م.

١ - كل بعيدة مهوى القرط = طويلة العتق - خطاب ملتبس على جهة المبالغة. ٢ - كل طويلة العتق ≡ طويلة العتق - الخطاب الملتبس ≡ الخطاب الشفاف ≡ المعنى المباشر ≡ المعنى الانطباعي التأويلي مع وجود قرينة رابطة للطرفين. والملاحظ أن بين المستويين الدالين فرقاً في مسألة الطول، إذ أن الموضع موضع حسن وجمال، فلا يجب أن يكون مفرطاً فيقبح، وخير ما يعبر به عن ذلك ما قاله عمر في هذا القيل. وهذه السقطة هي المحببة للناس. ومن ذلك قول امرئ القيس:

وتضحى قبيث المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تتطرق عن تفضل. (٥٩٦)

فالشاعر يقصد إلى سقطة ترقه ويدخ هذه المرأة، فقال: نؤوم دلالة على ذلك، وأما ذلك (فتات المسك فوق فراشها) و(لم تتطرق لتقوم بشؤونها لوحدها). فكان التعبير النائب عن ذلك بخطاب ملتبس يفضي إلى تأويل وانطباع في فهم فحواه، على درجة عالية من الشعور والتأثير، الشيء الذي ينعدم في الخطاب الشفاف الصريح. وقوله أيضاً:

وقد اغتذي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيك. (٥٩٧)

فنحن في هذا المقام أمام مستويين من القول كما أسلفنا:

١ - خطاب لفظي شفاف ودلالته صريحة (بمنجرد مربع)، وهذا يعني أنه متمكن من مطاردة الوحوش.

٢ - خطاب ملتبس ودلالته تأويلية ذاتية انطباعية (بمنجرد قيد الأوابد) وهذه عبارة فيها مبالغة وإيحاء واسع الرحاب، أي أنه بسرته قادر على جعل الأوابد تتعبد نتيجة قصور جريها عن جري القوس. فالقلب له والامتداد للوحوش. وهذا شبيه إلى حد ما في الاتجاه بيت عمر بن أبي ربيعة (٧١١/٥٩٢م) في (بعيدة مهوى القرط) حيث السار الفني. وهذا شيء من المبالغة بمكان لما فيه من ممتة واستئناس وحرية خيال، ينبجس عن وحي العبارة. وهذا أحد الأبعاد الإردافية وحسنها.

ومن الشر قول أعرابية وسفت رجلاً فقالت: (لقد كان فيهم عمار وما عمار؟ طلاب بأوتار، ثم تخمد له قط نار). (٥٩٨) فانظر إلى قولها: (لم تخمد له قط نار) (٥٩٩). فانظر إلى قولها (لم تخمد له قط نار) وهو الملتبس ذو الدلالة الانطباعية، وصراحته (كثرة إطعامه الطعام).

- ٥٩٦) ديوانه ص ١٧ تحقيق أبو الفضل، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٢٠.
٥٩٧) ديوانه ص ١٩، تحقيق أبو الفضل، سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٢١.
٥٩٨، ٥٩٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢١.

وكذلك قول الأخرى: (له إبل قليلات المسارح، كثيرات المبارك، إذا سمن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك) (٦٠٠). والمعنى أن الرجل كثير النحر لدبل ليقدمها للضيوف، فهي أبداً قريبة من الدار لهذا الغرض وقد عودها صاحبها على المزهر (٦٠١) الذي يطني به، حتى إذا سمعت هذا الصوت أدركت أن مآلها إلى النحر. فما أبلغ هذا القول إذ أن إثراء خفي خلف السطور الموحية، وكان ذلك أحسن من لو أنها قالت: (كثير النحر لضيوفه، وقد عود إبله على صوت المزهر لتعلم ماعة الهلاك. ويجري هذا مجرى قول عمرو بن معد يكرب: الضاريين بكل أبيض مُخْدِمٍ والطاعين مجامع الأضفان) (٦٠٢).

٧ - التمثيل :-

فهو عند الخفاجي: (من دعوت الفصاحة والبلادة أن يراد معنى فيوضح بالفاظ تدل على معنى آخر، وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود، وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الإيجاز أن تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة، وهذه فائدة في جميع العلوم لأن المثال لا بد أن يكون أظهر من المثل، فالفرض بإيراد إيضاح المعنى وبيان) (٦٠٢).

وقد أثار هذه القضية كثير من علماء البيان وثقاد الشعر كأبي عبيدة (٦٠٤) (٥٢٠٩/٨٢٤م). وقداسة بن جعفر (٦٠٥) (-٥٢٢٧/١٤٤٨م) وأبي ضلال العسكري (٦٠٦) (٥٢٩٥/١٠٠٤م) وابن رشيق (٦٠٧) (-٥٤٥٦/١٦٠٢م) وعبد القاهر الجرجاني (٦٠٨) (٥٤٧١ أو ٥٤٧٤/١٠٧٨م أو ١٠٨١م) وغيرهم. ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى (١٢-هـ):

(٦٠٠، ٦٠١) سر الفصاحة ط. دار الكتب ص ٢٢١. تعود الحيوان على سلوك معين من باب فعل الشرط المنعكس والاستبصار. (تعلم الحيوان من طريق الفريزة). (٦٠٢) شعر عمرو بن معد يكرب ص ١٦٢. تحقيق مطاع الطرايشي، الموازنة تحقيق سقر ٢٩٦/١، الصناعتان ص ٢٢٤ تحقيق البجاوي ورفيقه؛ سرالفصاحة ص ٢٢٢. مخذم: سريع البتر. الأضفان: مفرداها ضفينة وهي الكراهية والتناغر والحدق. (٦٠٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٢، وأزن مع نقد الشعر ١٨٢، جواهر الألفاظ ص ٧.

(٦٠٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٦٩/١.
(٦٠٥) نقد الشعر ص ١٨٢ (تحقيق كمال مصطفى).
(٦٠٦) الصناعتان تحقيق البجاوي ص ٢٥٢.
(٦٠٧) الصمد ٢٨٠/١ تحقيق محي الدين.
(٦٠٨) أسرار البلادة ٨٤، دلائل الإعجاز ٥٤. وأنظر أيضاً مفتاح العلوم للسكاكي ١٦٤.

ومن يصح أطراف الزجاج فإنه يطبع العوالي ركبت كلّ لَهْذَم. (٦٠٩)
بدل أن يقول (ومن لم يطع باللين أطاع بالعنف) (٦١٠) ب (ومن لم يطع زجاج الرماح أطاع
الأسنة) (٦١١) وبهذا التمثيل يكون الكشف والبيان للمعنى أكثر.

ومن أمثلة الشر في ذلك ما كتبه الوليد بن يزيد حين بويح إلى مروان بن محمد وقد
بلغه توقفه عن مبايعته: (أما بعد: فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا
فاعتمد على أيهما شئت والسلام). (٦١٢)

ومن ذلك أيضاً ما كتبه الزجاج إلى المهلب (-/٥٨٢-٧٠٢م) حين حظه على قتال
الأزارقة وتوعده له حيث قال: (فإن كنت فعلت ذلك، وإلا شرعت إليك صدر الرمح) (٦١٣)
فأجابه المهلب: فإن يشرع الأمير إليّ صدر الرمح قلبت له ظهر الجحش (٦١٤).
وحسن هذا الكلام لما فيه من كشف الدلالة والإيجاز والتمثيل الوارد في ركب ذلك.

ثانياً: المعاني مفردة في ضوء الفصاحة والبلاغة والتقدم:

ينطلق ابن سنان في هذا المضمار من الشروط التالية:

(٦٠٩) ديوان زهير/ صنعة ثعلب ص ٢١. الزجاج: مفرد زج وهو حديد أسفل الرمح والقصد:
لا يطمئن به، وهو المصالحة والسلام. العوالي: من الرمح: ما يطمئن بها. اللهزم: القاطع الحاد
أي أن من يعصي الصغير من الأمور يصير إلى الكبير من الأمور. وأنظر أيضاً: نقد الشعر تحقيق
كمال ١٨٢، الصناعتين ٢٥٥، الموضح ٢٨٧.

(٦١٠) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٢ بتصرف في العبارة.

(٦١١) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٢ بتصرف في العبارة.

(٦١٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو العباس (-/٥١٢٦-٧٤٢م). أنظر ابن
الأثير الكامل في التاريخ ١٠٢/٥، ابن خلدون ١٠٦/٢، تاريخ الطبري ٦٥/٨. من الفصاحة
ص ٢٢٢، البيان والتبيين تحقيق هارون ٢٠٢/١. نقد الشر المنسوب لقدامة ص ١٠٠، ١٠١
تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي والنس هناك.

(٦١٣، ٦١٤) المهلب بن أبي سفرة (أمير بطامي) (-/٥٨٢-٦٢٨-٧٠٢م). أنظر وفيات
الأعيان ١٤٥/٢.

- ١ - اعتماد المعاني المنفردة التي تستعمل في صناعة تأليف الكلام المنظوم والمثثور. (٦١٥).
- ٢ - تبيان كيف يقع الصحيح فيها والقاسد والنام والناقص. (٦١٦)
- ٣ - مراعاة جاذب التلقي وقدراته إزاء هذه القضية. (٦١٧)
- ٤ - عزل المعاني عن الألفاظ من باب مواضعها، والفروق الفردية للناس إزاء اللفظ. (٦١٨)
- ٥ - ميار المعاني هو العقل وصفاء الذهن. (٦١٩)
- ٦ - للمعاني في الوجود أربعة مواضع:
 - ١) وجودها في نفسها. (٢) وجودها في أفعال المتصورين لها.
 - ٣) وجودها في الألفاظ الدالة عليها.
 - ٤) وجودها في الخط الذي هو أشكال تلك الألفاظ المعبر بها عنها.

ويفرد قاعدة أساسية في حدود الشروط المرسومة التي يعتمد عليها في مشروع هذا، وأخصها ارتكازاً القسم الثاني (الموجودة في الألفاظ الدالة عليها) إذ يقول: (وإذا كان هذا مفهوماً قاناً في هذا الموضع إنما تتكلم عن المعاني من حيث وجدت في جميع الألفاظ، بل من حيث توجد في الألفاظ المؤلفة المنظومة على طريقة الشعر والرسائل وما يجري مجراها قطعاً، إذ كان ذلك هو مقصودنا في هذا الكتاب). (٦٢٠)

٧ - الأوصاف التي تطلب من هذه المعاني هي الصحة والكمال والبساطة والتحرز مما يجب الطعن فيه والاستدلال بالتمثيل والتعليل وغيرها. (٦٢١)

٨ - الصحة في التقسيم: أن تكون الأقسام المذكورة، لم يخل بشيء منها، ولا تكررت ولا دخل بعضها تحت بعض. (٦٢٢) وهذه الشروط في حقيقة أمرها مقاييس بموجبها يُعَيَّر الناقد والبلدغي التأليف والنظم السليم في الكلام.

١ - صحة التقسيم:

صحة التقسيم إحد الشروط والمعايير المهمة والخطيرة في ممارسة ابن سنان. فما

٦١٥ ، ٦١٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٢. البيان والتبيين تحقيق هارون ٢٥٢/١. وأنظر مجمع الأمثال تحقيق محي الدين ١٠١/٢ وتفصيل القضية في الكامل للمبرد تحقيق شحاتة ٢٧٠/٢. المجن: الترس الصلب. شرع: صوب. أنظر اللسان (شرع) يعني: أظهر.

٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٤-٢٢٥.

التقسيم إذن؟ (قسم: جزأ، والتقسيم هو الجزئة والتفريق) (١٢٢). وأما مفهومه لدى الخفاجي فيجري مجرى قدامة (-٥٢٢٧/١٤٤٨م) على وجه الخصوص، القائل: (أما الصحة في التقسيم، فإن تكون الأقسام المذكورة لم يخل بشيء منها ولا تكررت ولا دخل بعضها تحت بعض). (١٢٤)

وقد تناول هذا الفن بالدراسة علماء مختصون (١٢٥)، وعلق عليه الدكتور أحمد مطلوب تعليقاً مناسباً إذ قال: (وهو من الأماليب المريقة في اللغة العربية) (١٢٦). وإذا رجعنا قليلاً نجد الجاحظ (-٥٢٥٥/٨٦٨م) يذكر على لسان عمر بن الخطاب (-٥٢٢/١٤٤٢م) رضي الله عنه حين ارتضى شعر زهير (-١٢٠ق هـ) حيث قال معبراً عن ذلك متجهاً (من علمه بالحقوق وتفصيله بينها وإقامته أقسامها). (١٢٧)

١٢٢) اللسان (قسم) وأنظر البيان والتبيين. تحقيق هارون ١/٢٤٠، الحيوان ٢/٤١٦، نقد الشعر تحقيق كمال ١٤٩ جواهر الألفاظ ص ١٦، الساعاتين تحقيق البجاوي ورفيقه ٢٤١، نهاية الأرب ٧/١٥٢، العمدة ٢/٢٠، دلائل الإعجاز ص ٧٤، المثل السائر ٢/٢٠٤، الجامع الكبير ٢١٨، المفتاح ٢٠١، أنوار الربيع ٥/٢٩٢، الموشح ١٢٤، قانون البلاغة ٤١٤، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٢٥، مصطلحات الدكتور مطلوب ٢/٢٢٩، نقل عن البيان ١/٢٤١. وأنظر حسن التومل ٢٨١، البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ (-٥٥٨٤/١١٨٨م). تحقيق الدكتور أحمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد ص ٦١ ط. البابي الحلبي. القاهرة ١٢٨٠/١٩٦٠م.

١٢٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٥.

١٢٥) المصدر السابق ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٥ وازن مع المصادر السابقة: كلها تنفق في القصد.

١٢٦) مصطلحات الدكتور أحمد مطلوب ٢/٢٢٩ (ينقل عن البيان ١/٢٤٠).

١٢٧) عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين (-٥٢٢/١٤٤٢م) تاريخ الطبري ١٧٨-٢١٧، ابن الأثير ٢/١٩. وأنظر الخبر في البيان والتبيين تحقيق هارون ١/٢٤٠.

ويجدر بنا بادىء ذي بدء الدخول الملائم بمثال لزهير الذي يتضمن من جيد التقسيم، وهو أداء شغف به أمير المؤمنين عمر (ش). قال زهير:

وإن الحق مقطعه ثلاثٌ يمين أو نَقَّارٌ أو جلاءٌ. (٦٢٨)

ثم إن أحسن وصية نهدي بها في هذا القبيل تنبيه قدامة بن جعفر (-٥٢٢٧/١٤٤٨م) إذ يقول: (فمن سحة التقسيم: وهي أن يتدبّر الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها، ولا يطادر قسماً منها) (٦٢٩). ومن أمثلة ذلك قول نصيب:

قال فريق القوم لا وفريقهم ثم وفريق قال ويحك ما ندري.

فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام. قال زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا ألعنوا شاربٌ حتى إذا شاربوا اعتنقا. (٦٢٠) وهذا تقسيم صحيح.

(٦٢٨) ديوانه صنعة ثعلب ص ١٢. وانظر البيان والتبيين ١/٢٤٠، الحيوان ٢/٤٦، الوصاة ٤٧.

(٦٢٩) نقد الشعر ١٤٩، جواهر الأنفا ص ١٦، وأزن مع مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٥.

وما أحسن ما قاله الحارثي:
فكذبت طرفي^١ والطرف سادق
وأسمعت أذني^٢ فيك ما ليس تسمع. (٦٢١)
وما أسكن الأرض التي تسكنها
لئلا يقولوا سابر ليس يجزع
فلا كمدي يعني ولا لك ذمة
ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع
وهذه الأقسام كلها صحيحة.

ومن الشر قول البعض: (فألك لم تحل فيما أبدأني به من مجد أثنته أو شكر تمجّلت به أو
أدخرته أو متجر اتجرته، أو من أن تكون جمعت ذلك كله). (٦٢٢)
لم يبق في هذا المعنى قسم لم يأت به، ولا من الأقسام شيء تكرر.

أمثلة من التقسيم الفاسد:

وفي هذا الجانب يظهر انتقاد ابن سنان للمواطن السلبية، ومن ذلك قول جرير
(١١٠هـ/٧٢٨م)

سارت حنيقة ألداء فشلتهم^٣ من العبيد وثلثت من مواليها. (٦٢٣)
قسمة فاسدة من طريق الإخلال، فقد أغفل قسماً منها، وهي ثلاثة ألداء. وقد قيل:
إن بعض بني حنيقة سأل: من أي الألداء هو من بيت جرير؟ فقال: هو من الثلث
الملهي). (٦٢٤) وفي اعتقادنا أن الشاعر وجد نفسه مضطراً للاقتصار على ذلك تحت ضغط
الوزن والقافية من جهة، ومن جهة أخرى إقامة البيت على ضرب يحتمل مجهولة معروفة. فهو

(٦٢١) شعر النجاشي الحارثي جمع الدكتور سليم النعيمي، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٢ ص
٩٥-١٢٢ بغداد، مجلة البلاغ تصدر عن الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية - العدد ٤/المئة
١٤/٦٤. طبعة المعارف-بغداد-الكاظمية. العراق. الحامسة البصرية للبصري (صدر الدين علي بن
أبي الفرج بن الحسين - ٦٥٩هـ/١٢٦٠م) ١١٤/٢ ط. مختار الدين أحمد. حيدر آباد الهند
١٢٨٢هـ/١٩٦٤م.

(٦٢٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٦.
٦٢٢، ٦٢٤) ديوان جرير بن عطية (١١٠هـ/٧٢٨م) تحقيق نعمان أمين طه ٥٤٥/٢ دار
المعارف بمصر ١٢٨٩هـ-١٢٩١هـ/١٩٦٩م-١٩٧١م. وأنظر نقد الشعر ص ٢٢٨ (باب عيوب
المعاني: فساد التقسيم). الصناعتين تحقيق الجاوي ورفيقه ٢٤٢، سر الفصاحة ط. دار الكتب
٢٢٦، في هجاء بني حنيقة.

قائم على معلومين (الثلثين المذكورين) ومجهول واحد (الثالث الملقى، وهذه أقرب ما تكون إلى قاعدة رياضية منطقية، زادت البيت جمالاً لجعلها القارئ يفكر بمتعة. ثم إن الثالث الذي لم يذكر معروف من حيث طبقة المجتمع. ولأجل هذا حسن، ولأن الشعر يعتمد الشعور والتأثير إلى جانب نكهة فكرية توجه الدلالة وتساعد على رسم الصورة البانية والفنية، والمعلوم قرينة على المجهول.

ومن ذلك قول أبي تمام (- ٢٢١هـ/٨٤٥م)
قسم الزمان ربوعها بين الصبا وقبولها ودبورها أملاثا. (٦٢٥)
وقول هذيل الأشجعي:
فما برحت إلي بطرفها وتومض أحياناً إذا خصمها غل. (٦٢٦)
والسبب في ذلك - تومض بطرفها وتومض بمعنى واحد.
ومن فساد التقسيم في الشعر: كتب بعضهم إلى عامل من قبله: (ففكرت مرة في عزلك وأخرى في صرفك وتقليد غيرك). (٦٢٧)

فالخلل من قبيل التكرار ومن ذلك أيضاً من باب التداخل ما كتبه البعض في فتح فقال:
(فمن بين جريح مضرج بدمائه، وهارب لا يلتفت إلى ورائه). (٦٢٨)
فالتسمان يدخل بعضهما في الآخر، لأن الجريح قد يكون هارباً، والهارب أيضاً قد يكون جريحاً، فوقع الفساد.

٢ - الاستحالة والتناقض:

مقياس ثنائي خطير في عالم البلاغة. فلماذا الاستحالة والتناقض في رحاب البلاغة وفي

٦٢٥ ديوان أبي تمام بشرح التبريزي/تحقيق عزام ٢١٢/١.
٦٢٦ هذيل الأشجعي من شعراء الكوفة (- ١٢٠هـ/٧٢٧م)، وأنظر نقد الشعر ٢٢٦، الموشح ١٢٤، الساعاتين ٢٤٤، حكمة البحري ٢٢٧، معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٨٢ ط. القدسي. جمهرة أنساب العرب لابن حزم (أبي محمد علي بن أحمد - ٤٥٦هـ/١٠٦٦م) تحقيق عبد السلام هارون ص ٤٩ دار المعارف بمصر ١٢٨٢هـ/١٩٦٢م.
٦٢٧ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٧، نقد الشعر ٢٢٧ (يتقل عنه) الموشح ١٤٤.

٦٢٨ المصدر السابق ص ٢٢٧، الساعاتان ٢٤٢، نقد الشعر ١٧٢، الموازنة ٢/٢٠٠، أمالي المرتضى تحقيق إبراهيم أبو الفضل ٦٢٦/١.

ضوء النقد؟ وفي هذا الصدد يقول الخفاجي مقدياً بقدامة (-٥٢٢٧/١٤٤٨م): (وأعني بقولي من جهة: أنه قد يجوز أن يجتمع في كلام مشور أو منظوم متقابلان من هذه المتقابلات، ويكون ذلك الاجتماع من جهتين، لا من جهة واحدة، فيكون الكلام مستقيماً غير محال ولا متناقض، مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاف: إن العشرين مثلاً ضعف وانها نصف، لكن يقال: إنها ضعف الخمسة ونصف العشرين. فلا يكون ذلك محالاً إذا قيل من جهتين، فأما من جهة واحدة كما إذا قيل: إنها ضعف ونصف لخمسة فلا). (٦٢٩)

وعلى هذا يجوز:

- ١- اجتماع المتقابلات من طريق العدم والقنية من جهة: زيد أعمى بصير القلب: (صحيح) وأما على جهتين: زيد أعمى العين بصير فلا يجوز. (٦٤٠)
- ٢- اجتماع المتقابلات من طريق التضاد: بارد عند الحار وحار عند البارد: لا يجوز على جهة واحدة. (٦٤١)
- ٣- اجتماع المتقابلات من طريق النفي والإثبات: زيد جالس وغير جالس في الوقت نفسه: لا يجوز على جهة واحدة. (٦٤٢)

وإن الذي يقع في النظم والشر من هذا التناقض عيب في المعاني، يؤثر سلباً على البلاغة، إلا أنه يجوز أن يكون في البيت شيء وفي بيت آخر ما يتعاضد؛ كأن تدم في بيت على وجه، وتصدح في بيت آخر على الوجه نفسه، والعلّة في ذلك (أنهم اعتقدوا أن كل بيت قائم بنفسه، فبحر البيتان مجرى قصيدتين، فكما جاز للشاعر أن يتناقض قصيدتين كذلك جاز له أن يتناقض في بيتين). (٦٤٢) فاليست إذا تدا البيت وكان معنى كل واحد منهما متعلقاً بالآخر، فلن يجوز أن يكون في أحدهما ما يتناقض الآخر.

إذن فالتاعدة التي تجيز هذا الاتصال والتعلق، ودليل ذلك قول الجاحظ: (إن العرب

(٦٢٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٢٢٨، ٢٢٩ وأزن مع نقد الشعر ٢٢٢٢، ٢٢٢.

(٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٢٢٨، ٢٢٩.

(٦٤٢) المصدر السابق ص ٢٢٩.

تمدح الشيء وتذمه، لكنهم لا يمدحون الشيء من الوجه الذي يذمون به). (٦٤٤) ويقول: (وكانوا يمدحون شدة العارضة وقوة المنة وظهور الحجة وثبات الجنان وكثرة الريق والعلو على الخصم، ويهجون بخلاف ذلك). (٦٤٥) ويصبر إليه الخفاجي الذي يتأثر به إذ يستدل برأيه في قوله: (وما أحسن ما قال أبو عثمان، لعمري إنهم على ذلك يتصرف قولهم). (٦٤٦)

ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام في وصف الفراق بالطول: يوم الفراق لقد خلقت طويلاً لم تبق لي جلدأ ولا معقولا. (٦٤٧) قالوا الرحيل فما شككت بأنها نفسي من الدنيا تريد رحيل. علل الطول من جراء مطاوعة الوجدانية أثناء رحيل أحبته. وقول البحتري (-٥٢٨٤/٨٩٧م)

ولقد تأملت الفراق فلم أجد يوم الفراق على امرئ بطويل. (٦٤٨) قصرت مسافته على متزود منه لدهر صباية وغليل. فأما هو فقد علله باجتماع شمل المحبين للوداع، وتزود منه لأيام التأني عنه. فانظر إلى البيتين واجعل نصب عينيك قاعدة (التناقض والاستحالة) وحاول أن تجمعهما على جهة واحدة أو على ضرب الاتصال والتعلق، تجد التناقض والاستحالة قائمين، فأما وهما على الانفصال فجائز والاستحالة منفية (وعلى هذا الطريق يحسن وقوع الخلاف في أغراض الشعراء). (٦٤٩)

ومن التناقض قول عبدالرحمن بن عبدالله القصي: أرى هجرها واقتل مثلين فاقصروا ملاكم قاتلت أغنى وأيسر. (٦٥٠) (الهجر والقتل مثلان) سلبهما (فاتلت أغنى وأيسر). ولو قال: (بل القتل أغنى وأيسر) لاستقام الشعر، فكانه قال: إن القتل مثل الهجر وليس مثله. وهذا هو التناقض الذي وقع فيه

-
- ٦٤٤، ٦٤٥ البيان والتبيين تحقيق هارون ١/١٧٦.
 ٦٤٦ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٤٠ وازن مع البيان والتبيين ١/١٧٦.
 ٦٤٧ ديوانه بشرح التبريزي تحقيق عزام ٢/٦٦ والأول في الموازنة تحقيق سقر ٢/١٤.
 ٦٤٨ ديوانه/الصيرفي ٢/١٦٦٢، سر الفصاحة ٢٤٠، الموازنة تحقيق سقر ٢/١٤.
 ٦٤٩ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٤٠.
 ٦٥٠ أنظر نقد الشعر ٢٢٩، الموشح ٢٥٢، الصاعطين تحقيق البجاوي ورفيقه ٨٩ تحقيق الدكتور مفيد قميحة ص ١٠٥.

الشاعر. ويقول قدامة (-٥٢٢٧/١٤٤٨م): (ولو قال (بل) لكان الشعر مستقيماً، لأن مقام لفظة (بل) مقام ما ينفي الماضي، ويثبت المستأنف، لكنه لما لم يقلها وأتى بجمع الإثبات وثنيه استحال شعره). (٦٥١)

وما يوافق ما أراد. قدامة (-٥٢٢٧/١٤٤٨م) في قدمه يوافق ما جاء به زهير بن أبي سلمى (-١٢٥ق هـ) في قوله:
حيّ الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم. (٦٥٢)

وفي هذا البيت عيب من القبيل الذي يسير عليه، إلا أنه تدارك الموقف بـبلى، ولهذا فهو في نظري الخفاجي غير فاسد، ويستطيع تأويله إلا أنه أراد (لم يعفها القدم غير الريح والمطر). ومن قال، لم يقتل زيداً عمراً بل ضربه بكر لم يكن متناقضاً، وإنما المناقضة أن يقول: لم يقتل زيد عمراً بل قتله زيد، يكون الأول هو الثاني، وهذا واضح). (٦٥٢)

ومما يترسّخ فيه الشك قول المعري (-٥٤٤١/١٠٥٧م):
ولقد سلوْتُ عن الشباب كما ساد غيري ولكن للحزين تذكر. (٦٥٤)
كيف يتزامن السلوان والتذكر، ومن التأويل قد يقصد اليأس من الشباب، وهي سنة جارية مفروضة يحاول المرء نسيانها لعدم التأسى، ولكنه أمر يواظبه أبداً التذكر المنبّه إلى هذا.

ونظير هذا قول أبي نواس (-٥١٩٨/٨١٢م)

٦٥١ نقد الشعر ٢٢٩، سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٤٠ (ابن سنان ينقل عن قدامة). عبد الرحمن بن عبد الله القمي. أنظر الأغاني (ثقافة) ٥/٨.
٦٥٢ ديوان سنة ثعلب ١٤٥. عقا: درس، الأرواح: الرياح، الديم: مطر هاديء يدوم يوماً أو أكثر.
٦٥٢ سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٤١، نقد الشعر ٢٤١ وأنظر انتقاد ابن سنان للأصمدي (-٥٢٧٠/٩٨٠م) في تحامله على أبي تمام في وصف القرم.
٦٥٤ شرح التنوير على مقتب الزند ٤٢/٢، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٤٢، (أي لما أدركت الشباب الذي انقضى، وهو أمر لا ينفع فيه التحسر والندم، وهو أمر نسيته كما فعل غيري لما علم أن السلوان لا يجدي فيه نفعا. ورغم هذا لا ينصح الحزين بالمعزوف عن ذلك، فالنسيان والتذكر سيظلان قائمين).

كان بقايا ما عفا من حبابها تفريق شيب في سواد عذار. (٦٥٥)
تردت بهنم انفرى عن اديها تفري ليل عن بياض نهار.
وسف في البيت الاول الحباب بالبياض قياساً على الشيب وما هو بشيبه للشيب عند قدامة بن
جعفر (-٥٢٢٧/١٤١٨م) الا في البياض. ثم وصف الخمر بالسواد قياساً على سواد العذار، ثم
وسف الحباب في البيت الثاني بالسواد تشبيهاً بتفري الليل، ووصف الخمر بالبياض (بياض نهار)
فكون كل من الحباب والخمر اسود وابيض في آن واحد مستحيل. (٦٥٦)

وحجة قدامة (أن الرجل قد صرح بأنه لم يؤد غير اللون بقوله (عن بياض نهار)
والثانية تشبيهه الحباب الشيب، ويبنى على ذلك:
١- الحباب يشبه الشيب في البياض ققط (تقاطع جزئي).
٢- النهار والليل بينهما ضياء وظلمة.

إن هذه القضية تعود إلى التمييز بين المستحيل والمتنع، وفي ذلك يقول الخفاجي:
(وقد فرق بين المستحيل والمتنع، بأن المستحيل هو الذي لا يمكن وجوده ولا تصوره في
الوهم، مثل كون الشيء أسود أبيض وطالماً نازلاً، فهذا لا يمكن تصوره في الوهم، والمتنع
هو الذي يمكن تصوره في الوهم وإن كان لا يمكن وجوده، فإن التصور في الوهم ممكن، وقد
يصح أن يقع المتنع في النظم والشر على جهة المبالغة، ولا يجوز أن يقع المستحيل
البتة). (٦٥٧)

ومن ذلك قول البحري (-٥٢٨٤/٨٦٢م)
لما مدحتك واقاني دناك على أضعاف ظني فلم أظفر ولم أخب. (٦٥٨)
وهذا ليس من التناقض على وجهين، والمشكل في (لم أظفر ولم أخب) فمعناه لم أظفر بقدر
ما ظنته، لأنه وقع أكثر من ذلك فكانه لم يصدق، لو صدق لكان المقدار موافقاً لما ظنه، لم يخب
لأنه نال ولهذا لم يخب، وهذا صحيح واضح.

٦٥٥ ديوان الحسن بن هاشم ط. الغزالي ص ٤٢٥، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية
٢٤٤، نقد الشعر ٢٢٤ (موقف قدامة).
٦٥٦ نقد الشعر ٢٢٤، سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٤٢.
٦٥٧ سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٤٢، ٢٤٤ وأزن مع نقد الشعر ٢٢٢.
٦٥٨ ديوان الصيرفي ١/١٢٠، سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٤٤ في مدح اسماعيل بن
بلبل عند ولانته الوزارة.

٢ - صحة المقابلة في المعاني:

يقول ابن منان: (ومن الصحة صحة المقابلة في المعاني، وهو أن يضع المؤلف كلام معاني يريد التوفيق بين بعضها البعض والمخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، والأسل في هذه المناسبة فإن لها تأثيراً قوياً في الحسن). (٦٥٩)

فهذا الشرط يوحى بتقيض يقابله يكمن في (فساد المقابلة) وهو الأمر الذي تناوله قدامة بن جعفر (١٤٨/٥٢٢٧م) وإذا كان هذا واضحاً فإن موطن النقد بخامة في فساد المقابلة بحجة أنه أثر سلبى لا يتماشى مع الغاية الخفاجية في هذا المضمار والتي يُمنوئها قدامة بتصحيح المقابلة أو صحة المقابلة عند صاحبنا الخفاجي.

١ - المقابلة الصحيحة:

مثل قول الطرماح:

اسرناهم وأمننا عليهم وأمقينا دماءهم الترابا. (٦٦٠)
فما سبروا لباس عند حرب ولا أدوا لحسن يد ثوابا.

وقول آخر:

جزى الله خيراً ذات بل تصدقت على عزب حتى يكون له أهل. (٦٦١)
فإنما سنجزئها بمثل فعلنا إذا ما تزوجنا وليس لها بعل

فالمقابلة صحيحة: وهي أن تكون المرأة ذات بل وهو لا زوج له، وأن يكون ذا زوج وهي لا بل لها. وقابل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزبة.
ومن الشر قول أبي إسحاق الصابي (١٩٤/٥٢٨٤م): (وأن يخلد في بطون الصحائف غلظنا

٦٥٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٦٧ وأزن مع نقد الشعر ١٤٩ (باب صحة المقابلة) و ١٥٢ (فسادها) جواهر الألفاظ ص ٥ (تصحيح المقابلة). وأظهر الصانعين تحقيق قميعة ٢٢١ (باب المقابلة).

٦٦٠ ديوانه تحقيق عزة حسن ص ٥٦٤. دمشق ١٢٨٨/١٩٦٨م: نقد الشعر ١٥٢ الصانعان تحقيق البجاوي ورفيقه ٢٢٩، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٦٧. (٦٦١) أظهر البيتين في نقد الشعر ١٥٤ الصانعين تحقيق البجاوي ورفيقه ٢٢٩ بلا نسبة.

وغلطك، وإحساننا وإساءتك، وحفظنا وإساعتك). (٦٦٢)

٢- المقابلة القادمة:

قول أبي عدي القرشي:

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس أدت زين الدنا وغيث الجنود. (٦٦٢)
غيث الجنود ليس مقابلاً لزين الدنا ولا موافقاً.
ويشير ابن مثنى إلى أن العرب المتقدمين كانوا يسلكون هذا المنهج، وكان أغلب خروجهم من
النسيب إما متطعماً وإما مبنياً على وصف الإبل التي ساروا إلى المدوح عليها. (٦٦٤)

أ- ما يستحسن من خروج المحدثين:

قال البحتري:

شقائق يحملن الندى فكانه دموع الصابي في خدود الخرائد. (٦٦٥)
كان يد الفتى بن خاقان أرفلت تليها بتلك البارقات الرواعد.

ب- الخروج إلى الذم:

قال البحتري أيضاً:

ما إن يعافى قذى ولو أردته يوماً خلانق حمدويه الأحول. (٦٦٦)

٦٦٢) أبو اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي (-٥٢٨٤/١٩٩٤م) أنظر وفيات الأعيان تحقيق
الدكتور إحسان عباس ١/١٢. النجوم الزاهرة ٢/٢٢٤، يتيمة الدهر ٢/٢٢٢، أعلام الزركلي
١٨٥/٢، ١٨/١. وأنظر النص في المختار من رسائل اسحاق الصابي (إبراهيم بن هلال
(-٥٢٨٤/١٩٩٤م) تحقيق شبيب أرسلان ص ٢٤٥. المطبعة العثمانية بعداً، لبنان
١٨٩٨/٥١٢١٦. وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٦٧.
٦٦٢) البيت في الأغاني (ط. ثقافة) ١١/٢٨٨، وأنظر نقد الشعر ٢٢٩، الصناعتين تحقيق
البجاوي ورفيقه ٢٤٠. سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٦٨ في هشام بن عبد الملك
(-٥١٢٥/٧٤٤م).

٦٦٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٦٨.

٦٦٥) ديوانه/الصيرفي/١/١٢٢، الصناعتان تحقيق البجاوي ورفيقه ٤٥٥، الموازنة تحقيق
سقر ٢/١٩٥، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٦٨. الشقائق: شقائق النعمان، الخرائد جمع
خريدة وهي البكر.
٢٦٦) أنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٦٨.

ج - الخروج المتطلع:

قال أبو تمام:

لو رأى الله أن في الشيب فضلاً جاورته الأبرار في الخلد شيباً. (١٦٧)
كل يوم تبدي سروف الليالي خلقت من أبي سفيد غريباً.

٢ - الاستدلال بالتمثيل:

والتمثيل في هذه الحالة يختلف عن التشبيه المعروف، وهو لدى ابن سنان نمط استدلالى على سبيل التمثيل، وهو القائل فيه: (وأما الاستدلال بالتمثيل فأن يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له). (١٦٨)

وقد تناول هذا الفن علماء مختصون مثل: أبي عبيدة (١٦٩) (-٥٢٠٩/٨٢٤م) وقدامة (١٦٠) (-٥٢٢٧/٩٤٨م) والعسكري (١٧١) (-٥٢٩٥/١٠٠٤م) وعبد القاهر الجرجاني (١٧٢) (٤٧١هـ أو ١٠٧٨/٤٧٤م أو ١٠٨١م) وابن رشيق (١٧٣) (-٥٤٥٦/١٠٦٢م) والسكاكي (١٧٤) (-٥٦٢٦/١٢٢٨م) وغيرهم، ويتفقون في الغاية: وينصب الخفاجي لذلك أمثلة تطبيقية منها قول أبي العلاء المعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) لو اختصرتم في الإحسان زرتكم والمذنب يهجر للدفاط في الخصر. (١٧٥)

- ١٦٧ ديوان بشرح التبريزي تحقيق عزام ١/١٦١، والبيت الأول في الموازنة تحقيق صقر ٢/٢٠٢ (من شعره الجيد). وهما في ٢/٢٩٢، وأنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٦٩ في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الكفري.
- ١٦٨ سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٧٥، ديوان البحتري ١/٣٦٨.
- ١٦٩ مجاز القرآن ١/٢٦٩.
- ١٧٠ نقد الشعر ١٨١، جواهر الألفاظ ٧.
- ١٧١ الصاعقان تحقيق البجاوي ورفيقه ٢٥٢ وتحقيق مفيد قميحة ٢٨٩.
- ١٧٢ أسرار البلاغة ٨٤، دلائل الإعجاز ٥٤.
- ١٧٣ المدة ١/٢٤٧.
- ١٧٤ مفتاح العلوم ١٦٤، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٥.
- ١٧٥ شرح التنوير ١/٤٥، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٥.

دل على أن الزيادة المفرطة في الإحسان قد تكون سبباً لعزوفه عن الزيارة ، ومثل ذلك
بالماء الذي إذا أفرط في برودته جعل شاربهُ يعدل عنه ، رغم أنه شيء بارد مرغوب وهذا من
قبيل التمثيل . ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ملوت أتاح لها لسان حسود . (٦٧٦)
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرَفُ طيبٌ عَرَفَ العود .
وقول البحتري :

ويحسن دلتها والموت فيه وقد يستحسن السيف الصقيل . (٦٧٧)

٢ - الاستدلال بالتمثيل القبيح :

كقول البحتري :

ورجال جاروا خلدنك اللز وليست يلامق من دروع . (٦٧٨)

فهذا ليس استدلالاً بالتمثيل الجيد بحجة أن السبق في الجري لا يليق تمثيله بتفضيل الدروع
على اليلامق ، وكان ذلك مرضياً لو أنه قال : (رجال جاروك في كونهم عصمة لي وجنة دوني ،
أو ما جرى هذا المجرى) . (٦٧٩) فيكون التمثيل بالدروع واليلامق مناسباً ، وأما ما جاء به
فهو رديء . وهذا على خلاف أروع ما قاله النابغة الذبياني (-١٨٠ق هـ) في تمثيل صحيح في
مخاطبة النعمان

ولكنني كنت امرأ لي جادب من الأرض فيه مستراد ومذهب . (٦٨٠)

ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اسطغتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا .

استدل الشاعر بأنه معذور في مدحه آل جفنة الذين أحسنوا إليه ، وضرب لذلك مثلاً بالقوم
الذين قربهم النعمان منه ، فأنعم عليهم حين مدحوه ، فلم يكونوا عند ملومين ، فكيف يلام هو
إذا مدح بني جفنة ؟

(٦٧٦) ديوانه ٢٩٧/١ (لولا استعار النار) ، سر الفصاحة ٢٧٥ .

(٦٧٧) ديوانه تحقيق الصيرفي ١٨٢٢/٢ . وأنظر سر الفصاحة ٢٧٦ .

(٦٧٨) المصدر السابق ١٢٨١/٢ ، وأنظر سر الفصاحة ٢٧٦ .

(٦٧٩) سر الفصاحة ط . دار الكتب العلمية ٢٧٦ .

(٦٨٠) ديوان النابغة الذبياني (-١٨٠ق هـ) تحقيق كرم البستاني ص ١٧ دار صادر بيروت

١٩٦٢/٥١٢٩٢ م .

٤ - الاستدلال بالتعليل:

دخل ابن سنان مباشرة في عرض أمثله التطبيقية في هذه القضية. ولذا فعلينا تعريف هذا الفن ليتضح الأمر ويكون انطلاقتنا على هدي معطيات موجهة. (فلان يعلل نفسه بتعلله، وتعلل به أي تلهى به). (٦٨١)

وقد لُحِج إليه عبد القاهر الجرجاني (٦٨٢) (-٤٧١ هـ أو ٤٧٤/١٠٧٨ م أو ١٠٨١ م) في "حسن التعليل في النظم" وتناوله الرازي (٦٨٢) (-٥٦٠/١٢٠٩ م) في باب "حسن التعليل والحلي النويري (٦٨٤) (-٥٧٢٣/١٢٢١ م) وغيرهم كالعلوي (-٥٧٤٩/١٢٤٨ م) الذي أعطى تنصيده مقتناً في هذا الشأن، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا). (٦٨٥)

وقول أبي الحسن التهامي في مدح الوزير المغربي الحسن بن علي (-٥٢٧/١٨٠ م - ٥٤١٨/١٠٢٧ م):

لو لم تكن ريقته خمرة
لما تشنى عطفه وهو سائح. (٦٨٦)

وقوله:-
لو لم يكن أتحواناً ثغر ميسمها
ما كان يزداد طيباً ماعة السحر. (٦٨٧)

وقول البحتري (-٥٢٨٤/٨٩٧ م)

ولو لم تكن ماخفاً لم أكن
أذم الزمان وأشكو الخطوب. (٦٨٨)

وقول ابن هانئ الأندلسي (-٥٢٦٢/٩٧٢ م):

(٦٨١) اللسان (علل).

(٦٨٢) أسرار البلدة ٢٥٢.

(٦٨٢) نهاية الإيجاز ١١٦ وتحقيق أمين ٢٩٧.

(٦٨٤) الطراز ١٢٨/٢.

(٦٨٥) سورة الأنبياء/٢٢ وتامها: (سبحان الله رب العرش عما يصفون).

(٦٨٦) ديوان أبي الحسن التهامي ص ٢٢، المكتب الإسلامي. دمشق ط ١٢٨٤/٥١٩٦٤ م.

(٦٨٧) ديوانه ص ٤٢ (في ذكر عشيقته).

(٦٨٨) ديوانه تحقيق الصيرفي ١٥٢/١ يخاطب الفتح بن خاقان ويعاتبه.

ولو لم تصانح رجلها صفحة اخرى لما كنت أدري علة للتييم. (٦٨٩)
ونشير في هذا المقام إلى أن ابن سنان قد حذا حذو قداصة (-٥٢٢٧/١٤٤٨م) في هذا
الغن. (٦٩٠)

٥- التحرز مما يوجب الطعن: (الاحتراش)

ويسمى التمام ومنه الاحتراش والاحتياط. وفيه يقول ابن سنان: (وأما التحرز مما
يوجب الطعن، فإن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي مما يتحرز به من ذلك
الطعن. (٦٩١)

فما أعلق هذا المقياس بالنقد الذي يدفع الإيجابيات ويستدرك السلبات، ألا ترى أنه لو
لم يتحرز الأديب في إنتاجه لكان موطناً للأخذ والطعن، وبه إن تفادى ما يوقعه في ذلك سلم
وصح نظمه وتأليفه. ومن ذلك قول طرفة بن العبد (-٦٠٠ ق هـ).
فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهى. (٦٩٢)
فالشاعر قد صان نفسه من الطعن والانتقاد بتحرزه في قوله: (غير مفسدها). ولو لم يفعل ذلك
يتبادى المعنى فيظن أنه يقصد توالي المطر، ويتج عن ذلك خراب الديار، ومحو رسومها.

ومن ذلك أيضاً قول ذي الرمة ٥٠-١١٧٢/٧٢٥م)
ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر. (٦٩٣)

٦٨٩) أنظر تبیین المعاني بشرح ديوان ابن هانئ الأندلسي (-٥٢٦٢/١٧٢٢م) تحقيق زاهد
علي من ٨١٧ مطبعة دار المعارف بمصر ١٢٥٢/١٩٢٢م. مصافحه رجل المرأة للشراب جعلته
طاهراً.

٦٩٠) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٧. وازن مع نقد الشعر ٩٢، ٩٥، ١٠٤، ١٨٦.

٦٩١) المصدر السابق ٢٧٢، اللسان (حرز).

٦٩٢) ديوانه تحقيق الجندي من ١٤٦، من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٢، ٢٧٤ في
مدح قتادة بن سلمة الحنفي. صوب الربيع: انصباب المطر. الديمة: المطر الدائم الراتب في
لين، يدعو بدوام النعمة. وأنظر الوصافة من ٢٩٨.

٦٩٣) ديوان ذي الرمة تحقيق الدكتور أبو صالح ١/٥٦٠، من الفصاحة ط. دار الكتب
العلمية ٢٧٤. وأنظر الحمدة تحقيق محي الدين ٢/٤٨ في باب التميم وهو التمام أيضاً وبعضهم
يسمي ضرباً منه احتراً واحتيماً. وأنظر نقد الشعر ١٥٧، ٢٢، البديع لابن المعتز ١٥٩
٦١ حلية المحاضرة تحقيق هلال ناجي ٤٦/١.

فإذا كان الأمر على الحال الذي أورد في التحرز الذي أبعده عن الطعن؛ لأن ذلك يفضي إلى عي آثارها ودروس معالمها، ففعل مثل ملوقة لخصن قوله إذ أن القرينة هي التي أبعدت كلامه من المأخذ وهي: (ألا يا أسلمي يا دار مي على البلى) وبذلك سلم وسع التحرز.

٦ - كمال المعنى: (أو التميم)

ويعني عند قدامة بن جعفر (-٥٢٢٧/١٤٨م) (أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها سخته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به). (٦٩٤) وبه اقتدى ابن سنان غير أنه سمى (كمال المعنى) ويلتقي معه في التمثيل، ومن ذلك قول نافع بن خليفة الغنوي:

رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويَقْطُوه عاذوا بالسيوف القواطع. (٦٩٥)
فإنما تمت جودة المعنى بقوله: (ويَقْطُوه) وإلا كان المعنى متقوس الصحة. (٦٩٦)

٧ - المبالغة والفلو في المعنى:

تقوم هذه القضية بين مؤيد وصنكر؛ فأما حجة من يختاره فهي (أحسن الشعر أكذبه) (٦٩٧) امتداداً إلى قول النابغة الذبياني (-١٨٠ق هـ) حين سئل: (من أشعر الناس؟ فقال: من استجيد كذبه، وأضحك رديه). (٦٩٨) وهذا مذهب اليونانيين في شعرهم. (٦٩٩) ومنهم من يذمه وعلمه في ذلك الخروج إلى الإحالة، ويرتضيه إذا قارب الحقيقة ودانى الصحة). (٧٠٠) ولعل ابن سنان يجري مجرى قدامة بن جعفر في مذهب الاختلاف حول هذا

(٦٩٤) نقد الشعر ١٥٧، سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٧١.

(٦٩٥) نافع من العرب الأذكياء الفصحاء من معاصري مروان بن الحكم أيام ولايته بالمدينة المنورة أنظر: نوادر ابن الأعرابي ق ٥، دار الكتب المصرية ٤٦٠/لغة، تيمور وأنظر أمالي الزجاجة تحقيق هارون ص ١٨٢، الصناعات تحقيق البجاوي ورفيقه ص ٢٨٩، سر الفصاحة ٢٧١.

(٦٩٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٧١.

(٦٩٧) المصدر السابق ص ٢٧١، الصلة تحقيق صهي الدين ص ٥٠ - ٥٢ - ٥٧.

(٦٩٨) المصدر نفسه ص ٢٧١.

(٦٩٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧١، الفهرست ٢٥٠، ٢٥٧، فن الشعر لأرسطو تحقيق شكري عياد ص ١٢٢ - ١٤٥، القاهرة ١٩٦٧/٥١٢٨٧.

(٧٠٠) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧١، فن الشعر ص ١١٧ (والتشبيه والمحاكاة هي مدائح الأشياء التي هي من عناية الفضيلة).

الذي يقول عنه: (رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر وهما الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يُقال منه، وأكثر الفريقين لا يعرف من أصله ما يرجع إليه ويتمسك به، ولا من اعتقاد خصه ما يدفعه ويكون أبداً مضاداً له، لكنهم يخبطون في ظلمات، فمرة يعمد أحد الفريقين إلى ما كان من جانش قول خصه فيعتقد، ومرة يعمد إلى ما جنس قوله في نفسه فيدفعه ويعتقد نفسه). (٧٠١)

٨ - صحة التفسير وفساده:

صحة التفسير في النقد يقابلها فساد التفسير السلبى الذي يوجب الطعن، وفي هذا يقول الخفاجي: (من الصحة صحة التفسير: وهو أن يذكر مؤلف الكلام معنى يحتاج إلى تفسيره، فيأتي به على الصحة من غير زيادة ولا نقص). (٧٠٢) وفي هذا القول أثر لما قاله قدامة: وقد وضح العلوي (-٥٧٤٩/١٢٤٨م) هذه المسألة أكثر فيما بعد. وبين الأطراف الثلاثة على وجه الخصوص تشابه في المفهوم وتقاطع في التمثيل. قال الشاعر:

لقد جئت قوماً لو لجات إليهم طريد دم أو حاملاً ثَقُلَ مُغْرَمٌ. (٧٠٢)

لألفيت منهم معطياً ومطاعاً وراءك شُرراً بالوشيح المُقَرَّم.

يقول الخفاجي: (وهذا تفسير للأول موافق) والعلوي (-٥٧٤٩/١٢٤٨م) لما عدد تلك الأمور الثلاثة المجتعة بالإنسان: الطرد والقتل والإعدام على من رواء (معدم) فأما من رواء بالراء وهو الصحيح فهما أمران: الطرد وحمل القتل الذي يفرم لأجله، عقبه بأمرين، كل واحد منهما موضح لما قاله على جهة المقابلة بما يصلح له، فقابل الطرد بالنصرة بالطمان حوله حتى يستنصر من حقه، وقابل قوله (حمل قتل المعدم) بقوله: معطياً لِيَجْبَرَ قَرْمٌ، فهكذا حال التفسير يأتي على الوجهين وما أشبههما، فإذا حصل على الصفة التي يكون فيها بيان لما سبقه فهو تفسير وإن اختلفت فيه الأمثلة. (٧٠٤)

٧٠١) نقد الشعر ٦١.

٧٠٢) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٠، نقد الشعر ١٥٤ (ابن سنان ينقل عنه بتصريف) الطراز ١١٤/٢ (يقول: وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن أن يقع في مفردات كلامك لفظ مبهم أو عدد مجمل أو غير ذلك مما يفتر إلى بيان، فتأتي بما يقرر ذلك ويكون شرحاً له في بيان وكشف) وأنظر ١١٥/٢ - ١١٦.

٧٠٢) شرح ديوان الفرزدق (همام بن غالب - ١١٠/٧٢٨م) جمع عبد الله اسماعيل الصاوي ٧٤٩/٢ مطبعة الصاوي مصر ط ١٢٥٤/١٩٢٦م (مجلد ١ - ٢)، الصناعتان تحقيق البجاوي ورفيقه ٢٤٦.

٧٠٤) الطراز ١١٥/٢ - ١١٦.

ومن فساد التفسير قول الشاعر:

فيا أيها الحيران في قلّم الدجى ومن خاف أن يلتاق بهي من العدى. (٧٠٥)
تعال إليه تلق من نور وجهه شياء ومن كفيه بحرأ من الندى.
فلما قدم الشاعر في البيت الأول الظلم وبهي العدى، كان الوجه في التفسير أن يأتي في البيت الثاني بما يليق به، فأتى بالضياء بإزاء الظلم وذلك صحيح إلا أنه لم يراع ذلك إزاء بهي العدى بالنصرة أو العسة وغير ذلك. فحين وضع محله الندى فسد التفسير.

إذن فالشعر بناء على هذه المعطيات بين قاعدتين:

١- أحسن الشعر أسدقه (٧٠٦): وهو فكرة منكري الغلو في الشعر؛ في الأوصاف التي تفضي إلى الإحالة نتيجة الإفراط في معناها. وربما كان هذا الرفض موقتاً ومزائناً لأوليات التقدم من هذه المرحلة.

٢- أحسن الشعر أكذبه (٧٠٧): وهو الأمر الذي أشار إليه ابن سنان رواية عن النابغة الذبياني (-١٨٠ هـ) والذي عده ابن طباطبا (-٢٢٢/٩٢٢ م) جوراً على قوة الخيال وضرباً من المجاز المبعد للحقيقة. واعتبره الآمدي (-٢٧٠/٩٨٠ م) في تقدم لأبي تمام (-٢٢١/٨٤٥ م) لمخالفته لعمود الذوق أو العرف العربي إذ قال: (هذا خلاف ما عليه العرب وقد ما يعرف من معانيها). (٧٠٨) ويستحب من الآمدي. (لو كان اقتصر على هذا المعنى الذي جرت العادة به... لكان المذهب الصحيح المستقيم، ولكنه استعمل الإغراب فخرج إلى ما لا يعرف في كلام العرب ولا مذاهب سائر الأمم). (٧٠٩)

وفي هذا يلتقي ابن طباطبا والآمدي في التبعة للقديما. ولعل قدامة بن جعفر (-٢٢٧/٩٤٨ م) معتدل في هذه القضية يجمع بين العرف والمستجد في نظرة تكاملية (٧١٠) نرتضيها. وهذا أوفى وأخدم لحركة الإبداع المتطورة مع الزمان، ويجري في هذا الاتجاه

٧٠٥) البيتان في نقد الشعر لقدامة تحقيق كمال مصطفى س ٢٢٠ وعنه نقلهما العسكري في الصناعتين تحقيق البجاوي وأبو الفضل س ٢٤٧ بلا نسبة.

٧٠٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧١، نقد الشعر ١٦٠، ١٦٠ وأنظر: صدق المبارة في الشعر في عيار الشعر لابن طباطبا العلوي -٢٢٢/٩٢٢ م مراجعة نعيم زرزور س ٢٢ وأنظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب الدكتور إحسان عباس س ١٩٠ ط. دار الثقافة بيروت ط ١٤٠٤/٥١٨٢ م.

٧٠٧) نقد الشعر ٦٥ وأنظر عيار الشعر ١٦، ١٤، ١١٧، ١٢٠، ١٢١ - ١٢٨.

٧٠٨) الموازنة تحقيق مقر ٢٤٢/١ - ٢٤٤، ١٩٩.

٧٠٩) نقد الشعر ١٦٠ (أعني أنصار الغلو وأنصار الحد الأوسط).

٧١٠) نقد الشعر ١٦١، ١٦٠، ١٦٠ وأزن مع فن الشعر ١٢٢ (تحقيق عياد).

مجري أرسطو (-٢٢٢ ق م) القائل: (والتشبيه والمحاكاة هي مدائح الأشياء التي هي في غاية الفضيلة). (٧١١) ومذهبه في هذا يقوم على التلاؤم بين القاعدة الأخلاقية والفلو في الشعر.

وبهذا يكون متصراً للفلو والبالغة كما يراها فلاسفة اليونان؛ فلا يحصر نظره في الصدق قياساً على مذهب الآمدي وابن طباطبا. وإن كانت تفضي إلى الإحالة على رأي الخفاجي أو تخرج عن الوجود في نظر قدامة الذي يتسم بالاعتدال والمنطق لما حسم المسألة بحد قوله في باب عيب المعاني وسماء: (إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه). (٧١٢) وقال في الممتنع: (لا يكون، ويجوز أن يتصور في الوهم). (٧١٢) وهو يفرق في هذا المقام بين هذا وبين المستحيل الذي لا يوجد على الإطلاق، وكثرت قد أشرنا إليه سابقاً. ومن ذلك قول أبي نواس (-٥١٩٨/٨١٣ م)

يا أمين الله عس أبدأ دم على الأيام والزمن. (٧١٤)

فهذا وإن كان من الشاعر تفاؤلاً مفرطاً للممدوح فهو ما لا يجوز في الأصل ولذا يستتبع. ولعمري إن قدامة (-٥٢٢٧/٩٤٨ م) قد أبداع في هذا المجال والذي يقتدي به ابن سنان لما انطلق من المادة الأساسية في تحريك الخلق والإبداع. فالبالغة أمر مقبول وصعود، قائمة على عناصر واقعية في أصلها، لا تتجاوز في حقيقة أمرها عتبة هذا الواقع، إلا أن طريقة التشكيل وتنسيق هذه العناصر يحدد تلك الصورة التي تتجنى بعد اكتمالها إلى الخيال. فالعناصر الواقعية بعد إجراء التشكيل تجري في دائرة الخيال المتدني أو الجامع. بينما الممتنع إن وجد في فن القول قد يتخطاه الشاعر على ضرب من المجاز والإيهام الصوري؛ حيث يبدو لنا أن الصورة تدور في فلك غريب تماماً ما قد يصلحها إلى ذلك العالم. والوهم من جهة أخرى يبني على عناصر وهمية لا تخرج عن نطاق الخيال ولكن تفوق تصور الفرد.

ومن هذا الباب كان الإنكار وعدم القبول، ومهما يكن فالبالغة ترجمة للواقع بأسلوب مبالغ فيه يتخطى حدود الواقع مع الإبقاء على الوسطة والاتصال بين عالم الواقع وعالم الخيال. وهذا أمر يحتاج إلى إعادة نظر سيراً على مبدأ التطور المتواصل والتجاوزات المفروضة. وهذه الآراء وجهات نظر ومواقف تحكمها مرونة الزمن. ألا يمكن أن يركن بعض الناس إلى

(٧١١) المصدر السابق ٦١، ٦٨، ١٦٠ وأزن مع فن الشعر تحقيق عياد ١٢٢ وأنظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب الدكتور إحسان عباس ص ١٩٠.

(٧١٢، ٧١٣) نقد الشعر ٦٠ - ١٦١.

(٧١٤) ديوان الحسن بن هانئ ص ٤١٢ وأنظر نقد الشعر ٢٤٢.

استماعة المتنوع وربما يتعدى الأمر إلى المتناقض الذي قد يرى فيه الإنسان ضرباً من الانفصال في أحضان الاتصال المتعبر. وقس على ذلك أوجه الإيهام (٧١٥). فالمنطق يتميز بالانفصال (٧١٦). وما أكثر ما استجد من أنماط كهذه في عصرنا الراهن. وفي هذه الحالة تكون الوسيلة مبررة للغاية وليس العكس وفي هذا يقول الدكتور إحسان عباس: (ليس للنقاد أن يعيب إقبال المحدثين على الإفراط لا لأن له وحسب رسوماً إذا لم يتجاوزها الشاعر جمع بين القصد والاستيقاظ، بل لأن المحدثين يقاسون على ما فعله الأقدمون، وقد زويت عنهم أشعار فيها الإفراط والخلو لو تصدى أحد لجمعها لوصفت بالكثرة). (٧١٥) ويُسند هذا القول إلى القاضي الجرجاني (٥٢٩٢هـ/١٠٠١م) الذي يقول: ثم وجدوا بعدكم سيلاً مسلوكةً وطريقاً موطناً ققصوا وجاروا واقتصدوا وأسرفوا وطلب المتأخر الزيادة واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول). (٧١٦)

وفي اعتقادنا أن هذا ليس بيب يقع على الخاص دون العام وإنما هو أمر مشترك وذنب مقسم فإن احتمل فللكل وإن ردّ فعلى الجميع). (٧١٧) وأما موقف ابن سنان فهو بقراءة يحتذي ولابن طباطبا والامدي مخالف. فالتعزية عند قسمان: ١- مبالغة الحد الأوسط: وهي القرية من الحقيقة، ذات عاذقة بين العرف وبين الواقع والفن. ويرى حسن إقراها ب(كاد)، وهي ضربٌ من القلو المألوف المقبول، القائم على عناصر موجودة في الحقيقة بموجب خيال بين المدي والجامع، وهي مبالغة الحد الأوسط التي لا تغني إلى الإحالة أو المتنوع أو المناقض وعلة في تمذبه قوله: (والذي أذهب إليه المذهب الأول في حمد المبالغة والخلو، لأن الشعر مبني على الجواز والتسريح، لكن أرى أن يستعمل "كاد" وما جرى في معناها ليكون الكلام أقرب إلى حيز الصحة). (٧١٨)

ومن أمثلة ذلك قول البحري:

أناك الربيع ^{يختال} الطلق ^{يختال} صاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلم (٧١٩)

وقول المتنبي:

(٧١٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب الدكتور إحسان عباس ٢١٨.

(٧١٦، ٧١٧) الواملة ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٨.

(٧١٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٢.

(٧١٩) ديوانه تحقيق الصيرفي ٢٠٩٠/٤، سر الفصاحة ٢٧٢.

يطمع الطير فيهم طول أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقع. (٧٢٠)
فهذان البيتان تضمننا غلواً، ولما دخلت عليهما "كاد" قرّبتهما إلى الصحة والحقيقة وهي أمر يختاره ابن سنان. وفي اعتقادي أن اقتراح الخفاجي بإقران "كاد" أمر مقبول في المبالغة ذات الحد الأوسط، ولا أراها تحسن في المبالغة الجامحة المفرطة والتي تعدّ ضرباً فنياً ينسب بمهارة الشاعر. وذلك أن مجيء "كاد" في سياق الكلام تحصر الصورة وتقيّد نفوذ قاعلية الحدث. وهذا نمط يستلحق فيه الإيحاء ويقتضيه الخيال. والحقيقة أن المعنى يتجه إلى الغرض المطلوب، وترسم الصورة طوعاً لقضية الدقة الشعرية. فورود كاد ليس قصراً على رغبة الناقد وحده بقدر ما هي أداة دالة مؤثرة على المعنى بالقصر والتي تحول دون توغل الحدث في الواقع إلى صميم الخيال.

فعملية الإبداع تأبى الانصياع الخارجي وتعتمد على قبول واستعداد ومهارة الفنان في رحاب حريته وحده، وإلاّ كان الفشل حَقْلَةً. فهذه أفضىّة جزئية منفصلة في مستقراتها ومتصلة في منطلق الواقع. فمهما كمتحت أو جمعت تظلّ أبداً قيد المألوف الذي يخبر بمسار ووسط المعاني في قريها وبعدها. فكاد إذن تقف عند عتبة غلو الحد الأوسط، مشرقة على ما بعدها من عالم الإفراط، فإن زالت وقع اتصال امتدادي تجاه المبالغة، وظلّ الاتصال قائماً. وما الانفصال بين القرب والبعد سوى صوري كما سبق أن وضحناه؛ وكان ذلك الاتصال شفيماً وقرينة بين العالمين، وكان ذلك أمراً مقضياً تحت لواء الغرابة التي تمتد جذورها لتلتصق في واقع الأمر بشكل دوري مع الحقيقة.

٢ - مبالغة الإحالة:

وهي مرحلة ما بعد كاد، وهي وضع كالسد العارم بين موضعين يكاد كل واحد منهما أن ينزح إلى الآخر، فلولا كاد لكان الامتزاج بين عالم الواقع والخيال؛ فينضم الأول إلى الثاني بقوة انسياب الحدث المثالي فيه. فكَذلك الواقع والسد في هذا التمثيل في الاتصال والانفصال، والمنطلق والمصب في الحَجَز والهيان والجروح والكبح. ومن أمثلة ذلك قول أبي نواس (- ١٩٨هـ / ٨١٢م) في مدح الرشيد:

(٧٢٠) ديوانه بشرح عكبري ٢/ ٢٢٥، سر الفصاحة ٢٧٢. (سيف الدولة أفرط في قتل الروم حتى سار الطير يأكل لحم قتلاهم فاعتاد عليه، مما جعلها تطمع في أكل الأحياء، لولا "كاد" لكان الحدث نافذاً).

واخفّت اهل الشرك حتى إنه تخافك الشفط التي لم تُخلَق. (٧٢١)

فالفلو من غير كاد خال من القيود لاختراقه حدود الاحالة وربوخه في ربوعها في كنف أحداث مستتعة في الواقع. كيف تخاف الأجنة التي لم تُخلَق بعد؟ والخائف يشترط وجوده وكيّفوّته في الواقع. فلولا الأصل الذي ساهم في ابتراع هذا الوصف المبالغ فيه ما كان لذلك وجود.

٩ - حسن الابتداء والتخلص والاختتام:

١٠ - حسن الابتداء في القصائد:

هذا موضع يتطلب الحذر والاحتراس من قبل الشاعر، ذلك لاحتمال مجيء القافية في السكوت والقطع معنى مخافاً لما وضع له الشعر من جهة، وتفادياً للاستفتاح بلفظ يفضي إلى وجه يُتملّيز منه أو غير ذلك؛ ممّا يتأول إلى شيء يناقض ما أنشئه من أجله. ولا ننسى أن الابتداء يستوجب اللحاق بالتخلص والالتزام حتى يكون مرضياً بعدئذ في عين البلاغي والناقد. ولذا يتعين أن يكون (أنيقاً بديعاً لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويعيه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه، ورفضه وإن كان في غاية الحسن). (٧٢٢)

فالثالث المذكور يتجه في مجمله إتجاهاً سطحياً يمسير في ركاب مباني الشكل وروح المضمون واتجاهاً عميقاً يسري في داخل النص. والثالث هذا يوحى بثلاثة مستويات:

١ - الانطلاق والشروع.

٢ - الوسط والتخلص.

٣ - الختام.

تكوّن في مجموعها بناءً فنياً متكاملًا ذا كيان خاص. وفي هذا يقول الدكتور أحمد مطلوب: (ذكر البلاغيون أن الأديب ينبغي أن يتألق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب نفعاً، وأحسن سبكاً، وأصح معنى، والمواضع هي: الابتداء والتخلص والانتها). (٧٢٣)

(٧٢١) أنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٢، نقد الشعر ٦٢، العبدّة تحقيق محي الدين ٤٤/٢ هـ (يفرق بين الفلو والمبالغة ويقول: الفلو هو المنكر لا المبالغة). ديوان أبي نواس (أبي علي الحسن بن هانئ ٨١٢/٥١٩٨م تحقيق وضبط وشرح أحمد عبد المجيد الغزالي ص ٤٠١ مطبعة مصر. القاهرة ١٩٥٢/٥١٢٧٢م.

٧٢٢، ٧٢٣) مصطلحات الدكتور أحمد مطلوب ٢٠/١ - ٢١.

ويلاحظ هنا أن ابن سنان لم يفرد تعريفاً للأمر الثلاثة بل دخل في التطبيق مباشرة؛
إلا أننا ندرك ذلك ضمناً وسموّ الغاية التي يطلبها من خلال حرصه في تعامله مع فن القول.
ولذا يتعين علينا أن نجتهد في ملء هذا الفراغ في حدود الأطراف الثلاثة استيفاء لمتطلبات
هذه المسائل مجتمعة.

فلا بد من أن أركان البلاغة وحقيقة آتلة إلى أنه ينبغي لكل من تصدى لمقصد من
المقاصد وأراد شرحه بكلام أن يكون ممتنع كلامه ملائماً لذلك المقصد دالاً عليه؛ فما هذا حاله
يجب مراعاته في النظم والشر جميعاً، ويستحبّ التزامه في الخطب والرسائل والتصانيف، وهكذا
حال التهاني والتعازي، يكون مبدوها وتصديرها بما يناسب ذلك المعنى ليكون معلوماً من أول
وهلة، فحيث يكون المطلع جارياً على ما ذكرناه فهو من الافتتاح الحسن، وحيث يكون جارياً
على عكسه فهو معدود من القبيح). (٧٢٤)

وعلى هذا فإذا نحن فهمنا جيداً غاية الخفاجي في التأليف والبلاغة نجد أبعاداً تتقاطع
في آخر مطافها بما جاء به العلوي (-٥٧٤٩/١٢٤٨م) وإن كان عنه متأخراً. وأدّل من ذلك
أن هذا الرأي يخدم من الفصاحة والبلاغة ويراعي موقف الناقد.

ولقد استحسن القدماء مطلع النابتة الذبياني (١٨٠ق هـ):
كليني لهم يا أميمة ناصب وليل آقاسيه بطي الكواكب. (٧٢٥)
تطاوّل حتى قلت ليس بمقتض وليس الذي يرعى النجوم بأيّ.
ومطلع امرئ القيس:
قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول. (٧٢٦)

(٧٢٤) الطراز ٢/٢٦٦، ٢٦٧، من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٠ (وإذا ابتدء
بالمديح أو بغيره من الأغراض فالأحسن أن يكون الابتداء دالاً على المعنى المقصود). العمدة
تحقيق محي الدين ١/٢٠٨، الموازنة تحقيق سقر ٢/٢٩١، عيار الشعر من ٩١، ٩٢، ١٠٩،
١١٥، ١١٦، ١٢٥، حسن التوصل من ٢٥.

(٧٢٥) ديوان النابتة الذبياني (-١٨٠ق هـ) شرح وتحقيق كرم البستاني من ٩ دار صادر للطباعة
والنشر بيروت ١٢٧٩/١٩٦٠م. (وانظر تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من ٤٣، ٤٤
نشر الشركة التونسية للتوزيع والنشر الجزائر (S.N.E.D) في مدح عمرو بن العارث الأسمر
بن العارث الأعرج بن العارث الأكبر بن أبي شمر، حين هرب إلى الشام ونزل به. وانظر
معاهد التنصيص ٢/١٠٧، ٢٢٤/٤.

(٧٢٦) ديوان امرئ القيس من ٨، حلية المحاضرة تحقيق هلال ناجي ١/٨٢، ٨٤، نقد
الشعر من ٥٢.

وقول أوس بن حجر:
 أيتها النفس اجعلي جزءا إن الذي تحذرين قد وقعا. (٧٢٧)
 إن الذي جمع الشجاعة والنج دة والحزم والتدى جُما.
 الألمي الذي يظن بك الظن ن كان قد رأى وقد سمعا.
 إن هذه المطالع ذات مفتح مناسب للعرض دالّ عليه، مستساغ في السمع، مستطاب في
 النفس. ويشهد الحاتمي على حسن مطلع أوس بن حجر، لأنه افتتح المراثية بلفظ نطق به على
 المذهب الذي ذهب إليه منها في القصيدة، فأشعر بمراعاة في أول بيت). (٧٢٨) وهذا نهاية
 وصف الشعر والشاعر). (٧٢٩)

وخلاف هذا عرضة للظن والنقد، وهو ما حذر منه ابن سنان لما يكتنف من العيوب،
 منها ما روي عن ذي الرمة لما أشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية وقال:
 ما بال عينيك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مغرة سرب. (٧٢٠)
 وقال له هشام: بل عينيك. ومطلع أبي الطيب المتنبي في مدح عضد الدولة:
 أوم بديل من قوتي وأها لمن نأت والحديث ذكرها. (٧٢١)
 فقال له: أوم وكيه.

وافتح نصر بن نصر الحلواني المشهور بابن مقاتل:
 لا تقل بشرى ولكن بشرى غرة اداعي ويوم المهرجان. (٧٢٢)
 فبطحه أرحاً وضربه خمسين عا وقال: إصلاح أدبه أبلغ من ثوابه.
 وقال ابن سنان: (إن شيخنا يعيب قول أبي الطيب:
 إذا ما لبست الدهر مستمعا به تخرت والملبوس لم يتخرق. (٧٢٣)

(٧٢٧) ديوان أوس بن حجر تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ص ٥٢ دار صادر
 للطباعة والنشر ١٩٦٠/١٢٨٠ م.

(٧٢٨، ٧٢٩) حلية المتأخرة تحقيق هلال ناجي ١٩٢/١، ١٩٢.

(٧٣٠) ديوان ذي الرمة (غيلان بن عقبة الصدوي ٧٧-١٧٧/هـ ٦٩٦-٧٩٢ م) تحقيق عبد
 القدوس أبو صالح. مؤسسة الإيمان بيروت ١٤٠٢/هـ ١٩٨٢ م.

(٧٣١) ديوان/عكبري ٢٦٩/٤، الواسعة ١٥٥، يتيمة الدهر تحقيق محي الدين ١٦٢/١، سر
 الفضاحة ط. دار الكتب العلمية ١٨٢. أوم: التوجه، وام للتعجب. كان متعجباً من وصالها
 فصار يتألم لفراقها فصار التأوم بدل التعجب.

(٧٣٢) الخبر في معاهد التنبؤ تحقيق محي الدين ٢٢٩/٤، يتيمة الدهر تحقيق محي الدين
 ١٢٦/١، الصائغان تحقيق البجاوي وأبو الفضل ٤٢٢، الكشف عن مساوي المتنبي تحقيق آل
 يامين ص ٤٠، سر الفضاحة ط. دار الكتب العلمية ١٨٢.

(٧٣٣) ديوان المتنبي/عكبري ٢٠٧/١، سر الفضاحة ١٨٢.

ويقول: (إذا طوب الشاعر بحسن الأدب وجب ألا يقابل المدوح بمثل هذا). (٧٢٤)

وقد أنكر عبد الملك بن مروان (-٥٨٦/٧٠٥ م) على جرير (-٥١١٠/٧٢٨ م) ما هو دون هذا القول حين أنشده:

أتصحو أم فؤادك غير صاح. (٧٢٥)

فقال له عبد الملك: بل فؤادك.

ويروى أن أبا نواس (-٥١٩٨/٨١٢ م) لما أنشد الفضل بن يحيى (-٥١٩٢/٨٠٧ م) قصيدته:

أزبج إلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أحنك ودادي. (٧٢٦)

تطير الفضل من هذا الابتداء، فلما انتهى إلى قوله:

سلام على الدنيا إذا ما قيدت بني برمك من رانحين وغاد. (٧٢٧)

امتحنكم تطيره، فلم يحضر إلا أسبوع حتى نكب بنو برمك، وقتل جعفر بن يحيى (-٥١٨٧/٨٠٢ م) وأنشد البحتري يوسف بن محمد بن يوسف الثغري قوله:

لك الويل من ليل تطاول آخره وشك نوى حتى تزّم أباعره. (٧٢٨)

فقال له يوسف: الويل لك والحرب.

٢- حسن التخلص:

تمد هذه المرحلة السبب المهم بل ومحور ارتكاز الموضوع الذي يمتد من الابتداء إلى المخرج امتداداً وثيقاً متجانساً يتم بالربط وشدة التوتر ليم الاتحام بين الأجزاء المساهمة كافة. فما المقصود إذن بحسن التخلص؟ لعل أنسب ردّ على هذا هو: (ما ينبغي لكل متكلم من شاعر أو خطيب إذا كان قد أتى بما يصلح من الاقتراحات الحسنة، فلا بدّ له من مراعاة التخلص الحسن، لأنه لا بدّ له من تقديم الغزل أو ذكر الفخر أو ذكر المروءة بأدب، ثم يذكر على اثره المدح، وعلى قدر براعة الشاعر والخطيب والمصنّف يكون حسن التخلص إلى المقصود بعد تقديم ما ذكرناه). (٧٢٩)

٧٢٤) مر الفصاحة ط. دار الكتب ط. ١٨٢.

٧٢٥) عجز البيت: (عشية هم سحجك بالرواح) ديوان تحقيق نعمان أمين طه ١/٨٧، مر الفصاحة ١٨٤، مقدمة في صناعة النظم الشر للنواجي (-١٤٥٥/٨٦٠ م) ص ٥١.

٧٢٦، ٧٢٧) ديوان تحقيق الغزالي ص ٤٧١، ٤٧٢ (الفضل بن يحيى تولى الوزارة أيام الرشيد (-٥١٩٢/٨٠٧ م) أنظر وفيات الأعيان تحقيق عباس ٤/٢٧، الصائغين تحقيق البجاوي ورفيقه ١٤٦، ٤٢٩، مر الفصاحة ١٨٤.

٧٢٨) ديوانه تحقيق الصيرفي ٢/١٧٦، مر الفصاحة ١٨٤، الصائغان ٤٢٢، مقدمة في صناعة النظم والشر ص ٥٢. يوسف بن يوسف الثغري أبو سعيد من كبار قادة العرب.

٧٢٩) الطراز ٢/١٧٩ (اختلف في الفكرة والمقصد مع ابن سنان).

٢ - حسن الختام :

وما يناسب هذا المقام من كلام هو: (ما ينبغي لكل بليغ أن يختم كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتم، فإنها آخر ما يبقى على الأسماع). (٧٤٠)
ولابن سنان كلمة في الموضوع إذ يقول: (وأما إذا ابتدئ بالمديح أو بغيره من الأغراض، فالأحسن أن يكون الابتداء دالاً على المعنى المقصود). (٧٤١) ومن أمثلة ذلك ابتداء المتنبي (-٢٥٤/٥١٦٥م) في مدح سيف الدولة واعتذاره له بعد ظفر الروم بجيشه وقتلهم وأسرهم جماعة منهم.

غيري بأكرم هذا الناس منخدع
إن قاتلوا جبنوا وإن حدثوا شجعوا. (٧٤٢)
قال الشاعر ابتداءً بفرسه من أول القصيدة التي يختمها اختتاماً مناسباً بالبيت التالي:
إن السلاح جميع الناس تحمله ... وليس كل ذوات المخلب السبع

-
- (٧٤٠) الطراز ١٧٩/٢ (اشتلاف في الفكرة والمقصد مع ابن سنان)، سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٠ ٢٧١. العمدة تحقيق محي الدين ٢/٢١١، سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٧٠. حسن التومل ٢٥٥ (براعة المقطع).
(٧٤١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٠.
(٧٤٢) ديوانه/عكبري/٢/٢٢١، سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٧٠.

المستوى النقدي الرابع

وتحدث في هذا الجانب عن مسألتين أثارهما ابن سنان في ممارسته وهما:

١ - طبقة الشعراء ومستويات الشعر في ضوء نقد ابن سنان.

٢ - الفرق بين المنظوم والمثور.

١ - طبقة الشعراء ومستويات الشعر:

إن من الرواة وأهل اللغة من يفضل أشعار المتقدمين على أشعار المحبثين كافة دون إلحاق أحد ممن تأخر زمانه عن تلك الطبقة وإن كان مجيداً. وهذا لعمري حكم تصفي زمني ليس إلا؛ وقد نتج عنه خلاف. فطائفة علقت ذلك بمجرد سبق الزمني وجعلت الشعراء طبقات بحسب تواريخ أعصرهم وحجبتهم في ذلك السبق إلى المعاني في أكثر الألقاظ المؤلفة وفتح طريق الشعر، وجاء غيرهم فيما بعد فافتنى خطاهم فكان مجرد تابع. والسبق في نظر هؤلاء فضيلة ومرتبة لا توازيها مرتبة. فالمحدثون وإن بلغوا مبلغهم يظلون أبداً دون أولئك درجة. وأما نظرة الطائفة الثانية في هذا المذهب، فهي قريبة إلى فكرة الأولى وهي ترى:

١ - الأشعار المتقدمة تصدر عن الطبيعة والسليقة بصدده عن التكلف على خلاف أشعار المحبثين. (٧٤٢)

٢ - ما يقع بالطبع أفضل مما يحدث بالتعمّل والتصنع. (٧٤٤)

٣ - شعر الهدامى يُحتجّ به دون سواء. (٧٤٥)

٤ - الاعتماد على القائل قبل قوله (مقياس ذاتي مزاجي). (٧٤٦)

ويعرض لنا الخفاجي أمثلة من الشعر، منها أن الأسمعي (-٥٢١٧/٨٢٢م) قد أنشده إسحاق بن إبراهيم الموصل (-٥٢٣٥/٨٤٩م):

هل إلى نظرة إليك سبيل فيروى الصدى ويشفى الليل. (٧٤٧)

إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن يُحبّ القليل.

فقال له الأسمعي: لمن تنشدي؟ فقال: لبعض الأعراب، فقال: هذا والله هو الديباج الخسرواني. قال: فأنهما ليلتهما. قال: لا جرم والله إن آثار الصنعة والتكلف بين

٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٢٨.

(٧٤٧) البيهقي في أسرار أبي الفرج أنظر الأغاني (ثقافة) ٢٨٨/٥، وأنظر ديوان إسحاق

الموصل (-٥٢٣٥/٨٤٩م) تحقيق العزي ص ١٦٦.

عليهما). (٧٤٨)

إن ذكر الطبع والتكلف يتجلى الفرق بين القديم والحديث على الطائفة الزمنية،
إلا أن التقاطع عامل مشترك يتقاسمه الطرفان، وفي هذا يقول ابن سنان:
(ما اندليل على أن أشعار المتقدمين كانت تقع من غير تكلف؟). (٧٤٩)

فالاقتصار على ما جاءت به الروايات لا يكفي، بل لا بدّ من موضوعية تحكم ذلك، ومثل
ذلك أن زهيراً (-١٢٠ق هـ) عمل سبع قصائد في سبع سنين، وكان يسميها الحوليات. ويقول:
خير الشعر الحوليّ المحكك). (٧٥٠) ويضيف ابن سنان قائلاً: (والرواة كلهم مجمعون على
هذا غير مختلفين، وإذا فضلوا شعر زهير قالوا: كان يختار الألفاظ ويجهد في إحكام الصنعة،
وإذا وصفوا الحطيئة (-٤٥٥/٦٦٥م) شبهوا طريقتة في الشعر بطريقة زهير، ويروون أن
زهيراً كان يعمل نصف البيت ويتعذر عليه كماله فيتمّ كعب، ابنه). (٧٥١)

ويرى ابن سنان أن الاحتجاج بشعر الأوائل لقاء لقته وعدم مخالطة الأعاجم. ثم إن
صحة الكلام بالعربية لا تعني حسن النظم فقط، إذ لو كان الأمر كذلك لكان كل عربيّ يحسن
العربية شاعراً دون قيد؛ وليس كذلك والدليل على ذلك أن العرب القدامى الذين كانوا يتقنون
هذه اللغة لم يكونوا شعراء كلهم، فما بالك بمن بعدهم؟ قال امرؤ القيس (-٨١ق هـ)
عُوجاً على الطلل المحيل لعلنا
نبكي الديار كما بكى ابن خُزام. (٧٥٢)
ويطلق الخنجاقي على هذا بما يلي:

١- تقدم زمان امرئ القيس عن غيره من الشعراء يقتضي تفضيله بموجب القاعدة

(٧٤٨) أنظر أيضاً: طبقات الشعراء لعبد الله بن المعتز (-٥٢٩٦/١٠٨م) تحقيق عبد الستار
أحمد فراج مره دار المعارف القاهرة ١٢٧٦/١٩٥٦م. (وقد اسطّلع الأدباء على أن
ينعتوا الشعراء العباسيين بلفظ المحدثين، ولم يكن ابن المعتز أول من أفرد تأليفاً عن المحدثين
وحده، بل سبقه إلى ذلك على الأقل أستاذ المبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) في كتاب له اسم
(الروضة) ومبته هارون بن علي النجم في كتاب اسمه (البارع)، أنظر مر الفصاحة ٢٧٨.

(٧٤٩) الأغاني (ثقافة) ٢٨٨/٥.

(٧٥٠) مر الفصاحة ٢٨٢، ٢٨٤، المدة تحقيق محي الدين ٢٥١/٢.

(٧٥١) مر الفصاحة ٢٨٤، دار الكتب ٢٨٤.

(٧٥٢) المصدر السابق ٢٨٤.

الزمنية. (٧٥٢)

٢- الإقرار بهذه القاعدة يؤدي إلى اعتبار امرئ القيس مسبوقاً زمنياً وبالتالي قد لا يُنزل في الطبقة الأولى. (٧٥٤)

٣- التساوي الطبقي في زمان الوجود لا يعني تساوي الشعراء في القدرة الفنية، ثم إن (الطبقة الأولى نفسها قائمة على تباين زمني بين مختلف الشعراء، يقول ابن سنان: (وقد جعل الأعشى فيهم وهو أبعد من امرئ القيس بمدة طويلة). (٧٥٥)

٤- طول الزمان أو قصره لا يؤثر في الموازنة. (٧٥٦)

٥- هذا التقاطع الزمني والتساوي الطبقي في القدرة الفنية وحدها يقتضيان الانطلاق من براعة النص مروراً بعد ذلك بالشاعر للوصول إلى الحكم الموضوعي وهذه القاعدة تدحض القاعدة الزمنية. (٧٥٧)

٦- القوائد القديمة والحديثة نماذج فنية في ضوء الزمن والمكان والموضوعية النقدية والأفضلية بالمهارة والإبداع فقط. فالجيد والردى يتقاسم القدم والحداثة، ومجال الخلق والإبداع مفتوح أبدأ، ثم إن تلاحق العصر يولد ركناً هائلاً من الألفاظ والمعاني والأفكار كثيرة غير مألوف لدى القدامى، وهذا أمر من وحي التطور اللغوي والدلالي المتفاعلات أبدأ مع تحديات الظروف الخارجية ^{استجاباتها} وإذا كان القدامى يصرون أشعارهم عن طريق السليقة والسجية التي ظلت تتلقى تحت زحف مرور الزمن وتمتد الحياة واتساع الرقعة الإسلامية واختلاط العرب بالعجم حزونة ووعورة في سريان السجية في طباع اللاحقين. وهذا أمر أوجدته الظروف وتغيرات التي اجتاحت فيصلا يكاد يكون حاداً بين الرعيل الأول والثاني. فكان ذلك الثور الفطري وكان إلى جانبه بروز العمل والتصنع. وهذا لا ينفي موازنة القديم بالحديث. وعلى هذا تظل القاعدة الزمنية أمراً سورياً ليس إلّا في نظر النقد والموضوعية وهي القاعدة الرائدة. إلّا أن الزمن مهم في المجال التاريخي لتحديد معالم التراث. أما القول بتفضيل الأقدمين بمجرد سبق إلى المعاني والألفاظ، فهذا فضل لا ينكر. إن الحديث امتداد من القديم بالزيادة أو النقص. وهنا تكون الزيادة مزنة تقابل تعارض فضيلة سبق في الوقت الذي يكون فيه النص رذيلة إزاء سبق الزمني. فنقل المعاني من قبل المحدثين بحالها مذمة في ذاتها، وهي أمر نسبي عالق بالشاعر الفاعل دون معنى الشعر، بدليل أنه قد يكون

٧٥٢) ديوانه تحقيق إبراهيم أبو الفضل ص ١١٤ وأنظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري تحقيق عبد العزيز أحمد ص ٢١١. مطبعة الانصار. القاهرة ١٩٨٥/٥١٤٠٦ م. وأنظر الموازنة تحقيق سقر ١/١١٠، سر الفصاحة ط. دار الكتب. ٢٨٠.

٧٥٤، ٧٥٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٨٠.

٧٥٦) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٨٠.

٧٥٧) المصدر السابق ص ٢٨٠.

غريباً أو مخترعاً مستجداً ومتقولاً ومتداولاً، لا يغيره الناظم المبتدئ أو المحتذي الاتباعي. والقاعدة التي نحكم بها في هذه القضية (الأفضلية في السبق إلى المعاني والألفاظ). وعلى هذا نستنبط الحقائق التالية:

- ١- الألفاظ إذا كانت مفردة فهي ملك عام للأمة.
- ٢- لا تأثير لوجود الألفاظ التي ألفها القدامى في أعمار اللاحقين، ولا تعدو أن تكون احتجالات، وإنما هي قصيدة معبرة عن تجربة خاصة ماغها الشاعر بأسلوبه. وإن وُجدت ألفاظ جاهزة فهي تقاطع تأشيرياً إلى الشبه والافتداء والتأثير والتأثير. فلا شك أن الصورة الفنية بين الشعراء تتمايز في كثيرها أو في قليلها. وقاعدة الخفاجي في هذا الخصوص تتضح في قوله: (فإن كان هذا واضحاً فمن أين يدل سبق المتقدمين إلى بعض المعاني على فضل أعلامهم على أعلام المحدثين الذين سبقوا إلى انصاف تلك المعاني، لولا عدم التوفيق وفرط الجهل). (٧٥٨)

موقف الطائفة المعتدلة:

ونقصد بها الطائفة التي وقفت في نقدها موقفاً وسطاً متزنأً نجمل رأيها في الأمور التالية:

- ١- طرقت نقد الشعر على ما قدمه ابن سنان من دعوت الألفاظ والمعاني. (٧٥٩)
- ٢- لا تأثير للقدم والحدائث في الموضوع بدليل أن (القديم كان محدثاً والمحدث سيئاً قديماً والتأليف على ما هو عليه لا يتغير). (٧٦٠)
- ٣- من المحدثين من هو أشعر من جماعة المتقدمين والعكس صحيح). (٧٦١)

وتتوفر الموضوعية في مثل هذا الحكم المعتدل عند الكثير من العلماء من مثل ابن سلام الجهمي (٧٦٢) (-٥٢٢١/٨٤٥م) وابن قتيبة (٧٦٣) (-٥٢٧٦/٨٨٩م) وابن المعتز (٧٦٤) (-٥٢٩٦/٩٠٨م) والآمدي (٧٦٥) (-٥٣٧٠/٩٨٠م) والقاضي الجرجاني (٧٦٦)

- ٧٥٨) مر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٨٢.
- ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١) المصدر السابق ٢٧٩ - ٢٨٥ (بتصرف).
- ٧٦٢) طبقات فحول الشعراء.
- ٧٦٢، ٧٦٤) الشعر والشعراء.
- ٧٦٥) الموازنة والمؤلف والمختلف.
- ٧٦٦) الواسطة.

(١٠٠١/٥٢٩٢م) وفي بعض المراجع الحديثة مثل "الشعر والزمن" لجلال الخياط (٧٦٧)، و"الموازنة" بينها ومناهجها في النقد الأدبي الدكتور محمد فوزي عبدالرحمن (٧٦٨)، و"النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام" الدكتور إبراهيم نصر (٧٦٩)؛ و"النقد التطبيقي والموازنة" محمد صادق عفيفي (٧٧٠).

ومن النقد الأوائل:

- ١- الجاحظ (عمرو بن بحر - ٢٥٥هـ/٨٦٨م) (٧٧١): معتدل؛
- ٢- أبو العباس المبرد (٧٧٢) (- ٢٨٦هـ/٨٩٩م) والبحري (٧٧٣) (- ٢٨٤هـ/٨٩٧م) والمعري (٧٧٤) (- ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) معتدلون.
- ٣- ابن مثنان (- ٤٦٦هـ/١٠٧٢م) معتدل حيث يقول: (وهو الصحيح الذي لا يعترض العاقل فيه شك ولا شبهة) (وما سوى ذلك فهو أقوال سادرة عن الهوى). (٧٧٥)

٢- في الفرق بين المنظوم والشور:

- ١- موقف أنصار النظم: يتمثل في الأمور التالية:

- ١- الوزن يحسن الشعر ويحصل للكلام من الروق ما لا يكون للكلام الشور؛ ويحدث عليه من الطرب في إمكان تلحينه وغنائه ما لا يكون للكلام الشور. (٧٧٦)
- ٢- يسوغ حفظه أكثر من حفظ الشعر (حتى لو اعتبرت أكثر الناس لهم تجد فيهم من يفظم فصلاً

٧٦٧) الشعر والزمن لجلال الخياط ص ١٥، ١٨، ٩ منشورات وزارة الإعلام العراق ١٩٧٥.
٧٦٨) الموازنة: بينها ومناهجها في النقد الأدبي. د. محمد فوزي مصطفى عبد الرحمن. دار قطري بن الفجاءة - الدوحة ١٩٨٢.
٧٦٩) النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام الدكتور محمد إبراهيم نصر، دار الفكر العربي ١٩٧٧/٥١٢٩٨.
٧٧٠) النقد التطبيقي والموازنات. محمد الصادق عفيفي. مؤسسة الخاشجي مصر ١٩٧٨/٥١٢٩٨.

٧٧١) البيان والتبيين تحقيق هارون. والحيوان تحقيق هارون ورسائله.

٧٧٢) الكامل والمقتضب تحقيق عضية.

٧٧٣) حماسة البحري.

٧٧٤) عتب الوليد، شرح التنوير على مقتط الزند ورسائله.

٧٧٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٧٩.

٧٧٦) المصدر السابق ص ٢٨٧.

رسالة غير القليل، ولا تجد فيهم من لا يحفظ البيت أو القطعة إلا اليسير، ولولا ما انفرد به من الوزن الذي تميل النفوس إليه بالطبع لم يكن لذلك وجه ولا سبب. (٧٧٧)

٢- الشعر يدخل في جميع الأغراض كالنسيب والمديح والاذم والعتب، والشعر لا يدخل في جميع ذلك، فإن التشبيب لا يحسن في غير الشعر، وكذلك غيره من الأغراض، وما صلح لجميع ضروب الكلام وصنوفه أفضل مما اقتصر على بعضه. (٧٧٨)

٢- موقف أضرار الشر: ويتمثل في الأمور التالية:

١- الشر يعلم فيه أمور لا تعلم في النظم: كالمعرفة بالمخاطبات وبيئة الكذب واليهود والتقليدات، وأمور تقع بين الرؤساء والملوك يعرف بها الكاتب أمورهم، ويطلع على خفي أسرارهم. (٧٧٩)

٢- الحاجة إلى صناعة الكتابة ماسة والانتفاع بها في الأغراض فلهذه (٧٨٠)

٢- الشعر فضل يستغنى عنه ولا تقود ضرورة إليه. (٧٨١)

٤- منزلة الشاعر لا تسو إلى مرتبة الكاتب الذي ينال بالكتابة الوزارة وما دونها من رتب الرياسة. (٧٨٢)

٥- أكثر الشعر إذا كُشف وُجد لا يعبر عن جد، ولا يترجم عن حق، وإنما الحذق فيه الإفراط في الكذب والفلو في البالفة. (٧٨٢)

٦- أكثر الشر شرح أمور متيقنة وأحوال مشاهدة وما كثر فيه الجدل والتحقيق أفضل مما كثر فيه المحال والتقريب. (٧٨٤) ٢- ما يحتاج إليه مؤلف الكلام:

نصب ابن سنان مجموعة من الشروط رأى أنها عون على رفع مؤلف الكلام نحو الإيجاب في عملية التأليف، من ذلك:

٧٧٧، ٧٧٨) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٨٧، نقد الشر المنسوب لقدامة س ٩٢، مقدمة في صناعة النظم والشر ص ٢٧.

٧٧٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ٢٨٨، نقد الشر ٩٢، مقدمة في صناعة النظم والشر ص ٢٧ وأنظر أيضاً العمدة بتحقيق عبد الحميد ١٧/١، ١٠، ١٢، ١٤ (باب الرد على من يكره الشعر) وأنظر الفرق بين الفنين في المثل السائر بتحقيق عبد الحميد ١٥/٢.

٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٤) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية س ٢٨٨، نقد الشر المنسوب لقدامة بن جعفر (-/٢٢٢٧هـ ١٤٨٨م) س ٩٢، مقدمة في صناعة النظم والشر ص ٢٧، العمدة بتحقيق عبد الحميد ١٧/١، ١٠، ١٢، ١٤.

- ١- معرفة لغة العرب. (٧٨٥)
- ٢- معرفة قواعد اللغة العربية جميعها وعلومها وفنونها (نحواً وصرفاً وعروفاً وبلاغة...) (٧٨٦).
- ٣- الحاجة إلى معرفة المشهور من أخبار العرب وأيامهم وأحاديثهم وأنسابهم وأمثالهم ومنازلهم ومسيرهم، وسعة الحروب التي كانت لهم وما له قصة مشهورة وحديث مأثور. (٧٨٧)
- ٤- معرفة المخاطبات وفنون المكاتبات والتوقيعات ورسوم التقليدات. (٧٨٨)
- ٥- الإطلاع على كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمته، فإن المؤلف مدفوع إلى تقليد الولاة وعهود القضاة والتوقيعات في المظالم والمكاتبة في ضروب الحوادث. (٧٨٩)

يقول ابن منان: (وبالجملة إن مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم واطلع على كل صناعة لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه لأنه يدفع إلى أشياء يصنفها، فإذا خُبر كل شيء وتحققه كان وصفه له أسهل ونعته أمكن، إلا أن المقصود في الموضوع بيان ما لا يسعه جهله دون ما إذا علمه أثر عند علمه، فإن ذلك لا يقف على غاية). (٧٩٠)

كلمة حول المعايير الخفاجية:

تقد اقتبس ابن منان كما سبق قوائمه وقواعده وشروطه من مؤلفات السابقين له، وطلب ذلك كله على عينات شرية وشرعية شطرية تمثل في أكثرها الفصل والبيت أو البيتين (٧٩١) أو أكثر دون أن يتعدى ذلك إلى كلية النص. ورغم ذلك نلاحظ جيداً سياس المنهجية ومعالم الموضوعية قائمة في تلك الجزئيات. ولا ننسى أن الخفاجي يعالج الفصاحة والبلاغة الناجمة عن حسن التأليف أو النظم.

ومبدأ الجزئية أو الشطرية في هذه الممارسة تفر ل ابن منان من جهة أن يختصر دراسته هذه بفرز عينات ونماذج من مجموع التراث وطرحة أمامه ليبين الجيد من الرديء. وفي هذه الحالة لو لم يسلك هذا الطريق لاتسع حجم هذا الكتاب إلى مؤلفات عديدة.

٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٢٨٨-٢٩٢.

(٧٩٠) المصدر السابق ص ٢٨٨ - ٢٩٢.

(٧٩١) أنظر ص ٢٢ تاريخ النقد الأدبي عند العرب تأليف د. إحسان عباس.

والأحكام الجزئية بمقتضى المعايير هذه في حدود شطر من النص لا توفي المؤلف أو الناظم حقّه في الإيجاب والسلب. والأسل في الحكم الموضوعي المنهجي (٧٩٢) أن يتناول الناقد النص كاملاً متكاملًا، ويفحص مستوياته فحماً مغلّغاً في دقائق وخفايا الموضوع التي شاركت في تكوينه حتى يمكن تشكيل صورة صادقة تحمل في طياتها معالم الحسن والرداءة، وقيمة النص ومكانة صاحبه. فالجزء غير كافٍ بانفراديته لإقامة الحقّة في الحكم القطعي العادل التام.

وإذا كانت كل عينة تكشف معياراً نقدياً جزئياً عند الخفاجي على مستوى كل قضية، فإنها قد تضم عدداً من هذه الأمور على مستوى نص كامل. فأشبه ما تكون هذه القواعد والحقائق والمفاهيم بمعجم نقدي تجتمع فيه هذه الأشياء كلها. ولما كان هذا ذا علاقة حميمة بالنظم والتأليف، وكانت البساطة والنقد قائلين على عوالم مختلفة في أصلها، اجتمعت حسب ما أراد ابن سنان لتخلق تشكيلة تضم علوماً وفنوناً عدة، قبل توليف وسائله النقدية. وفي هذه الحالة لا يختلف الخفاجي عن مقدميه ولا عن تابعيه إلا في المنهج والطاقة الفكرية التي رفدوا في مواجهة القضايا.

وما يجب أن نفهمه هو أن هذه المصطلحات وهذه الحقائق النقدية والأدبية والبلاغية والصوتية والكلامية أمور ماثلة في عيّنات شعرية مجتزأة من مجمل النص بمختلف أجناسه وأنواعه؛ التي تتسع لتشمل أكثر ما يمكن بالأثر الإبداعي العربي المؤلف. ويتعين على الناقد إذ ذاك أن يطلع على الأسرار والخفايا الفنية والجمالية الكامنة في الجهاز اللغوي، ليفيد منها، ويتخذ له منها سلاحاً فنياً يجابه به ما يُشاكل أو يُشابه ما أورده الخفاجي في محضر سارسته.

(٧٩٢) أظهر ص ٢٢٢-٢٢٢ مناهج الدراما الأدبية في الأدب العربي (عرض و نقد واقتراح) تأليف د. شكري فيصل. دار العلم للملايين ٥/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. يقول: (يجب أن يكون الطابع الفردي العميق هو طابعنا، فندرس الأديب أو الشاعر في كل أوضاعه، وألوانه، ونحيط بكل مظاهره وصوره، ونتمق عوالمه الداخلية، ونرصد كل أحاسيسه، ونفنى في مثل الذي فنى فيه: نفرح معه أفراحه ونألم معه آلامه ونجوز الأجواء التي جازها، ونجعل من حياتنا تجربة ثانية لحياته بالقدر الذي تسمحنا به ظروفنا وأوضاعنا. فإذا نحن فعلنا ذلك استلمنا أن تفهم هذا الأدب الذي صدر عنه أقوى الفهم وأن تترس به أقوى التمرس... فإذا نحن كشف عن هذه الروح التي سادته والمثل التي أظلتها والآفاق التي كان يعيش فيها وتقلب في مطاوعها... إننا نهدف من هذه البداية الفردية أن نحدد مكان الشاعر في العالم الفني، أن ندل على سمته، أن نرسم صحنه البياني، نضل ذلك مع كل شاعر). (الجزئية والكلية في ضوء محاكمة الأديب وأدبه).

فصاحبنا أراد رصد قائمة من القضايا النقدية والبلاغية والأدبية والصوتية ليشقها ويفتحها الناقد الناشئ، حتى إذا اشتد عودُه أمكنه خوض غمار سمارك مظاهرة لمعطيات ابن سنان.

والقارئ إذا تمنع في قراءة "سر الفصاحة" يخرج باكتساب جديد يكمن في تجربة نقدية جديدة، أو الإبداع الثاني على حد رأي البعض. فقد وجدت حقيقة أن معطيات الخفاجي لا غنى عنها للمتبحر الأدب والنقد. فهي أصول امتدت جذورها من الماضي لتلتحم مع التالي من الصور.

وهي المسائل نفسها التي يتعامل بها نقادنا المعاصرين بشكل أو بآخر. وإذا احتاج ناقدنا اليوم إلى أن يتناول أي نص، كان مرجعه حتماً إلى المعجم النقدي القديم الأصل. وإذا كان ناقدنا اليوم يشترط الوحدة الموضوعية في الحكم على النص، فإن ابن سنان قد تحدث عن هذا في القرن الخامس الهجري. تكلم عن العناصر الفنية المتعلقة بمراحل الموضوع جميعها. فقد تعرض إلى حسن الابتداء بما فيه حسن المطلع والمقدمة، وعن حسن التخلص أو المقطع وحسن الختام. وقد نصب الخفاجي أيضاً لكل مرحلة موجباتها القانونية المناسبة. أما من الناحية التأليفية أو التنظيمية، فقد أورد ما ينيف على تسعة وأربعين قضية موزعة في مواقع جزئية، تناول بالدراسة دقائق وتفاسيل الموضوع في مجمله.

إذن فممارسة ابن سنان واسعة مكثمة تعتمد الشطرية للأسباب التي ذكرناها. وهي أقرب ما تكون إلى معجم نقدي بلاغي أدبي وسوتي؛ وهي مصدر يرجع إليه الباحث في أثناء الحاجة إليه في كل زمان ومكان.

غير أنه لا يغوتنا في هذا المقام الإشارة إلى مكانة هذه المفاهيم والحقائق في ضوء مرونة التطور والمستجدات. ولم أر ذلك التغير إلا ثانوياً أو فرعياً في الشطرية والمزاجية والذاتية واعتبار القول قبل القائل كان ترفض تأليف ناعلم لأجل الغرض الذي أنشئت لأجله اللغة، أما باقي الأمور فلا تخرج عن نطاق الدراسة النقدية قديمة كانت أم معاصرة، بل ما أحوجتنا إلى استيعابها وتطبيقها بما يتماشى مع روح عصرنا في كل أعمالها النقدية والأدبية.

الفصل الثالث

"مر الفساختة"

بين

التأثير والتأثير

سر الفصاحة بين التأثير والتأثير.

يتأسس الكتاب على ركائز خطيرة تشكل في تكاملها ثلوثاً منسجماً متكاملاً، موزعاً توزيعاً منهجياً محكماً على سعة الكتاب. وتتميز صارسته بمستويات محددة بقضاياها ومصطلحاتها وأحكامها في الأدب والنقد والبلغة؛ ترتد جذورها إلى الثقافة اليونانية والقارسية وغيرها، وإلى أوليات الأدب العربي، بدءاً من العصر الجاهلي وانتهاء إلى القرن الخامس الهجري حيث عاش الخفاجي (٤٦٦هـ/١٠٧٢م). لقد أخذ صاحبنا بمبدأ الالتقاء، حيث جمع من الكتب القيمة حاجته من علم الكلام والمنطق والأصوات واللغة والأدب والنقد والبلغة وغير ذلك. فكله اجتنب من كل بستان زهرة. فكل هذا الاحتكاك والاطلاع كَوَّن شخصية أدبية بلاغية نادرة متمهرة في ابن سنان. وكتبه خير دليل على ذلك. ثم إن هناك تصريحات مباشرة على ما قلناه وأخرى يدركها القارئ على جهة الاجتهاد والموازنة في الالتفاف والاختلاف بينه وبين مصادره. ولما تجتمعت فيه كل هذه الروافد المفيدة وصقلت بأسلوب جديد ومنهجية خاصة وأحكام متميزة في أغلب مواضعها، صار هذا الكتاب مصدراً يتم بالأمالة والفردية من جهة وبالاتباع من جهة أخرى، ثم إن إقبال الدارسين عليه فيما بعد دليل قاطع على قيمته العلمية ومكانة مؤلفه. ولنا من الذين يقولون وإن تماثلت جل حقائق سر الفصاحة مع ما في المصادر السابقة أو المعاصرة له: هذه بضاعتنا ردت إلينا. لأن ذلك حكم من قبيل المزاجية والذاتية وغياب الاعتبار والعدم التقدير. إن شخصية الخفاجي في كتابه متألة وهاجعة، ومعالها رابضة هناك، صارخة تنبيه بأصالة وفردية صاحبها.

ومن يتطلع إلى الكتاب يلف أثر ذلك كله جلياً، فكثيراً ما يعلن تأثره وأحياناً يلصح وأحياناً يسكت عن ذلك. ولما كان هذا الكتاب بهذه المواصفات استقبله العلماء واشتهوا به، ونهلوا منه ما يخدم أغراضهم بالموافقة أو الاستقاد أو الاستدلال أو الاحتذاء. وبهذا التقدير والاعتبار يكون سر الفصاحة منطلقاً يتجه اتجاه استرجاعياً في تأثره واتجاهاً امتدادياً في تأثيره. ولهذا الكلام قرينة ودلائل إثباتية شاهدة على ذلك في كلا المارين، تقاطعت أو تباينت في مواطن عدة نذكرها ونحصرها ما وسعنا إلى ذلك إمكانياتنا في هذا القبيل، من طريق التصريح المباشر أو التلميح أو الموازنة والقياس والتقدير بتشابه الفكرة والأسلوب واعتبار المعيار الزمني.

أولاً: التأثير:

إن القضايا المتعددة والمختلفة التي تناولها ابن سنان (٤٦٦هـ/١٠٧٢م) بالبحث والدراسة مستقاة من وحي السابقين. فأنظر إلى كتابه واستقرى أجزائه وتحرر تفاصيله تجد

ذلك صحيحاً. ولا يعني هذا أن الرجل قد وقف موقفاً سليماً إذ جمع شتات فنون جاهزة ورسنها على صفحات كتاب عنوانه للخفاجي ومضمونه لغيره. بل إنه امتقى تلك الحقائق المتنوعة باعتبارها معطيات علمية تستحق نظرة نقدية جديدة، وبالذات في القرن الخامس الهجري الذي رأى فيه تكاثر وشيوع الصيوب والمضلات والاتهامات في كلام اللغة العربية. والجديد في الأمر

- ١- الفرضيات. ٢- المناقشة والاعتراض. ٢- الاستدلال والاستشهاد.
- ٤- الاستنتاج. ٥- الحكم. ٦- النماذج التطبيقية من شعر وشعر.
- ٧- تنسيق المعلومات في تشكيل موضوعه بأسلوب تبرز فيه شخصية الخفاجي.
- ٨- تبيان العلاقة الحتمية بين علم الكلام والمنطق في فهم الأدب.
- ٩- الموضوعية في رؤية الأشياء.

كل هذه الأمور مجهودات من محض تدبر ابن سنان تجعله جديراً في إبداعه هذا. وإن قال قائل إنه مجرد ناقل، نقول له: خذ كتابه ووازن بينه وبين المصادر المتقدمة، تجد مورداً تفدى من روافد عدة ومختلفة ومستقراً واحداً انصهرت فيه تلك الاقتباسات وصارت ملكاً خفاجياً لا ينازعه فيه أحد. وهو في هذه الحال أشبه ببناء فنان صنع بيتاً على طريقته الخاصة بلبنيات جاهزة لم يساهم هو في إتقانها. هل ننكر هنا جهد الباني في التنسيق والتشكيل؟

وقد قمت بحصر القضايا التي عليها مدار التأثير في هذا الباب الآخر. وقد بلغ مجموعها ثمانية وأربعين قضية. (١) ولاحظت أن هذه العملية على ما هي عليه تتمثل في أمور ثلاثة:

- ١- تأثير من جهة التصريح.
- ٢- تأثير من جهة التلميح.
- ٢- تأثير من جهة استلاف الصيغة والفكرة والأسلوب والزمن.

وعلى مثل هذه الإجراءات كان قياسي في التأثير. وعرضت أمامي حالات مختلفة في تجسيد هذه المسألة الشائكة في مرحلة التلميح واستلاف الصيغة والفكرة. وأثرت أن استأنف المشكل بعرض القضايا المطروقة في الكتاب ثم الحديث عن ذلك الأثر على مستوى كل واحدة مع إظهار الأنماط التأثيرية والتأثيرية الثلاثة، وفي الوقت المناسب إبراز الأعلام الذين ساهموا في

(١) أنظر سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية.

تغذية تجربة ابن سنان من بعيد أو من قريب، حسب مقتضى حال كل موقف وموضع. واعتقد أنني بهذه الطريقة أكون قد سلكت أنجع سبيل في الإلمام بجوالب المسائل وجعل المعالم والمياسم من الصورة التأليفية موضعها اللائق والقريب.

أولاً - الأصوات:

تتفرع هذه القضية إلى ستة فروع جزئية تتبع منها مؤشرات منبئة عن أسهلها الأول أو ما يشاكله في مواضع أخرى. ويعني هذا أنها امتدحت من مصدر أسامي اعتمد الخفاجي مباشرة، ثم جاء علماء بعده فأخذوا منه ما أخذوا فمثل ذلك في كتبهم، فكان الشبه بين الفرع والأصل، ولذا فلي الباحث أن يتجشم مصاب التمييز بين هذا وذاك، حتى يكون لكل ذي حق حقه. وطلباً للمناسبة امتثلت الترتيب الزمني في معرض كلامي عن كل مسألة، لأن التأثير والتأثير يوجب علينا ذلك.

(١) الصوت عام لا يختص: (٢)

تناول ابن سنان هذه القضية في فصل الأصوات. وهي المشكلة نفسها التي طرقتها أبو علي (٢) (-/٥٢٠٢م) وأبو هاشم (٤) (-/١٢٢٢م) الجبائيان والقاضي عبد الجبار (٥) (-/١٠٢٤م) والشريف المرتضى (٦) (-/١٠٤٤م) وكلهم من متكلمي المعتزلة، على جهة اتوافق أو الانتقاد في الرأي. فالشبه في الصيغة والفكرة والمصطلحات والفرنسيات والاستدلالات والأحكام إلى جانب التصريح المباشر المؤكد دليل على هذا الأثر بخاسة. وهذا لا يعني البتة أن الرجل نقل الحقائق من حيز إلى آخر، بل رقد ذلك كله وزاد عليه ما في المصادر الأخرى المساهمة من ذلك:

- ١- كتاب ميبويه (٧) (-/٧٩٦م).
- ٢- جمهرة اللغة لابن دريد (٨) (-/٨٤٥م).

- (٢) من الفصاحة ١٥ وما بعدها ط. دار الكتب العلمية.
- (٣) ٢٨، ٢١، ٢٨، ٢٦/٧ الجبار. أنظر المغني للقاضي عبد الجبار ٢٨، ٢١، ٢٨، ٢٦/٧.
- (٤) أنظر شرح الأصول الخمسة للقاضي (١٠٢٤/٥٤١٥م) من ٢٤ و ٥٤١.
- (٥) الشريف أبو القاسم علي بن الحسين (-/٤٢٦هـ) ومن آثاره: الشافعي في الإمامة والتفنن على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار. أنظر وفيات الأعيان ٢١٢/٢.
- (٦) كتاب ميبويه ٢٥/١، ٢٢.
- (٧) جمهرة اللغة لابن دريد (-/١٢٢٢م) (ح ج ح) ٤٩/١.

- ٣- الكامل والمذكر والمؤنث للمبرد (٩) (-/٥٢٨٦م٨٩٩م).
- ٤- الموازنة للأصدي (١٠) (-/٥٢٧٠م٩٨٠م).
- ٥- سر صناعة الإعراب والخصائص لابن جني (١١) (-/٥٢٩٢م١٠٠١م).
- ٦- المعاني الكبير لابن قتيبة (١٢) (-/٥٢٧٦م٨٨٩م).

٢- الصوت مؤنث على جهة التأويل: (١٢)

وتناوله الخفاجي في كتابه؛ وهو على ما نرى أمر نحوي. وله فيه تقاطعات من باب الانتلاف مع مصادر مختلفة منها: ما تلحن فيه العامة للكسائي (١٤) (-/٥١٨٩م٨٠٤م) والمذكر والمؤنث للمبرد (١٥) (-/٥٢٨٦م٨٨٩م) والمذكر والمؤنث (١٦) لابن جني (-/٥٢٩٢م١٠٠١م) وسر صناعة الإعراب (١٧) والخصائص (١٨).

٢- الأصوات أعراض لا أجمام تُدرك وتُعقل: (١٩)

تأثر الخفاجي بكتاب المفني للقاضي عبد الجبار (٢٠) (-/٥٤١٥م١٠٢٤م) حيث ينقل عنه الأفكار كافة ويستقل بذلك في صياغة خاصة، وأحياناً ينقل الفكرة مع الصيغة. أما المصطلحات فواحدة مثل: العرض والجسم والإدراك والحاسة والطلست والبرسم والهذيان والهيئة والبنية والمحل وغيرها، مما يدل على اعتماد هذا الكتاب أساساً. كما استفاد من

٩) الكامل للمبرد (-/٥٢٨٦م٨٩٩م) تح شحاتة ١٠٥/٤ ١٠٧. المذكر والمؤنث للمبرد تح رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي س ٩١، مطبعة دار الكتب. الجمهورية العربية المتحدة ١٩٧٠م/٥١٢٩٠هـ.

١٠) الموازنة للأصدي (-/٥٢٧٠م٩٨٠م) تح أحمد سيد صقر ٤٥/١.

١١) سر صناعة الإعراب لابن جني (-/٥٢٩٢م١٠٠١م) ١٢/١ ١٤. الخصائص تح محمد علي النجار ٤١٦/٢.

١٢) المعاني الكبير لابن قتيبة (-/٥٢٧٦م٨٨٩م) ٨٧/١.

١٢) سر الفصاحة ١٦ - ١٩ ط. دار الكتب العلمية.

١٤) ما تلحن فيه العامة للكسائي (-/٥١٨٩م٨٠٤م) س ٥٢.

١٥) المذكر والمؤنث للمبرد (-/٥٢٨٦م٨٨٩م) س ٨٦ - ٩١ - ١٠٦.

١٦) المذكر والمؤنث لابن جني (-/٥٢٩٢م١٠٠١م) أنظر مجمل الكتاب.

١٧) سر صناعة الإعراب لابن جني (-/٥٢٩٢م١٠٠١م) ١٢/١ ١٤.

١٨) الخصائص ٤١٦/٢.

١٩) سر الفصاحة ١٦ - ١٧.

٢٠) المفني ٢١/٧ ٢٨ ٤٢، شرح الأصول الخمسة س ٢٤.

منايع أخرى كسر صناعة الإعراب (٢١) لابن جني (-٥٢٩٢/م١٠٠١). وقد اطلعت على رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا (٢٢) (-٥٤٢٨/م١٠٢٦) فوجدت بعض التقاطعات، غير أن الأول (الخفاجي) ملك نهجاً فلسفياً في الدرامنة والتحليل والثاني (ابن سينا) نهج أسلوباً علمياً تحليلياً يعتمد المعطيات والفرضيات ومناقشة الأشياء والاستنباط في الحكم وتطبيق القواعد. والاختلاف يكمن في الاصطلاحات الصوتية كالزممار والطرجهاري وعديم الاسم وغيرها مما عند أبي علي. وما يؤكد مرامي هو السبق الزمني الذي يخول أكبر احتمال في اطلاع الخفاجي على أثر ابن سينا؛ وإلا فالشبه يقطع بتأثر ضمني لأن ثقافة ما قبل فترة الخفاجي ثقافة عربية إسلامية واحدة، فهي في مجموعها مصدر واحد.

٤ - هل يحتاج الصوت إلى محل؟ (٢٢)

لقد كانت هذه القضية محط نزاع بين أبي علي (-٥٢٠٢/م٩١٥) وأبي هاشم (-٥٢٢١/م٩٢٢) والقاضي (-٥٤١٥/م١٠٢٤) والمرتضى (-٥٤٢٦/م١٠٤٤) والخفاجي (-٥٤٦٦/م١٠٧٢) وأثر ذلك في كتاب المغني (٢٤) على وجه الخصوص وشرح الأصول (٢٥) الخمسة، وما يشبه ذلك في الفكرة والتقص في رسالة ابن سينا (٢٦) (-٥٤٢٨/م١٠٢٦) في الحروف والقانون في الطب (٢٧).

٥ - هل يوجد الصوت في الهواء؟ (٢٨)

- (٢١) سر صناعة الإعراب ٦/١ - ١٤.
- (٢٢) رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا (-٥٤٢٨/م١٠٢٦) ص ١٦٢ وأنظر أيضاً القانون في الطب لابن سينا (أبي علي الحسين بن عبد الله) (-٥٤٢٨/م١٠٢٦) ٢٢٥/٢. مكتبة المشي بغداد (طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق).
- (٢٣) سر الفصاحة ٢٠ - ٢١ طبعة دار الكتب العلمية.
- (٢٤) المغني ٢٦/٧، ٢٨، ٢١، ٢٤، ٢٢، ٤٢.
- (٢٥) شرح الأصول الخمسة ص ٥٤١ (تأثر من جهة التصريح).
- (٢٦) رسالة أسباب حدوث الحروف ٥٩، ٦٠، ٦٢.
- (٢٧) القانون في الطب ٢٢٥/٢.
- (٢٨) سر الفصاحة ٢١ - ٢٢ ط. دار الكتب العلمية.

هذه المسألة شبيهة من حيث الإجراء النقدي والكلامي، بين الأطراف المتقدمة، مستقاة من المظني (٢٩) وشرح الأصول الخمسة (٣٠). وما يماثلها في الفكرة والغاية واردة عند ابن سينا (٢١) (-٥٤٢٨/١٠٢٦م) وإن لم يشر إليها الخفاجي.

ثانياً: الحروف (٢٢):

إذا كان الصوت يمثل مرحلة العموم والإدراك والعرضية وعدم التضاد فإن الحرف هيئة له يميزه عن غيره (٢٣)، وبه يتميز الحيوان الناطق المفكر عن عامة الحيوانات والجمادات. وهو الوحدة النطقية التي تدخل في مستويات التأليف جميعها: الكلمة وسياق البيت والفصل والنص. وينطوي هذا الباب على جوانب ستة شاركت في تأميم مشكلتها وخلق مواقفها مجموعة من الكتب اعتمدها الخفاجي مباشرة أو ضمناً، من قبيل التصريح أو التلميح أو تشابه الفكرة والمقصد واعتبار السبق الزمني. وتتمثل هذه الجوانب في الأمور التالية:-

- ١- انتقادات حول تسمية حروف المعجم. (٢٤)
- ٢- انتقادات حول عدة الحروف. (٢٥)
- ٣- حول الألف الساكنة أبداً. (٢٦)
- ٤- الحروف الفرعية المستبعدة. (٢٧)
- ٥- مخارج الحروف وصفاتها. (٢٨)

(٢٩) المظني ٢١/٧، ٢٢.

(٣٠) شرح الأصول الخمسة ٢٤ (تصريح مباشر).

(٢١) رسالة أسباب حدوث الحروف ٩٢ - ٩٧ و ٥٦ - ٥٧. يقول: (إن هذه الحروف قد سمع من حركات غير نطقية)، وهناك تفصيل في حدوث الأصوات على هذا المستوى. (والتأثير هنا من باب اختلاف الفكرة والمقصد).

(٢٢) رسالة أسباب حدوث الحروف ٦٠.

(٢٣) ميبويه (ط. بولاق) ١/١٩٤، ٢/٢٨٠، ١/٢٢١، ٢/٢٧٥، مر صناعة الإعراب ٤٨/١.

(٢٤) معجم العين للخليل (-٥١٧٥/٧٩١م)، ميبويه (ط. عالم الكتب) ٤٠٤/٢، المقضب تج عزيمة ١/٢٢٨، ١٩٢، ١٩٦، مر صناعة الإعراب لابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) ١/٤٦، ٢/٦٤، ٢٧٢، جمهرة اللغة لابن دريد ١/٧، وأنظر رسالة أسباب حدوث الحروف ٧٢، ٨٤ (اختلاف في الفكرة والمقصد) مر الفصاحة ٢٤ - ٢٦.

(٢٥) مر الفصاحة ص ٢٦.

(٢٦) مر الفصاحة ص ٢٧ وما بعدها. ط. دار الكتب العلمية.

(٢٧) المصدر نفسه ٢٦ - ٢٧.

(٢٨) المصدر نفسه ٢٩ - ٣٠.

٦- علاقات الحروف التاليفية. (٢٩)

إن مدار الاختلاف قائم في المسائل: ١، ٢، ٣ بين الخفاجي والبرد (٤٠) (-/٥٢٨٦م-٨٩٩م) الذي يتقدم في إثباته أموراً تبين ما يرتضيه الخفاجي إذ يستدل في تدعيم موقفه بآبن جني (٤١) (-/٥٢٩٢م-١٠٠١م). وفي هذه الحال يتأثر بآبي العباس على جهة التناقض في الرأي وبآبن جني على جهة التوافق. إلا أن المصادر الأخرى السابقة المشهورة جعلتني أتمعن في الأمر، لأنها تمثل ثقافة إسلامية عربية واحدة وزماناً سابقاً لابن سنان لا يستبعد أن يكون صاحبنا قد اطلع عليها مباشرة أو ضمناً. وفضلاً عن ذلك، لا يثقل بين الأطراف لا تنقصها سوى إشارة الخفاجي في كتابه إلى ذلك، وربما أغفلها حتى لا يثقل كاهل بحثه بذلك. ومن ذلك كتاب العين للخليل بن أحمد (٤٢) (-/٥١٧٥م-٧٩١م) الذي يعتبر الرائد في هذا الشأن وسيبويه (٤٣) (-/٥١٨٠م-٧٩٦م) وآبن دريد (٤٤) (-/٥٢٢١م-٨٤٥م) وآبن سينا (٤٥) (-/٥٤٢٨م-١٠٢٦م). فإذا أخذنا كتاب سيبويه نجد يقضي خطأ كما فعل ذلك في ترتيب الحروف حسب المخارج والحروف المستبقة في التاليف واكتشاف هذا من عمل الباحث.

وإذا كان البرد يعتمد حروف العربية ثمانية وعشرين ولا يعتمد الهمزة بحجة أن لا سورة لها ولا يجوز الابتداء بساكن، فإن الخفاجي ومن تأثر بهم كابن جني وسيبويه والخليل وآبن دريد وآبن سينا يرون عدد الحروف تسعة وعشرين في الأصل وخلاف ذلك في الهمزة.

(٢٩) سر الفصاحة ص ٢٧ وما بعدها ٥٦ - ٥٧.

(٤٠) المقضب تحقيق عزيمة ١/١٩٤، ١/١٩٦، ١/٢٢١، ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤١) سر صناعة الإعراب ١/٤٨، ٤٩ (يختصر الخفاجي ما فصله آبن جني) ١/١٤-١٦ (مادة ساكنة توسلاً إلى النطق) (آبن سنان ينقل عنه).

(٤٢) العين للخليل بن أحمد (-/٥١٧٥م-٧٩٦م) تحقيق الدكتور السامرائي ومهدي المخزومي ١/٤٧، ٥٠، ٥٧، ٦١، وأنظر العين ط. الثاني ٥١٢٨٦/١٩٦٧م ص ١/٤٥، ٥٤-٦١ تج درویش.

(٤٣) سيبويه تحقيق هارون ١/١٩٤، ٢/٢٨٠ و(ط. بولاق) ١/٢٢١، ٢/١٢١، ٢٨٠، ٤/٤٢٣، ٢/٤٠٤ (حول عدة الحروف) ٢/٦٤، ٢٧٢ (حول الألف الساكنة أبدأ) و ٤/٤٢٢-٤٢٣ (صفات ومخارج الحروف) ٤/٢٤٢، ٢٢٦، ٢٢٧ (صفات ومخارج الحروف)، ٤/٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٠ (باب الإدغام والإخفاء).

(٤٤) جمهرة اللغة ١/٦ - ٧ - ٨ - ٩.

(٤٥) رسالة أسباب حدوث الحروف ١٠٢، ١٠٤، ١٦٠، ١٦١، ٧١ - ٨٥.

وإذا رجعنا إلى علاقات الحروف التأليفية (٤٦) نجد التأثير واضحاً من باب التصريح أو اشتلاف الفكرة والمقصد. فنلاحظ ذلك الشبه بين مر الفصاحة (٤٧) والعين (٤٨) وسيبويه (٤٩) الجهمرة والمقتضب (٥٠) ومر صناعة الإعراب (٥١)، بينما المصادر الأخرى وارد ذلك فيها على جهة التوافق إلى جانب الوحدة الثقافية والسبق الزمني.

ثالثاً: الكلام وحقيقته بين الفائدة والاستعمال والافائدة والإسهال: (٥٢)
لقد اتجه الخفاجي في فهم حقيقة الكلام فهما يجمع بين طائفة المتكلمين (٥٣) الذين يشملهم الخفاجي الذي كان لكتاب المغني فيه أكبر الأثر وطائفة اللغويين الذين ينوب عنهم سيبويه (٥٤) (-/٥١٨٠-٧٩٦م) والذي يصرح بذكر اسمه. وقد عرفنا ذلك التركيب التصاعدي من الصوت والحرف والكلمة في تشكيل السياق التأليفي. فعند الطرف الأول إذا احتوت واتكملت هذه العناصر في نسق كلامي فهي كلام، أما اللغويون فيشترطون إلى جاذب ذلك الفائدة. ولأجل ذلك كان التمييز بين الكلام المفيد المستعمل وبين المهمل غير المفيد. وقد بينا هذا في باب الكلام. وإذا كان في هذا الموضع التأثير مَصْرَحاً به من قبل الخفاجي، فهناك من المؤلفات ما يتقاطع مع مر الفصاحة في هذه الحقائق مثل البيان والتبيين (٥٥) وجهمرة اللغة (٥٦) وديوان الأدب (٥٧) والمسائل العسكرية (٥٨) والصحاح (٥٩) ورسالة

-
- (٤٦) مر الفصاحة ٥٧ وما بعدها ط. دار الكتب العلمية.
(٤٧) المصدر نفسه ٥٧ وما بعدها.
(٤٨) كتاب العين تحقيق د. السامرائي والمخزومي ٥٠/١.
(٤٩) سيبويه تع هارون ٤/٤٢٢، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٦٠، ٤٤٩، ٤٥٠.
(٥٠) المقتضب تحقيق عزيمة ١/٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٧.
(٥١) مر صناعة ١/٧٥ - ٧٧.
(٥٢) مر الفصاحة ٢١ - ٢٢.
(٥٣) المغني ٧-٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-٢٧-٤٩ وأنظر شرح الأصول الخمسة ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٥.
(٥٤) سيبويه تع هارون ٤/١٤٤، ٢١٨، ٢٢٩، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠/٢.
(٥٥) البيان والتبيين تحقيق هارون ١/٧٩.
(٥٦) جهمرة اللغة لابن دريد (-/٥٢٢١-٩٢٢م) ١/٦ - ٩.
(٥٧) ديوان الأدب للفارابي إسحاق بن إبراهيم (-/٥٢٥٠-٩٦١م) تحقيق د. أحمد مختار عمر ص ٧٥. مراجعة إبراهيم أنيس مجمع اللغة العربية. القاهرة ١٩٧٤م/١٢٩٤.
(٥٨) المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي (-/٥٢٧٧-٩٨٧م) تحقيق اسماعيل أحمد عمارة ص ٢٥، ٢٦. مراجعة نهاد الموسى - منشورات الجامعة الأردنية عمان ١٩٨١م.
(٥٩) الصحاح للجوهري (-/٥٢٩٢-١٠٠٢م) تحقيق عبد الغفور عطار ٥/٢٠٢٢. دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٥٦م-١٢٧٦هـ.

الحروف (٦٠).

رابعاً: اللغة (٦١):

تأثر ابن سنان في هذه المسألة أساساً بابن جني (٦٢) (-٥٢٩٢/١٠٠١م) في قضية المواضع والتوقيف. وفي ذلك إضافة عن هذا الجانب وابن فارس (٦٢) (-٥٢٩٥/١٠٠٤م) أيضاً ينقل عن ابن جني. ولذا فالشبه بين سر الفصاحة والصاحبي ضمنية ليس إلا. كما نلاحظ التقاء في جزئيات هذه القضية بين الخفاجي وميويه. (٦٤)

خامساً: الفصاحة والبلاغة (٦٥):

تد كان لمن سبق من العلماء أثر كبير على ابن سنان في الفصاحة والبلاغة، حيث نجد في ثنايا كتابه ذكراً أو إشارة إليهم. ومن الملاحظ كما يذكر الخفاجي أن هؤلاء لم يعطوا مفهومًا دقيقاً للفصاحة والبلاغة، فوجد نفسه محملاً على الفصل في ذلك. فقد استفاد من شتات ما اطلع عليه في مؤلفاتهم وراح يوجز ذلك كله في تعريف دقيق وبسيط، وهو أن الفصاحة قاصرة على حسن وصف الألفاظ والبلاغة متعددة إلى حسن وصف الألفاظ مع المعاني، وهذان أمران يلتقيان في الظهور والبيان. وبهذا يتميز الخفاجي عن سابقه. ومن هؤلاء العلماء الذين تأثر بهم تأثراً مباشراً من جهة التصريح أو تشابه الفكرة والمقصد: أرسطو (٦٦) (-٣٢٢ق هـ)

(٦٠) رسالة أمياب حدوث الحروف ص ٧٢.

(٦١) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٤٨.

(٦٢) الخصائص ١/ ١٠، ١١، ١٢، ٢٨، ٢٩، ٤٠، ٤١، ١٦٧.

(٦٣) الصاحبي لابن فارس (-٥٢٩٥/١٠٠٤م) (أبي الحسين أحمد بن فارس زكريا) ص ٥. المكتبة السلفية بالقاهرة ١٩١٠م/١٣٢٨هـ.

(٦٤) ميويه تحقيق هارون ٢/ ٢٨ (تأثير مباشر).

(٦٥) سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ٥٨ - ٥٩.

(٦٦) فن الشعر لأرسطو (-٣٢٢ق م) تحقيق بدوي ص ٢٨، ٥٨، ٩٦.

ومسيويه (٦٧) (-/٥١٨٠ م٧٩٦) والكسائي (٦٨) (-/٥١٨٩ م٨٠٤) والأصمعي (٦٩) (-/٥٢١٦ م٨٢١) من ابن سلام الجمحي (٧٠) (-/٥٢٢٢ م٨٤٦) والتنوخي (٧١) (-/٥٢٤٦ م٨٥٦) والجاحظ (٧٢) (-/٥٢٥٥ م٨٦٨) الذي يذكر اسمه في كتابه، والمبرد (٧٣) (-/٥٢٨٦ م٨٩٩) وثلعب (٧٤) (-/٥٢٩١ م٩٠٣) الذي لا يذكره، وقدامة بن جعفر (٧٥) (-/٥٢٢٧ م٩٤٨) الذي ينقل عنه في كثير من المواضع، والقاضي الجرجاني (٧٦) (-/٥٢٩٢ م١٠٠١)، والآمدي (٧٧) (-/٥٢٧٠ م٩٨٠) ويصرح بهما في كتابه،

٦٧ مسيوه تحقيق هارون ٩/١ (ط. بولاق) ٢/٢٢٤، ٧، ١٨٢/١، ٨٧، ١٠٢، ١٢٧، ١٤٩، ١٠، ٧٩/٢، ٩٢، ١٠٦ (ط. بولاق) (تأثير مباشر).

٦٨ ط تلحن فيه العامة للكسائي (أبي الحسن علي بن حمزة الأسدي -/٥١٨٩ م٩٠٤) (مجلد الكتاب) تحقيق رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٨٢ م/١٤٠٢. (اشتلاف في الفكرة والمقصد).

٦٩ الأصمعي. الأصمعي (أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك -/٥٢١٦ م٨١٢) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون من ١٧-١٢١ دار المعارف. القاهرة ١٩٦٤ م/١٢٨٤.

٧٠ طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (-/٥٢٢١ م٨٤٦) تحقيق شاكر ١/٢٠٤، ٢٧٧.

٧١ كتاب القصيدة اليتيمة لأبي القاسم علي بن الحسن التنوخي (-/٥٢٤٦ م٨٦٠) تحقيق صلاح الدين المنجد من ٢٠، دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٠ م/١٢٩٠.

٧٢ البيان والتبيين ١/١٧٠، ٨٧، ٧٠، ٧٧، ٦٦، ٩٦، ٩٧، ١٢٩، ١٣٥-١٢٧، ١٠٥، ٦٥، ٢/٢٢٨، ٥/٢٠٩، ٢/١١٤، الحيوان تحقيق هارون ٤/٢٨٠، ٦/٢٠٧.

٧٣ الكامل تحقيق أبو الفضل وشحاتة ٢/١١٥، ١/٢٤٤، ١/٥٠، ٤/١٠٧، ٤١. المذكر والمؤثث تحقيق رمضان عبد التواب من ٨٦. المقتضب تحقيق عضية ٢/٢٢٤، ٢٢٥، ١/١٧٢، ١٧٢، ٢٢٢.

٧٤ قواعد الشعر لثلعب (أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني) (-/٥٢٩١ م٩٠٣) تحقيق رمضان عبد التواب من ٧٦. وأظفر شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة مصطفى الباي الحلبي. القاهرة ١٩٤٨ م.

٧٤ مجالس ثلعب تحقيق هارون ١/١٢، ١٦٦ (أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني) -/٥٢٩١ م٩٠٣. تحقيق عبد السلام هارون ١/١٢، ١٦٦. دار المعارف. القاهرة ١٩٤٨ م/١٩٤٩، ١٢٦٨/١٢٦٩.

٧٥ نقد الشعر قدامة (-/٥٢٢٧ م٩٤٨) من ١٧، ٢٢٦، جواهر الألفاظ تحقيق محي الدين ٢٧-٥٥.

٧٦ الوساطة للجرجاني (-/٥٢٩٢ م١٠٠١) من ٧٩.

والمرزباني (٧٨) (-/٢٨٤٤م ١٩٤٤م) الذي يتأثر به ومع ذلك لا يشير إليه، وابن جني (٧٩) (-/٢٩٢٢م ١٠٠١م) يشير إليه وهو أحد مصادر المقمّدة، وأبي هلال العسكري (٨٠) (-/٢٩٥٥م ١٠٠٤م) يتأثر به وليس له في كتابه ذكر، والمعري (٨١) (-/٤٤٤٩م ١٠٥٧م) وهو شيخه المباشر وابن قتيبة (٨٢) (-/٢٧٦٦م ٨٨٩م) في كتابه اختلاف مع ما ورد في سر الفصاحة وابن رشيق (٨٢) (-/٤٦٦٢م ١٠٧٠م) لا يذكره.
هذه هي أهم المصادر التي أثرت من بعيد أو من قريب، مباشرة أو ضمناً بالتصريح أو باختلاف الفكرة والفاية في سر الفصاحة.

سادساً: التناسب بين اللفظين: (٨٤)

ونجد الآن أنفسنا إزاء قضية يعالج بموجها شخّاف القواعد السليمة في التأليف الصحيح. ألا أن صاحبنا ليس أول من ارتاد هذا الفن، بل إن يواذر الاقتفاء بادية في كتابه بمن تقدمه، فأحياناً ينقل حرفياً وأحياناً يقتبس الفكرة ويصوغها في أسلوبه الخاص، وهذا لا يخرجها أبداً عن دائرة التأثير، ودرى هذا الأثر من باب التصريح واختلاف الفكرة والسبق الزمني. ومن تلك المصادر التي تأثر بها : غريب الحديث للهروي (٨٥) (-/٢٢٤٤م ٨٢٨م) والتأويل في مجاز القرآن لأبي عبيد (٨٦) (-/٢٠٩٠م ٨٢٤م) ومسند

٧٧ الموازنة تحقيق صقر ١/٢٨٤، ٢٨٥، ٢٢٥، ١٠٨، ٢/٨٢، ١/٢٦٩، ٢/١٠٥،
١/٤٠٦، ٢/١٧٤، ١/٢٢٦، ٢/٢٤٥، ١٩٨، ١/١٥٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢/٢١٥،
١/٢٧، ٢/١٢٢، ١/٤٠٢، ٢٠٤.

٧٨ الموشح ١٣-٣٢١.

٧٩ سر صناعة الاعراب ١/٧٥، ١٢، ١١. الخصائص ١/٢٥٤.

٨٠ الصناعتين للعسكري (-/٢٩٥٥م ١٠٠٤م) تحقيق أبو الفضل والبجاوي ١٢٢، ١٩٠،
١٢، ٢١٨، ١٢٧، ١٥٠، ١٥١ (الاختلاف في الفكرة، تأثر غير مصرح به).

٨١ عبث الوليد للمعري (-/٤٤٤٩م ١٠٥٧م) ٤١٠، ٤١١، ٢٦ (وما بقي من الكتاب أثر في الخفاجي). شرح التنوير على سقط الزند ١/٥٦ (وما بقي من التاب أثر في الخفاجي).

٨٢ الشعر والشعراء ابن قتيبة (-/٢٧٦٦م ٨٨٩م) تح شاعر ١/٧٠، ٢/٧٨٢. المعاني الكبير لابن قتيبة ١/٢٠٧.

٨٢ العمد لابن رشيق (-/٤٦٦٢م ١٠٧٠م) ٢/٧٠.

٨٤ سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ص ١٦١.

٨٥ غريب الحديث للهروي (أبي عبيد القاسم بن سلام (-/٢٢٤٤م ٨٢٨م) تحقيق حسين محمد محمد شرف ٤/٤٢٦. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٨٤م/١٤٠٥هـ.

٨٦ التأويل في مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن الشنن التميمي تحقيق محمد فؤاد مزين ١/٢٧٢. محمد سامي أمين الخفاجي. القاهرة ١٩٥٤/١٩٦٢م ١٢٧٤/١٢٨٢هـ.

الإمام أحمد (٨٧) (-/٥٢٤١م) وسنن ابن حجة (٨٨) (-/٥٢٧٢م) ونقد الشعر
تقدمة (٨٩) (-/٥٢٢٧م) والموشح للمزرباني (٩٠) (-/٥٢٨٤م) وثلاث رسائل
في إعجاز القرآن الرماني (٩١) (-/٥٢٨٤م) ولزوم ما لا يلزم للمعري (٩٢)
(-/٥٤٤٩م) (١٠٥٧).

فاذا وازدت بين هذه المصادر وبين من الفصاحة تجد اتفاقاً في الأفكار والمصطلحات
والأحكام مما ينبىء بتأثر الخفاجي بتلك المؤلفات، وما يؤكد ذلك أنه كثيراً ما يعترض على
هذه الكتب فيما تعرضه من قضايا، كما فعل مع الرماني (-/٥٢٨٤م) مثلاً.

ويتأثر ابن مئان بتقدمة (٩٢) (-/٥٢٢٧م) في نقد الشعر في (ألا يعبر في المدح
بالفاظ الذم وفي الذم بالفاظ المدح) (٩٤) وبأبي هلال (-/٥٢٩٥م) (١٠٠٤) في
الصناعتين (٩٥). وفي عدم استعمال ألفاظ المتكلمين والنحويين والأطباء
والمهندسين، ومصطلحات العلوم والفنون والمهن الأخرى في الشعر والنثر. وفي سر الفصاحة (٩٧) يصرح
الخفاجي بتأثره بالآمدي (٩٨) (-/٥٢٧٠م) (٩٨٠)، غير أن ما أشار إليه من هذا القبيل غير
موجود في (الموازنة) و في (المؤتلف والمختلف). وفي هذا الموضع بالذات يدعو ابن
مئان إلى التطلع إلى أسلوب الجاحظ (٩٩) (-/٥٢٥٥م) من خلال مؤلفاته كافة، لا جلاء

٨٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل (-/٥٢٤١م) ٢٢٦/١، ٢٧٠ طبعة الميمنة. القاهرة
١٢١٢/٥١٨٩٥م. وأنظر البيان والتبيين تحقيق هارون ٢٩/٢.

٨٨) سنن ابن حجة (أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني -/٥٢٧٥م) تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي ٥٠٢/١. دار إحياء التراث العربي ١٢٩٥/١٩٧٥م (باب ما جاء في اتباع
النساء للجنائز. عدن مازورات غير ماجورات).

٨٩) نقد الشعر ١٢١، ١٤٨، ٢٠٩.

٩٠) الموشح ص ١٢٧.

٩١) ثلاث رسائل ص ٨٩، ٩٠.

٩٢) لزوم ما لا يلزم للمعري -/٥٤٤٩م تحقيق طه حسين والأبياري ٦/١.

٩٣) نقد الشعر ص ٦٨ وما بعدها.

٩٤) سر الفصاحة ١٦١.

٩٥) الصناعتان تحقيق الجاوي ورفيقه ٢٦٧ (تأثر مباشر لا تنادف الفكرة والمقصد واعتبار
السبق الزمني).

٩٦، ٩٧) سر الفصاحة ١٦٢ ط. دار الكتب العلمية.

٩٨) الموازنة تحقيق سقر والمؤتلف والمختلف لا يوجد فيهما ما أشار إليه الخفاجي في كتابه
ص ١٦٦.

٩٩) أنظر أسلوب الجاحظ في مؤلفاته كافة حيث فيها النموذج الأمثل في التأليف عند ابن
مئان.

١٠٠) يتيمة الدهر للشعالبي (-/٥٤٢٩م) طبعة الصاوي ٢٠٠/٢ و ٢٥٥/٢ تحقيق
محي الدين عبد الحميد.

خصائص تأليفه وتصنيفه. فهو لا يخلط بين مصطلحات هذا الفن وذاك وكأنه إذ يكتب في هذا العلم لا يعرف شيئاً عن الآخر.

وفي حسن الكتابة شبه بين سر الفصاحة و. يتيمة الدهر للثعالبي (١٠٠) (١٠٢٧/٥٤٢٩م) والكتابة والتعريض (١٠١) وتفسير غريب الحديث لابن قتيبة (١٠٢) (١٠٢٧٦/٥٨٨٩م) وقد أعلن الخفاجي تأثره الصريح بالجاحظ (١٠٢) في هذا الموضع غير أن أثر ذلك غير موجود في مؤلفاته أيضاً.

وفي اشتراطه (ألا تكون الكلمة القافية ذات معنى مخالف لما وضع له الشعر) (١٠٤)، تأثر بابي محمد بن يحيى الصولي (١٠٥) (١٠٢٥-١٤٦٦م) في كتابه: "الأوراق وأخبار أبي تمام" والصناعتين للمسكري (١٠٦) (١٠٠٤-١٢٩٥م) إذ أن هناك اشتدافاً في الفكرة والتمثيل والغاية وإن كان يذكر ابن سنان^{ذكر} أباً هلال ويذكر الصولي. وفي القافية والواقعة حشواً (١٠٧) يتأثر بقدامة (١٠٨) (١٢٢٧-١٤٤٨م) والشبه بينهما كبير، والصناعتين (١٠٩) الذي لا يشير إليه رغم الاشتلاف الذي ينتهجا في (الفساد) (١١٠) تقاطع بين "سر الفصاحة" وما جاء في المصادر السابقة منها "معاني القرآن"

١٠١) الكتابة والتعريض للثعالبي (أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (١٠١-١٠٢٧-٢٥٠٠/٥٤٢٩) م ٢٩٠٥ تقديم علي الخاقاني. مكتبة دار البيان. بغداد ١٩٧٢. وأنظر الكتابة والتعريض للبرجاني أبي العباس أحمد بن محمد (١٠٨٢-٥٤٨٢) تصحيح محمد بدر الدين النساني. مطبعة السعادة القاهرة ١٩٠٨م. ١٠٢) تفسير غريب القرآن. ابن قتيبة (١٠٢٧٦-٥٢٧٦) تحقيق السيد أحمد سقر. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨.

١٠٢) ما أشار إليه ابن سنان - في تأثره - بالجاحظ غير موجود في مؤلفاته.

١٠٤) سر الفصاحة ١٨٢.

١٠٥) أخبار الشعراء المحدثين في كتاب الأوراق لأبي محمد بن يحيى الصولي (١٠٢٥-١٤٦٦م) تحقيق هورث م ٧٦ دن ط ٢٤ دار المسيرة بيروت ١٩٧٩م/١٤٠٠. وأنظر أخبار أبي تمام بني بكر الصولي (١٠٢٥-١٤٦٦م) تحقيق خليل محمد عساكر وعزام والهندي م ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٦.

١٠٦) الصناعتان لأبي هلال العسكري تحقيق البجاوي ٤٢١ (اشتلاف في الفكرة والتمثيل مع سر الفصاحة).

١٠٧) سر الفصاحة ١٨٤، ١٨٥ ط. دار الكتب العلمية.

١٠٨) نقد الشعر ٢١٠، ٤٥١.

١٠٩) الصناعتين مع البجاوي ٤٥١.

١١٠) سر الفصاحة ١٨٥ ط. دار الكتب العلمية.

للقرآن (١١١) (-٥٢٠٧/٨٢٢م) والقوافي للمبرد (١١٢) (-٥٢٨٦/٨٨٩م) وتلقيب القوافي لابن كيسان (١١٢) (-٥٢٩٩/٩١١م) ونقد الشعر لقدامة (١١٤) (-٥٢٢٧) والموشح للمزباني (١١٥) (-٥٢٨٤) ومختصر القوافي لابن جني (١١٦) (-٥٢٩٢).

وفي تجنّب الإقواء يتأثر ابن سنان بقدامة بن جعفر (١١٧) (-٥٢٢٧/٩٤٨م) بخاصة. وفي الإيطاء في القوافي بقدامة (١١٨) أيضاً وتعلب (١١٩) (-٥٢٩١/٩٠٢م) وابن جني (١٢٠) (-٥٢٩٢/١٠٠١م) وفي المجاز بالجاحظ (١٢١) (-٥٢٥٥/٨٦٨م) والمبرد (١٢٢) (-٥٢٨٦/٨٩٩م) وابن جني (١٢٣) (-٥٢٩٢/١٠٠١م). ثم إن الكلام الذي أشار إليه الخفاجي فيما يتعلق بالمجاز غير وارد عندنا وعلى هذا فالتأثير قائم صريح. وفي التضمن يقتبس عن المرباني (١٢٤) (-٥٢٨٤/٩٩٤م) من غير إشارة إلى كتابه، وقرينة الاختلاف في الفكرة والتمثيل والمقصد دليلنا على ذلك والروائي (١٢٥) (-٥٢٨٤) الذي يذكره ويتعامل معه والمصري (١٢٦) (-٥٢٩٥/١٠٠٤م) الذي يتقاطع معه في المعطيات ولا يشير إليه وفي الإكفاء (١٢٧) أو كما يسميه الخفاجي (ألا يكون الروي على حرفين متقاربين) يأتلف ابن

معاني القرآن تأليف ابن زكريا يحيى بن زياد القرأ (-٥٢٠٧/٨٢٢م) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ١٢٢/٢. القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥/١٢٧٤م.

- (١١٢) القوافي للمبرد (-٥٢٨٦) س ١١٢.
- (١١٢) تلقيب القوافي لابن كيسان (-٥٢٩٩/٩١١م) س ٢٥.
- (١١٤) نقد الشعر ٢١٢.
- (١١٥) الموشح ١١-١٨.
- (١١٦) مختصر القوافي لابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) س ٢٠٠.
- (١١٧) نقد الشعر ٢١٠، ٢١٢.
- (١١٨) نقد الشعر س ٢١٢.
- (١١٩) قواعد الشعر لتعلب (-٥٢٩١/٩٠٢م) تحقيق عبد المنعم خفاجي س ٦٢.
- (١٢٠) كتاب العروض لابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) تحقيق شاذلي فرهود س ٢٠١.
- (١٢١) الحيوان تحقيق هارون ٢٥/٥، ٢٨.
- (١٢٢) القوافي للمبرد تحقيق رمضان عبد التواب س ١١٢ وما بعدها.
- (١٢٢) الخصائص لابن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) ٢٤٢/٢.
- (١٢٤) الموشح تحقيق البجاوي س ٢٢.
- (١٢٥) ثلاث رمائل في إعجاز القرآن س ٩٤.
- (١٢٦) كتاب الصناعتين تحقيق البجاوي س ٢٦.
- (١٢٧) سر الفصاحة ١٨٧ ط. دار الكتب العلمية.

ستان مع المبرد (١٢٨) (-/٥٢٨٦م) وثلعب (١٢٩) (-/٥٢٩١م) وابن
كيسان (١٢٠) (-/٥٢٩٩م) والمرزباني (١٢١) (-/٥٢٨٤م) ومع ذلك فلا إعلان
ولا إشارة إلى ذلك. لكن دليل التشبه قريته على ذلك من بعيد أو من قريب.

وفي التجميع (١٢٢) أو كما يعرفه الخفاجي (ألا تكون كافة الصراع الأول من البيت
الأول على روي ينبغي أن تكون كافة آخر البيت بحسبه، فيأتي بخلافه).
وفي هذا الموضع أثر الاقتباس واضح بينه وبين قدامة (١٢٢) (-/٥٢٢٧م) و
والسكري (١٢٤) (-/٥٢٩٥م) الذي يغل الإشارة إليه وابن قتيبة (١٢٥)
(-/٥٢٧٦م).

وفي التجميع (١٢٦) تماثل شديد بين سر الفصاحة وتقد الشعر. (١٢٧) مما ينبغي
باحذاء الخفاجي بقدامة. وفي التصريح (١٢٨) مثل ذلك بين الخفاجي وتقد الشعر (١٢٩)
وجواهر الألفاظ (١٤٠) والصناعيين (١٤١) وشرح التنوير. (١٤٢) وفي المجانس (١٤٣) أثر
واسع بين سر الفصاحة والمصادر الأخرى، التي يلتقي معها إما بالتصريح بإيراد المؤلف أو

(١٢٨) الكامل للمبرد (-/٥٢٨٦م) ص ٨٥/٢.

(١٢٩) قواعد الشعر لثعلب (-/٥٢٩١م) تحقيق رمضان عبد التواب ص ٦٩.

(١٢٠) تلقيب التوافي لابن كيسان (-/٥٢٩٩م) تحقيق د. السامرائي ص ٢٧.

(١٢١) الموشح ص ٤٩.

(١٢٢) سر الفصاحة ١٨٧.

(١٢٢) نقد الشعر ٥١ - ٥٢.

(١٢٤) الصناعيين تح البجاوي ٢٦٤، وتح د. مفيد قمبيحة ص ٢٨٩.

(١٢٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة (-/٥٢٧٦م) تحقيق شاکر ٤٢٥/١.

(١٢٦) سر الفصاحة ١٨٧.

(١٢٧) نقد الشعر ص ٢٨.

(١٢٨) سر الفصاحة ١٨٩.

(١٢٩) نقد الشعر ٥٢ - ٥١.

(١٤٠) جواهر الألفاظ تح محيي الدين ص ٢.

(١٤١) الصناعيين تح البجاوي ورفيقه ٢٧٨.

(١٤٢) شرح التنوير على مقتط الزند ١٠٢/٢.

(١٤٢) سر الفصاحة ١٩٢. ط. دار الكتب العلمية.

ساحبه وإما من باب التماثل في المعطيات، من ذلك سيويه (١٤٤) (١٤٨٠هـ/٧٩٦م) وابن
سلام الجمحي (١٤٥) (٨٢٢١هـ/٨٤٥م) والجاحظ (١٤٦) (٨٦٨هـ/٨٢٥٥م)
والمبرد (١٤٧) (٨٢٨٦هـ/٨٩٩م) وثعلب (١٤٨) (٨٢٩١هـ/٩٠٣م) وابن المقز (١٤٩)
(٨٢٩٦هـ/٩٠٨م) وقدامة (١٥٠) (٨٢٢٧هـ/٩٤٨م) والقاضي الجرجاني (١٥١)
(٨٢٩٢هـ/١٠٠١م) والامدي (١٥٢) (٨٢٧٠هـ/٩٨٠م) والعسكري (١٥٢)
(٨٢٩٥هـ/١٠٠٤م) والعالبي (١٥٤) (٨٤٢٩هـ/١٠٣٧م) وغيرهم.
وفي حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب (١٥٥) يتأثر بأبي هادل العسكري (١٥٦)
(٨٢٩٥هـ/١٠٠٤م) وفي التناسب في المقدار (١٥٧) (أو كما يسمى مراعاة النظر) يقتدي
بالجاحظ (١٥٨) (٨٢٥٥هـ/٨٦٨م) وابن طباطبا (١٥٩) (٨٢٢٢هـ/٩٢٢م) وقدامة (١٦٠)
(٨٢٢٧هـ/٩٤٨م) والمبرد (١٦١) (٨٢٨٦هـ/٨٩٩م) والعسكري (١٦٢)
(٨٢٩٥هـ/١٠٠٤م) والمرزباني (١٦٣) (٨٢٨٤هـ/٩٩٤م).

سابعاً: التناسب من طريق المعنى:

- ١٤٤) سيويه ٤٦/١.
١٤٥) طبقات فحول الشعراء تنج شاعر ٦٨/٢.
١٤٦) البيان والتبيين ٢٢٦/١ الحيوان ١٢١/١.
١٤٧) المقضب ٤٦/١.
١٤٨) قواعد الشعر ٥٦.
١٤٩) البديع في الشعر لابن المقز (٨٢٩٦هـ) ص ٥٥.
١٥٠) نقد الشعر ١٨٥ - ١٨٦.
١٥١) الواسطة القاضي الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن (٨٢٩٢هـ) المجانم
١٦٢، ٨٤١ ص ٤١ - ٤٢.
١٥٢) الموازنة تحقيق صقر ص ٢٧٤/١، ٢٧٥.
١٥٣) الصناعتين تنج البجاوي ص ٢٢١، وتنج قمبيحة ٢٥٢.
١٥٤) يتيمة الدهر ٢٤٨/٤.
١٥٥) سر الفصاحة ١٩١.
١٥٦) الصناعتين تنج البجاوي ٢٧٨، وتنج قمبيحة ١٤٩ وما بعدها.
١٥٧) سر الفصاحة ١٩١ - ١٩٢.
١٥٨) البيان والتبيين ١٢٦/١، ١٤٥، ٧/٢، الحيوان ٢٩/٢.
١٥٩) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (٨٢٢٢هـ/٩٢٢م) ص ١٢٥.
١٦٠) نقد الشعر ص ١٧١.
١٦١) اقوفي للمبرد (٨٢٨٦هـ/٨٨٩م) ص ٤.
١٦٢) الصناعتين تنج د. قمبيحة ٢٨٢، باب الإشادة وص ١٧٧.

وفي تناسب الألفاظ من طريق المعنى (١٦٤) يتأثر الخفاجي بشعلب (١٦٥)
(١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) والجاحظ (١٦٦) (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) وقدامة (١٦٧) (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) والقاضي
الجرجاني (١٦٨) (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) والآمدي (١٦٩) (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) وابن جني (١٧٠)
(١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) والعسكري (١٧١) (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م)

وفي التبديل (١٧٢) هناك شبه بين الخفاجي في كتابه وبين جواهر الألفاظ (١٧٢)
قدامة (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) والعسكري (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) في كتابه (١٧٤). وهنا تأثير صريح
إذ أن قدامة والآمدي من المصادر التي يعتمد عليها أساماً.

وفي المخالف (١٧٥) تماثل بين سر الفصاحة وقد الشعر (١٧٦) وجواهر الألفاظ (١٧٧)
والتأثير صريح به ومباشر والانتلاف خير دليل على ذلك.
وفي التقديم والتأخير (١٧٨) يقتبس عن سيويه (١٧٩) (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) دون الإشارة وعن
الوسامة (١٨٠) مع الإشارة والتصريح.

- (١٦٢) الموشح ١٢١.
(١٦٤) سر الفصاحة ٢٠٠ ط. دار الكتب.
(١٦٥) قواعد الشعر شعلب (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) ص ٢٩١.
(١٦٦) البيان والتبيين ١/٢٦١.
(١٦٧) نقد الشعر ٢٦١، ١٢٦.
(١٦٨) الوسامة للجرجاني (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) ص ٤٤.
(١٦٩) الموازنة ١/٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥.
(١٧٠) الفتح الوهبي لابن جني (١٠٢٠-هـ/١٠٢٠م) ص ٢٩.
(١٧١) الصناعتين ٤٢٠، ٢١١، ٢١٢ تج البجاوي و ٢٢٩ تج قميحة.
(١٧٢) سر الفصاحة ٢٠٢ ط. دار الكتب.
(١٧٢) جواهر الألفاظ تج محي الدين ص ٤.
(١٧٤) الصناعتين تحقيق البجاوي وأبو الفضل ٢٧١، وتج قميحة ٤١١.
(١٧٥) سر الفصاحة ٢٠٤ ط. دار الكتب العلمية.
(١٧٦) نقد الشعر ١٦٢، ١٦٤.
(١٧٧) جواهر الألفاظ ص ٤.
(١٧٨) سر الفصاحة ١١١ - ١١٤ ط. دار الكتب.
(١٧٩) سيويه ١٢/١ (ط. بولاق).
(١٨٠) الوسامة ص ١٦٧.

وفي المقلوب (١٨١) يتأثر بالفراء (١٨٢) (-/٥٢٠٧-٨٢٢م) والآصدي (١٨٢) (-/٥٢٧٠-١٨٠م) وابن جني (١٨٤) (-/٥٢٩٢-١٠٠١م) ثائراً سريعاً مباشراً. وفي التفسير (١٨٥) ياتلف ويختلف مع الرماني (١٨٦) (-/٥٢٨٤-١٩٤م) ، ويقتبس عن قدامة (١٨٧) (-/٥٢٢٧-١٤٨م) والعسكري (١٨٨) (-/٥٢٩٥-١٠٠٤م).

وفي فن الاستعارة (١٨٩) تأثر واسع مباشر سريع وضمني على جهة انتلاف الفكرة والتمثيل والفاية، ومن المصادر التي أخذ عنها هي: البيان والتبيين (١٩٠) وتأويل مشكل القرآن (١٩١) والمفضليات (١٩٢) والبديع في الشعر (١٩٢) وأخبار أبي تمام (١٩٤) والوسامة (١٩٥) والوازنة (١٩٦) والمؤتلف والمختلف (١٩٧) والموشح (١٩٨) والكشف عن

-
- (١٨١) سر الفصاحة ١١٤ ط. دار الكتب.
 (١٨٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٥.
 (١٨٣) الوازنة ١/١٥، ٢٥١، ٢٠٩، ٢٠٦.
 (١٨٤) الفتح الوهبي لابن جني تج محسن غياص من ٤١.
 (١٨٥) سر الفصاحة ١١٨ ط. دار الكتب.
 (١٨٦) ثلاث رسائل ٧٩ - ٨٠ - ١٢٠.
 (١٨٧) نقد الشعر ١٩٤.
 (١٨٨) الصناعتين من ٢٨٠ (تج البجاوي).
 (١٨٩) سر الفصاحة ٨١١.
 (١٩٠) البيان والتبيين ١/١٥٢، ٤/٥٥.
 (١٩١) تأويل مشكل القرآن من ١٠٢.
 (١٩٢) المفضليات للمفضل الضبي أبي العباس بن محمد (-/٥١٦٨-٧٨٤م) من ٤٢٠ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. دار المعارف القاهرة ط ١٩٦٤/٢.
 (١٩٣) البديع في الشعر لعبد الله بن المعتز (-/٥٢٩٦-١٠٨م) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي من ١٩.
 (١٩٤) أخبار أبي تمام ٢٢ - ٢٧.
 (١٩٥) الوسامة ٢٤، ٤٠، ٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٢٨.
 (١٩٦) الوازنة ١/٢٥١، ٢/٢٤٥، ١/٢٦١.
 (١٩٧) المؤتلف والمختلف للآصدي (ط. القدسي) من ٢٢.
 (١٩٨) الموشح ٤٢٩.

مساوي المتنبي (١٩٩) وثلاث رسائل (٢٠٠) وحلية المحاضرة (٢٠١) والصناعتين (٢٠٢) واليتيمة (٢٠٣) وشرح التنوير (٢٠٤).

وفي الايفال (٢٠٥) يتأثر بالمبرد (٢٠٦) (٥٢٨٦-) وقدامة (٢٠٧) (٥٢٢٧-) والمسكري (٢٠٨) (٥٢٩٥-). وفي الحشو (٢٠٩) يقتدي بقدامة (٢١٠) (٥٢٢٧-/١٩٤٨م) ويأخذ عن الوسامة (٢١١) والموازنة (٢١٢) والموشح (٢١٣) وثلاث رسائل في إعجاز القرآن (٢١٤) وحلية المحاضرة (٢١٥) والصناعتين (٢١٦) والعمدة (٢١٧).

وفي المعافلة (٢١٨) يقتبس عن الجاحظ (٢١٩) (٥٢٥٥-/٨٦٨م) وقدامة (٢٢٠)

١٩٩) الكشف عن مساوي المتنبي للصاحب بن عباد (٥٢٨٥-/١٩٩٥م) تحقيق آل ياسين ص ٤٩.

(٢٠٠) ثلاث رسائل ١٧٩، ١٨٠، ١٢٠.

(٢٠١) حلية المحاضرة للحاتمي (٥٢٨٨-/١٩٩٨م) تحقيق د. جعفر الكاظمي ص ٤ وما بعدها.

(٢٠٢) الصناعتين ٦٠، ٢٨٥، ٢٠٢، ٢٠٣ تج البجاوي وس ٢٩٥ تج د. قميحة.

(٢٠٣) يتيمة الدهر للشعالبي (٥٤٢٩-/١٠٢٧م) ١٢٧/١.

(٢٠٤) شرح التنوير على سقط الزند للمعري ٤٥/٢.

(٢٠٥) سر الفصاحة ١٥٥.

(٢٠٦) الكامل ١٦٧/١.

(٢٠٧) نقد الشعر ١١٩٢، ١١٩٤، ١٩٥.

(٢٠٨) الصناعتين تج البجاوي ٢٨٠ وتج د. قميحة ٤٢٢.

(٢٠٩) سر الفصاحة ١٤٦ ط. دار الكتب.

(٢١٠) نقد الشعر ص ٢٥٥.

(٢١١) الوسامة ص ٢١.

(٢١٢) الموازنة ٢٢٥/٢.

(٢١٣) الموشح ٢٦٨.

(٢١٤) ثلاث رسائل ص ٩.

(٢١٥) حلية المحاضرة تج هلال ناجي ص ٧٧.

(٢١٦) الصناعتين ٢٨١، ٤٥٠.

(٢١٧) العمدة ٦٥/٢، ١٢٧/١.

(٢١٨) سر الفصاحة ١٥٧.

(٢١٩) الحيوان تج هارون ٢٤٤/٢.

(٢٢٠) نقد الشعر ٢٠١، ٢٠٢.

(٢٢٧-هـ/١٤٤٨م) والقاضي الجرجاني (٢٢١) (٢٢٢-هـ/١٠٠١م) والآمدي (٢٢٢)
(٢٢٧-هـ/١٨٠٠م) والعسكري (٢٢٢) (٢٢٥-هـ/١٠٠٤م)

وفي التوشيح أو كما يسميه البعض التصميم أو الإرماد أو التشريع (٢٢٤): يأخذ عن
أخبار أبي تمام (٢٢٥) ونقد الشعر (٢٢٦) والوسامة (٢٢٧) والموشح (٢٢٨)
والصانعين (٢٢٩) والعمدة (٢٣٠).

وفي الإيجاب والسلب (٢٢١) يتأثر بقدامة (٢٢٢) في نقد الشعر والآمدي (٢٢٢) في
موازته والمزباني (٢٢٤) في موشحه وابن رشيق في عمدته (٢٢٥).
وفي الإيجاز (٢٢٦) يتأثر بالجاحظ (٢٢٧) (٢٢٥-هـ/٨٦٨م) وقدامة (٢٢٨)
(٢٢٧-هـ/١٤٤٨م) والروائي (٢٢٩) (٢٢٨-هـ/١٩٩٤م) ابن جني (٢٤٠)

-
- (٢٢١) الوسامة ٢٩٩.
(٢٢٢) الموازنة ١/٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠.
(٢٢٢) الصانعين ١٦٢، ٢٨٧.
(٢٢٤) سر الفصاحة ١٦١.
(٢٢٥) أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي (٢٢٥-هـ) ص ٢٢.
(٢٢٦) نقد الشعر ١٦١، ٦٨.
(٢٢٧) الوسامة ٢٥٩، ٦٩.
(٢٢٨) الموشح ص ٤٦٨.
(٢٢٩) الصانعين ٢٦٧، ٢٨٢ تح البجاوي و ٤٢٥ تح د. قبيصة.
(٢٣٠) العمدة لابن رشيق (٤٦٢هـ) تحقيق محي الدين ٢/٢٠.
(٢٣١) سر الفصاحة ٢٠٦.
(٢٣٢) نقد الشعر ١٠٣، ١٧١.
(٢٣٢) الموازنة ١/٤٧٦.
(٢٣٤) الموشح ٢٥٢.
(٢٣٥) العمدة تح محي الدين ١/٧٦.
(٢٣٦) سر الفصاحة ٢٠٦.
(٢٣٧) البيان والتبيين ١/٨٢، ٨٦، الحيوان ١/٩١.
(٢٣٨) نقد الشعر ١٠٢، ١٧١، نقد الشر لقدامة تحقيق طه حسين والعبادي ص ١٠٤.
(٢٣٩) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل للروائي (٢٢٨-هـ/١٩٩٤م) ص ٧٠.
(٢٤٠) الخصائص ١/٢، ٨٢، ٨٦.

(٢٤٢) قتيبة وابن العسكري (٢٤١) (١٠٠٤/٥٢٩٥-م) وابن قتيبة (٢٤٢) (١٠٠١-م/٥٢٩٢) وابن رشيق (٢٤٢) (١٠٦٢/٥٤٥٦-م) وفي المساواة (٢٤٤) يتأثر بقدامة (٢٤٥).

وفي الإشارة (٢٤٦) يتأثر بالهروي (٢٤٧) (١٢٢٨/٥٢٢٤-م) والجاحظ (٢٤٨) (١٢٥٥-م/٥٢٦٨) وقدامة (٢٤٩) (١٢٤٨-م/٥٢٢٧) والحاتمي (٢٥٠) (١٢٩٨/٥٢٨٨) والعسكري (٢٥١) (١٠٠٤/٥٢٩٥-م) والمعري (٢٥٢) (١٠٥٧/٥٤٤٩-م).

وفي اللغوس وأسبابه (٢٥٣) يتأثر بقدامة (٢٥٤) (١٢٤٨/٥٢٢٧-م) والآمدي (٢٥٥) (١٢٧٠-م/٥٢٨٠) والصاحب بن عباد (٢٥٦) (١٢٨٥-م) وابن قتيبة (٢٥٧) (١٢٥٤-م) والصدّة (٢٥٨).

-
- (٢٤١) الصناعتين تح البجاوي ١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ وتح قمحة ١٩٩ وما بعدها.
- (٢٤٢) أدب الكاتب ص ١٥.
- (٢٤٣) الصدّة ٢٥٠/١ تح محي الدين.
- (٢٤٤) صر الفصاحة ٢٠٧.
- (٢٤٥) نقد الشعر ص ١٧١ وما بعدها.
- (٢٤٦) صر الفصاحة ٢٠٧ - ٢٢٠.
- (٢٤٧) غريب الحديث للهروي (١٢٢٨-م/٥٢٢٤) طبعة حيدر آباد ٥/٢.
- (٢٤٨) البيان والتبيين ١/٧٦ ، ٧٧ ، ٨٢.
- (٢٤٩) نقد الشعر ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٢٤٥.
- (٢٥٠) حلية المحاضرة تح هلال ناجي ٢٢/١.
- (٢٥١) الصناعتين تحقيق قمحة ص ١٩١ ، ١٩٥.
- (٢٥٢) عبث الوليد للمعري (١٠٥٧-م/٥٤٤٩) ص ١١١.
- (٢٥٣) صر الفصاحة ٢٢١.
- (٢٥٤) نقد الشعر قدامة (١٢٣٧-م/١٢٤٨) ص ١٠٤.
- (٢٥٥) الموازنة ١٧/٢.
- (٢٥٦) الكشف عن مساوي المتنبي (١٢٨٥-م) للصاحب بن عباد (١٢٨٥-م) حيث شبه هذم الظاهرة (برقى المقارب). وأنظر ص ٤٥.
- (٢٥٧) المعاني الكبير لابن قتيبة (١٢٧٦-م/١٢٨٩) ٩٢/٢.
- (٢٥٨) الصدّة ٩٢/٢.
- (٢٥٩) صر الفصاحة ٢٢٦.

وفي الألفاظ (٢٥٩) أثر بالجاحظ (٢٦٠) (-/٥٢٥٥م) والصاحب (٢٦١)
(-/٥٢٨٥م) والحاتمي (٢٦٢) (-/٥٢٨٨م) والثعالبي (٢٦٢) (-/٥٤٢٩م) والمعري (٢٦٤)
(-/٥٤٤٩م) (١٠٥٧م).

وفي الأرداف والتبعية (٢٦٥) شبه بين سر الفصاحة وجواهر الألفاظ (٢٦٦) ونقد
الشعر (٢٦٧) لقدامة والموازنة (٢٦٨) (-/٥٢٧٠م) ، وهذان الأخيران مصدران صرح بهما في
أكثر من موضع. فالتأثير على هذا مباشر، وبينه وبين الصناعتين (٢٦٩) وتأويل مشكل القرآن
لابن قتيبة (٢٧٠) (-/٥٤٥٤م) والعمدة (٢٧١) لابن رشيق (-/١٠٦٢م) شبه قائم.

وفي التمثيل (٢٧٢) يأخذ الخفاجي عن مجاز القرآن لأبي عبيد معمر بن المثنى
التميمي (٢٧٢) (-/٥٢٠٩م) وعن الجاحظ (٢٧٤) (-/٥٢٥٥م) والمبرد (٢٧٥)
(-/٥٢٨٦م) وقدامة (٢٧٦) (-/٥٢٢٧م) والمرزباني (٢٧٧)

- (٢٦٠) البيان والتبيين ١٤٧/٢ .
(٢٦١) الكشف عن مساوي المتنبي للصاحب اسماعيل بن عباد (-/٥٢٨٥م) م ٤٥ .
(٢٦٢) حلية المحاضرة للحاتمي تح د. جعفر الكاظمي ١٧٨/٢ وما بعدها .
(٢٦٢) يتيمة الدهر للثعالبي ح عبد الحميد ١٦٢/١ .
(٢٦٤) اللزومات للمعري (-/٥٤٤٩م) ١٠٥٧/١ ٢١٤/١ .
(٢٦٥) سر الفصاحة ٢٢٠ ط. دار الكتب .
(٢٦٦) جواهر الألفاظ م ٧ .
(٢٦٧) نقد الشعر ١٧٨ .
(٢٦٨) الموازنة ٢٩٦/١ .
(٢٦٩) الصناعتين تح البجاوي ٢٥٠ وتح قميحة ٢٨٥ .
(٢٧٠) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (-/٥٢٧٦م) م ٢٥٠ .
(٢٧١) العمدة ٢٨٢/١ .
(٢٧٢) م ١٢٢ سر الفصاحة .
(٢٧٢) مجاز القرآن ٢٦٩/١ .
(٢٧٤) البيان والتبيين ٢٥٢/١ ، ٢٠٢ ، الحيوان ٢٥٢/١ ، ٢٤٦/٢ .
(٢٧٥) الكامل للمبرد تح شحاتة ٢٧٠/٢ .
(٢٧٦) نقد الشعر ١٨٢ . جواهر الألفاظ م ٧ . نقد الشعر م ١٠٠ ، ١٠١ .
(٢٧٧) الموشح م ٢٨٧ .

(٥٢٨٤- / م١٩٤٤) والعسكري (٢٧٨) (٥٢٩٥- / م١٠٠٤) وابن رشيق (٢٧٩) (٥٤٦٢-).

وفي صحة التقسيم (٢٨٠) يتأثر بالجاحظ (٢٨١) (٥٢٥٥- / م٨٦٨) وقدامة (٢٨٢) (٥٢٢٧- / م١٩٨٠) والجرجاني (٢٨٢) (٥٢٩٢- / م١٠٠١) والآمدي (٢٨٤) (٥٢٧٠- / م١٩٨٠) والمرزباني (٢٨٥) (٥٢٨٤- / م١٠٠٤) والعسكري (٢٨٦) (٥٢٩٥- / م١٠٠٤) والمرتضى (٢٨٧) (٥٤٢٦- / م١٠٤٤).

وفي الاستحالة واثنافض (٢٨٨) يتأثر بالجاحظ (٢٨٩) (٥٢٥٥- / م٨٦٨) وقدامة (٢٩٠) (٥٢٢٧- / م١٩٤٨) والآمدي (٢٩١) (٥٢٧٠- / م١٩٨٠) والمرزباني (٢٩٢) (٥٢٨٤- / م١٩٤٤) والعسكري (٢٩٣) (٥٢٩٥- / م١٠٠٤) والمعري (٢٩٤) (٥٤٤٩- / م١٠٥٧) وابن رشيق (٢٩٥) (٥٤٥٦- / م١٠٦٢).

٢٧٨ الصناعتين تج. البجاوي ٢٥٢، وتج. د. قمحة ٢٨٩ وما بعدها.

٢٧٩ العمدة ٢٨٠/١.

٢٨٠ سر الفصاحة ٢٢٥.

٢٨١ البيان والتبيين ٢٤٠/١، الحيوان ٤٦/٢.

٢٨٢ نقد الشعر ١٤٩، ٢٢٨ وجواهر الألفاظ ص ٦. (يقتل عنه).

٢٨٢ الروامة ص ٤٧.

٢٨٤ الموازنة ٢٠٠/٢.

٢٨٥ الموشح ١٤٤.

٢٨٦ الصناعتين تج. البجاوي ٢٤٢، ٢٤٤.

٢٨٧ أمالي المرتضى تحقيق أبوا فضل ٦٢٦/١.

٢٨٨ سر الفصاحة ٢٢٨ - ٢٢٩.

٢٨٩ البيان والتبيين ١٦٦/١، ١٧٦.

٢٩٠ نقد الشعر ٢٢٢ وما بعدها ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٢٢ وما

بعدها ٢٤٥٠٢٣٦.

٢٩١ الموازنة ١٤/٢، ٢٢٥.

٢٩٢ الموشح ٢٥٢.

٢٩٣ الصناعتين ٨٩، ١٠٥.

٢٩٤ شرح التنوير على سقط الزند ص ٤٢/٢.

٢٩٥ العمدة ٢٥٢/٢ وما بعدها.

وفي صحة التشبيه (٢٩٦) يتأثر بسيويه (٢٩٧) (-/٥١٨٠-٧٩٦م) وابن سلام
الجمحي (٢٩٨) (-/٥٢٢١-٨٤٥م) والجاحظ (٢٩٩) (-/٥٢٥٥-٨٦٨م) والمبرد (٣٠٠)
(-/٥٢٨٦-٨٩٩م) وابن المعتز (٣٠١) (-/٥٢٩٦-٩٠٨م) وابن طباطبا (٣٠٢)
(-/٥٢٢٢-٩٢٢م) وقدامة (٣٠٣) (-/٥٢٢٧-٩٤٨م) والقاضي الجرجاني (٣٠٤)
(-/٥٢٩٢-١٠٠١م) والرماني (٣٠٥) (-/٥٢٨٤-٩٩٤م) والعسكري (٣٠٦)
(-/٥٢٩٥-١٠٠٤م) وابن رشيق (٣٠٧) (-/٥٤٥٦-١٠٦٢م) وابن جني (٣٠٨)
(-/٥٢٩٢-١٠٠١م) والآمدي (٣٠٩) (-/٥٢٧٠-٩٨٠م) والمرزباني (٣١٠)
(-/٥٢٨٤-٩٩٤م) والمعري (٣١١) (-/٥٤٤٩-١٠٥٧م).

وفي صحة الأوصاف (٣١٢) في الأغراض: يأخذ عن البيهقي (٣١٢) (-/٥٢٢٠-٩٢٢م)

-
- (٢٩٦) سر الفصاحة ٢٤٥ - ٢٤٦ ط. دار الكتب.
(٢٩٧) كتاب سيويه (-/٥١٨٠-٧٩٦م) ٢٨/٢.
(٢٩٨) طبقات فحول الشعراء ١/٥٥ ٢/٦٩٩.
(٢٩٩) البيان والتبيين ١٩/٢.
(٣٠٠) الكامل ٢/٧٦٦.
(٣٠١) البديع في الشعر لابن المعتز ١٢١. عبد الله بن المعتز (-/٥٢٩٦-٩٠٨م) حقيق
محمد عبد المنعم خفاجي ١٢١. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٤٥م/٥١٣٦٥.
(٣٠٢) عيار الشعر لابن طباطبا ٢٢ - ٢٧. مراجعة نعيم زرزور (بيروت).
(٣٠٣) نقد الشعر ١٢٢.
(٣٠٤) الوصاة ص ٤١.
(٣٠٥) النكت ص ٨٧ - ١٠١.
(٣٠٦) الصنائع ٢٢٩ تح البجاوي و ٢٦١؛ ٢٨٠ تح قميحة.
(٣٠٧) العمدة ١/٢٨٦ ٢/٢٥٩ ٢٦٠.
(٣٠٨) النصف لابن جني (-/٥٢٩٢-١٠٠١م) ص ٥٠.
(٣٠٩) الموازنة ٢/٥٩ ٢/٨٢.
(٣١٠) الموشح ص ٢٠٥.
(٣١١) شرح التنوير على مقطع الزند: ينسب لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخوي (من علماء
القرن السادس الهجري) ١/١٢٦ ٢/١٤٩. مطبعة مصطفى محمد القاهرة ١٢٥٨ هـ
(٣١٢) سر الفصاحة ٢٥٦.
(٣١٣) المحاسن والمساوي للبيهقي إبراهيم بن محمد (-/٥٢٢٠-٩٢٢م) ٢/٢١٤ دار صادر
بيروت ١٩٦٠م/١٢٨٠ هـ.

وابن طبامبا (٢١٤) (٢٢٢٢/١٤٤٢م) وقدامة (٢١٥) (٢٢٢٧/١٤٤٨م) والآمدي (٢١٦) (٢٢٧٠/١٤٤٠م) والمرزباني (٢١٧) (٢٢٨٤/١٤٤٠م) والعسكري (٢١٨) (٢٢٩٥/١٠٠٤م) والمرتضى (٢١٩) (٢٢٦٠/١٠٤٤م) وابن رشيق (٢٢٠) (٢٢٥٦/١٠٦٢م).

وفي صحة المقابلة (٢٢١) في المعاني هناك تماثل بين سر الفصاحة وبين البديع في الشعر (٢٢٢) والمختار من رسائل الصابي (٢٢٣) ونقد الشعر (٢٢٤) لقدامة (٢٢٧/١٤٤٨م) وجواهر الألفاظ (٢٢٥) والآمدي (٢٢٦) (٢٢٧٠/١٨٠٠م) والعسكري (٢٢٧) (٢٢٩٥/١٠٠٤م).

-
- (٢١٤) عيار الشعر ١٤، ١٦، ١٨، ٢٣، ٢٧، ٥١، ٧٧، ٩٩، ١٠٥، ١٠٩.
- (٢١٥) نقد الشعر ٢١٢، ٢٢٢، ٢١٤ وجواهر الألفاظ ص ٦.
- (٢١٦) الموازنة ٢٥١/١، ٢٥٥. (اعتبر ابن مئان حكم الآمدي على البحتري تصفاً حيث قال: (وهذا عندي أهجن ما مدح به الخليفة وأقبحه) ورايه من رأي المرتضى (٢٢٦٠/١٠٤٤م).
- (٢١٧) الموشح ٤٢٤، ٢٠٢.
- (٢١٨) الصناعتين ص ٤٩٨. البجاوي و ص ١١٤ تج قميحة.
- (٢١٩) أمالي المرتضى (٢٢٦٠/١٠٤٤م) ٩٥/٢.
- (٢٢٠) العمدة ١٢٩/٢.
- (٢٢١) سر الفصاحة ٢٦٧.
- (٢٢٢) البديع في الشعر ٧٤.
- (٢٢٣) المختار في رسائل الصابي ص ٢٤٥.
- (٢٢٤) نقد الشعر ١٤٩، ١٥٢، ٢٢٩، ١٥٢، ١٥٤.
- (٢٢٥) جواهر الألفاظ ص ٥.
- (٢٢٦) الموازنة ١٩٥/٢، ٢٠٢/٢.
- (٢٢٧) الصناعتين ٢٢٩، ٢٤٠، ٤٥٥ تج البجاوي و ٢٧١ (باب المقابلة) ص ٤٧٤ (باب التصلف) و ٢٧١ (المقابلة).

وفي الاستدلال بالتمثيل (٢٢٨) يقتبس الخفاجي عن مجاز القرآن (٢٢٩) ونقد الشعر (٢٢٠) وجواهر الألفاظ (٢٢١) والصناعتين (٢٢٢) وشرح التنوير (٢٢٣) والعمدة (٢٢٤).

وفي الاستدلال بالتعليل (٢٢٥) يتأثر بقدامة (٢٢٦) (-/٥٢٢٧م) وفي صحة التفسير (٢٢٧) وفساده يقتدي بقدامة (٢٢٨) (-/٥٢٢٧م) والعسكري (٢٢٩) (-/٥٢٩٥م).

وفي الاحتراس (٢٤٠) أو التحرز ما يوجب الطعن فيه يأخذ عن الجاحظ (٢٤١) (-/٥٢٥٥م) وابن المقنز (٢٤٢) (-/٥٢٩٦م) وقدامة (٢٤٣) (-/٥٢٢٧م) والقاضي الجرجاني (٢٤٤) والحائسي (٢٤٥) (-/٥٢٨٨م).

-
- (٢٢٨) سر الفصاحة ٢٦٩. ط. دار الكتب العلمية.
(٢٢٩) مجاز القرآن ٢٦٩/١.
(٢٢٠) نقد الشعر ١٨١.
(٢٢١) جواهر الألفاظ ٧ - ٨.
(٢٢٢) الصناعتين تح البجاوي ٢٥٢، وتح قميحة ٢٨٩ وما بعدها.
(٢٢٣) شرح التنوير ٤٥/١.
(٢٢٤) العمدة ٢٤٧/١.
(٢٢٥) سر الفصاحة ٢٧٧.
(٢٢٦) نقد الشعر ١٩٢، ١٠٤، ١٨٦.
(٢٢٧) سر الفصاحة ٢٧٠.
(٢٢٨) نقد الشعر ١٥٤، ٢٢٠ ص ١٥٧.
(٢٢٩) الصناعتين ٢٤٦ تح البجاوي و ٢٨٠ تح قميحة و ٢٨٩-٢٤٧ تح البجاوي.
(٢٤٠) سر الفصاحة ٢٧٢.
(٢٤١) البيان والتبيين ٢٤٩/١، ٢٥٢، ٢١٥/٢.
(٢٤٢) البديع في الشعر ص ٥٩، ٦١.
(٢٤٣) نقد الشعر ٢٢، ١٥٧.
(٢٤٤) الواسطة ٢٩٨.
(٢٤٥) حلية المحاضرة تح هلال ناجي ٤٦/١.

والصكري (٢٤٦) (-٥٢٩٥/م١٠٠٤) وابن رشيق (٢٤٧) (-٥٤٥٦/م١٠٦٢).
وفي حسن الابتداء والتخلص والاختتام (٢٤٨) يتأثر بغيار الشعر (٢٤٩) وأخبار أبي تمام (٢٥٠) وأخبار الشعراء (٢٥١) المحدثين للصولي أبي محمد يحيى (-٥٢٢٥/م١٩٤٦) ونقد الشعر (٢٥٢) والوسامة (٢٥٢) والموازنة (٢٥٤) وحلية المحاضرة (٢٥٥) واليتيمة (٢٥٦) والعمدة (٢٥٧).

وفي الفلو والمبالغة (٢٥٨) يأخذ عن أرسطو (-٥٢٢٢/م١٩٢٢) عن طريق مؤلفاته وبخاصة: فن الشعر (٢٥٩)، ويقتبس عنه أيضاً ضحياً بواسطة قدامة (٢٦٠) وغيره من المشتهرين بعلم المنطق كما يوجد بين معطياته وما ورد في غيار الشعر (٢٦١) شبه يوحى بالتأثر إلى جانب سبق الزماني والوحدة الثقافية؛ وإن لم يعلن ذلك في كتابه؛ كما يتأثر بالقاضي الجرجاني (٢٦٢) (-٥٢٦٦) في وسامته، وبالأعدي (٢٦٢) في موازته. والخفاجي يصرح

- ٢٤٦ الصناعتين تح قميحة ٤٢٤.
٢٤٧ العمدة ٤٨/٢.
٢٤٨ سر الفصاحة ٢٧٠ ط. دار الكتب.
٢٤٩ غيار الشعر ٥٤، ٩٢، ١٢٥، ١٢٦، ١١٥.
٢٥٠ أخبار أبي تمام ٧٦.
٢٥١ أخبار الشعراء المحدثين للصولي (-٥٢٢٥/م١٩٤٦) ص ١٢٤.
٢٥٢ نقد الشعر ص ٥٢.
٢٥٢ الوسامة ص ١٥٥ (نقد حول أوه وكيه للمتنبي).
٢٥٤ الموازنة ٥٩/٢، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧٥، ٧٩، ٨١، ٢٩١/٢.
٢٥٥ حلية المحاضرة تح هلال فاجي ٩١/١ (الفصل الثاني تح د. جعفر الكتاني رقم ١٤٢ وأظفر أطف بيت تخلص به شاعر من وصف إلى مدح أو ذم (رقم ١٦٢).
٢٥٦ يتيمة الدهر (-٥١٠٣٧/م١٤٢٩) ١٦٢/١، ١٢٦.
٢٥٧ العمدة ١٩١/١، ٢١١/١.
٢٥٨ سر الفصاحة ٢٧١ ط. دار الكتب.
٢٥٩ فن الشعر لأرسطو (-٢٢٢٢ ق م) تح شكري ص ٨٥، ١٢٢، ١٤٥، ١١٧/سر الفصاحة ص ٢٢١.
٢٦٠ غيار الشعر ص ٢٢ وما بعدها.
٢٦١ نقد الشعر ص ١٦٠ وما بعدها ص ٦٠، ٦٥، ٢٤٢، ٦٢، ٦٨. جواهر الألفاظ ص ٦.
٢٦٢ الوسامة للقاضي الجرجاني (-٥٢٩٢/م١٠٠١) ص ٤٢، ٤٢٨.
٢٦٢ الموازنة ١٩٩/١، ٢٤٢، ٢٤٤.

بهذا الأثر بشأن هذين الرجلين حيث يذكر الأول في خمسة مواضع (٢٦٤) والثاني في ثلاثة عشر موضعاً. (٢٦٥)

وفي طبقة الشعراء ومستويات شعرهم (٢٦٦) يتأثر بابن سلام (٢٦٧) (-/٥٢٢١-٨٤٥م) وأبي تمام (٢٦٨) (-/٥٢٣٢-٨٤٦م) والجاحظ (٢٦٩) (-/٥٢٥٥-٨٦٨م) وابن قتيبة (٢٧٠) (-/٥٢٧٦-٨٨٩م) والبحتري (٢٧١) (-/٥٢٨٤-٨٩٦م) والمبرد (٢٧٢) (-/٥٢٨٦-٨٩٩م) وثلعب (٢٧٣) (-/٥٢٩١-٩٠٢م) وابن المعتز (٢٧٤) (-/٥٢٩٦-٩٠٨م) وابن طباطبا (٢٧٥) (-/٥٢٩٢-٩٢٢م) وقدامة (٢٧٦) (-/٥٣٢٧-٩٤٨م) والآمدي (٢٧٧) (-/٥٢٧٠-٩٨٠م) والمرزباني (٢٧٨) (-/٥٢٨٤-٩٩٤م) والحطمي (٢٧٩) (-/٥٢٨٨-٩٩٨م) والقاضي الجرجاني (٢٨٠) (-/٥٣٩٢-١٠٠١م) والعسكري (٢٨١) (-/٥٢٩٥-١٠٠٤م) والتمالي (٢٨٢)

- ٢٦٤) مر الفصاحة ص ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢.
٢٦٥) مر الفصاحة ٦٢، ١١٥، ١٢٢، ٢٤٢، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٩، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٥.
٢٦٦) مر الفصاحة ٢٧٨ ط. دار الكتب.
٢٦٧) طبقات فحول الشعراء.
٢٦٨) حماسة أبي تمام.
٢٦٩) البيان والتبيين والحيوان.
٢٧٠) الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥٢٧٦/٨٨٩م).
٢٧١) حماسة البحتري.
٢٧٢) المقتضب والكامل للمبرد (٥٢٨٦/٨٩٩م).
٢٧٣) قواعد الشعر لثعلب (٥٢٩١/٩٠٢م).
٢٧٤) البديع في الشعر.
٢٧٥) عيار الشعر لابن طباطبا (٥٢٩٢/٩٢٢م).
٢٧٦) نقد الشعر ونقد الشعر.
٢٧٧) الموازنة للآمدي.
٢٧٨) الموشح.
٢٧٩) حلية المحاضرة.
٢٨٠) الوصاة للجرجاني (٥٢٩٢/١٠٠١م).
٢٨١) الصناعتين.
٢٨٢) يتيمة الدهر.

(٢٨٤) رشيق وابن (١٠٥٧/هـ ١٠٤٩) (٢٨٢) والمصري (١٠٢٧/هـ ١٠٢٩) (١٠٦٢/هـ ١٠٥٦).

كتاب "سر الفصاحة" مؤلف التطلعت فيه موضوعات عدة؛ تناولها الخفاجي بأسلوب أدبي استقرائي مفصل ومحدد في مستويات فاصلة. وتغلب النزعة المنطقية والفلسفية على بعض الفصول حيث يعرض المشكل ويحلله تحليلًا قائمًا على الافتراض والحجة كما هو الشأن في فصل الأصوات والكلام والصورة التأليفية (أو المشروع التأليفي) الذي يعترض فيه على قدامة (١٠٢٧/هـ ١٠٤٨) مستنداً إلى نظرية أرسطو (٢٨٥) (٢٢٢٢ ق م) من جهة، وعلى النظرة العميقة والدليل من قبيله. ويعتمد في دراسة بقية مسائله على اللغويين والبلاغيين ونقاد صناعة الشعر وغيرهم من الأدباء. وإذا أضعنا النظر في الميزات الرئيسية لهذا الكتاب من جهة التأثير، نجد تيارات قوية اختمرت في تجربة الخفاجي ثم انصبت في هذا الكتاب:

١- التيار المنطقي الفلسفي والكلاسي:

ويتمثل بخاتمة في أثر أرسطو (٢٨٦) (٢٢٢٢ ق م) مباشرة وضمنياً والنظام (٢٨٧) (١٠٤٥/هـ ١٠٢١) وأبي علي (٢٨٨) (١١٥٠/هـ ١١٠٥) وأبي هاشم (٢٨٩) (١٠٢٢/هـ ١٠٢١) الجبائين وقدامة بن جعفر (١٠٢٢/هـ ١٠٤٨) على الخفاجي والقاضي عبد الجبار (٢٩٠) (١٠٤١) والشريف المرتضى (٢٩١) (١٠٤٤/هـ ١٠٤٤).

(٢٨٢) شرح التنوير وعبد الوليد واللزوميات.

(٢٨٤) العدة في نقد الشعر.

(٢٨٥) نقد الشعر قدامة (١٠٢٢/هـ ١٠٤٨) تحقيق كمال مصطفى. مكتبة الخفاجي. القاهرة ١٩٦٢/٢٥١٢٨٢/٢٥.

(٢٨٦) فن الشعر لأرسطو (٢٢٢٢ ق م) ترجمة الفارابي وابن سينا وابن رشد تحقيق عبد الرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣/١٢٧٢/١٩٥٣، سر الفصاحة ط. دار الكتب ٢٢١.

(٢٨٧) إبراهيم بن سيار بن هاشم البصري أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة (١٠٤٥/هـ ١٠٢١). أنظر تاريخ بغداد ١٩٧/٦، أمالي المرتضى ١٢٢/١، خطط المقرئ ٢٢٤/١، النجوم الزاهرة ٢٢٤/٢.

(٢٨٨) (٢٨٩) (٢٩٠) سبقت ترجمتهما. أنظر المعنى للقاضي عبد الجبار (١٠٢٤/هـ ١٠٢٤) ٤٣، ٤٢، ٤١، ٢٨، ٢٤، ٢١، ٢٨، ٢٦، ٢٤، ١٩، ٧، ٦/٧.

(٢٩١) الشريف المرتضى (١٠٤٤/هـ ١٠٤٤) أنظر وفيات الأعيان ٢١٢/٢، سر الفصاحة ٢٢٨، ١٤٨-٢١-١٩.

٢- التيار اللغوي:

ويشله الخليل بن أحمد (٢٩٢) (-/١٧٥هـ/٧٩١م) وسيبويه (٢٩٢) (-/١٨٠هـ/٧٩٦م) والأصمعي (٢٩٤) (-/٢١٦هـ/٨٢١م) وأبو عمرو بن العلاء (٢٩٥) (-/٢٤٦هـ/٨٦٠م) والمبرد (٢٩٦) (-/٢٨٦هـ/٨٩٩م) وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش (٢٩٧) (-/٢١٥هـ/٩٢٧م) وغيرهم وكل هؤلاء صرح بذكرهم في كتابه.

٢- التيار البلاغي والنقدي والأدبي:

يعد هذا الرافد الثلاثي أوسع نطاقاً من غيره، والعدد الهائل الذي أورده ابن منان في مؤلفه خير دليل على ذلك. وقد قمت بعملية إحصائية لهؤلاء الأعلام فوجدتهم يربون على الثلاثة والعشرين. وسأحاول إثبات مصادرهم ومواقعها في "سر الفصاحة"، مراعيًا في ذلك الترتيب الزمني.

١- الخليل بن أحمد (٢٩٨) (-/١٧٥هـ/٧٩١م).

٢- سيبويه (٢٩٩) (-/١٨٠هـ/٧٩٦م).

٣- الفراء (٤٠٠) (-/٢٠٧هـ/٨٢٢م).

(٢٩٢) العين للخليل بن أحمد (-/١٧٥هـ/٧٩١م) تحقيق المهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار الرشيد للنشر. بغداد ١٩٨٠م/١٤٠١هـ. سر الفصاحة ط. دار الكتب العلمية ١٩٩٠، ١٩٩٢، ٢٠٠٠، ٢٨٩.

(٢٩٢) كتاب سيبويه (-/١٨٠هـ/٧٩٦م) تحقيق هارون. القاهرة دار القلم ١٩٦٦، سر الفصاحة ص ١٦، ٢٩، ٢٤، ٢٧.

(٢٩٤) الأسميات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب (-/٢١٧هـ/٨٢٢م) تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة. دار الطارف ١٩٥٥م/١٣٧٥هـ. سر الفصاحة ١٦-٧٠-٨٢-١٢١-١٥٥-٢٠٠-٢٧٩.

(٢٩٥) أنظر شرح التنوير واللزوميات وعبث الوليد ورسائله.

(٢٩٦) الكامل والمتنضب والمذكر والمؤدث للمبرد (-/٢٨٦هـ/٨٩٩م)، سر الفصاحة ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٩١، ١٥٥، ١٨٦، ٢٧٩.

(٢٩٧) أنظر الاختيارين للأخفش الأصغر أبي الحسن علي بن سليمان (-/٢١٥هـ/٩٢٧م) تحقيق فخر الدين قباوة. دمشق مجمع اللغة العربية ١٩٧٤م/١٣٩٤هـ.

(٢٩٨) العين للخليل بن أحمد (-/١٧٥هـ/٧٩١م) تحقيق د. المخزومي ود. السامرائي. بغداد. دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م/١٤٠١هـ. أنظر سر الفصاحة ٥٧، ١٠٦، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٨٩.

(٢٩٩) كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام هارون و (ط. بولاق). أنظر سر الفصاحة ١٦، ٢٩، ٢٤، ٢٧.

(٤٠٠) معاني القرآن للفراء أبي زكريا يحيى بن زياد الديلمي (٧٦١-٨٢٢م/-١٤٤-٢٠٧هـ) تحقيق يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٥٥م/١٣٧٥هـ. أنظر سر الفصاحة ١١٦.

- ٤- عبد الملك بن قريب الأصمعي (٤٠١) (-٨٢١/٥٢١٦م).
- ٥- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٤٠٢) (-٨٢٨/٥٢٢٤م).
- ٦- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (٤٠٢) (-٨٤٦/٥٢٢٢م).
- ٧- اسحاق بن إبراهيم الموصلي (٤٠٤) (-٨٤٩/٥٢٢٥م).
- ٨- أبو عمرو بن العلاء (٤٠٥) (-٨٦٠/٥٢٤٦م).
- ٩- أبو عمرو الجاحظ (٤٠٦) (-٨٦٨/٥٢٥٥م).
- ١٠- أبو العباس المبرد (٤٠٧) (-٨٩٩/٥٢٨٦م).

(٤٠١) الأصمعيات سبق ذكره. الأصمعي عبد الملك بن قريب، لغوي من أهل البصرة، قدم بغداد أيام الرشيد بين (٢١٠ أو ٢١٧/٥٢١٧ أو ٨٢٥ أو ٨٢٢م) وله في اللغة كتب من خلق، الإنسان والخيال والابل والأضداد وغيرها. أنظر مراتب النحويين ١٢ - ١٤.

(٤٠٢) كتاب غريب الحديث تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (-٨٢٨/٥٢٢٤م) تحقيق حسين محمد شرف. القاهرة. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٨٤م / ١٤٠٥هـ. أنظر سر الفصاحة ص ١٧٦ ورد ذكر أبي عبيد نعيم بن مسعود الهروي.

(٤٠٢) حماسة أبي تمام (-٨٤٦/٥٢٢٢م) لعل النجدي ناصف، القاهرة. مكتبة نهضة مصر. ١٩٥٥م/١٢٧٥هـ. أنظر سر الفصاحة ورد ذكره في (٥١ موضع) ما بين ص ٥١ - ٦٦ - و - ٢٦٤ - ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٩.

أبو تمام (-١٨٨-٨٠٤/٥٢٢١م) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الشاعر أحمد أمراء البيان (أنظر وفيات الأعيان ١١/٢، الخزائن ١٧٢/١، ٤٦٤ ط. بولاق) وأنظر حماسة أبي تمام. علي النجدي ناصف. مكتبة نهضة مصر. القاهرة ١٢٧٥/١٩٥٥م. وأنظر دراسة في حماسة أبي تمام ط ٢/مكتبة مصر. القاهرة ١٩٥٩م/١٢٧٩هـ.

(٤٠٤) اسحاق الموصلي: أبو محمد اسحق بن إبراهيم (١٥٥-٢٢٥/٧٧١-٨٤٩م). أنظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٠٢/١. أنظر سر الفصاحة ١٩٨، ٢٦٩، ٢٧٩. أخذ الأدب عن الأصمعي (-٨٢١/٥٢١٦م) وأبي عبيدة (-٥٢٠٩هـ). وكان كثير الكتب، تبلغ زهاء ألف جزء.

من لغات العرب. أنظر وفيات الأعيان ٢٠٢/١-٢٠٤. أنظر انباء الرواة ج ١، إبراهيم أبو الفضل ٢١٥-٢١٩. مؤلفاته تفصيل من لغات العرب. الشحرور والرد على من يجرمه وينقصه. وكتاب "أخبار الفلاس وغيرهم". (٤٠٥) يقال إنه زبائن بن عمار التميمي (-٨٢٤/٥٢٤٦م) المازني البصري من أئمة اللغة والأدب. أنظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ١٢ - ١٤. أنظر ذكره في سر

الفصاحة ١٦، ٢٢، ٢٨٤.

(٤٠٦) الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة ١٢٧٥-١٢٦٥/١٩٢٨م-١٩٤٥م (٧ ج). البيان والتبيين للجاحظ (-٨٦٨/٥٢٥٥م) ط ٢/تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦١-١٩٦٠م/١٢٨٠-١٢٨١هـ (٤ ج ٢) والجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكندي بالولاء، الليثي، أبو عثمان كبير أئمة الأدب، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة من تصانيف

الحيوان والبيان أنظر وفيات الأعيان ٢/٤٧٠، تاريخ بغداد ١٢/٢١٢. أنظر سر الفصاحة: ٥٥، ٦٣، ٦٦، ٧٢، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٥، ٢٠٨، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٧٩.

- ١١- أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابي (٤٠٨) (٥٢٨٤-).
- ١٢- أبو عبادة البحتري (٤٠٩) (٥٢٨٤/٨٩٧م).
- ١٢- أبو الفرج عبد الواحد بن نصر البيهقي (٤١٠) (٥٢٨٤/٨٩٧م).
- ١٤- الأخفش أبو الحسن علي بن سليمان (٤١١) (٥٢١٥/٨٢٩م).
- ١٥- أبو الفرج قدامة بن جعفر (٤١٢) (٥٢٢٧/٩٤٨م).
- ١٦- أبو الفرج علي بن الحسن الأسفهاني (٤١٢) (٥٢٥٦/٩٦٦م).
- ١٧- أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى (٤١٤) (٥٢٨٤/٩٩٤م).

(٤٠٧) الكامل والمتن والفضليات والمذكر والمؤدث للمبرد (٥٢٨٦- / ٨٩٩م).

(٤٠٨) إبراهيم بن هلال بن زهرون الحراني أبو إسحاق الصابي (٥٢٨٤- / ٩٩٤م). أنظر معجم الأدباء ٢٠/٢ طبعة دار إحياء التراث. وفيات الأعيان ٥٢/١، النجوم الزاهرة

٢٢٤/٢. أنظر من الفصاحة: راز النظم الحديث: بيروت ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٧. وكتاب "المختار من رسائل الصابي"

(٤٠٩) أبو عبادة البحتري (٥٢٨٤- / ٨٩٦م) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري، شاعر كبير، يقال لشعره سلاسل الذهب. أنظر وفيات الأعيان ٢١/٦، معجم الأدباء

٢٤٨/١٩. من الفصاحة: ٧٢، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٨٦، ١٢٣، ١٢٧، ١٦٠، ١٧٠، ١٨٠، ١٨٤، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩.

(٤١٠) عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي أبو الفرج البيهقي (٥٢٩٨- / ١٠٠٧م) شاعر مشهور وكاتب مترسل من أهل نسيبين. أنظر تاريخ بغداد ١١/١١، للحافظ أبي بكر أحمد بن

علي الخطيب البغدادي (٥٤٦٣- / ١٠٧٠م) الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان (٤).

وأنظر وفيات الأعيان ١٩٩/٢. أنظر ذكره في من الفصاحة ١٦٤، ١٧٥، ١٧٧. له ديوان شعر.

(٤١١) الأخفش: علي بن سليمان أبو المحاسن (٥٢١٥- / ٩٢٧م) أنظر كتاب الاختيارين.

تحقيق فخر الدين قباوة ط٢/بيروت. مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م/١٤٠٥هـ. أنظر ذكره في من الفصاحة ص ١٩٩.

(٤١٢) قدامة بن جعفر (٥٢٢٧- / ٩٤٨م) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج. أنظر النجوم الزاهرة ٢٩٧/٢، ابن التديم ١٢٠، مجلة المشرق ١٢/٤٨٤، أعلام

الزركلي ١٩١/٥، معجم الأدباء ط. دار إحياء التراث ١٤/١٧. أنظر من الفصاحة: ٩٤، ٩٥، ١٠٥، ١٠٥، ١٥٧، ١٧٨، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٥. "نقد الشعر" و"جواهر الألفاظ" وغيرهما.

(٤١٣) أبو الفرج الأسفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم. الكاتب الأسفهاني صاحب (الأغاني) (٥٢٥٦- / ٩٧٦م). أنظر القهرت ١١٥، تاريخ بغداد ١١/٢٩٨، معجم

الأدباء ١٤/١٢، ميزان الاعتدال ١٢٢/٢، لسان الميزان ٢٢١/٤، وفيات الأعيان، ٢٠٧/٢، وأنظر كتابه الأغاني. نشر دار الثقافة بيروت ١٩٥٦م وطبعة دار الكتب. المؤسسة المصرية

العامة (ت.ت.ط.ن) وأنظر ذكره في من الفصاحة ص ١٩٩ - ٢٠٠.

- ١٨- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٤١٥) (-/٥٢٧٠م).
 ١٩- أبو القاسم اسماعيل بن عباد صاحب (٤١٦) (-/٥٢٨٥م).
 ٢٠- أبو الفتح عثمان بن جني (٤١٧) (-/٥٢٩٢م).
 ٢١- أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، القاضي (٤١٨) (-/٥٢٩٢م).
 ٢٢- أبو الهادي ساعد بن عيسى الكاتب (٤١٩) (-/٥٤١٧م).
 ٢٣- أبو الهادي المعري (٤٢٠) (-/٥٤٤٩م).

- (٤١٤) أبو الحسن الرماني علي بن عيسى (٢٩٦-٢٨٤/٩٠٨-٩٩٤م). أنظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي (٥٢٨٨/٩٩٨م) وعبد القاهر الجرجاني (-/٥٤٧١م-١٠٧٨م) تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. القاهرة. دار المعارف (٤). أنظر ذكره في سر الفصاحة ١٩٩، ١٠١، ١١٨، ١٢٠، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٢، ١٧٣، ٢١١.
 (٤١٥) أبو القاسم الآمدي (-/٥٢٧٠م) أبو القاسم الحسن بن بشر. أنظر المؤلف والمختلف تحقيق عبد الستار أحمد فراج. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١م/١٢٨١هـ. وأنظر الموازنة بين شعر أبي تمام (-/٥٢٣٢م-٨٤٦م) والبحري (-/٥٢٨٤م-٨٩٧م) تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف ١٩٦١م/١٣٨١هـ (ج ٢). أنظر ذكره في سر الفصاحة ١٦٢، ١١٥، ١٢٢، ١٤٢، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٩، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٥.
 (٤١٦) صاحب بن عباد أبو القاسم اسماعيل بن عباد (-/٥٢٨٥م-٩٩٥م). أنظر الكشف عن مساوي شعر المتنبي. تحقيق محمد حسن آل ياسين. بغداد. مكتبة النهضة. ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ. أنظر ذكره في سر الفصاحة ص ١٢٥، ١٨٢، ٢٢٨.
 (٤١٧) ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الموسلي (-/٥٢٩٢م-١٠٠١م). أنظر كتاب الخصائص. مطبعة الهلال القاهرة ١٩١٢م/١٢٢٢هـ (ج ١)، وأنظر سر صناعة الإعراب تحقيق مصطفى السقا وآخرين. القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م/١٢٦٥هـ (ج ٢). وأنظر المذكر والمؤثر تحقيق طارق نجم عبد الله، جدة، دار البيان العربي، ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ. أنظر سر الفصاحة: ٢٥، ٢٧، ٢٨، ١٠٧، ١١٦، ١٧٠، ١٨٢.
 (٤١٨) الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن (-/٥٢٩٢م-١٠٠١م) أنظر: الوسامة بين المتنبي وخصومه تأليف القاضي الجرجاني، ميداء، مطبعة العرفان، ١٩٢١م/١٢٢١هـ. أنظر سر الفصاحة ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢.
 (٤١٩) أبو الهادي ساعد بن عيسى الكاتب (-/٥٤١٧م-١٠٢٦م) سر الفصاحة ٧١، ٨٩، ١١٧ كتيبه طبعه دار الكتب العلمية. وكتاب أبي الهادي هو "الفصوص" أنظر وفيات الأعيان في عباس كتيبه ٤٨٩/ك.

فكل هؤلاء يعلن الخفاجي تأثره بهم، وكل واحد منهم يساهم بقدر ما لديه ووفق ما يتطلبه موضوع من الفصاحة.

قابن سنان (-/٥٤٦٦-١٠٧٢م) وإن كان قد سرح تأثره بمن تقدم ذكرهم، فهذا لا يعني أن هذه العملية قد توقفت عند حدهم، بل هناك من المصادر ما أثبتناه فيما سبق له صلة حميمة بين معطيات من الفصاحة وهذه المؤلفات. فقد أغفل الإشارة إلى الكتب التالية مع أن لكثيرها صلة متينة مع من الفصاحة ولباقيها اختلاف في الفكرة والتمثيل والمقصد ومنها:

- ١ - مجاز القرآن لأبي عبيد معمر بن المشي (٤٢١) (-/٥٢٠٩-٨٢٤م).
- ٢ - جمهرة اللغة لابن دريد (٤٢٢) (-/٥٢٢٢-٩٢٢م).
- ٣ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي (٤٢٢) (-/٥٢٢٢-٨٤٦م).
- ٤ - الصاحبي لابن فارس (٤٢٤) (-/٥٢٩٥-١٠٠٤م).
- ٥ - القصيدة اليتيمة لأبي القاسم التنوخي (٤٢٥) (-/٥٢٤٦-٨٦٠م).
- ٦ - المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي (٤٢٦) (-/٥٢٧٧-٩٨٧م).

(٤٢٠) المعري أبو العلاء أحمد بن عبد الله (-/٥٤٤٩-١٠٥٧م). أنظر شرح التنوير على مقط الزند. مطبعة بولاق القاهرة ١٢٨٨هـ وأنظر أيضاً طبعة المطبعة الإعلانية ١٢٠٢هـ (ج ٢). وطبعة الاسلام ١٢٢٤هـ/١٩٠٦م (ج ٢ ١) وأنظر عبث الوليد في الكلام على شعر أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري تحقيق ناديا علي الدولة، القاهرة (٤). وطبعة دمشق الشركة المتحدة للتوزيع ١٢٩٩هـ/١٩٧٨م. وأنظر لزوم ما لا يلزم تحقيق إبراهيم الأبياري ط ٢/ دار الكتاب المصري. القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. وأنظر اللزوميات بيروت، دار صادر ١٩٦١. أنظر من الفصاحة: ١٧١، ١٩٠، ١٩٨، ١٠٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٦٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٧٥ طبعة دار الكتب العلمية

(٤٢١) أبو عبيدة، معمر بن المشي التميمي (-/٥٢٠٩-٨٢٤م) أنظر مجاز القرآن تحقيق محمد فؤاد سزكين. محمد سامي أمين الخانجي القاهرة ١٩٥٤-١٩٦٢م/١٢٧٤-١٢٨٢هـ. تأثر به الخفاجي في كتابه هذا وأشار إليه. تأثر مباشر. أنظر من الفصاحة ص ٢٣ ط. دار الكتب العلمية.

(٤٢٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي (-/٥٢٢٢-٩٢٢م). أنظر جمهرة اللغة، بغداد، مكتبة المشي (-/١٩٧٠-١٢٩٠هـ) (٤ ج). طبعة جديدة بالأوفست. تأثر به ولم يشر إليه.

(٤٢٣) الجهمي أبو عبد الله محمد بن سلام (٧٦٧-٨٤٦م/١٥٠-٥٢٢٢هـ). أنظر طبقات فحول الشعراء. شرح وتحقيق محمود محمد شاكر. دار المعارف. القاهرة ١٩٧٤م/١٢٩٤هـ (ج ٢). تأثر به ولم يشر إليه كما سبقه.

- ٧- الرسالة العذراء لابن المدير (٤٢٧) (-٥٢٧٩/٨٩٢م).
- ٨- قواعد الشعر لثعلب (٤٢٨) (-٥٢٩١/٩٠٢م).
- ٩- البديع في الشعر لابن المعتز (٤٢٩) (-٥٢٩٦/٩٠٨م).
- ١٠- ما تلحن فيه العامة للكسائي (٤٣٠) (-٥٢٩٩/٩١١م).
- ١١- ابن كيسان (٤٣١) (-٥٢٩٩/٩١١م) في كتابه "تلقب القوافي" و"المذكر والمؤنث" و"المقصود والمدود" وغيرها.
- ١٢- المحاسن والمساوي لليهقي (٤٣٢) (-٥٢٢٠/٩٢٢م).
- ١٣- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (٤٣٢) (-٥٢٢٢/٩٢٢م).
- ١٤- كتاب الموضح للمرزباني (٤٣٤) (-٥٢٨٤/٩٩٢م).

-
- (٤٢٤) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٩٤٠-١٠٠٤م/-٢٢٩-٥٢٩٥). أنظر الصحابي في قته اللغة وسنن العرب في كلامها. القاهرة، المكتبة السلفية. ١٩١٠م/١٢٢٨هـ. تأثر به في اللغة (المواضع والتوقيف ولم يشر إليه كسابقه، وإن كان التأثير هنا مباشراً وضمياً. أي عن طريق ابن جني في الخصائص أولاً ثم الصحابي.
- (٤٢٥) أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي (٥٢٤٦/-٨٦٠م). القصيدة اليتيمة لأبي القاسم التنوخي. تحقيق صلاح الدين المنجد. بيروت. دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠ م. (ط. ١٩٧٤م/١٢٩٤هـ). تأثر به تأثيراً مباشراً وضمياً ولم يشر إليه.
- (٤٢٦) أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (٢٨٨-٥٢٧٧م/-٩٠٠-٩٨٧م). أنظر المسائل العسكرية تحقيق اسماعيل أحمد عاميرة. مراجعة د. نهاد الموسى. عمان. منشورات الجامعة الأردنية ١٤٠٢هـ/١٩٨١م. وأنظر كتاب الإيضاح تحقيق د. حسن شاذلي فرهود. أخذ عنه ولم يشر إليه. (٤٢٧) أنظر الرسالة العذراء أبراهيم بن المدير (-٢٧٩/٨٩٢م) تحقيق زكي مبارك. القاهرة. مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢١م/١٢٥٠هـ. تأثر به ولم يشر إليه. (تأثر في اختلاف الفكرة والمقصد واعتبار سبق الزمن).
- (٤٢٨) ثعلب، أبو الباسم أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني (-٥٢٩١/٩٠٢م). أنظر قواعد الشعر شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة. مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٤٨م/١٣٦٨هـ. تأثر به ولم يشر إليه كسابقه.
- (٤٢٩) عبد الله بن المعتز (-٥٢٩٦/٩٠٨م). أنظر البديع. شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة. مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٢٦٥هـ/١٩٤٥م. تأثر به وأشار إليه في كتابه. أنظر س: ١١٩٥، ٢٧٤، ٢٧٥.
- (٤٣٠) الكسائي. أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي (-٥١٨٩/٨٠٤م). أنظر ما تلحن فيه العامة تحقيق رمضان عبد التواب. القاهرة. مكتبة الخانجي ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ. تأثر به ولم يشر إليه كسابقه.

- ١٥ - حلية المحاضرة للحاتمي (٤٢٥) (-/٥٢٨٨/١٩٩٨ م).
- ١٦ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (٤٢٦) (-/٥٢٩٥/١٠٠٤ م).
- ١٧ - يتيمة الدهر للشعالبي (٤٢٧) (-/٥٤٢٩ م).
- ١٨ - الشعر والشعراء (٤٢٨) وأدب الكاتب لابن قتيبة (٤٢٩) (-/٥٢٧٦ م).
- ١٩ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٤٤٠) (-/٥٢٧٦/٨٨٩ م).
- ٢٠ - العمدة في نقد الشعر لابن رشيق القيرواني (٤٤١) (-/٥٤٦٢/١٠٧٠ م).

-
- (٤٢١) أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان (-/٥٢٩٩/١١١١ م). أنظر معجم الأدباء أياقوت (-/٥٦٢٦) ١٧/١٢٧-١٤٢. مطبوعات دار المأمون-مصر (٤). وأنظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لعبد الحي بن العماد الحنبلي (-/٥١٠٨٩/١٦٧٩ م) ٢/٢٢٢ طبعة جديدة. دار إحياء التراث العربي. بيروت (٤). تأثر به ولم يشر إليه كسابقه.
 - (٤٢٢) البيهقي إبراهيم بن محمد (-/٥٢٢٠/٩٢٢ م). أنظر المحامن والمساوي بيروت. دار صادر ١٩٦٠ م/٥١٢٨٠. تأثر به ولم يشر إليه كسابقه.
 - (٤٢٣) ابن طباطبا العلوي محمد بن أحمد (-/٥٢٢٢/٩٢٢ م) تأثر به ولم يشر إليه كسابقه. أنظر عيار الشعر، تحقيق وتعليق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٢٧٦/١٩٥٦ م. وأنظر تحقيق عباس عبد السائر - بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٢ م/٥١٤٠٢.
 - (٤٢٤) المرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران (-/٥٢٨٤/٩٩٤ م) تأثر به ولم يشر إليه كسابقه. أنظر الموشع في مآخذ العلماء على الشعراء. جمعية نشر الكتب العربية القاهرة ١٢٤٢/١٩٢٤ م. (٤٢٥) الحاتمي أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر (-/٥٢٢٨/٩٤٩ م). أنظر حلية المحاضرة في صناعة الشعر تحقيق هلال فاجي - بيروت، دار مكتبة الحياة ١٢٩٩/١٩٧٨ م وأنظر تحقيق جعفر الكتاني. بغداد. وزارة الثقافة والإعلام ١٤٠٠/٥١٧٩ م (ج ٢) أنظر سر الفصاحة ص ١٩٩.
 - (٤٢٦) أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله (-/٥٢٩٥/١٠٠٤ م). تأثر به ولم يشر إليه رغم الصلة الحميمة بينهما. أنظر كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. تحقيق علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٢ م/٥١٢٧٢.
 - (٤٢٧) الشعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (-/٥٤٢٩/١٠٢٧ م) تأثر به ولم يشر إليه رغم الصلة التي بينهما. أنظر يتيمة الدهر في محامن أهل العصر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة. مكتبة الحسين التجارية ١٢٦٧/١٩٤٧ م. وأنظر طبعة دار الكتب العلمية ١٩٧٩ م.

٢١- دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (٤٤٢) (٥٤٧١هـ). فالجرجاني لم يتأثر بالخفاجي والعكس صحيح رغم المدة الزمنية والثقافة المشتركة التي أثرت فيهما، وليس هناك أثر صريح على أحدٍ بعضهم عن بعض اللهم ما جاء منه تلقائياً، وقد رأينا وجه الاختلاف بينهما إذ أن الخفاجي يأخذ بمبدأ الامتداد أي ينطلق من الجزم ليثبت قيمة الكل، والجرجاني ينطلق من الكل ليثبت قيمة الجزء. فالعلاقة على ما هي عليه عكسية ويتج عنها نظرية تكاملية في النظم. ثم إن الخفاجي يقيم نظرية تأليفية على البلاغة في تقدم ويعتمد مبدأ الفصل بين البنى والمعنى حيث يفرد لكل جانب باباً خاصاً، فالبنى يكتشف الصوت والحرف والكلمة والألفاظ المولدة؛ والمعنى ويشمل المعاني المولدة مفردة وهو يقصد السياق الذي يجمع الجانبين (أي تفاعل الشكل مع المضمون) في إعطاء ما يعرف بالصورة البيانية. بينما عبد القاهر الجرجاني يبني نظريته أساساً على النحو في تقدم ويعتمد السياق الذي يجمع البنى إلى المعنى في إعطاء الصورة البيانية، ولا حياة للفظ مفردة في نظره إلا في نطاق السياق الذي تؤسسه علاقات الأجزاء التي يوجه دلالاتها النحو (٤٤٢).

هذه هي الصورة التأثيرية التي حدثت عند أبي ستان (٥٤٦٦هـ) من طريق الإعلان والتصريح أو من جهة اشتداد الفكرة والتمثيل والمقصد. وقد تعمدت سلوك هذا الطريق بالتفصيل الذي هو عليه؛ لأن ممارسة الخفاجي على درجة واضحة من التفصيل، ولذا لا يعقل أن يكون صاحبنا قد اقتصر على المؤلفات المشار إليها دون غيرها. وقد أثبتنا أمثلة تأثيرية أكيدة في بحثه، ومع ذلك فقد أغفلها صاحبنا، وذلك أمر مرجعه إلى الخفاجي وحده.

٤٢٨) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣- ٢٢٨/٥٢٧٦- ٨٨٩م) لم يشر إليه. أنظر الشعر والشعراء تحقيق م. ج. دي غويه ليدن، مطبعة بريل ١٩٠٤ وأنظر تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء الكتب العربية القاهرة. ١٣٧٠/١٩٥٠م (ج ٢).
٤٢٩) أنظر أدب الكاتب لابن قتيبة (٨٨٩م/٥٢٧٦) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة مقدمة (١٣٥٥/١٩٣٦م).
٤٤٠) أنظر تأويل مشكل القرآن شرح وتحقيق السيد أحمد مقرر. القاهرة. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤م. وأنظر أيضاً تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ١٩٨٥م/١٣٧٨هـ. تحقيق السيد أحمد مقرر بيروت. دار الكتب العلمية ١٩٧٨م/١٤٢٩هـ. تأثر به ولم يشر إليه كسابقه رغم اشتداد المعطيات والحقائق بين الكاتبين.

وفي الحقيقة والوضع على هذه الحال، قد يجلب ضرراً من الاحتمال وأوجها من الشكوك، في أن بعض هذه المصادر لم يجر بينها وبين مر الفصاحة أدنى تأثير؛ كما قيل في شأن ابن منان والجرجاني (-٥٤٧١هـ). وهذا لا يضير شيئاً، ويمكن أن نعتبر ما عثرنا عليه من التفاعلات والتماثلات تأثيراً ضمنيّاً على الأقل.

وعلى هذا أراي بعد كل ما قدمته أفرز المواطن التأثيرية الصريحة وأثبت مواطن التلميح وأبرهن على الاختلاف من خلال تشابه المعطيات والأفكار والأمثلة والالفاظ. ومهما يكن فإن هذه المصادر جميعها تتقاطع فيما بينهما في القدر الكبير أو اليسير من الحقائق. وبهذا تكون أعمدة يقام عليها أساس هذا البحث القيم الذي جمع من كل جهة شيئاً يسدّ به جانباً معيناً من هذا الكتاب.

ثانياً: التأثير:

لقد رأينا العملية الاسترجاعية في تأثر ابن منان (-٥٤٦٦هـ) بمن قبله من العلماء الذين ساهموا من بعيد أو من قريب في إثراء هذا الكتاب. ولا شك أن كل هؤلاء كانوا يتعاملون ببضاعة لا تخرج عن إطار عهود زمنية متقاربة ومتواصلة، وإن كان البعض ينفرد أحياناً عن الجماعة يأتي بمصطلح مغاير أو قضية مباينة كما فعل ذلك قدامة (-٥٢٢٧هـ) على مبدل المثال في (الجناس والطباق والتكافؤ). وموضوع الخفاجي محصور في قضايا لا تخرج في مجملها عن شتات ما في المصادر السابقة، وقد جاءت متسلسلة متكاملة متصاعدة، تخلق في آخر مطافها هيكل هذا البحث الذي فيه من الدلائل والإشارات إلى كل تلك الكتب ما يفني الباحث تجشم اقتفاء أثر المورد؛ وإلا لما كادت هذه الدراسة على هذه الصورة. وكذلك من ناحية أخرى يتحول

(٤٤١) ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (-٢٩٠ - ٥٤٦٢/٩٠٢ - ١٠٧٠م). أنظر العمدة في صناعة الشعر وتقدم. القاهرة. مطبعة السعادة ١٢٢٥/١٩٠٧م. وأنظر تحقيق محمد بدر الدين النعساني الحلبي. القاهرة. محمد أمين الخانجي، ١٢٢٥/١٩٠٧م. لم يشر إليه رغم الثقافة والعصر الواحد.

(٤٤٢) الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (-٥٤٧٦/١٠٧٨م). لم يشر إليه وهناك اشتدات واختلافات بينهما في التأليف والنظم.

وعلاوة على هذا فهناك إشارات إلى ابن مثنان (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) في مواضع من كتابه (٤٤٥) "المثل السائر" والجامع الكبير (٤٤٦)؛ منها الحروف والأصوات (٤٤٧). ويقول: (وقد ذكر ابن مثنان الخفاجي فيما يتعلق باللفظة الواحدة من الأوصاف وقسمها إلى عدة أقسام، كتباعد مخارج الحروف...) وهو معجب به ويقتدي به ومنها اللفظة (٤٤٨) التي لم يفرد لها ابن الأثير موضوعاً خاصاً بها كما فعل الخفاجي والفصاحة والبلاغة (٤٤٩) والتفسير (٤٥٠)، والاستعارة (٤٥١) والمناسبة (٤٥٢) والابتداء والتخلص والاختتام (٤٥٣) والتضمين (٤٥٤) والتصريح (٤٥٥) والمجانس (٤٥٦) وحمل اللفظ على اللفظ في الترتيب (٤٥٧) والمفاصلة (٤٥٨) والحشو (الاعتراض عند ابن الأثير أيضاً) (٤٥٩) والتوشيح أو التسميم (٤٦٠).

- ٤٤٤، ٤٤٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير (-٥٦٢٧/١٢٢٩م) تقديم وتعليق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار النهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة. مقدمة الكتاب ٢-٤.
- (٤٤٦) الجامع الكبير لضياء الدين ابن الأثير تحقيق مصطفى جواد وجليل سعيد.
- (٤٤٧) المثل السائر من ١/١٧٢ (الأصوات والحروف).
- (٤٤٨) المصدر نفسه ١/١٧٢ (اللفظة).
- (٤٤٩) المصدر نفسه ١/٩٠ (الفصاحة والبلاغة).
- (٤٥٠) المصدر نفسه ١/٢٧-٧٢ والجامع الكبير من ٢٢١ (صحة التفسير).
- (٤٥١) المصدر السابق ١/٢٥٥-٢٨٨، ١/٢٨٨، ٥٤ والجامع الكبير من ١٠٨ (الاستعارة).
- (٤٥٢) المصدر السابق ٢/٦٠-٦٥، ٢/٢٧٩ والجامع الكبير ١٩٢-١٩٧، ١٤٢ - ٢١١ (المناسبة).
- (٤٥٣) المصدر السابق ٢/٢٢٥، ٢٥٨ الجامع الكبير ١٨٧-١٩٢.
- (٤٥٤) المصدر السابق ٢/٢٤١ - ٢٤٧ الجامع الكبير ٢٢٢.
- (٤٥٥) المصدر السابق ٢/٢٤٢ - ٢٤٦ الجامع الكبير ٢٦٦ - ٢٦٧.
- (٤٥٦) المصدر السابق ١/٢٤٦-٢٦٠ (تأثير مباشر مصرح به وبقدامة (-٥٢٢٧هـ) (المجانس).
- (٤٥٧) المصدر السابق ٢/٢٨٨، ٢٧٩، ٢١٥، ٢٩١، ٢٨١، ١٤٢، ٤٠٠ الجامع الكبير ٢٧٠-٢٧١.
- أشار إلى الترتيب بطريقة ضمنية أوسع مما حدده ابن مثنان في كتابه.
- (٤٥٨) المصدر السابق ١/٢٩٢ - ٢٠٩ والجامع الكبير من ٢٢٠ (المفاصلة).
- (٤٥٩) المثل السائر من ٢/١٨٢ - ١٩١ (الاعتراض) ١/٢٩٢.

ابن سنان (-٤٦٦هـ) في أعين التابعين إلى عداد السابقين. وما نقوله في هذا الموقف، إن صاحبنا كان مبدعاً في تأليفه، ولا تسلبه حق ذلك تلك التسمية في الاقتباس. فقد كان يطالع ويجمع ويرصف ما يقع بين يديه، حتى أنه لم يستطع في مواطن عدة التحرر من قيد التأثر، وغالباً ما كانت أحكامه تكاملية أو منفردة دالة على أسائه. وقد صار بعد ذلك قبلة لطالبي العلم، وإن كان كتابه لا يختلف عن غيره في المعطيات. وقد كتب لكتابه الذبوع فتناوله البعض بالاعتداء أو الاعتراض والانتقاد أو الاستدلال. وهذا دليل على قيمته العلمية.

ولعل أشهر التأثرين به هو ضياء الدين ابن الأثير (-٦٢٧هـ/١٢٢٩م) الذي أعجب بكتابه. وقد صرح في "الثلث السائر" بهذا الإعجاب فقال في معرض حديثه عن علم البيان: (وقد آلف الناس فيه كتباً وجلبوا ذهباً وحطباً، وما من تأليف إلا وقد تصفحت شيئاً ورأيت، وعلمت غثه وسمينه، فلم أجد ما يتفنع به في ذلك إلا كتاب الموازنة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (-٢٧٠هـ) وكتاب "سر الفصاحة" لأبي محمد عبدالله بن سنان الخفاجي. غير أن كتاب الموازنة أجمع أسولاً وأجدي محصولاً، وكتاب سر الفصاحة، وإن نبه فيه على نكت مميزة، فإنه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف، والكلام عليهما ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها، مما لا حاجة إلى أكثره، ومن الكلام في مواضع شذ عنه الصواب فيها). (٤٤٤)

(٤٤٢) أنظر أسرار البلاغة تحقيق ه. ريتز ط٢/منقحة. دار المسيرة بيروت ١٩٧٩م/١٤٠٠هـ. وأنظر دلائل الإعجاز تأليف الجرجاني (-٤٧١هـ/١٠٧٨م) تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٤م/١٤٠٥هـ. وأنظر في قضايا النقد الأدبي عند العرب. الدكتور عبد الحميد جيدة ص ١٤٧ وما بعدها. دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع. طرابلس لبنان ١٩٨٥م. وأنظر الموجز في شرح دلائل الإعجاز ف علم البيان. الدكتور جعفر دك الباب. دار الجيل دمشق ١٩٨٠ (مجلد الكتاب). وأنظر قضايا النقد الأدبي المعاصر الدكتور محمد زكي العشماوي ص ص ١٥١-١٥٢، ٢٠٢-٢٠٣، ٢٥٢-٢٥٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥. وأنظر النقد المنهجي عند العرب الدكتور محمد مندور ص ٢٢٢ دار نهضة مصر. (٤) وأنظر أيضاً دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٢٥٢-٢٥٤. مكتبة القاهرة ١٩٦١م.

وفي حمن الكناية (٤٦١) وفي عدم استعمال ألفاظ العلوم الأخرى في الشعر (٤٦٢) والمجاز (٤٦٣) والتضمن (٤٦٤) والتناسب في المعنى (٤٦٥) والتبديل أو العكس (٤٦٦) والمخالف (٤٦٧) والإيجاز والتطويل (٤٦٨) والإيجاب والسلب (٤٦٩) والفوضى وأسبابه (٤٧٠) والإرداف والتبعية (٤٧١) والتمثيل (٤٧٢) والامتثال والتناقض (٤٧٣) وصحة التشبيه (٤٧٤) وصحة التسميم (٤٧٥) وصحة الأوصاف في الأغراض (٤٧٦) وصحة المقابلة في المعاني (٤٧٧) والاستدلال بالتعليل (٤٧٨) وصحة التفسير (٤٧٩) والتحرز مما يوجب الطعن أو الاحتراس أو التمام (والاحتياط أو التكميل) (٤٨٠) والمبالغة والعلو (٤٨١) والفرق بين النظم والشعر. (٤٨٢).

وحسب ما يخبر به "المثل السائر" و"الجامع الكبير" فإن ابن الأثير قد فقه جيداً معنى الفصاحة والبلاغة، وقد أعطى لذلك سورة واضحة. يقول في خصوص الفصاحة: (أعلم أن هذا الباب متفرع على النواحي ومسلك متوغل على الناهج، ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه، ولم أجد من ذلك ما يعود عليه إلا القليل، وغاية ما يُقال في هذا الباب: إن الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي، يُقال: أفصح الصبح إذا ظهر. ثم إنهم يفتنون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه). (٤٨٢)

(٤٦٠) المصدر السابق ٢/٢٤٨ - ٢٥٩. الجامع الكبير من ٢٤٢ (التوشيح والتسميم).
(٤٦١) من الفصاحة ط. دار الكتب العلمية من ٢٢٩. وأنظر المثل السائر تحقيق محي الدين ١٩١/٢ - ٢١٥. والجامع الكبير من ١٥٧. (حسن الكناية).
(٤٦٢) المصدر السابق ٢/٢٥٤ - ٢٥٥ (تأثر مصرح به). (استعمال ألفاظ العلوم الأخرى في الشعر).

(٤٦٣) المصدر السابق ١/٥٧ - ٦٤. (المجاز).
(٤٦٤) المصدر السابق ٢/٢٤١ - ٢٤٧ والجامع الكبير من ٢٢٢. (التضمن).
(٤٦٥) المصدر السابق ٢/٢٧٩ والجامع الكبير من ٢١١. (التناسب في المعنى).
(٤٦٦) المصدر السابق ١/٢٦١ - ٢٦٢. (التبديل أو العكس).
(٤٦٧) المصدر السابق ٢/٢٨٠ والجامع الكبير من ٢١٢. (المخالف).
(٤٦٨) المصدر السابق ٢/٧١ والجامع الكبير من ١٤٦ - ١٢٢ - ١٤٢. (الإيجاز والتطويل)

(٤٦٩) المصدر السابق ١/٢٢٢ - ٢٦٥/٢. والجامع الكبير من ١٦٩. (الإيجاب والسلب).
(٤٧٠) المصدر السابق ٢/٢٢٢ - ٢٢٤. (الفوضى وأسبابه).

إن التأثير في هذه العبارة واضح جداً، يتقاطع مع الخفاجي في أن الفصاحة هي الظهور والبيان، ويأخذ عليه ضمناً عدم الكشف عن هذا السر الذي عرضه في عنوان كتابه. (٤٨٤)

وإذا كنت قد بينت فيما سبق المواطن التأثيرية بين الرجلين، فإني أفرد من ذلك أشهر المواضع، منها اعتراضات على الشروط التي نصبها الخفاجي، منها (٤٨٥):

- ١- إذا لم يكن اللفظ ظاهراً بيتاً لم يكن فصيحاً، ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً. (٤٨٦)
- ٢- إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والإضافات إلى الأشخاص، فإن اللفظ قد يكون ظاهراً لزيد ولا يكون ظاهراً لعمرو، فهو إذن فصيح عند هذا وغير فصيح عند ذاك، وليس كذلك، بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الأحوال لأنه إذا تحقق للفصاحة وعرف ما هي لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف. (٤٨٧)
- ٣- إذا جاء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغي أن يكون فصيحاً، وليس كذلك لأن الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبيح. (٤٨٨)

ويستند في الشرط السابع في أن تكون الكلمة مركبة من أقل الأوزان تالياً، وأن من الإخلال بالفصاحة أن تكون طويلة، ويمثل لذلك بيت المتنبي (-/٥٢٥٤-١٩٦٦م) في استعماله (سويداواتها) التي يرى الخفاجي قبحها لكثرة حروفها، ويرى ابن الأثير (-/٥٦٢٧-١٢٢٩م) خلاف ذلك، أي أن قبحها في ذاتها، ويستدل بما ورد في الذكر الحكيم (ليستخلفهم في الأرض) وهي عشرة أحرف ومع ذلك فهي حسنة رامة. في حين أن (سويداواتها) وهي عشرة أحرف أيضاً لو زال عنها الهاء والألف للذان هما بدل عن الإضافة، ومع ذلك تظل الكلمة قبيحة في ذاتها (٤٨٩).

-
- (٤٧١) المصدر السابق ١٩٩/٢ والجامع الكبير ص ١٦٠ وما بعدها. (الإرداف والتبعية)
- (٤٧٢) المصدر السابق ١٩٩/٢ والجامع الكبير ص ١٥٧. (التشيل).
- (٤٧٣) المصدر السابق ٢١٥/٢. (الاستحالة والتناقض).
- (٤٧٤) المصدر السابق ٢٨٨/١ والجامع الكبير ص ٩٠. (محة التشبيه).
- (٤٧٥) المصدر السابق ٢٠٤/٢ والجامع الكبير ص ٢١٨. (محة التقسيم).
- (٤٧٦) المصدر السابق ٦١-٧٢، ٧٦-١١٠. (محة الأوصاف في الأغراض).
- (٤٧٧) المصدر السابق ٢٨٨/٢ والجامع الكبير ص ٢١١. (محة المقابلة في المعاني).
- (٤٧٨) المصدر السابق ٢٠٤/٢ والجامع الكبير ص ٢١٨. (الاستدلال بالتعليل).
- (٤٧٩) المصدر السابق تصححي الدين ٢٧/٢ - ٢٢ والجامع الكبير ص ١٧٢. (محة التفسير).

كما يفترض عليه في الشرط الخاص في أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة. (٤٩٠) ويقول: (وأما ما ذكره ابن سنان من جريان اللفظ على العرف العربي فليس ذلك مما يوجب لها حسناً ولا قبحاً) (٤٩١) بل العيب أو القبح راجع إلى مستعمل الكلمة أي الناظم بما يتقله من الألفاظ.

(٢) تأثر أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة المواعيني (٤٩٢) (-/٥٥٦٤-١١٦٨م) بالخفاجي:

أشار محقق كتاب "سر الفصاحة" سليمان الأنصاري إلى أن "الريحان والريمان" لأبي القاسم المواعيني (-/٥٥٦٤ع-١١٦٨م) من الكتب التي نقلت عن ابن سنان (-/٥٤٦٦-١٠٧٢م) وهو مخطوط (٤٩٢). ومنه نقول في تاريخ النقد الأدبي للدكتور إحسان عباس الذي يخبرنا بأن الرجل قرطبي سكن إشبيلية بالأندلس. ويذكر له بعض المصنفات منها: كتاب الأمثال وكتاب الوشاح المفصل، وكتاب ريحان الألباب وريحان الشباب الذي مدار التأثير عليه. ويقول: (وهذا الأخير جمع فيه الفنون التي يستمدّها من غني بمزاولة المشور والموزون وجعله في سبع مراتب: في كل مرتبة مراقب وثنايا؛ فالمرتبة تساوي الكتاب، والمراقبة بمثابة الباب، والثنية بمنزلة الفصل) (٤٩٤).

ويرى الدكتور إحسان أن المرتبة التي تناسب النقد هي الرابعة وهي "مرتبة الفصاحة والبلاغة وجامع في لوازم إنشاء الصناعة" (٤٩٥).

(٤٨٠) المثل السائر تح محي الدين ٢٧/٢-٢٢ والجامع الكبير ص ١٧٢. (الاحتراس).

(٤٨١) المصدر السابق ٢/٢١٥، ٢٢٧ والجامع الكبير ص ٢٦٦. (المبالغة والفلو).

(٤٨٢) المصدر السابق ٢/٢٥٩ والجامع الكبير ص ٢٠٧. (الفرق بين النظم والشر).

(٤٨٣) المثل السائر ١/٦٤.

(٤٨٤) سر الفصاحة أنظر المقدمة ص ١٢ - ١٥ ط. دار الكتب.

(٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨) المثل السائر ١/١٤٨، ١٤٩ وأزن مع سر الفصاحة ٨٥-٨٩ ط. دار الكتب.

(٤٨٩) المثل السائر ١/١٤٩-١٥٠ وأزن مع سر الفصاحة ٥٨-٨٩ ط. دار الكتب العلمية.

(٤٩٠، ٤٩١) سر الفصاحة ص ٨٥ وأزن مع المثل السائر ١٤٩ - ١٥٠.

(٤٩٢، ٤٩٣) أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة من رجال القرن السادس (-/٥٥٦٤-١١٦٨م) قرطبي سكن إشبيلية وكتب عن أميرها أبي حفص: درس كتاب البيان والتبيين للجاحظ وأعجب به وحظر له أن يختصره، ثم عدل عن ذلك وألف كتابه المشار إليه لمنفعة المتأدب، وقل أثر البيان والتبيين في واضحاً، ونرد على ذلك أن الرجل مطلع على أغلب المؤلفات المشرقية.

- ٢) تأثر السكاكي (-/١٢٢٨م) بالخفاجي (-/١٠٧٢م) وما يلاحظ على كتاب المفتاح أنه لم يرد فيه فصل خاص بالفصاحة، وإنما جاء ذلك بعد ما انتهى من كلامه على علم البيان. وقد جعلها قسمين:
- الأول راجع إلى المعنى وهو تخلص الكلام من التعقيد: ويلتقي هنا مع الخفاجي في الفكرة والتمثيل والفاية. (٤٩٦)
- والثاني راجع إلى اللفظ (٤٩٧) وهنا يتقاطع مع الخفاجي الذي يفرد فصلاً خاصاً بوصف الألفاظ في الفصاحة (٤٩٨) والآخر بالمعاني (٤٩٩). ثم يسرد شروطاً على طريقة ابن سنان.
- ١- أن تكون اللفظة عربية أصيلة، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعروبتهم. (٥٠٠)
- ٢- أن تكون أجريت على قوانين اللفظ. (٥٠١)
- ٣- أن تكون سليمة من التنافر. (٥٠٢)

والسكاكي في هذه الحالة يختزل ويختصر ما فصله ابن سنان.

- ٤٩٤) أنظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب. تأليف د. إحسان عباس ص ٥١٢. دار الثقافة - بيروت (٢). وأنظر سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي تحقيق سليم سليمان الأنصاري ص ١١٢ رسالة ماجستير. جامعة بغداد كلية الآداب ١٩٧٥/١٢٩٥ م. وأنظر ترجمة المواعيني (-/١١٦٨م -/٥٦٤). في التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر الضاعي. القاهرة. مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ١٩٦٥/١٢٨٥ م (ج ٢).
- ٤٩٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٥١٢.
- ٤٩٦) مفتاح العلوم تأليف أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي (-/١٢٢٨م -/١٢٢٦م) منشورات المكتبة العلمية الجديدة - بيروت لبنان (٤).
- ٤٩٧) المصدر نفسه ١٩٦ - ١٩٧ وأزن مع سر الفصاحة ٥٨ = ٨٩.
- ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢) المصدر نفسه ١٩٦ - ١٩٧ وأزن مع سر الفصاحة ٨٩ - ٥٨.
- ٥٠٢) مفتاح العلوم ٤ - ١٤ وأنظر سر الفصاحة ١٥ - ٥٧.

وهناك بعض المواطن من جهة ائتلاف الفكرة والمقصد في الأصوات والحروف (٥٠٢) وفي الكلام (٥٠٤) وفي الفصاحة والبلادة (٥٠٥) التي قدمناها سابقاً وفي الاستعارة (٥٠٦) وفي القلب (٥٠٧) وفي التناسب أو التشابه (٥٠٨) والابتداء والتخلص والختام (٥٠٩) (التقدير) وفي التصريح (٥١٠) وفي المجانس (٥١١) وفي الحشو (٥١٢) وفي عدم التعبير عن المدح بالفاظ الذم والعكس (٥١٢) وفي حسن الكناية (٥١٤) وفي المجاز (٥١٥) وفي التناسب المعنوي (٥١٦) وفي التبديل أو العكس (٥١٧) وفي المخالف (٥١٨) وفي الإيجاز (٥١٩) وفي التمثيل (٥٢٠) وفي الامتاحة والناقض (٥٢١) وصحة التشبيه (٥٢٢) وفي صحة الأوصاف في الأغراض (٥٢٣) وفي صحة المقابلة في المعاني (٥٢٤) وفي اللو والبالغة (٥٢٥).

- (٥٠٤) مفتاح العلوم ٧٦ وما بعدها ٢٥٥ وما بعدها من الفصاحة ٢١ - ٢٢.
(٥٠٥) مفتاح العلوم ١٩٦ - ١٩٩ / وأظهر من الفصاحة ٩١.
(٥٠٦) المفتاح ١٠٠ - ١٧٤ - ١٨٢ / من الفصاحة ١١٨.
(٥٠٧) المفتاح ٢١٩ (العكس) / من الفصاحة ١١٤.
(٥٠٨) المفتاح ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ - ٢٠٧ / من الفصاحة ١٦٩.
(٥٠٩) المفتاح ٢٤٤ (التقدير) / من الفصاحة ١٨٢.
(٥١٠) المفتاح ٢٠٢ / من الفصاحة ١٩٠ . (الترصيع).
(٥١١) المفتاح ٢٠٢ / من الفصاحة ١٤٦ . (التجنيس).
(٥١٢) المفتاح ٢٠٢ / من الفصاحة ١٤٦ . (الحشو).
(٥١٣) المفتاح ٢٤٤ / من الفصاحة ١٦١.
(٥١٤) المفتاح ١٧٩ - ١٨٩ - ١٩٢ / من الفصاحة ١٦٢ - ١٦٥.
(٥١٥) المفتاح ١٦٨ - ١٨٥ ، ١٧٢ / من الفصاحة ١٨٦.
(٥١٦) المفتاح ٢٠٠ / من الفصاحة ٢٠٠.

٤) تأثر شهاب الدين محمود الحلبي (٥٢٦) (-٥٧٥٢/١٢٥١م) بالخفاجي:

- اطلعت على كتابه "حسن التوصل إلى صناعة التوصل" فوجدت فيه من الإشارات ما ينبىء بتأثر سريع بابن سنان الذي ورد ذكره فيه في عشرة مواضع. منها:
- ١- التفسير (٥٢٧): حيث يصرح بذكر ابن سنان.
 - ٢- التضمين (٥٢٨): تأثر من باب ائتلاف الفكرة والمقصد.
 - ٣- التناسب المعنوي (٥٢٩): تأثر مصرح به.
 - ٤- التبديل أو العكس (٥٣٠): يشير إلى مصطلح قدامة في التبديل والذي اقتدى به الخفاجي. وهنا آثار ضمني.
 - ٥- المفوض وأسبابه (٥٣١): يتأثر به من باب ائتلاف الفكرة والمقصد؛ وإن كان لا يستبعد أن يكون الحلبي قد اطلع على سر الفصاحة كله.
 - ٦- صحة التقسيم (٥٣٢): تأثر مباشر.
 - ٧- الاستدلال بالتعليل (٥٣٣): تأثر مباشر على جهة الائتلاف والاعتراض والاعتقاد.
 - ٨- صحة المقابلة في المعاني (٥٣٤): تأثر مباشر حيث يذكر سر الفصاحة على طريق التوافق أو الاعتقاد.
 - ١٠- التحرز مما يوجب الطعن أو الاحتراس (٥٣٥): تأثر مباشر.

وهذه الإشارات كافية لأن تخلق الصورة التأثرية والتأثيرية الواضحة بين الرجلين.

- ٥١٧) المفتاح ٢٢٧/سر الفصاحة ٢٠٢.
- ٥١٨) المفتاح ٢٠٠/سر الفصاحة ٢٠٤.
- ٥١٩) المفتاح ١٢٢/سر الفصاحة ٢٠٦.
- ٥٢٠) المفتاح ٢٠٨ وما بعدها/سر الفصاحة ٢٢٢.
- ٥٢١) المفتاح ١٩٦-٢١٢/سر الفصاحة ٢٢٨ - ٢٢٩. (الاستحالة والتناقض).
- ٥٢٢) المفتاح ١٥٧/سر الفصاحة ٢٤٢ - ٢٥٦. (التشبيه).
- ٥٢٣) المفتاح ٢٤٤/سر الفصاحة ٢٥٦.
- ٥٢٤) المفتاح ٢٠٠/سر الفصاحة ٢٦٧.
- ٥٢٥) المفتاح ١٧٢/سر الفصاحة ٢٧١، وفي التعقيد أنظر المفتاح ١٩٦ وسر الفصاحة ٢٢٠.

٥٢٦) حسن التوصل إلى صناعة التوصل. شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سلمان بن فهد الحلبي (-٥٦٤٤/٧٢٥م). تحقيق أكرم عثمان يوسف. دار الرشيد للنشر ١٤٠٤/١٩٨٠م.

٥) تاجر أبي الحسن حازم القرطاجني (-٥٦٨٤/١٢٨٥م) يابن سنان:
إن كتاب "صهاج البلاء وسراج الأدياء" (٥٢٦) لحازم القرطاجني يقوم على محاور ثلاثة هي: المعاني والمباني والأسلوب، وبموجبها تناسر نظرية النظم القرطاجنية. والسؤال هنا هل كان الرجل أتباعياً أم مبدعاً في مؤلفه هذا؟ فإذا نظرنا إلى كتابه وقرأناه جيداً تطالعنا تقاطعات وتشابهات ونقول من الأبواب الثلاثة وبخاصة في الباب الأول الذي يكثر فيه التصريح بذكر الخفاجي في مواضع عدة. وهذا دليل قاطع على تاجر القرطاجني بالخفاجي. وهذا لا يعني أن التأثير قد وقع وقتاً عند المواطن المصرح بها، ولكن هناك مواضع كثيرة تتقاطع وتتألف جداً مع مصليات وأفكار ابن سنان مع انعدام الإشارة إلى الخفاجي، وفي هذه الحالة على الباحث أن يثبت ذلك بناءً على ما ورد في "سر الفصاحة" من قضايا شبيهة أو قريبة. وإن كان الأمر على هذا الحال فنقتصر على ذكر مواطن التقاطع المصرح بها أولاً ثم المؤلفة جداً. وفي هذا كفاية لإثبات التأثير.

- ١- النسابة والمقارنة (٥٢٧): تأثير مباشر وصريح.
- ٢- المطابقة (٥٢٨): تأثير مباشر وصريح.
- ٣- المقابلة (٥٢٩): تأثير مباشر وصريح.
- ٤- التفسير (٥٤٠): تأثير مباشر وصريح.
- ٥- صحة المعاني وسادتها من الامتخانة بسبب فساد التقابل (٥٤١).
- ٦- وجود الدافع بين بعض المعاني (٥٤٢).
- ٧- اللؤلؤ والمبالغة والمتنع والاستحيل (٥٤٢).
- ٨- ألا يكون الكلام المعبر به مما يتطير منه (التطير في الابتداء) (٥٤٤).

٥٢٧) المصدر السابق ص ٢٢٦ وأزن مع سر الفصاحة ١١٨ وما بعدها طبعة دار الكتب العلمية

٥٢٨) المصدر السابق ص ٢٥٥ وأزن مع سر الفصاحة ١٨٧ وما بعدها.
٥٢٩) المصدر السابق ص ١٩٩ (الطباق) و٢٠٤ (المقابلة) وأزن مع سر الفصاحة ٢٠٠.
٥٣٠) المصدر السابق ص ٢٦٨ وأنظر نقد الشعر لقدامة تيج كمال ص (باب التبديل) وجواهر الألفاظ ص ٤. وأنظر سر الفصاحة ٢٠٢.

٥٣١) المصدر السابق ص ٢٦٢ وأزن مع سر الفصاحة ٢٢١ وما بعدها.
٥٣٢) المصدر السابق ص ٢٨١ وأزن مع سر الفصاحة ٢٣٥ وما بعدها.
٥٣٣) المصدر السابق ص ٢٢٢ وأزن مع سر الفصاحة ٢٧٧ وما بعدها.
٥٣٤) المصدر السابق ص ٢٠٤ وأزن مع سر الفصاحة ٢٦٧ وما بعدها.
٥٣٥) المصدر السابق ص ٢٢٦ وأزن مع سر الفصاحة ٢٧٢ وما بعدها.

- ٩- كمال المعاني ونقصانها: (صحة التقسيم). (٥٤٤)
 - ١٠- المعاني الأميلة في المدح والذم: (الآ يعبر بالفاظ الذم عن المدح ولا بالفاظ المدح عن الذم). (٥٤٥)
 - ١١- ما يزيل الغموض والاشتكال في المعاني: (أورد الخفاجي كادماً شبيهاً بهذا ترجم له بوضع الألفاظ موضعها اللائق، وأشار إلى ما يداخل اللفظ واتالييف من أسباب تدخل عليهما الغموض والاشتكال). (٥٤٦)
 - ١٢- ما يزيل الغموض والاشتكال في المعاني. (٥٤٧)
 - ١٣- توقف فهم المعاني على أمر خارجي (أي ألا يدخل في الشعر ألفاظ العلوم الأخرى كالنحو والطب والمهن الأخرى). (٥٤٨)
 - ١٤- قديم المعاني ومخترعها. (٥٤٩)
 - ١٥- حسن التعبير وإجادته (باب المباني). (٥٥٠)
- وأما باقي القضايا فتجري بطريقة أو أخرى تحت التأثير ولكن دون التصريح باین سنان والشبه والاشتلاف في الفكرة والشاهد والمقصد خير دليل على ذلك؛ وهذا بخاسة في بابي المباني والأسلوب.

١) تأثر الخطيب القزويني (٥٥١) (-٥٧٢٩/١٢٢٨م) بالخفاجي: لما جاء الخطيب القزويني (-٥٧٢٩/١٢٢٨م) وجد السبيل مهدياً أمامه من لدن السابقين، وقد استخلص بحثاً مختلفاً عن غيره، حيث رتب الألفاظ ترتيباً علمياً وجعلها مقدمة لموضوعه. وقد تحدث عن الألفاظ وما يجب أن تكون عليه من شروط جرياً على أسلوب ابن

٥٢٦) منهاج البلاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني (-٥٦٨٥-١٢٨٥م) تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. تونس ١٩٦٦م. (رج: دكتوراه في جامعة باريس بتقدير مشرف جداً).

٥٢٧) المصدر السابق ص ٤٥ وازن مع سر الفصاحة ص ١٦٩-١٧١ (تأثير مصرّح به).
٥٢٨) المصدر نفسه ص ٤٩، ٥١-٥٢ وازن مع سر الفصاحة: ٢٠٢-٢٠٥ (تأثير مصرّح به).

٥٢٩) المصدر نفسه ص ٥٢، ٥٥، ٥٩ وازن مع سر الفصاحة ٢٦٧ (تأثير مصرّح به).
٥٤٠) المصدر نفسه ص ٥٧-٥٩ وازن مع سر الفصاحة ٢٧٠ (تأثير مصرّح به).
٥٤١) المصدر نفسه ص ١٤٠-١٤٢ وازن مع المصدر السابق ٢٦٧-٢٢٨-٢٤٥، ٢٤٦ (تأثير مصرّح به).

٥٤٢) المصدر نفسه ص ١٤٦-١٤٩-١٥٠ وازن مع المصدر نفسه ٢٢٨-٢٤٥-٢٤٦، ٢٦٨-٢٧٢ (تأثير مصرّح به).
٥٤٣) المصدر نفسه ص ١٤٩ وازن مع المصدر نفسه ٢٧١-٢٢٨، ٢٤٥، ٢٤٦ (تأثير مصرّح به).

مستان. وإذا كان الخفاجي قد قصر الفصاحة على وصف الألفاظ وجعلها باباً مساهماً في مجمل البحث، فإن القزويني جعل هذه المرحلة مقدمة للبلاغة بعد ما كانت موضوعاً قائماً بذاته. (٥٥٢)

واستهل القزويني مقدمته قائلاً: (للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح لتعريفها به ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام، وكون الموصوف بهما المتكلم، فالأولى أن تقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين) (٥٥٢).

وهذا الكلام على ما نراه نقد ضمنى لسابقه. وفي الحقيقة قال الخفاجي (-/٥٤٦٦م) وغيره كالجاحظ (-/٥٢٥٥م) والسكري (-/٥٢٩٥م) وعبد القاهر الجرجاني (-/٥٤٧١م) أو (-/٥٤٧٤م) أو (-/١٠٧٨م أو -/١٠٨١م) وابن الأثير (-/٥٦٢٧م) أو (-/١٢٢٨م) لم ينفكوا ما أشار إليه القزويني. وقد رأينا في بحثنا تلك المستويات الدقيقة التي حددها الخفاجي في كل مرحلة من مراحل كتابه، ومنها ما يتحدث عنه القزويني على وجه الخصوص في الفرق بين الفصاحة والبلاغة وموطن التقائهما في البيان والالهور. وقد نسي القزويني في نفسه أن موضوعه مجرد خلاصة لجهود السابقين.

وفي وصف الألفاظ قال القزويني: إن الفصاحة تقع سمة للمفرد فيقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة. وهذا ما نراه عند الخفاجي في قوله: (وبلاغة لا تكون إلاً وصفاً للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغ) (٥٥٤). أخذ الخفاجي هذا القول وهذبه وشذبه بأسلوب أوضح وأقرب. والتأثير في هذا جلي. كما اقتبس عنه التاليف المتناثر الحروف (٥٥٥) والتقى معه في التمثيل بكلمة (المهخخ) مثلاً، واقتدى به في غرابة الألفاظ

٥٤٤) المصدر نفسه ص ١٥٠ وازن مع المصدر نفسه ١٨٢ وما بعدها (تأثير مصرح به).
٥٤٥) المصدر نفسه ص ١٥٤ وازن مع سر الفصاحة ص ٢٢٥ وما بعدها (تأثير مصرح به)
٥٤٦) المصدر نفسه ص ١٦٨ وما بعدها وازن مع المصدر السابق ص ٢٥٦ وما بعدها (تأثير مصرح به).

٥٤٧) منهاج البلقاء ص ١٨٠-١٨٤ وازن مع سر الفصاحة ص ١١٠ وما بعدها (وضع الألفاظ موضعها).

٥٤٨) المصدر السابق ص ١٩١ وازن مع سر الفصاحة ص ١٦٦ وما بعدها.

٥٤٩) المصدر نفسه ص ١٩٢ وازن مع سر الفصاحة ٢٧٨-٢٨٦.

٥٥٠) المصدر نفسه ص ٢٢٢-٢٢٥ وازن مع سر الفصاحة ٩٢ - ٢٢٢.

ووحشيتها ومدى سلبيتها على التأليف (٥٥٦) وتقاطع معه أيضاً في التمثيل بالشعر والشر. وفي مخالفة القياس (٥٥٧) وهي ما يُعرف عند الخفاجي بمخالفة العرف العربي الصحيح (٥٥٨) وتبعه في التمثيل أيضاً في التعميد اللفظي (٥٥٩) أو فساد النظم.

(٧) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٥٦٠) للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي (-١٥٥٥/١٥٦٢م)

لما رجعت إلى كتاب معاهد التنصيص وجدت العباسي يُشير إلى سر الفصاحة في كثير من المواقف إزاء قضايا. والمساقاة الزمنية بين الرجلين خير دليل على التقدم والتأخر والأخذ والعطاء. وقد اعتمدت أساساً المواطن الصريحة في هذا الشأن وعَدَيْتُ الأمر إلى باب الانداف في الفكرة والتمثيل، لأن هذا الأمر أيضاً من قبيل التأثير، كما فعل الخفاجي مع سابقه مثل المرزباني (-٢٨٤هـ) والمسكري (-٢٩٥هـ) وغيرهم إذ أخذ عنهم ولم يشر أو يلجح إلى ذلك؛ اللهم إلا ما قمت به من تدليل على أوجه التشابه في الحقائق والمعطيات التي قادتني إلى إثبات عملية التأثير.

وللعباسي في كتابه مواضع يصرّح فيها بذكر "سر الفصاحة" أو صاحبه وأماكن خالية من الاعلان والإشارة. ومن هذا:

١- تنافر حروف الكلمة في التأليف وغرابة اللفظة ومثال ذلك (مستشورات) على نهج ابن سنان (٥٦١) في المعطيات والتمثيل والأحكام والغاية.

٢- مخالفة القياس اللغوي (٥٦٢): وقد اقتبس هذه الفكرة من الخفاجي: (في الشرط الخاص في كلامه عن الفصاحة: (أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة) (٥٦٢).

٣- الكراهة في السمع (٥٦٤): اقتداء بالخفاجي في الشرط الثاني (حسن تأليفها في السمع) (٥٦٥).

(٥٥١) كتاب الإيضاح في علوم البلاغة للزويني (محمد بن عبد الرحمن الخطيب -٥٧٢٩هـ) ص ١٧/١ شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٩٨٤/٢٤ م (ج ١)

(٥٥٢) الإيضاح ص ١٧/١ وازن مع سر الفصاحة (باب الفصاحة ص ٥٨ - ٨٩).

(٥٥٣) الإيضاح ص ١٧/١ - ٤٦ (باب الفصاحة ص ٥٨ - ٨٩).

(٥٥٤) سر الفصاحة ص ٥٩ ط. دار الكتب وازن مع الإيضاح ص ١٧ - ٢٨ وما بعدها.

(٥٥٥) الإيضاح ص ١٧/١ - ٢٥ وازن مع سر الفصاحة ٦٤ وما بعدها.

(٥٥٦) المصدر السابق وازن مع سر الفصاحة ٦٦ - ٧٢.

(٥٥٧، ٥٥٨) المصدر السابق ص ٢٦/١ وما بعدها وازن مع سر الفصاحة ٧٧ وما بعدها.

(٥٥٩) الإيضاح ص ٢٠/١ - ٢٩ وازن مع سر الفصاحة ١١١ وما بعدها.

- ٤- تنافر الكلمات (٥٦٦): احتذاء بالخفاجي في كلامه عن الألفاظ المولقة. (٥٦٧)
- ٥- التعقيد اللفظي (٥٦٨): احتذاء بالخفاجي في كلامه عن الألفاظ المولقة. (٥٦٩)
- ٦- التعقيد المعنوي (٥٧٠): احتذاء بالخفاجي في كلامه عن الألفاظ المولقة. (٥٧١)
- ٧- تتابع الإخافات (٥٧٢): احتذاء بالخفاجي في كلامه عن التكرار. (٥٧٣)
- ٨- في علم المعاني (٥٧٤): احتذاء بالخفاجي في كلامه عن المعاني مفردة. (٥٧٥)
- ٩- القلب (٥٧٦): احتذاء بالخفاجي في كلامه عن الألفاظ المولقة. (٥٧٧)
- ١٠- إخلال اللفظ بالمعنى المراد (٥٧٨): يختصر تفصيل الخفاجي في هذه العبارة. (٥٧٩)
- ١١- التطويل (٥٨٠): ائتلاف في الفكرة والأمثلة والغاية والمصطلح. (٥٨١)
- ١٢- الحشو الزائد (٥٨٢): ائتلاف في الفكرة والأمثلة والغاية والمصطلح. (٥٨٣)
- ١٣- الحشو غير المفسد (٥٨٤): ائتلاف في الفكرة والأمثلة والغاية والمصطلح. (٥٨٥)
- ١٤- المساواة (٥٨٦): ائتلاف في الفكرة والأمثلة والغاية والمصطلح. (٥٨٧)

- ٥٦٠ معاهد التنصيص على شواهد التخليص تأليف الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي (١٥٥٥- / ٥٦٦٢م) تحقيق محم محي الدين عبد الحميد. عالم الكتب بيروت ١٩٤٧/٥١٢٦٧ م.
- ٥٦١ معاهد التنصيص ٨/١ - ١٥ وازن مع سر الفصاحة ٥٨-٨٩ ط. دار الكتب العلمية.
- ٥٦٢ معاهد التنصيص ١٨/١.
- ٥٦٣ سر الفصاحة ص ٧٧ ط. دار الكتب العلمية.
- ٥٦٤ معاهد التنصيص ٢٦/١.
- ٥٦٥ سر الفصاحة ص ٦٤ ط. دار الكتب العلمية.
- ٥٦٦ معاهد التنصيص ٢٥/١.
- ٥٦٧ سر الفصاحة ١٠٧ - ١١٠ ط. دار الكتب العلمية.
- ٥٦٨ معاهد التنصيص ٤٣/١.
- ٥٦٩ سر الفصاحة ص ١٠٧ - ١١٠ ط. دار الكتب العلمية.
- ٥٧٠ معاهد التنصيص ٥١/١.
- ٥٧١ سر الفصاحة ٢٢٤ - ٢٧٧ ط. دار الكتب العلمية.
- ٥٧٢ معاهد التنصيص ٥٩/١.
- ٥٧٣ سر الفصاحة ١٠٢ - ١١٠ ط. دار الكتب العلمية.
- ٥٧٤ معاهد التنصيص ٧٢/١.
- ٥٧٥ سر الفصاحة ٢٢٤ - ٢٧٧ ط.
- ٥٧٦ معاهد التنصيص ١٧٩/١.
- ٥٧٧ سر الفصاحة ص ١١٤.

- ١٥- إيجاز الحذف (٥٨٨): ائتلاف في الفكرة والأمثلة والفاية والمصطلح. (٥٨٩)
١٦- الإيغال (٥٩٠): وهو ضرب من الحشو المفيد لزيادة المبالغة وفيه ائتلاف في الفكرة والفاية والمصطلح. (٥٩١)
١٧- التذليل (٥٩٢): وهو ضرب من الحشو المفيد لزيادة المبالغة وفيه ائتلاف في الفكرة والفاية والمصطلح. (٥٩٢)
١٨- التكميل (٥٩٤): وهو ما يُعرف عند الخفاجي بالتحرز ما يوجب الطعن ويسمى أيضاً الاحتراس. (٥٩٥)

- ١٩- الاعتراض أو الالتفات (٥٩٦): وهو عند ابن سنان من الحشو المحمود. (٥٩٧)
٢٠- التشبيه (٥٩٨): وهو عند ابن سنان من الحشو المحمود. (٥٩٩)
٢١- الاستطارة (٦٠٠): ائتلاف في الفكرة والفاية وفي تقسيمها إلى قريبة وغريبة. (٦٠١)
٢٢- إيهام التضاد (٦٠٢): ائتلاف في الفكرة والفاية والأمثلة. (٦٠٢)
٢٢- مراعاة النظر (٦٠٤): وهو ما يُعرف عند الخفاجي بالتناسب ووضع الألفاظ (٦٠٥)

- ٥٧٨) معاهد التنصيص ٢٠٨/١.
٥٧٩) سر الفصاحة ص ٢١٥ ط. دار الكتب العلمية.
٥٨٠) معاهد التنصيص ٣١٠/١.
٥٨١) سر الفصاحة ٢١٩ ط. دار الكتب العلمية.
٥٨٢) معاهد التنصيص ٢٢٢/١.
٥٨٣) سر الفصاحة ٢١٩/٢٠٧ ط. دار الكتب العلمية.
٥٨٤) معاهد التنصيص ٢٢٥/١.
٥٨٥) سر الفصاحة ٢٠٥ - ٢٢٠ ط. دار الكتب العلمية.
٥٨٦) معاهد التنصيص ٢٢٠/١.
٥٨٧) سر الفصاحة ٢٠٧ و ٢١٧ ط. دار الكتب العلمية.
٥٨٨) معاهد التنصيص ٢٢٩/١.
٥٨٩) سر الفصاحة ٢١٠ ط. دار الكتب العلمية.
٥٩٠) معاهد التنصيص ٢٤٦/١.
٥٩١) سر الفصاحة ١٥٥ ط. دار الكتب العلمية.
٥٩٢) معاهد التنصيص ٢٥٨/١.
٥٩٣) سر الفصاحة ٢١٩ ط. دار الكتب العلمية.
٥٩٤) معاهد التنصيص ٢٦٢/١.
٥٩٥) سر الفصاحة ٢٧٢ ط. دار الكتب العلمية.
٥٩٦) معاهد التنصيص ٢٦٩/١.

موضعها (التناسب في المقدار).

- ٢٤ - الأرساد أو التسميم (١٠٦): وهو ما يُعرف عند الخفاجي بالمصطلح نفسه. (١٠٧)
٢٥ - التسميم (١٠٨): وهو شرط في صحة الكلام عند الخفاجي. (١٠٩)
٢٦ - المبالغة والأغراق (١١٠): وهي عند ابن سنان اللغو والمبالغة (١١١) من بيان كمال المعنى.
٢٧ - التعليل (١١٢): وهو شرط من شروط الصحة في الكلام عند الخفاجي (حسن التعليل) (١١٢).
٢٨ - تأكيد المدح (١١٤) بما يشبه الذم: عند الخفاجي (بيان أن من الصحة صحة الأوصاف في الأغراض من المدح وغيره) (١١٥).
٢٩ - الاستبعاد (١١٦): وهو ما يُعرف عند الخفاجي بالإرداف والتبعية. (١١٧)
٣٠ - الجناس (١١٨): اشتلاف في الفكرة والالفة. (١١٩)
٣١ - التجميع (١٢٠): اشتلاف في الفكرة والالفة (١٢١) لدى الخفاجي من المناسبة بين الألفاظ من طريق الصيغة).

٥٩٧) سر الفصاحة ١٤٦ - ١٤٧. ط. دار الكتب العلمية.

٥٩٨) معاهد التنصيص ٤/٢ - ٩٦.

٥٩٩) سر الفصاحة ٢٥٦ ط. دار الكتب العلمية.

٦٠٠) معاهد التنصيص ١١٢/٢ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٧٢.

٦٠١) سر الفصاحة ١١٨ ط. دار الكتب العلمية.

٦٠٢) معاهد التنصيص ١٨٤/٢.

٦٠٣) سر الفصاحة ٢٢٨، ٢٢٩ (باب الامتاحة والتناقض) و ١٩٢ وما بعدها.

٦٠٤) معاهد التنصيص ٢٢٧/٢.

٦٠٥) سر الفصاحة ١٩١ وما بعدها.

٦٠٦) معاهد التنصيص ٢٢٦/٢.

٦٠٧) سر الفصاحة ١٦٠ وما بعدها.

٦٠٨) معاهد التنصيص ٢٠٦/٢.

٦٠٩) سر الفصاحة ٢٢٥ - ٢٤٥ ط. دار الكتب العلمية.

٦١٠) معاهد التنصيص ١٦/٢ - ٢٥ - ٢٧ - ٤٦.

٦١١) سر الفصاحة ٢٧١ ط. دار الكتب.

٦١٢) معاهد التنصيص ١٩/٢ - ٧١.

٦١٣) سر الفصاحة ٢٧٧ ط. دار الكتب.

- ٢٢ - لزوم ما لا يلزم (١٢٢): اشتداف في الفكرة والناية (١٢٢) (ينسب هذا الفن إلى المعري (٤٤٩هـ)).
- ٢٣ - التضمين (١٢٤): اشتداف في الفكرة والناية (١٢٥).
- ٢٤ - حسن الابتداء والتخلص والمقطع والانتها (١٢٦). وهو ما عند الخفاجي نفسه (١٢٧): اشتداف في الفكرة والناية. ولكي نفي مطلبنا حقه نشير إلى المواضع التي سرح فيها بابن منان في كتابه (١٢٨).

-
- (١١٤) معاهد التنصيص ١١١/٣.
- (١١٥) مر الفصاحة ٢٥٦ و ١١١ ط. دار الكتب.
- (١١٦) معاهد التنصيص ١٢٢/٢.
- (١١٧) مر الفصاحة ٢٢٩ (من نعوت الفصاحة والإرداف).
- (١١٨) معاهد التنصيص ٢٠٦/٢ - ٢٤١.
- (١١٩) مر الفصاحة ١٩٢.
- (١٢٠) معاهد التنصيص ٢٨٩/٢.
- (١٢١) مر الفصاحة ١٧١ ط. دار الكتب.
- (١٢٢) معاهد التنصيص ٥٠٢/٢.
- (١٢٣) مر الفصاحة ١٧٩ (من نعوت الفصاحة والإرداف).
- (١٢٤) معاهد التنصيص ١٥٢/٤.
- (١٢٥) مر الفصاحة ١٨٧ (من نعوت الفصاحة والإرداف).
- (١٢٦) معاهد التنصيص ٢٤٨/٤ - ٢٧٢.
- (١٢٧) مر الفصاحة ٢٦٨ (من سحة النسق والنظم).
- (١٢٨) أنظر معاهد التنصيص ١٠٧/٢، ١٠٧/٣، ٢٦٢/١، ٢٧/٢ وغيرها.

ابن مئان في الميزان: ميزات منهجه ورأي العلماء فيه:

إن الجوانب التي نستند إليها في تقييم ابن مئان (-/٥٤٦٦م- ١٠٧٢م) عدة، تتمثل أولاً في شخصيته الفذة، الشهرة التي حنكتها الحياة بتقلباتها وإنتاجه الفني. قد كان واعياً لتضاي عصره، معاشاً لها. اهتم بالعلم في أول الأمر، ولما اشتد عوده ظهرت بذور الطموح جلية في شخصيته التي جمعت العلم إلى جانب السياسة. واختتم فيه ^{هذه الكلمة} وأعطى تاجاً طيباً يتشمل في تلك التجربة التي أفادها من ظروف الحياة وعلوم السابقين، حتى سارت شخصيته الاعتبارية يحسب لها حسابها حين يذكر أولئك العلماء الذين عاد ميتهم تامكاً في السماء، وماذ الأرجاء في دنيا العلم والمعرفة.

وابن مئان شاعر أديب عاش في القرن الخامس الهجري، تلمذ على يد أبي العلاء المعري (-/٥٤٤٩م- ١٠٥٧م) شاعر المعرفة وفيلسوفها وأديبها الكبير، ونقل عنه في أكثر من موضع في كتابه؛ كما أخذ عن أبي نصر المتازي (١) (-/٥٤٢٧م- ١٠٤٥م).

وهو الذي أشاد به ياقوت الحموي (-/٥٦٢٦م- ١٢٢٨م) حين ذكر حلب، إذ قال: (... وفيها حدث يعرف بأبي محمد بن مئان قد تاهز العشرين وعاد في الشعر طبقة المحتكين). (٢)

وتؤم به ضياء الدين ابن الأثير (-/٥٦٢٧م- ١٢٢٩م) حين اعتبر كتابه "مر الفصاحة" من الكتب النافعة في علم البيان تأليف النظم والنثر. فقد صرح أنه اطلع على عدد كبير من

(١) أنظر فوات الوفيات تأليف محمد بن شاعر الكبي (-/٧٦٤م- ١٢٦٢م) تحقيق د. إحسان عباس ٢٠/٢ دار صادر بيروت ١٩٧٤م/٥١٢٩٤. وأبو نصر المتازي هو أحمد بن يوسف: شاعر وجيه، استوزره أحمد بن مروان (-/٥٤٥٣م- ١٠٦٠م). أنظر فوات الوفيات ٢٠/٢، أعلام الزركلي ٢٧٢/١.

(٢) أنظر معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (-/٥٦٢٦م- ١٢٢٨م) ٢٨٤/٢. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت ١٩٥٦م/٥١٢٧٥ (حلب). وأنظر تهذيب الأنساب لابن الأثير (-/٥٦٢٠م- ١٢٢٢م) ٢٨١/١. الناشر مكتبة القدسي (حمام الدين القدسي) القاهرة (٥١٢٥٦) (يذكر نسبة ابن مئان إلى خفاجة. يقول عنه في نسبة ابن مئان إلى خفاجة) يقول عنه في نسبة إلى بني خفاجة (وهم القبيل المشهور، وإليهم ينسب الشاعر المفلح أبو سعيد بن مئان الخفاجي، كان يسكن حلب).

المؤلفات، فوجد أصحابها قد جلبوا ذهباً وخطباً، فلم يلق ما يستغ به في ذلك إلا كتاب الموازنة لأبي القاسم الأحمدي (-/٥٢٧٠م) ، وكتاب سر الفصاحة. ويرى أن كتاب الموازنة أجمع أصولاً وأجدي محصولاً، وكتاب سر الفصاحة - وإن بَّه إلى نكت منيرة - فإنه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه. (٢)

وهو الذي يقول فيه ابن تطري بردي (-/٥٨٧٤م) حين تعرض إلى ذكر وفيات عام ١٠٧٢م، قال فيه: (وفيها توفي عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي، الشاعر المشهور، كان فصيحاً فاضلاً، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره، وسمع الحديث وبرع فيه...) (٤)

وكتاب سر الفصاحة من الكتب القيمة والنفيضة التي جاد بها القرن الخامس الهجري، لأنه في واقع أمره خلاصة مركزة لكثير من وجوه النظر في العربية وأصولها، وقته لغتها، ودراسة منظمة لعناصر الجمال الأدبي، مع آراء مديدة في النقد والبلاغة وفنون الأدب، وتدل على تبحر وسعة اطلاع ورأي منظم وعق في التفكير. (٥)

وإذا نظرنا إلى ما يحمله من حقائق نجد في طياته مبادرة تحويلية في الأدب والنقد والبلاغة، قائمة على منهجية علمية منظمة. والدليل على ذلك أنه يتصر من خلال إجراءاته ودعوته للمذهب العلمي في دراسة الأدب وتقديم والاتجاه المنهجي القاعدي الذي سار عليه علماء البلاغة المشهورون فيما بعد من أمثال السكاكي (-/٥٦٢٦) والخطيب القزويني

٢) أنظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف ضياء الدين بن الأثير (-/٥٦٢٧) ٢/١-٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٢٥/١٩٢٩م. (والأخذ يتمثل في: ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها، ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة إلى أكثره، ومن الكلام في مواضع شذَّ عنه الصواب فيها...) .

٤) أنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبو الحسن علي بن الحسن (-/٥٨٧٤م) ٩٦/٥، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٥/١٩٢٥م. وأنظر دمية القصر للباخري نور الدين أبو الحسن علي بن الحسن (-/٥٤٦٧م) ١٠٧٤م) ١٢/١ تحقيق عبد الفتاح الحلو دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ.

٥) أنظر البيان العربي د. بدوي طباطبة ص ١٨٧ مكتبة الانجلو المصرية ط ٤ - مزيدة ومنقحة القاهرة (٤).

(٥٧٢٩هـ/١٢٢٩م)، ويختلف عنهما الخفاجي في أنه لم يسلك في دراسته المنهج القاعدي الجاف الذي ينفرد من البلاغة (٦) ونحن نعلم من مر الفصاحة أن صاحبنا قد مار بممارسته سيراً مزدوجاً، يتوفر على التحديد والتعريف وإلى جانبه النص والمثال، إلى جانب الرأي السديد في الحكم بالإصابة أو سوء الاستعمال (٧).

وابن مئان كما يخبر به كتابه علم من أعلام الثقافة، درس ما يحتاج إليه في التراث العربي من أدب ونقد وبلاغة، وتشبع بأفكار مختلفة تجري في ضروب فنون شتى كعلم الكلام الذي مهر فيه، واكتسب من ذلك أسلوباً جديلاً كان له أثره الفاعل في أغلب أعماله السياسية والفنية والاجتماعية. ولا يغوت أن نشير في هذا الصدد إلى أن سيرة الخفاجي قد أثرت في طريقته وأسلوبه، فكانت آراؤه بيّنة واضحة وكان جريئاً في الإعلان عن موقفه، واقعياً في آرائه وتحليلاته وأحكامه. وبهذا يكون بحكم خبرته وسعة علمه عالماً يحكم العقل والمنطق في نظرته للأشياء؛ إلى جانب كونه ناقداً خبيراً مقتدرأ يتعامل مع القضايا الأدبية ليرز فيها أمرار الجمال، هذا بالإضافة إلى أنه بحكم ممارسته في هذا الكتاب الخامس العلمي لمذهب أصحاب البديع والبيان والتقد والأدب. وبذلك يرقى لأن يكون حجة في الاستدلال بقيمة الصوت والحرف واللفظ في تأليف السياق بمبناه ومعناه. كما أنه كشف عن الفلسفة وطبيعة الثقافة التي كانت سائدة في عصره وما قبله في البلاد الإسلامية بعامة وبلاد الشام بخاصة (٨) وبهذا الاعتبار يحق لنا أن نقول إن مر الفصاحة كتاب جليل، عظيم الخطر، كبير الأثر في بحوث النقد والبلاغة، مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق (٩).

(١) أنظر البيان العربي د. بدوي طباعة س ١٨٧. وأظهر أدب الكتابة والتأليف عند العرب د. هاني السعد (باب تألف الحروف والكلمات عند الخفاجي). ط ١٤٠٧/٥١٨٦م نشر بدعم الجامعة الأردنية. مطابع دار الشعب - عمان الأردن. يقول: (وقد لعب كتاب الخفاجي دوراً كبيراً إبان القرن الخامس الهجري وما بعده من قرون قد تمكن المؤلف أن يلخص آراء السابقين عليه في مجالات الفصاحة والبلاغة، وإذا كان قد اعتمد بشكل مباشر على مصادر البلاغيين، فإنه اعتمد في الوقت ذاته على مصادر اللغويين من أمثال ابن دريد والأخفش وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء وإبراهيم بن يسار النظام وابن جني وغيرهم).

(٢) أنظر البيان العربي د. بدوي طباعة س ١٨٨.

(٨) تاريخ النقد العربي في الشام إلى القرن الخامس الهجري. د. محمد زغلول سلام س ٢٦٢ دار المعارف بمصر (٤).

(٩) دراسات في النقد الأدبي محمد عبد المنعم خفاجي س ٢٤٨ ط ١/ دار الطباعة المحمدية بالأزهر. القاهرة (٤).

وسر الفصاحة في مجمله بحث مفصل في الأدب والتقد والبلاغة، يعتمد حسن التأليف في تبيان أسرار الفصاحة والبلاغة وأوصافها على مستوى الصوت والحرف واللفظ والسياق الشكلي والمعنوي. (١٠) والكتاب لما يحتويه من حقائق وأفكار حافلة في هذا الخصوص، ذو أثر فعال على الثقافة الأدبية والبيانية. كل هذا يعكس شخصية ابن سنان الأسيلة في إنتاجه، من خلال تقدمه، وحسن عرضه، وجمال تنسيقه، وقوة حجته، وجمال ذوقه في النقد والتحليل. (١١)

ولا يفوتني أن أشير إلى أن كتاب الخفاجي يتوفر على التشويق والمرونة، وعق التفكير، وشمول الفكرة، وسعة المدى، وبلاغة البيان إزاء كتابي عبد القاهر الجرجاني (١٠٧١هـ أو ١٠٧٤هـ/ ١٠٧٨م أو ١٠٨١م). (١٢)

وعلى هذا يظل هذا الكتاب من الآثار الخالدة النفيسة، وهو المؤلف الذي خدم البلاغة من طريق الأدب، ونحا تجاه الفن من ناحية الأسلوب، ولم يجر على السنن المألوفة في عرض القضايا العلمية عرضاً خشناً غليظاً، يبعث في النفس الملل والسآمة، ويحملها على الزهد والانصراف. (١٢)

وصا يزيد هذا الكتاب قيمة هو احتواؤه للروايات الأدبية والأحداث والمجاسم التي تطرحها الأدب المتفحص على أخبار وملح ووادع وطريف. فهو يضم إلى جانب معرفته بسر الفصاحة منفعة أدبية جمة، جاءت في مكانها المناسب من الكتاب، مانعة دون تكلف أو إجهاد خاطر، فأثبت بذلك قدرته العلمية وسعة اطلاعه. (١٤) كقوله: (وقد حكى أن بعض ملوك الروم وأقلته تقفون سال عن شعر المتنبي فأُشدد له:

(١٠) دراسات في النقد الأدبي محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٥٩.

(١١) المصدر السابق ص ٢٥٦، ٢٦٠.

(١٢) المصدر نفسه ٢٥٩.

(١٣) في الأدب والبيان د. محمد حمدي بركات أبو علي ص ١٠. دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٤. وأنظر الأدب والبلاغة د. إبراهيم أبو الخشب ص ٢٢٤، مطبعة المعرفة، القاهرة ١٩٥٩م.

(١٤) أنظر مجلة الأزهر ج ١٤/ ١٢٦٢هـ مطبعة الأزهر بقلم محمد كامل القتي.

كان الهمس كادت فوق جفني مناخات فلما ثُرُنَ سالاً (١٥)

والأمر الذي لا ينكر هو أن الخفاجي قد تناول بالدراسة موضوعات شتى، معتمداً في كل موضوع منها آراء السابقين من العلماء (١٦)؛ بمعنى أن صاحبنا قد لعلم النظريات التي توصل إليها في كتابه، ونظم ما كان مبشراً أو متداخلاً مع غيره، وعرض معطياته وحقائقه في أسلوب علمي، منهجي منظم مقبول. ولا أثر لذلك في أن يأتي بشيء جديد تبرز فيه شخصيته بوضوح. فاعتراضاته المترددة في مستويات مختلفة من كتابه دليل على ذلك، فقد كانت موضوعية أكثر منها مذهبية. ويؤخذ عليه في ممارسته استشاداته بالقرآن الكريم والحديث الشريف التي كانت مجتزأة، كما أنك لو تصفحت مساحة الكتاب تجده قد سخر شعر المولدين وكاد يقتصر شواهد على ذلك (١٧)؛ ومن الشواهد الأخرى والخطب والأقوال المأثورة والخطب وغير ذلك.

إن هذه الشهادات جميعها تساعد على تشكيل صورة واضحة عن ابن منان الخفاجي في الزمان والمكان اللذين عاشهما، وعلاقته بزمانه وما بعده. ولكن هذا يظل وإن كان مفيداً غير واغل إذ لو كان الأمر تحليلياً ووصفياً داخلية ^{لكن أجبت} لأن هؤلاء الشهود يكونون قد سمعوا عن هذا لشيوخ الخبر فقط، فأعجبوا به، وذلك العجب ابن اللحظة وابن الموقف الذي يعيشه الفرد ليس إلا. ونحن لا نشك في أقوال هؤلاء قط، وما ينبغي لنا، وإنما نرى أنه لدينا في ذلك حقاً في الولوج إلى صميم الإنتاج لتؤكد صدق اليقين ونضيفه إلى مواقف هؤلاء العلماء. ولعل أفضل أثر نلجأ إليه هو الكتاب الذي بين أيدينا "سر الفصاحة" بخاتمة.

لقد تناولنا فيما سبق قضايا الأدب والنقد والتأثير والتأثير بنوع من التفصيل، واستفدنا من ذلك الشيء الكثير، وهو الأمر الذي مكنتنا من استنباط الخصائص التي تميز خصائص مؤلف الخفاجي، والتي يمكن لنا بموجبها إنزال الرجل منزلة العلمية اللائقة به، واعتبرنا تلك

(١٥) سر الفصاحة ص ٥٠ ط. دار الكتب العلمية، وأنظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى (البيان في شرح الديوان) ضبط وتصحيح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعدد الحفيظ شلبي ج ٢/٢٢٢ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ١٩٥٦/٥١٢٧١/٢٢ م.

(١٦) أنظر سر الفصاحة. مجمل الكتاب.

(١٧) أنظر أدب الكتابة والتأليف عند العرب (باب تألف الحروف والكلمات عند الخفاجي) د. هاني الحمدي.

الخصائص أسماً ومرتكزاً للمشروع كله، وهي في حقيقتها أمور تترجم إلى ما انفرد به الخفاجي في إبداعه في تأليف هذا الكتاب؛ أو تقاطعه مع غيره. وقد أجبنا ذلك بوضوح في فصل التأثير والتأثير. (١٨)

ونظراً لما ينطوي عليه من ضروب المعرفة، راح بعض العلماء يوسي الناشئين من الطلبة إلى الرجوع إلى سر الفصاحة، لأنهم حسب رأيهم يتفنون به أكثر من كتابي عبد القاهر (١٤٧١هـ أو ١٤٧٤هـ)، ولا سيما في تربية ملكة النقد. (١٩)

ويمكن حصر هذه الميزات في الأمور التالية:

١ - المنهج والأسلوب:

لقد جاء ابن سنان (-١٤١٦هـ/١٠٧٢م) في القرن الخامس الهجري؛ فرأى ما سار إليه التأليف في زمانه، فأراد أن يحدد مفهوم الفصاحة والبلاغة بموجب التأليف الحسن انطلاقاً من تقنية الإعجاز التي كانت تغالب كثيراً من العلماء. فراح يحدد لنا معنى الفصاحة والبلاغة تحديداً أدق وأعمق، معتمداً في ذلك على الدراسات الجاهزة، السابقة له في النقد والأدب والبلاغة والنحو واللغة. (٢٠) ولأجل ذلك جاء مؤلفه جامعاً لشتات ما تفرق من أفكار ونظريات تلك الكتب جميعها، مستدرِكاً ما اتبها من نقص. (٢١)

وإذا كان الخفاجي يدرس الأدب والنقد والبلاغة، فإنه قد استهل ذلك الثالث بالبحث في جزئيات هذا الأدب، قبل أن يتناول الصورة الكلية للموضوع تحدث عن جزئيات هذه.

(١٨) أنظر فصل التأثير والتأثير من بحثنا هذا (تبيين الاشتاقات والاختلافات).

(١٩) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي تحقيق عبد المتعال الصيدي س(ي) مقدمة الكتاب، مكتبة محمد علي سبيح القاهرة ١٩٥٢م/١٣٧٢هـ. وأنظر أيضاً في الأدب والبيان د. حمدي بركات ص ١٢ وكتابا عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١ أو ١٠٧٤هـ/١٠٧٨ أو ١٠٨١م) هما أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.

(٢٠) أنظر سر الفصاحة ص ١٢-١٥ ط. دار الكتب العلمية (المقدمة). وأنظر تاريخ النقد العربي في القرن الخامس الهجري إلى العاشر الهجري د. محمد زغلول سلام ص ٢٥٤ دار المعارف بمصر (٤).

(٢١) تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الهجري إلى العاشر ص ٢٥٤.

الصورة وعناصرها، فالأدب عبارة وتركيب (نظم وتأليف). والعبارة تتشكل من كلمات انضم بعضها إلى بعض، والكلمة تتكون من مقاطع، وكل مقطع متكون من أصوات. (٢٢)

وسر الفصاحة بحث مفصل في الفصاحة والبلادة. وقد بدأ بمقدمة رسم فيها الغاية التي يرومها من كتابه ألا وهي معرفة حقيقة الفصاحة وسرها، لما لذلك من تأثير بعيد في فنون الأدب، ولأنه بموجب الفصاحة والبلادة وحسن التأليف تكشف عن سر الإعجاز في الذكر الحكيم. (٢٢)

ولأجل ذلك نرى صاحبنا قد امتهل مشروعه بالكلام عن الأصوات وتحديد معناه وخصائصه، وأن يخرج مستطيلاً مازجاً حتى يعرض له في الحلق والقم والشفتين مقاطع تشبه عن امتداد فيسمى المقطع أينما وجد حرفاً. (٢٤) ثم تكلم عن الحروف ومعناها، وعدة الحروف العربية وعددها عند المبرد (٥٢٨٦- / ٨٨٩ م) بخاتمة التي اعتدها ثمانية وعشرين وعدم اعتماد الهمزة (٢٥)، ثم تحدث عن معنى الكلام وحقيقته بين الفائدة والاستعمال والافائدة والإهمال عند أهل اللغة وأهل الكلام (٢٦). ثم ذكر اللغة وخصائصها في ضوء نظرية التأليف ثم انتقل إلى الفصاحة (٢٧) والبلادة (٢٨) وأسهب في الحديث عنهما، إذ أدرج صابحاً جزئية عديدة تخص المستويين، ثم عرج إلى الحديث عن الموازنة (٢٩) بين الشعراء وشعرهم وختم ذلك بوصية (٣٠) إلى الناشئين من الأدباء والنقاد والبلاديين.

- (٢٢) أنظر البيان العربي د. بدوي طباعة ص ١٨٩.
(٢٢) أنظر دراسات في النقد الأدبي محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٤٨ دار الطباعة المحمدية بالأزهر ط ١/ القاهرة (٤).
(٢٤) سر الفصاحة ص ٢٢ ط. دار الكتب العلمية وأنظر دراسات في النقد الأدبي ص ٢٤٨.
(٢٥) المصدر السابق ص ٢٢-٢١، وأنظر المرجع السابق ص ٢٤٩.
(٢٦) المصدر نفسه ص ٢٢-٤٨، وأنظر المرجع نفسه ص ٢٤٩.
(٢٧) المصدر نفسه ص ٥٨ وما بعدها.
(٢٨) سر الفصاحة ص ٥٨ وما بعدها ط. دار الكتب العلمية. وأنظر دراسات في النقد الأدبي ص ٢٤٩.
(٢٩) المصدر السابق ص ٢٧٨ - ٢٨٦ ط. دار الكتب العلمية.
(٣٠) المصدر نفسه ٢٨٨ وما بعدها ط. دار الكتب العلمية.

فكل هذه الباعث الواردة يصفها ويحللها الخفاجي في إفاضة مقنعة، وشرح جميل، وحجة قوية ومناقشة موضوعية وأسلوب منهجي وتقد نزيه (٢١). يأتي بالدليل على ما يراه، فيكون معجزاً لا يرى الخصم مجالاً لتفضيه أو النفاذ إليه (٢٢). وقد يطول حديثنا في هذا الخصوص لو شئنا إحصاء ما تناوله صاحبنا من فنون البيان وقواعد النقد وعناصر الجمال الأدبي. فقد تطرق إلى الفنون البيانية المعروفة في علم البيان والبديع والأدب والنقد، إلا أنه لم يعرضها عرضاً قاعدياً جافاً ينفر من البلاغة، وإنما سرد ذلك كله سرداً أدبياً نقدياً جذاباً مشوقاً، صبيحاً أثر ذلك في مجال الأدب، إلى جانب نماذج شريفة وشعرية مطابقة لمقتضى حال كل قضية في الحسن والرداءة، ثم إيراد الحلة في استحسانها أو استهجانها بما يدل على العلم الصحيح والذوق الأدبي السليم. (٢٢)

والشيء الجيد عند الخفاجي أنه سلك في ممارسته منهجية تعتمد المنطق في أساسها، والسبب في ذلك أنه لما انطلق من قضية الإعجاز والتي هي بالنسبة إليه أمر عظيم أراد أن يثبت ذلك بأسلوب حقيقي لا يشوبه قصر، فقرأ قد انطلق من الأوليات التي تتألف منها الفصاحة والبلاغة، فبدأ بالأسوات والحروف ثم الكلمة ثم السياق الشكلي والمعنوي ثم تصدى إلى تبيين كنه الفصاحة ليكشف عن سرها.

ولذا فإن قارئ سر الفصاحة حين يقبل عليه تطالع تلك المنهجية المحكمة الراسخة التي لا يؤثر عليها ذلك الالتفات في بعض المواضع الذي يسعى من ورائه إلى تأكيد الحقيقة وإيصال الفكرة إلى القارئ، ويتكشف له عن عالم متعدد الجوانب من المعرفة، فهو عدا كونه عالماً في البلاغة والنقد والأدب، عالم متمكن في علم الأسوات (اللسانيات)، والقضايا التي أثارها ذات أهمية خطيرة، لا تقل مكانة عما هي عليه في العصر الراهن إلا قليلاً، لما يتوفر عليه عصرنا من وسائل هائلة في هذا المجال. (٢٤)

ولأجل هذا كله يجمع المشتغلون بعلم البيان بخاسة وغيرهم بعامة على أن كتاب —

-
- (٢١) دراسة في النقد الأدبي من ٢٥٥ ط. دار الكتب العلمية.
(٢٢) مجلة الأزهر محمد كامل القتي من ١٨٨ ط. دار الكتب العلمية.
(٢٣) البيان العربي د. بدوي طبانة من ١٨٩ ط. دار الكتب العلمية.
(٢٤) التخيير من كتب النقد العربي تخييرها وقدم لها د. محمد الربدواوي من ٢٩٣ مؤسسة الرسالة ط ١/١٤٠١/١٩٨١ م/١٤٠٢.

٢- الموضوعية في النقد:

إن مفاد الموضوعية في النقد عند الخفاجي هي التجرد من الهوى والطيش والذاتية والمزاجية أثناء تقييم الأثر الأدبي وتقدير الأديب. وهو القائل في موضع من كتابه (... وأغلب الحق... ولا اتبع الهوى...) (٤٠) والناقد في هذه الحال أشبه ما يكون بالقاضي الذي يفصل نزاع الخصوم، فيحاول استخدام الحق وفق المواد القانونية المرسومة قدر الإمكان، غير أن هذا الأخير يختلف عن الناقد الفني في اعتماده قواعد نقدية فنية مرنة غير ثابتة يحكمها المنطق من جانب والعاطفة من جانب آخر.

وقد أكد الخفاجي موضوعيته في ظل منهجيته في النقد، ويتضح جلياً في أكثر من موضع من كتابه. (٤١)

وإذا عدنا إلى كتاب سر الفصاحة نجد الخفاجي فيه ناقدًا يتصدى للنقد الأثر الأدبي وإلى نقد النقاد أي: نقد الأدب ونقد النقد. وفي هذه الحالة تظهر مبادرة الخفاجي وإبداعه. لقد وجد أمامه أعمالاً نقدية لعلماء معينين، ورأى أنها تستوجب إعادة النظر، فحمل نفسه مسؤولية تصويبها، كما فعل مع:

- ١- سيويه (-/٥١٨٠م ٧٩٦م). (٤٢)
- ٢- البرد (-/٥٢٨٦م ٨٩٩م). (٤٣)
- ٣- أبي هاشم الجبائي (-/٥٢٠٣م ٩١٥م). (٤٤)
- ٤- قدامة بن جعفر (-/٥٢٢٧م ٩٤٨م). (٤٥)
- ٥- الآمدي (-/٥٢٧٠م ٩٨٠م). (٤٦)

٤٠- سر الفصاحة ص ١٢٢، ١٢٣ ط. دار الكتب العلمية.

٤١- أنظر سر الفصاحة ص: ٧١، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ٢٧٨-٢٩١ ط. دار الكتب العلمية.

٤٢- المصدر السابق ص: ١٦، ٢٩، ٣٤، ٢٧ ط. دار الكتب العلمية.

٤٣- المصدر نفسه ص: ٢٥، ٢٦، ٢٨، ١٨٦، ٢٧٩ ط. دار الكتب العلمية.

٤٤- المصدر نفسه ص: ١٩، ٢١، ٢٣، ٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩ ط. دار الكتب العلمية.

٤٥- المصدر نفسه ص ٩٤، ٩٥، ١٠٥، ١٥٥، ١٥٧، ١٧٨، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٥.

٢٤٦- المصدر نفسه ص ٦٣، ١١٥، ١٢٢، ١٤٢، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٩، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٥.

- ٦- صاحب بن عباد (-/٥٢٨٥م). (٤٧)
- ٧- أبي الحسن الرضائي (-/٥٢٨٤م). (٤٨)
- ٨- أبي الفتح عثمان بن جني (-/٥٢٩٢م). (٤٩)
- ٩- القاسي الجرجاني (-/٥٢٩٢م). (٥٠)
- ١٠- أبي العلاء ساعد بن عيسى الرمي (-/٥٤١٧م). (٥١)
- ١١- القاسي عبد الجبار (-/٥٤١٥م). (٥٢)
- ١٢- أبي العلاء المعري (-/٥٤٤٩م). (٥٣)

قد استند إلى مصطلحات هؤلاء، وثاقبهم، ورد عليهم بجرأة، وأبرز إجراء في ذلك بخاصة ما دار بينه وبين أبي هاشم الجبائي (-/٥٢٠٢م) في الأصوات والحروف وحقيقة الكلام (٥٤)، والمبرد (-/٥٢٨٦) في عدة الحروف وعدم اعتماد الهمزة بحجة أن لا صورة لها (٥٥). وقدامة بن جعفر (-/٥٢٢٧م) في عدم قبوله المصطلحات التي جاء بها ابن المعتز (-/٥٢٩٦م) لبعض الأنواع البلاغية المتعارف عليها كالطباق والجناس والتكافؤ والمعاظلة وغير ذلك، ومن الملاحظ أن الخفاجي في عمله هذا لم يأت بجديد، بدليل أنه مسبوق في ذلك كله، غير أن الجديد في ذلك هي الروح النقدية التي يتمتع بها، والحجج النقدية السليمة التي اقتبسها عن غيره وماغها في أسلوبه حتى كأنها من صنعه وإبتكاره. فقد انتقد قدامة في مخالفة العرف الفني ولامة في ذلك (٥٦) كما خالفه الرأي في (أن المعاني في

-
- (٤٧) سر الفصاحة من ١٢٥، ١٨٢، ٢٢٨.
 - (٤٨) المصدر نفسه من ٩٩، ١٠١، ١١٨، ١٢٠.
 - (٤٩) المصدر نفسه من ٢٥، ٢٧، ٢٨، ١٠٧، ١١٦، ١٧٠، ١٨٢.
 - (٥٠) المصدر نفسه ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٢٠، ١٢٢.
 - (٥١) المصدر نفسه ٧١، ٨٩، ١١٧.
 - (٥٢) المصدر نفسه من ٢٠.
 - (٥٣) المصدر نفسه ٧١، ٩٠، ٩٨، ١٠٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٦٧، ١٨٠، ١٨١.
 - (٥٤) المصدر نفسه من ١٩٨، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٧٥.
 - (٥٥) المصدر نفسه من ٢٢ وما بعدها. أنظر المعني الجزء السابع من ٧، ٩، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٤، ٤١، ٤٢ وغيرها.
 - (٥٥) المصدر نفسه من ٢٢ وما بعدها.
 - (٥٦) المصدر نفسه من ١٩٩، ٢٠٢، ١٩٢، ١٩٨.

ساعة تعلم الكلام موضوع لها). (٥٧) وما جرى بينه وبين استاذ الآمدي الذي يقتدى به، ولكنه في الحق لا يظلم الهوى عليه، بل يتخذ من الموضوعية منبراً له ويتصدى له، وكأنه لا يعرفه إلا من خلال عمله. ومن أمثلة ذلك، لما اختار أبو القاسم الآمدي وارتضى استشارة امرئ القيس في قوله:

قلقت له لما تمطى بصلبه واردف أعجازاً وثام بكلكل. (٥٨)

وقد كان حُكم الآمدي على الاستعارة بأنها في غاية الحسن والجودة والصحة، وهي غير كذلك في رأي الخفاجي، إذ يرد ذلك بقوله: (وهذا الذي قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى، ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يتولاه أبو القاسم، لصحة فكره، وسلامة نظره، وصفاء ذهنه وسعة علمه، لكنني أغلب الحق عليه، ولا أتبع الهوى فيما يذهب إليه، ويبت امرئ القيس عندي ليس من جيد الاستعارة ولا رديئها، بل هو من الوسط بينهما...). (٥٩)

فهذه أمثلة عن روح الموضوعية التي نهجها الخفاجي، وغيرها كثير في الكتاب، مثل ما جرى مع القاضي الجرجاني (٥٢٩٢- / ١٠٠١ م) وأبي الفتح عثمان بن جني (٥٢٩٢-) في قول المتنبي (٥٢٢١- / ٩٢٢ م):

نحن ركب ملجئ في زيت ناس فوق طير لها شخوص الجمال. (٦٠)

قد حمل ابن جني (٥٢٩٢-) هذا البيت على المقلوب على خلاف ما يراه الخفاجي، إذ يرى أن البيت على حقيقته وليس مقلوباً، وتقديره: ونحن فوق طير من سرعة إبلنا، إلا أن شخوصها شخوص الجمال، ولا شك أيضاً في ذلك. (٦١) واتخذ أيضاً أبا الحسن الرماني (٦٢)

(٥٧) المصدر نفسه ص ٩٢ وما بعدها.

(٥٨) ديوان امرئ القيس (٨٠٠ ق هـ) ص ١٨ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر (٤). وأنظر العملية الانتقادية في مر الفصاحة ص ١٢٢، ١٢٢.

(٥٩) مر الفصاحة ص ١٢٢، ١٢٢.

(٦٠) مر الفصاحة ص ١١٦، ١١٧ ديوان المتنبي بشرح عكبري ص ١٩٤/٢. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ١٩٥٦/٥١٢٧٦/٢.

(٦١) مر الفصاحة ص ١١٦، ١١٧.

(٦٢) مر الفصاحة ص ٩٩، ١٠١، ١١٨، ١٢٠.

(٥٢٨٤-) في طبقة الفصاحة؛ وفي التشبيه والاستعارة. وفعل مثل ذلك مع القاضي علي ابن عبد العزيز الجرجاني (٦٢) (٥٢٩٢-) في بعض تحليلاته لاستعارات المتنبي (٥٢٥٤-) وأبي بكر الصولي (٦٤) (٥٢٢٥-) في بعض تحليلاته لاستعارات أبي تمام (٥٢٢١-). كما تتضح موضوعيته في نقده شيخه المعري (٥٤٤٩-) وأبا العلاء ساعد بن عيسى الكاتب (٥٤١٧-) وهما من أساتذته المقربين إليه، واعترض على من يعتبر كلام المعري (٥٤٤٩-) واضحاً، خالياً من التعقيد والإغراب. وهو من الذين يذمون الإغراب إذ يقول: (وإن كان هؤلاء الشعراء أرادوا الإغراب، حتى يتساوى في الجهل بكلامهم العامة أو أكثر الخاصة، فما أقبح ما وقع لهم، وقد رأيت أن جماعة يتعمدون هذا ققلت لهم: إن مررت بمعرفتكم وحشي اللغة، فيجب أن تقيموا بسوء حظكم من البلادة. وجرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبي العلاء بن سليمان، فوصفه واصف من الجماعة بالفصاحة، واستدل على ذلك بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء، فمجبتنا من دليله، وإن كنا نخالفه في المذهب أولاً بالفصاحة التي هي البيان والظهور، ووجب عندك أن يكون الآخر من أفصح من المتكلم لأن الفهم من إشاراته بعيد عسير، وأنت تقول كلما كان أغمن وأخفى كان أبلغ وأفصح...) (٦٥).

وإذا لاحظته وهو يستند المتنبي (٥٢٥٤-) والمعري (٥٤٤٩-) بخاتمة، ترى هناك دلالة قائمة للاهتمام للرجلين كما يتنصر للبحري (٥٢٨٤-)، فهو يرد على من وجه الانتقاد إلى الرجلين بأسلوب أدبي تحليلي مقنع، حتى انعكس على سطور الكتاب، فأسلوبه فيه سمات الأديب العالم المحلل، بحيث لا يطفى فيه ذوق الأديب على ذوق العالم، كما طغى هذا الموقف في أسلوب عبد القاهر الجرجاني (٥٤٧١- أو ٥٤٧٤). (٦٦)

وربما شطح بابت سنن الخيال كما يقول البعض ليتحدث عن بعض الأمور التي لا علاقة لها بالموضوع المبحوث، بل إنه يكاد يخلط بين قضية وقضية، وعليه فإن على الباحث أن يتوقع أن يحوي الكتاب مسائل ليست من صميم الموضوع الرئيسي للكتاب، أو أن يشهد خلطاً بين المفاهيم أو فوضى في تنظيم المعلومات أو عرضها. والواقع أن الكتاب، وهو يمثل تجربة متقدمة في هذا المجال، ينطوي على بحوث ليست من صميم الموضوع الذي يبحثه المؤلف، فقد

(٦٢) المصدر السابق من ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢.

(٦٤) المصدر نفسه من ١٤٠.

(٦٥) المصدر نفسه من ٧١.

(٦٦) أنظر أدب الكتابة والتأليف عند العرب د. هاني العمدة (باب تألف الحروف والكلمات عند

ابن سنان).

خلط المؤلف ما بين البيان والمعاني، وزجّ نفسه في خضمّ القضايا الأدبية التي تتمثل في المناظرة ما بين شعر المتقدمين والمحدثين، ونراء في حالات أخرى يوازن ما بين المنظوم، أو يفاضل أو يقارن ما بين الكميّات (-١٢٦هـ/٧٤٤م) والطرماح بن حكيم (-١٢٥هـ/٧٤٢م) ثم يناقش قضية جواز الاستشهاد بأشعارهما أو عدم جواز ذلك. ولم يكن كتاب ابن سنان (-١١٦هـ/١٠٧٢م) كله فوضى في الترتيب والتأليف، فإن العكس هو الصحيح. (٦٧)

وابن سنان كما يظهر ذلك من خلال كتابه علم من أعلام الثقافة، درس الأدب والنقد والبلاغة وعلم الكلام والأسوات حتى تمهر فيها، وكتابه من المؤلفات التي خدمت البلاغة من طريق الأدب والعكس، وتحتّ نحو الفن من ناحية الأسلوب، ولم تجر على السّنن المأثورة في عرض القضايا العلمية عرضاً جافاً يُسبّب الملل والجفاء للمتلقّي. (٦٨)

وابن سنان فوق هذا كله منصف في حكمه، معتدل في قده، يعتمد على الحقيقة والدليل قبل كل شيء، ويزن كل شيء بميزان العقل والتفكير، ويرتب كل شيء على أساس حكم العقل واستنتاجه. (٦٩)

٢- الأسالة والفردية والتبعية:

يعتبر القرن الرابع الهجري قرن الاختصاصيين الذين نبذوا وراء ظهورهم التعميم غير المنهجي، وقد فضل هؤلاء أن يهتموا بمعالجة التفاصيل وتحليل ونقد النصوص في حدود مقتضى حال كل قضية وكل موضوع. وقد سَنّوا بمعلهم هذا سَنّة حميدة، تكفي الدارس تجشم الصعاب حين يقف على آثارهم من مثل عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ/١٠٧٨م أو ١٠٨١م) وابن سنان الخفاجي (-٤٦٦هـ) اللذين عاشا في القرن الخامس. (٧٠)

٦٧) المرجع السابق (باب تألف الحروف والكلمات عند الخفاجي)، وأنظر المثل السائر من ٢-٤.

٦٨) في الأدب والبيان من ١٠، الأدب والبلاغة د. إبراهيم أبو الخشب من ٢٢٤، مطبعة المعركة، القاهرة ١٩٥٩م/١٢٧٩هـ.

٦٩) دراسات في النقد الأدبي. محمد عبد المنعم خفاجي من ٢٥٧ ط١/دار الطباعة الصحفية بالأزهر، القاهرة (٤).

٧٠) أنظر البيان العربي د. بدوي طبانة، من ٢١٥.

والخفاجي كما هو واضح في كتابه ناقد ممتاز، وأديب متمكن، وبلاغي مقدر، تشهد له بذلك نظرياته وأحكامه التي أوردتها في ممارسته. والشيء الذي يدل على مدى أصالة وفردية الرجل هو أننا إذا ذكرنا أي كتاب قيم نافع من تراثنا كاليان والتبيين والحيوان للجاحظ (-/٥٢٥٥م) وقد الشعر وقد الشر والخراج وصناعة الكتابة قدامة (-/٥٢٢٧م) (-/١٤٤٨م)، والموازنة للأعدي (-/٥٢٧٠م) (-/١٨٠٠م) وقواعد الشعر لثعلب أحمد بن يحيى (-/٥٢٩١م) (-/١٠٠٢م) والموشح للمرزباني (-/٥٢٨٤م) (-/١٩٩٤م) والصناعتين للعسكري (-/٥٢٩٥م) (-/١٠٠٤م) واليتيمة للشمالي (-/٥٤٢٩م) (-/١٠٢٧م) والدلائل والأسرار لعبد القاهر الجرجاني (-/٥٤٧١م أو ٥٤٧٤/١٠٧٨م أو ١٠٨١م) وغيرها، فحسبنا أن نذكر إلى جانب هذه المؤلفات جميعها سر الفصاحة، ذلك المؤلف الذي جمع بين الأدب والنقد والبلاغة في علاقة حميمة مستماعة. (٧١) وهذا ما يثبت أصالة الكتاب العلمية وجدارة صاحبه وفرديته فيما أبدعه أو اقتبس فصار من صنعه. ويُعْتَبَرُ "سر الفصاحة" جسراً بين ماضٍ ومستقبل، وحلقة بين هذه الكتب المختلفة وما جاء من بعد. (٧٢)

والدليل على ذلك ما سرح به في قوله: (فعدلت إلى وضع ذلك في كتاب مفرد) (٧٣). ولأجل ذلك راح البعض يمدحه فقال: (سر الفصاحة كتاب جليل، عظيم الخطر، كبير الأثر، في بحوث النقد والبلاغة، مشهور بين العلماء، مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق... مؤلفه من أعلام النقد والبلاغة في القرن الخامس الهجري). (٧٤)

إن حديث ابن سنان (-/٥٤٦٦م) (-/١٠٧٢م) عن سر البيان في مشروعه، حديث محثك مجرب؛ فهو كما نعلم سياسي، شاعر، أديب، ناقد، بلاغي، كاتب مؤلف. وقد تناول الرجل عدة موضوعات، معتمداً في كل واحد منها آراء سابقه من العلماء. (٧٥)

(٧١) أنظر الحياة الأدبية في العصر العباسي محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٨٢، نشر رابطة الأدب الحديث ط١/دار المهد الجديد للطباعة. القاهرة ١٩٥٤م.

(٧٢) المرجع السابق ص ٢٨٢.

(٧٣) سر الفصاحة ص ٢٩١ ط. دار الكتب العلمية. وأنظر مجلة الأزهر ج١٢/٤١٢/١٢٦١هـ مطبعة الأزهر ١٩٤٢م.

(٧٤) تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الهجري إلى العاشر الهجري د. محمد زغلول سلام ص ٢٤٨.

(٧٥) أنظر أدب الكتابة والتأليف عند العرب. د. هاني احمد (باب تألف الحروف والكلمات عند ابن سنان).

وفي الحقيقة لقد قام الخفاجي بجمع الحقائق التي توصل إليها العلماء السابقون؛ وعمد إلى ترتيب ما كان مختلطاً، وعرض القضايا بأسلوب سهل مستساغ غير جاف. وقد توفر كتابه على الروايات الأدبية والأحداث والوقائع والمجاسم، مما يشق الأديب، ويوقف المتأدب الناشئ على أخبار وملح ونوادر وطرف رائقة، فيجمع إلى درايته بسر الفصاحة فائدة أدبية جمة، وتوافيه معلومات ناضجة الثمار، شهية الأكل، لم يكدها ذهناً، ولم يجهد فيها خاطراً، وإنما أتته سائقة واضحة السبيل، مبددة الطريق، فدل بذلك على غزارة مادة وسعة اطلاع. (٧٦)

ونحن لا ننكر أصالة الرجل وفرديته من خلال المعطيات المتقدمة، وأن فضله في الإبداع والخلق لن يضع. فإن كانت المعلومات التي اقتبسها من سابقه جاهزة في ذاتها، فإنها عند انتقالها إلى مؤلف جديد كسر الفصاحة وصياغتها في تأليف جديد، بأسلوب جديد تصبح صفة للمقبس، لأنه في هذه الحالة يكون أضفى على ذلك من روحه، فصار ملكاً له. والأديب المحجوب الماهر يعرف من خلال أسلوبه، حتى قيل إن الرجل الذي لا يعرف من خلال إنتاجه لا يستحق أن يعرف.

ولدينا من الأدلة ما يبرهن على أصالة وفردية صاحبنا. ومن ذلك أنه قد تعقب آراء النقاد الذين تطرقوا إلى معالجة قضايا مشابهة لما هي عنده، فالتفت قدامة (٥٢٢٧هـ) وخالفه الرأي فيما ذهب إليه في مسائل عدة؛ منها أن تأليف الكلام صناعة موضوعها المعاني، ورأى الخفاجي أن موضوعها هو الكلام وأن الفصاحة عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار، وهنا متفرق الطرق بين الرجلين. فمضى الخفاجي يتكلم عن التأليف ووجوه حسنه وقبحه ليظهر مكانة الفصاحة، وقد أيد قدامة (٥٢٢٧هـ) في قضية وضع الألفاظ موضعها وأن لا تكون مقحمة ولا محشوة في الكلام. (٧٧) وخالفه في الجتناس والعلاق والتكاثر لخروجه عن العرف المعمود. (٧٨)

(٧٦) أنظر مجلة الأزهر ج ١٤/ ص ١٩٠/ ١٣٦٢هـ. مطبعة الأزهر بقلم محمد كامل القتي.
(٧٧) أنظر أدب الكتابة والتأليف د. هاني الصمد (باب تألف الحروف والكلمات عند ابن سنان). وأنظر سر الفصاحة ص ٩٢ وما بعدها. ط. دار الكتب العلمية.
(٧٨) أنظر المصدر السابق ص ١٩٢ وما بعدها، ١٩٩، ٢٠٢ وما بعدها. (ويذكر أيضاً أن قدامة (٥٢٢٧هـ/ ١٤٤٨م) ذهب إلى أن المدح بالحسن والجمال والذم بالقبح، والذممة ليس بمدح على الحقيقة، ولا ذم على الصحة، ويخطئ كل من يمدح بهذا ويذم بذاك) أنظر تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ أو ٤٧٤هـ) تأليف عبد العزيز عبد المعطي عرقه ص ١٠٧، ط ١٤٠٢/ ١٤٨٢م.

ومن ذلك أيضاً اعتراضه على تعريف القدماء للبلاغة، وبخاصة ما عند الجاحظ (-٥٢٥٥هـ) وأبي هلال العسكري (-٥٢٩٥هـ). وفي رأيه أن تلك الحدود ليست واضحة بل هي أوصاف خارجية للبلاغة ليس غير، فهو يرفض أن تكون البلاغة مجرد لمحة دالة أو معرفة الفصل من الوصل أو تصيب فلا تخطيء أو أنها الإيجاز من غير عجز أو الأطناب من غير خطل... (٧٩).

ومن ذلك أيضاً رفضه المذهب البعيد في المطالات. ويجنح إلى الرأي القائل: إن الشعر كذب ومبالغة، وهو مذهب اليونان، بدليل أن الشعر قائم على الجواز والتسريح، وينفرد في الرأي ويقترح أن توضع كاد للحد من فقاذاها في شروب اللؤلؤ والإفراط؛ لأن ذلك في رأيه يقرب الصورة من الواقع وهي أمر مختار عنده وصحيح في التأليف وفي الفصاحة والبلاغة.

وإذا عدنا إلى المنهج الذي استخدمه الخفاجي في بحثه عن سر الفصاحة، نجد يتميز بشمولية في فهم اتجاه الجهاز اللغوي في تأليفه الشكلي والمضموني وفي مساهمته في بناء الأدب وتشكيل النظريات والقواعد التي يقوم عليها. وهذه خطوات تتشكل حسب إرادة صاحبها، فهي تنم عن صاحبها. ولذا ففي هذه الدراسة تكون أصول سر البيان والأدب والتدقيق تعتمد في حقيقة أمرها اللسان واللغة بجميع مستوياتها وما أقره المجتمع من أعراف إزاء هذا الأمر؛ وطبيعة العلاقة بين ذاك وبين القارئ ومدى نضج الوعي عند القوم. ثم إن المصطلحات والبحر الأدبي والإطار النقدي التي استخدمها الخفاجي، هي في الواقع رسم للهدف الذي أعلن عنه في المقدمة (٨٠) وفي الوسط وفي الخاتمة (٨١) وهو في ذلك لم يتجهج مبدأ الفصل في فروع وأجزاء مشروع، ولم يعزل العملية النقدية عن التدقيق الفني الجمالي، وبذلك اتسم أسلوبه المؤثر والأدبي المستاع. ولذلك فإنه ترى تنوعاً في الوسائل وفي المعلومات وفي الفنون وفي بعض المسائل التي استغل بها عن غيره وافرد ليؤكد أصالته وفرديته في إبداعه. وكل هذا يتصر إلى الخفاجي في تبيان قيمة البيان العربي في ضوء التأليف الجيد. ثم إنك تراه يفرس إلى أعماق هذا التأليف بعد أن يفحص جيداً شكله الأول (اللفظي) ولا يتقف عند معرفة المصطلح ومؤداه فحسب. (٨٢)

٧٩ تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري ص ٢٥٦، سر الفصاحة ص ٥٩ ط. دار الكتب العلمية.

٨٠ أنظر من رس الفصاحة ١٢ - ١٥ ط. دار الكتب العلمية.

٨١ المصدر السابق ٢٨٨ - ٢٩١ (وبخاصة ص ٢٩١).

٨٢ أنظر في الأدب والبيان د. محمد حمدي بركات ص ١٨. دار الفكر للنشر والتوزيع عمان.

وقد عرفنا أن ابن سنان (٥٤٦٦هـ) قد رسم أهدافاً في كتابه، وهي أمر يشترك فيه بلاغيّ القديم والحديث، وهي أن الأساس من جودة التأليف هو إثارة النفس وتحريك الطباع؛ في ركاب أغراض كالرثاء والمدح والوصف والعتاب وغير ذلك، كالإقناع بفكرة خلقية أو اجتماعية أو إقامة الحجة. وكل هذه الأمور في وأتمها أهداف يرتادها الأدب بوسائله المختلفة ليكشف عنها ويعرضها للقارئ. (٨٢)

ويمكن أن نجترح من شتات ما تقدم صورة متأقة عن نظرية التأليف التي تحكم أي جهاز لغوي كان، لما يضم هذا الجهاز التقدي الأدبي البلاغي الصوتي؛ وذلك كله في إطار الأسلوب الذي يحمل خصائص صاحبه وفرديته وأصالته؛ لأنه يصور بصدق المذاهب والاتجاهات الأدبية (وكما كانت الحياة الأدبية بمذاهبها المختلفة ترجع في اتجاهاتها إلى البيئة الطبيعية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والحالات السياسية والعقلية، فكذا ينبغي أن يكون الأمر في النقد الأدبي، إذ هو مظهر من مظاهر هذه الحياة وصورة من صور نشاطها، وهذه الحياة مرتبطة أوثق ارتباط بهذه، الاعتبارات). (٨٤)

ونراء أيضاً يناقش الآراء القاسدة في نقد الشعر ونقد الكلام، فيخطيء من يعتد بالمعيار الزمني في المفاضلة بين الشعراء وأشعارهم، بين القدماء والمحدثين، ويرفض عدم جواز إلحاقهم أحداً من المتأخرين بالطبقة المتقدمة وإن كان مجيداً في مستوى الأوائل أو أحسن، وهذا ضربٌ من التعصب قائم على الذاتية والمزاجية ليس إلا في نظره. ونراء متزنًا معتدلاً متقبلاً أمام من لا يذهب هذا المذهب بل ويستمر إليه. وهو عين ما ذهب إليه الجاحظ (٥٢٥٥هـ) والبرد (٥٢٨٦هـ) والمعري (٥٤٤٩هـ) وغيرهم، كما يقف موقفاً منصفاً من المعنى القاحش من المجون ووصف الخمر ومراهما (فصل الفن عن الأخلاق)، ويرى أن ذلك لا يعبى الشعر، كما ذهب بعض النقاد - ما دام تأليفاً جميلاً، كما يطلعون على المناهج الخطئة لبعض النقاد في اختيار ما يوافق طبع الناقد وَخْدَهُ، ومن إشار الوحشي دون المشهور، وكان من النقد من رأى ضرورة استحسان الشعر لأجل قائله). (٨٥)

ونحن لا ننكر ما ذهب إليه البعض في أن القضايا التي ماقها ابن سنان مسبوق فيها، إلا أنه يجب الفصل بين العمليات الجاهزة في ذاتها وسياستها في أسلوب تأليني خاص. فقد قال:

(٨٢) أنظر أسس النقد الأدبي عند العرب د. أحمد أحمد بدوي ص ٧٦ مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٦٤م/١٣٩٤هـ.

(٨٤) المرجع السابق ص ٧٦ وأنظر في الأدب والبيان ص ١١.

(٨٥) أنظر أدب الكتابة والتأليف د. هاني العمدة باب تألف الحروف والكلمات عند ابن سنان.

(فكل هذا النقد الذي جاء به سبق إليه، وحتى في الشواهد بأعيانها، ولهذا كانت مواطن شواهد التي يتمثل بها، ومواطن الاستشهاد في هذه الشواهد مكررة معادة لا فضل له إلا في توزيعها على أبواب كتابه وفصوله. وثمة ملاحظة أخرى نسوقها وهي أن أكثر هذه الشواهد قد امتشهد بها ابن سنان على المصيب من الشعر، وعلى الرغم من أنه تبرأ من أن يكون متحاملاً على الشاعر بقوله: (إننا لم نذكر هذه الأبيات الأمية وغرضنا الطعن على نائلها، وإنما قادتنا الحاجة في التمثيل إلى ذكر الجيد والردى، والقاسد والصحيح). (٨٦) وقال فيه أيضاً: (إن ابن سنان لا يبدو أن يكون أكثر من ناقل). (٨٧)

وإذا تحريتنا ما جاء في الكتاب وما يحتوي عليه هذا القول نجد ناقدنا هذا محقاً فيما ذهب إليه، لأن الحقائق الواردة هناك صارخة تخبر عن نفسها، ولكن هذا أمر لا ينبغي أن يعودنا إلى مناقشة ما قلناه في السابق. فمهما يكن من أمر فابن سنان تبعي في المحليات التي يتقاطع بها مع المؤلفات السابقة، من مصطلحات وقواعد وأفكار ومبدع في أسلوب التأليف والحكم. وهذا شيء يبرئه من التبعة المطلقة. لذا فالاعتصام على هذا القول قد يهضم الرجل حقه. وقد سرح الخفاجي في موضع من كتابه بأنه لن يكون مقلداً في قبول كل ما يقولون، بل سيأخذ الأقوال والأعمال ويدرسها دراسة خامة. ونفهم من هذا أن الرجل ليس مقلداً محضاً بقدر ما هو متمكن من أدواته، يأخذ بمبدأ الانتقام. وقد قلنا إن الرجل وجد قضايا في البيان والنقد والأدب تستحق إعادة النظر، قصدي لها حسبما عقد عليه عزمه. فمخالفته لقدامة (٥٢٢٧) والآمدي (٥٢٧٠) والجرجاني القاضي (٥٢٩٢-١٠٠١م) والروائي (٥٢٨٤-٩٩٤م) ليس دليلاً على موقف سلبي بقدر ما هو موقف إيجابي أظهر فيه روحه وشخصيته. (٨٨)

وهو فوق ذلك كله: (يرد على بعض النقاد، وسرح بأنه لن يكون مقلداً في قبول كل ما يقولون بل سينظر في أقوالهم، ويتأمل الماثور عنهم، ويسلط عليه صافي الذهن، ويرصف له ماضي الفكر، فما وجد موافقاً للبرهان وسليماً على السبر، اعترف بفضيلة سبق فيه وأقر لصاحبه بحسن المنهج، وما خالف ذلك وبآيته اجتهد في تأويله، وأقام المعاذير له، وحمله على أحسن

-
- (٨٦) في أدب التأليف والكتابة عند العرب (باب تألف الحروف والكلمات عند ابن سنان).
 (٨٧) أنظر التخيير من كتب النقد العربي تخييرها وقدم لها د. محمود الريداوي ص ٢٩٦ - ٢٩٧. مؤسسة الرمال للطباعة والنشر والتوزيع ط ١/١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
 (٨٨) أنظر في الأدب والبيان ص ١٢.

وجوهه وأجمل سبله، إيجاباً لحق هؤلاء النقاد الذي لا ينكر، وإذعائاً لفضلهم الذي لا يجحد). (٨٩)

وهذا الكلام لا ينفي كلياً عن ابن سنان تبعيته. والمواطن التي تؤكد هذا القول كثيرة في كتابه. (٩٠)

وزد على ذلك أن الرجل قد برهن على استقلاليته في الكثير من فصوله كما في (ذكر الأقوال الفاسدة في نقد الكلام) (٩١) وغيرها، علاوة على مناقشاته وتقدم واقتراحاته وأحكامه.

وما انفرد فيه رفضه وانتقاده الأحكام المطلقة والتعميم في القضايا (كارجاعه القول بقيام المعاني في النفس إلى الجبرية، وبناءه الفصاحة في اللفظة المفردة على التباعد بين الحروف أو فصاحة الثلاثي البناء أو لطاقة التعبير في التعبير عما لطف ودق وما إلى ذلك). (٩٢)

ومع ذلك كله يبقى ابن سنان (-٤٦٦هـ) قوي الحجة في منطقته يأتي بالدليل على ما رأى فيكون معجزاً لا يرى الخصم مجالاً لنقضه أو النفاذ إليه ومن ذلك ما يقوله في فضل البيان: وأتم إذا سَمِعْتَهُمْ يَمْدَحُونَ الصِّمْتَ وَيَنْظُمُونَ الْقَرِيضَ فِي مَدْحِهِ، ويذكرون جنائيات اللسان وكلومه... (٩٣).

٨٩) المتخير من كتب النقد العربي من ٢٩٦ - ٢٩٧.

٩٠) المتخير من كتب النقد العربي من ٢٩٦-٢٩٧. وأنظر فصل الأثر والتأثير من بحثنا هذا.

٩١) أنظر سر الفصاحة لابن سنان تحقيق عبد المتعال الصعيدي من ١٢٢٧، طبع محمد علي صبيح وأولاده. مصر ١٩٦٩. وأنظر مناهج بلاغية من ١٤٢ د. أحمد مطلوب من ١٤٢، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٣. وأنظر في الأدب والبيان من ١٢ وأنظر سر الفصاحة من ٢٧٨ وما بعدها.

٩٢) تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الهجري إلى العاشر من ٢٦٢.

٩٣) مجلة الأزهر ج ١٤/محرم ١٢٦٢ مطبعة الأزهر ١٩٤٢ بقلم محمد كامل القتي، سر الفصاحة من ١٢.

وحسبنا أن نقول في فرديته وأصاته أن كتابه جليل، عظيم الخطر، كبير الأثر في
بحوث النقد والبلادة، مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق ومؤلفه من أعلام النقد والبلادة
والأدب في القرن الخامس الهجري). (١٤)

(١٤) تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر من ٢٤٨.

الخاتمة

يتناول هذا البحث بالدراسة ابن سنان الخفاجي (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) الأديب الناقد البلادي من خلال كتابه "سر الفصاحة". وقد تتبعنا في مستويات ممارسته إنزيف ربط بين إعجاز القرآن والتصوير الأدبي، وقد تجلّى ذلك واضحاً في بلاغته وقدم. وهو الذي سمى بذلك إلى إثبات قيمة الكل (التأليف) من خلال الجزء في اتجاه امتدادي يعاكس اتجاه عبد القاهر الجرجاني في نظرية نظمه. (١)

وعندما ينقسر الباحث كتاب "سر الفصاحة" يلغى أن أغلب ما قدمه من الموضوعات والقضايا كان أصراً جاهزاً في مؤلفات سابقه، وهذا جاذب يدفعه إلى التبعية دفلاً لولا مجهوده في عرض هذه الحقائق وتوزيعها وتنسيقها بأسلوب جديد؛ لأن القضايا التي استقناها كان الغرض منها إعادة النظر فيها وفق ميزان نظرية التأليف الخفاجية. واستطاع ابن سنان أن يفرض شخصيته على بحثه، كما أنه انفرد في وضع الحدود والرسوم الواضحة والتسميات المبنية على استقراء النماذج والعينات المتقودة ومحاورتها. والخفاجي لما قام بدراسة هذه القضايا لم يخترعها بل لاحظها في التراث، فلفت انتباهه ما تنطوي عليه من حسن وجمال ومن رداءة ناتجة عن طيبة التأليف التي تقوم عليه. فكل هذا شكل صورة في ذهن الخفاجي إزاء تأليف القرآن الكريم الذي يخفي وراء سطوره مرأً وسحرأً يصل إلى درجة الإعجاز مع سهولته، وهو الشيء الذي دفع صاحبنا يروم المراد الذي رسم هدفه في عنوان كتابه، كما فعل عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ/١٠٧٨م أو ١٠٨١م) واكتفى ذلك بقوله في ذلك: (والخادف الظاهر فيما به كان معجزاً على قولين: أحدهما أنه خرق العادة بفصاحته وجرى بذلك مجرى قلب العصاحية) (٢). والقول الثاني أن وجه الإعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف.) (٢).

(١) أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وأنظر معالم المنهج البلادي عند عبد القاهر الجرجاني الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي. الناشر دار الفكر عمان ط١٤٠٥/١٤٨٤م
س١٢-٤٢. وأنظر كيف أفهم النقد. الدكتور جبرائيل سليمان جبور س ٤٢ وما بعدها. وفي قضايا النقد الأدبي عند العرب س ١٤٧ وما بعدها (قضية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)).

(٢) ٢٠٢) سر الفصاحة ١٢ - ١٥. ط. دار الكتب.

وقيمة ابن سنان لا تأتي من خلال جمعه شتات قضايا السابقين وإنما من منهجه المحكم والواضح، ونظراته المصيبة وتحليله الأدبي الرائع وجمعه للجزئيات في إطار يقوم على نظرية دقيقة من أجل ما توصل إليه النقاد العرب. واستطاع أن ينظر إلى البلاغة نظرية جزئية وشاملة وأن يربط بينها وبين الأدب والنقد.

ويمكننا أن نحصر أهدافه في كتابه بغرضين أحدهما ديني وهو خدمة القرآن الكريم وإظهار إعجازه وثانيهما أدبي وهو خدمة الأثر الأدبي من خلال نظرية التأليف في ضوء الفصاحة والبلاغة. ومن هذين الهدفين انطلق إلى الغرض النقدي وهو تحليل النماذج والعينات الأدبية التي تمثل الشروط والقواعد النقدية جميعها، والموازنة بين هذه العينات والحكم عليها. ورسم الأصول الثابتة لفظل للبلاغة والنقد موضوعيتهما ومنهجيتهما، وتزول المزاجية والذوقية والانطباعية غير العلمية من النقد. ولعل هذه الأهداف نفسها التي رامها السابقون. ويمكن الختلافي من تحقيق مساهمة، وأن يكون بذلك بلاغياً ناقداً ذا مكانة وقدر في حقل الأدب والنقد والبلاغة. وحسبنا في ذلك تلك المبادئ والقواعد والنظريات التي آمن بها وعرضها في كتابه، ولا تزال من الأسس المهمة في الدراسة النقدية الحديثة.

وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى نتائج عدة، نذكر منها:

- أولاً : البحث قائم على مستويات مرتبة متصاعدة تبدأ بالصوت فالحرف فالكلمة ثم السياق الشكلي والمعنوي.
- ثانياً: دراسة الأصوات متقدمة رغم تأخر زمانها، لا تقل قدراً عما هو عليه في عصرنا الراهن، إذ الفرق في الوسائل والإمكانيات.
- ثالثاً: إبراز الصلة بين النقد والأدب والبلاغة.
- رابعاً: دراسة البلاغة من طريق الأدب ودراسة الأدب من طريق البلاغة.
- خامساً: اعتماد الموضوعية والمنهجية في العملية النقدية.
- سادساً: البحث أشبه ما يكون بالتماس إعادة النظر في الأعمال الأدبية السابقة.
- سابعاً: انتقل الباحث بالفصاحة والبلاغة من الوصف الخارجي إلى التحليل الداخلي.
- ثامناً: نظرية التأليف تتسم بالنظرة الجزئية والشمولية في قدها.
- تاسعاً: يجمع البحث إلى جانب النظرية التطبيق لمقتضى حال كل قضية.

وبالله تعالى التوفيق

فہم المصادر والمراجع

- ١ -

١- أخبار أبي تمام. أبو بكر الصولي (-٥٢٢٥/١٩٤٦م) تحقيق خليل محمد عساكر ومحمد عبد عزام ونظير الإسلام الهندي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ط١/١٢٥٦هـ/١٩٣٧م.

٢- أخبار الشعراء المحدثين في كتاب الأوراق لأبي محمد بن يحيى الصولي (-٥٢٢٥/١٩٤٦م) تحقيق هيورث دار المسيرة بيروت ط٢/١٩٧٩م/١٢٢٩هـ.

٣- كتاب الاختيارين للأخفش علي بن سليمان أبو المحاسن (-٥٢١٥/١٩٢٧م) تحقيق فخر الدين قباوة. مؤسسة الرسالة بيروت ط٢/١٩٨٤م/١٤٠٥م.

٤- الأدب الصغير. عبد الله بن المقفع (-١٤٢هـ/٧٥٩م) تحقيق أحمد زكي باشا. جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ١٩١١م/١٢٩٠هـ.

٥- أدب العلماء في القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري. الدكتور محمد مويص. الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٦- أدب الكاتب لابن قتيبة (أبي محمد عبد الله بن مسلم (-٥٢٧٦/٨٨٩م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مكتبة الحسين التجارية. القاهرة ١٩٤٧م/١٢٧٦هـ.

٧- أدب الكتابة والتأليف عند العرب الدكتور هاني الصمد. مطابع دار الشعب الأردن ط١/١٩٨٦م/١٤٠٧هـ.

٨- الأدب والبلادة. الدكتور إبراهيم أبو الخشب. مطبعة المعرفة القاهرة ١٩٥٩م/١٢٧٩هـ.

٩- الأزهر بين الماضي والحاضر. منصور علي رجب. مطبعة المتكطف القاهرة ١٩٤٦م/١٢٦٦هـ.

- ١٠- الأزهري: تاريخه وتطوره. حسن إبراهيم حسن. القاهرة ١٩٦٤م/١٣٨٤هـ.
- ١١- أسرار البلغة. عبد القاهر الجرجاني (-٥٤٧١/١٠٧٨م أو ٥٤٧٤/١٠٨١م) تحقيق محمد رشيد رضا. مطبعة الترقى القاهرة ١٩٢٠م/١٩٠٢م.
- ١٢- أسس النقد الأدبي عند العرب. الدكتور أحمد بدوي. مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٦٤م/١٣٨٤هـ.
- ١٣- أشعار أبي الشيمس الخزاعي (محمد بن علي - ٥١٩٦/٨١١م) تحقيق عبد الله الجبوري. طبعة الآداب. النجف الأشرف ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- ١٤- أشعار الهذليين بشرح السكري الحسن بن الحسين (-٥٢٧٥/٨٨٨م) تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مراجعة محمود محمد شاكر. مكتبة العروبة ١٩٦٥م/١٣٨١هـ.
- ١٥- الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي - ٨٥٢هـ/١٤٤٧م. مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.
- ١٦- الأسميات. الأسمي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (-٥٢١٦/٨٢١م) شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. دار المعارف. القاهرة مصر ط٢/١٩٦٤م/١٣٨٤هـ.
- ١٧- إعجاز القرآن. الباقلاوي (أبو بكر محمد بن الطيب - ٥٢٢٨هـ/١٤٤٩م - ٥٤٠٢هـ/١٨٨٢م) تحقيق السيد أحمد سقر. دار المعارف. القاهرة.
- ١٨- الأعلام الخليفة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. بن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم - ٥٦٨٤هـ/١٢٨٥م. تحقيق يحيى عبادة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق ١٩٧٨م/١٣٩٩هـ.
- ١٩- الأعلام. خير الدين الزركلي (قاموس تراجم). دار العلم للملايين. بيروت - لبنان ط٤/١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

٢٠- الأغاني. الأسفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (-٥٢٥٦/١١٦١م). طبعة دار الثقافة بيروت ط٢/١٢٨١هـ/١٩٦٢م. أنظر طبعة دار الكتب. تحقيق جماعة من العلماء ١٢٨٩هـ/١٩٦٩م، ١٢٩٩هـ/١٩٧٨م.

٢١- أمالي المرتضى (غور الفوائد ودرر القلائد). الشريف أبو القاسم علي (-٥٤٢١هـ/١٠٤٤م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ج ١-٤). ط. دار الكتب المصرية ١٢٦٩هـ/١٢٩٢هـ/١٩٥٠م/١٩٧٣م.

٢٢- الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس -٥٤٠٠هـ/١٠٠٩م) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت (٤).

٢٣- أمراء البيان. محمد علي كرد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ط٢/١٢٦٧هـ/١٩٤٨م.

٢٤- أمراء البيان العربي في العصر العباسي. أيمن المقدسي. دار العلم للملايين. بيروت ط١٠/١٩٧٥م/١٢٩٥هـ.

٢٥- أمراء الشعر في العصر العباسي. أيمن المقدسي. دار العلم للملايين. بيروت ط١٠/١٢٩٥هـ/١٩٧٥م.

٢٦- أدباء الرواة علي أدباء النحاة. القفطي جمال أبو الحسن علي بن يوسف (-٥٦٤٦هـ/١٢٤٨م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٢٧٠هـ/١٩٥٠م/١٢٧٥هـ/١٩٥٥م.

٢٧- الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد. الخطاط المقزلي أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٢٧٧هـ/١٩٥٧م.

٢٨- أنوار الربيع في أنواع البديع لابن مصوم (السيد علي صدر الدين -١١٢٠هـ/١٧٠٨م). تحقيق شاعر هادي شاعر. مطبعة النعمان بالنجف ط١/١٢٨٨هـ/١٢٨٩هـ/١٩٦٨م/١٩٦٩م.

٢٩- أنيس الجلاء في شرح ديوان الخشاء (-٥٢٤/٢١١م) تحقيق لويس شيخو اليسوعي. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٨٩٦م/١٢١٤هـ.

٣٠- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تأليف أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (-٥٧٦١/١٢٥٩هـ) تحقيق محمد صهي الدين عبد الحميد. مطبعة النصر. القاهرة ط ١٢٧٥/١٩٥٦م.

٣١- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (محمد بن عبد الرحمن الخطيب -٥٧٢٩هـ) شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٩٨٤/٢٤م (٦ ج).

- ب -

٣٢- البداية والنهاية لابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (-٥٤٧٤/١٢٧٢هـ) دار الفكر العربي (٤) ط ١٢٥١/١٩٢٢م. مصر.

٣٣- البديع. عبدالله بن المقتز (-٥٢٩٦/١٠٨م) شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٤٥م/١٢٦٥هـ.

٣٤- البديع في نقد الشعر. أسامة بن منقذ (-٥٨٥٤/١١٨٨م) تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. القاهرة ١٢٨٠/١٩٦٠م.

٣٥- بديع القرآن لابن أبي الأصبع (-٥٦٥٤/١٢٥٦م) تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر. القاهرة ١٩٥٧م/١٢٧٧هـ.

٣٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب -٥٨١٧/١٤١٤م) تحقيق محمد علي النجار. من كتب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٩٦٢م/١٩٧٠م/١٢٨٢هـ/١٢٩٠هـ.

٣٧- البلاغة تطور وتاريخ. الدكتور شوقي خيف. دار المعارف. مصر ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ.

٢٨- البلاغة العربية: نشأتها وتطورها. الدكتور حنفي محمود شرف. الناشر مكتبة الشباب. القاهرة (٢)

٢٩- البلاغة عرض وتوجيه وتفسير الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي. دار الفكر للشر والتوزيع عمان ١٩٨٢م/١٤٠٤هـ.

٤٠- البيان العربي. الدكتور بدوي طيانة. مكتبة الانجلو المصرية ط٤/القاهرة (٢).

٤١- البيان والتبيين. الجاحظ (عمرو بن بحر - ٢٥٥هـ/٨١٨م) تحقيق عبد السلام محمد هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٢/١٢٨٠هـ/١٩٦٠م.

- ت -

٤٢- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (١٠٥٥/١٠٥٥م - ١٢٥٨/١٢٥٨م). الدكتور حسن إبراهيم حسن. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ط١/١٩٦٧م/١٢٨٧هـ.

٤٢- تاريخ الأمم والملوك. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (- ٢١٠هـ/٩٢٢م) دار سويدان بيروت. لبنان (٢).

٤٤- تاريخ بغداد. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (- ٤٢٦هـ/١٠٤٤م). الناشر دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان (٢).

٤٥- تاريخ البلاغة العربية. عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية ١٩٧٠م/١٢٩٠هـ.

٤٦- تاريخ دمشق. ابن عساکر (علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي أبو القاسم - ٥٧١هـ/١١٦٥م) تحقيق صلاح الدين المنجد ومحمد أحمد دهان. المجمع العلمي العربي. دمشق مقدمة ١٩٥١م/١٩٥٤م/١٢٧١هـ/١٢٧٤هـ.

- ٤٧- تاريخ دمشق. القلاسي (أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي ١٠٧١/هـ ١٤٦٤ م - ٥٥٥/١١٦٠ م) تحقيق سهيل زكار. دار حسان. دمشق ١٩٨٢ م/١٤٠٤ هـ.
- ٤٨- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها. أحمد مصطفى المراغي. شركة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٠ م/١٣٧٠ هـ مصر.
- ٤٩- تاريخ النقد الأدبي عند العرب. الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة/بيروت - لبنان ط ١٩٨٢/١٤٠٤ هـ.
- ٥٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب. الدكتور عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧١ م/١٣٩١ هـ.
- ٥١- تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الهجري إلى العاشر الهجري. الدكتور محمد زغلول سلام دار المعارف ١٩٦٤ م/١٣٨٤ هـ.
- ٥٢- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري. الدكتور محمد زغلول سلام. منشأة المعارف. الاسكندرية ١٩٨٢ م/١٤٠٢ هـ.
- ٥٣- تاريخ النقد العربي الدكتور محمد زغلول سلام. دار سلام دار المعارف بمصر. القاهرة ١٩٦٤ م/١٣٨٤ هـ.
- ٥٤- تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم - ٢٧٦/٨٨٩ م) شرح وتحقيق السيد أحمد مقرر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥٤ م/١٣٧٤ هـ.
- ٥٥- تبين المعاني بشرح ديوان ابن هاني الأندلسي (- ٢٦٢/٩٧٢ م) تحقيق زاهد. طبعة دار المعرفة بمصر ١٩٢٢ م/١٢٥٢ هـ.
- ٥٦- تحرير التعبير في صناعة الشعر والشر وبيان إعجاز القرآن. ابن أبي الأصبغ (- ٦٥٤/١٢٥٦ م) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٩٦٢ م/١٣٨٢ هـ.

٥٧- تجارب الأمم لسكويه (أبي علي أحمد بن محمد - ٥٤٢١/١٠٢٥م) طبعة مصورة عن طبعة شركة التمدن ج ١/٥١٢٢٢/١٦١٤م ؛ ج ٢/٥١٢٢٢/١٩١٥م.

٥٨- تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (- ٥٤٧١/١٠٧٨ أو ٥٤٧٤/١٠٨١م) تأليف عبد العزيز عبد المعطي عروة ط ١/٥١٤٠٢/١٩٨٢م.

٥٩- تسهيل القوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني ٥٦٠٠/١٢٠٢م - ٥٦٧٢/١٢٧٢م). تحقيق وتقديم محمد كامل بركات الناشر. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. وزارة الثقافة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ٥١٢٧٧/١٩٦٧م.

٦٠- التطور اللغوي. الدكتور رمضان عبد التواب. مكتبة الخالجي. القاهرة ٥١٤٠٤/١٩٨٢م.

٦١- كتاب التعريفات. علي بن محمد الشريف الجرجاني (- ٥٨١٦/١٤١٢م) مكتبة لبنان ط ١/١٩٨٥م/٥١٤٠٦.

٦٢- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم - ٥٢٧٦/٨٨٩م) تحقيق السيد أحمد مقرر. طبعة مصطفى الحلبي. القاهرة ١٩٥٨م/٥١٢٧٨.

٦٢- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (أبي عبد الله بن أبي بكر القاضي - ٥٦٥٨/١٢٦٠م) نشر وتصحيح السيد عزت المطار الحسيني. مكتبة نشر الثقافة الإسلامية. القاهرة ١٩٥٦م/٥١٢٧٥. (٢ ج).

٦٤- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (- ٨٥٢/١٤٤٨م) دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة حيدر آباد. الهند ط ١/٥١٢٢٥/٥١٢٢٧ (ج ١-١٢).

٦٥- تهذيب الصراح. الزنجاني (عز الدين أبو المعالي عبد الوهاب (- بعد ١٢٥٧/٥٦٥٥ م)
تحقيق عبد السلام محمد هارون وأحمد عبد الغفور عطار، دار المعارف، مصر
١٢٧١/١٩٥٢ م.

- ث -

٦٦- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تأليف الرماني (- ١٢٨٦/١٩٩٦ م) والخطابي
(- ١٢٨٨/١٩٩٨ م) وعبد القاهر الجرجاني (- ١٠٧٨/١٤٧١ م أو ١٠٨١/١٤٧٤ م) في الدراسات
القرآنية والتقد الأدبي تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. دار المعارف بمصر
(٤).

- ج -

٦٧- الجامع الكبير لابن الأثير (- ١٢٢٧/١٢٢٩ م) تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، المجمع
العلمي العراقي. بغداد ١٩٥٦ م/١٢٧٦ هـ.

٦٨- جمهرة أنساب العرب لابن حزم (أبي محمد علي بن أحمد (- ١٠٦٢/١٤٥٦ م) تحقيق عبد
السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر ١٢٨٢/١٩٦٢ م.

٦٩- جمهرة اللغة لابن دريد (- ١٢٢١/٩٢٢ م) طبعة الأوفست دار صادر بيروت (٤).

٧٠- جواهر الألفاظ قدامة بن جعفر (- ١٢٢٧/٩٤٨ م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥ م.

- ح -

٧١- حسن التوصل إلى صناعة الترميل. شهاب الدين أبو اثناء محمود بن سلمان بن فهد الحلبي
الحنفي (- ١٢٢٤/٥٧٢٥ م) تحقيق أكرم عثمان يوسف. دار الرشيد للنشر بغداد
١٤٠١/١٩٨٠ م.

٧٢- حضارة الدولة العباسية. الدكتور أحمد رمضان أحمد. الجهاز المركزي للكتاب الجامعي. مصر ط ١٢٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٧٣- حلية العقود في الفرق بين المتصور والممدود. الأنباري كمال الدين أبو البركات. معهد الدراسات الشرقية ستوكولم ١٩٦٦م / ١٣٨٦هـ.

٧٤- حلية المحاضرة. أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي (-٢٨٨هـ / ٩٩٨م) تحقيق هلال تاجي ١٢٩٩هـ / ١٩٧٨م (ج ١. بغداد) وأظهر تحقيق الدكتور جعفر الكاني (ج ٢) وزارة الثقافة والإعلام. دار الرشيد للنشر. العراق ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م.

٧٥- الحاشية البصرية. صدر الدين أبو الفرج بن الحسين (-٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) مختار الدين أحمد. حيدر أباد. الهند ١٣٨٢هـ / ١٩٦٤م.

٧٦- الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري. الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي. مكتبة الأقصى عمان ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٧٧- الحياة الأدبية في العصر العباسي. الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. نشر رابطة الأدب الحديث. دار المهد الجديد للطباعة. القاهرة ط ١٩٥٤م / ١٣٧٤هـ.

٧٨- الحيوان للجاحظ (عمرو بن بحر - ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) تحقيق عبد السلام هارون الناشر البابي الحلبي. مصر ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م. (ج ١-٧).

- خ -

٧٩- الخراج وصناعة الكتابة. قدامة بن جعفر (-٢٢٧هـ / ٩٤٨م) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي. دار الرشيد للنشر. وزارة الثقافة والإعلام. العراق ١٩٨١م / ١٤٠٢هـ.

- ٨٠- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي
- ١٠٩٢هـ/١٦٨٢م مطبعة الميرية بولاق (٤).
- وأظهر تحقيق وشرح محمد عبد السلام هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب
ط٢/١٩٧٩م/١٤٠٠هـ.
- ٨١- الخصائص. أبو الفتح عثمان بن جني (-٥٢٩٢هـ/١٠٠١م) تحقيق محمد علي النجار. مطبعة
دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٥٢م/١٩٥٦م/١٢٧٢هـ/١٢٧٦هـ.
- ٨٢- خصام ونقد الدكتور طه حسين. دار العلم للملايين. بيروت ط١/١٩٧٩م/١٤٠٠هـ.
- ٨٢- الخطابة لأرسطو (-٣٢٢ق م) الترجمة العربية القديمة. تحقيق عبد الرحمن بدوي.
القاهرة ١٩٥٩م/١٢٧٩هـ.
- ٨٤- الخطط المقرئية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) تأليف تقي الدين أبي العباس
أحمد بن علي المقرئ (-٨٤٥هـ/١٤٤١م) طبعة جديدة بالأوفست. دار صادر بيروت
(٤).
- ٨٥- الخفاجيون في التاريخ. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الطباعة المحمدية. القاهرة.
مقدمة ١٩٧١م/١٢٩١هـ.
- د -
- ٨٦- دائرة المعارف. بطرس البستاني. مؤسسة مطبوعاتي. اسماعيلان. طهران (٤).
- ٨٧- دراسات في النقد الأدبي. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الطباعة المحمدية بالأزهر
ط١/القاهرة (٤).
- ٨٨- دروس في علم الأصوات لبجان كاتينو. ترجمة صالح القرمادي - تونس
١٩٦٦م/١٢٨٦هـ.

٨٩- دلائل الإعجاز. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (-٥٤٧١/١٠٧٨ م أو ٥٤٧٤/١٠٨١ م) تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٨٤ م/٥١٤٠٥. وأنظر تحقيق محمد رشيد رضا القاهرة ١٩٦١ م/٥١٢٨١. وأنظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. مكتبة القاهرة ١٩٦١ م.

٩٠- ديوان إبراهيم بن هرمة (-٥١٥٠/٧٦٧ م) تحقيق محمد جبار الميعيد طبعة الآداب النجف الأشرف ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م.

٩١- ديوان ابن أحمر الباهلي (أبي الخطاب عمرو بن أحمر الباهلي (-٥٦٥/٦٨٥ م) مجمع اللغة العربية. دمشق (٤) وأنظر مراجعة محمود محمد شاكر. مكتبة العروبة. القاهرة ١٩٦٥ م/٥١٢٨٥.

٩٢- ديوان الأدب تأليف إسحاق بن إبراهيم الفارابي (-٥٢٥٠/٩٦١ م) تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، مراجعة الدكتور إبراهيم أيس. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م.

٩٣- ديوان إسحاق الموصلي (-٥٢٢٥/١٤٦٦ م) تحقيق ماجد أحمد العزي. مطبعة الإيمان بعباد ط ١٩٧٠ م/٥١٢٩٠.

٩٤- ديوان الأعشى (ميمون بن قيس -٥٧/٦٢٨ م) شرح وتعليق محمد محمد حسن. المطبعة النموذجية. القاهرة ١٩٥٠ م/١٢٧٠ هـ (وأنظر طبعة المكتب الشرقي للنشر والتوزيع بيروت ١٩٦٨ م/٥١٢٨٨).

٩٥- ديوان امرئ القيس (-٨٠ ق م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة ط ١٩٦٤ م/٥١٢٨٤.

٩٦- ديوان أوس بن حجر (- نحو ٢ ق ٥/٥٢٠ م - نحو ٦٢٠ م) شرح وتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم. دار صادر للطباعة والنشر ١٢٨٠ هـ/١٩٦٠ م.

- ٩٧- ديوان البحتري (-٥٢٨٤/٨٩٧م) تحقيق حسن كامل السيرفي. دار المعارف. مصر ١٩٦٢م/١٩٦٤م (ج ١-٤).
- ٩٨- ديوان أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي -٥٢٢٢/٨٤٥م) بشرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبد عزام. دار المعارف. القاهرة ١٩٥٧م أو ١٩٦٥م/١٢٧٧هـ أو ١٢٨٥هـ.
- ٩٩- ديوان جرير بن عطية (-٥١١٠/٧٢٨م) تحقيق نعمان أمين طه. دار المعارف بمصر ١٩٧١م/١٩٧١م/١٢٨٩هـ/١٢٩١هـ.
- ١٠٠- ديوان حسان بن ثابت (-٥٥٤/٦٧٤م) تحقيق وليد عرفات (ج ١-٢) طبع في دار صادر بيروت ١٩٧١م/١٢٩١هـ وأنظر طبعة دار صادر ١٩٦١م/١٢٨١هـ.
- ١٠١- ديوان أبي الحسن التهامي علي بن محمد (-٥٤١٦/١٠٢٥م) المكتب الإسلامي ط٢/دمشق ١٢٨٤هـ/١٩٦٤م.
- ١٠٢- ديوان الحطيئة. جرول بن أوس -٥٢٠/٦٥٠م تحقيق نعمان أمين طه. طبعة البابي الحلبي. القاهرة ط١/١٢٧٨هـ/١٩٥٨م.
- ١٠٣- ديوان ديك الجن (أبي محمد عبد السلام بن رغبان الحمصي -٥٢٢٥/٨٤٩م) تحقيق الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري. دار الثقافة. بيروت ١٢٨٢هـ/١٩٦٤م.
- ١٠٤- ديوان دعل بن علي الخزاعي (أبي علي دعل بن علي -٥٢٤٦/٨٦٠م) جمع وتحقيق محمد يوسف نجم. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٢م/١٢٨٢هـ.
- ١٠٥- ديوان ذي الرمة (-٥١٧٧/٧٩٢م) تحقيق عبد القدوس أبو صالح. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق ١٢٩٢هـ/١٢٩٢هـ/١٩٧٢م/١٩٧٢م (ج ١-٢).
- ١٠٦- ديوان رؤبة بن العجاج (أبي الحافظ رؤبة بن عبد الله -٥١٤٥/٧٦٢م) تحقيق وليم ملوارث ط. الأوفست. طبعة برلين ١٩٠٢م/١٢٢١هـ ليبسغ.

١٠٧- ديوان زهير بن أبي سلمى (-١٢٠ق هـ) شرح ثعلب. طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤م/١٢٦٤هـ. (وانظر شعره سنعة الأعلام الشتمري تحقيق فخر الدين قباوة ط٢/حلب ١٩٧٢م/١٢٩٢هـ).

١٠٨- ديوان ابن سنان الخفاجي (-٥٤٦٦/١٠٧٢م) المكتبة الانسية. بيروت (٤).

١٠٩- ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري (-٥٦١/٦٨٠م) تحقيق شاعر العاشور، مراجعة محمد جابر الميبد. البصرة. دار الطباعة الحديثة ١٩٧٢م.

١١٠- ديوان الشريف الرضي (-٥٤٠٦/١٠١٥م) دار صادر. بيروت (٤) وانظر طبعة نخبة الأخبار (بومبي) ١٢٠٦هـ/١٨٨٨م.

١١١- ديوان الطرمج بن حكيم الطائي (-٥١٢٥/٧٤٢م) تحقيق الدكتور عزة حسن مديرية احياء التراث القديم. دمشق ١٢٨٨هـ/١٩٦٨م (وانظر تحقيق ف. رنكو ليدن هولندا ١٩٢٧م/١٢٤٦هـ).

١١٢- ديوان طفيل الفنوي (-١٢٠ق هـ/٦١٠م) تحقيق محمد عبد القادر أحمد دار الكتاب الجديد. بيروت ١٩٦٨م/١٢٨٨هـ.

١١٣- ديوان عبيد بن الأبرس (-٥٢٥/٦٠٠م) تحقيق الدكتور حسن نصار. شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة ١٢٧٧هـ/١٩٥٧م.

١١٤- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات (- نحو ٥٨٥/نحو ٧٠٤م) تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت ١٢٨٧هـ/١٩٥٨م.

١١٥- ديوان العجاج (عبد الله بن ربيعة) (-٥١٠/٧٠٩م) تحقيق الدكتور حسن عزة. مكتبة دار الشرق بيروت ١٩٧١م/١٢٩١هـ.

١١٦- ديوان عدي بن زيد العبادي (-٢٥٠ق هـ/٥٩٠م) تحقيق محمد جبار الميبد. طبعة دار الجمهورية. بغداد ١٢٨٥هـ/١٩٦٥م.

- ١١٧- ديوان عروة بن الورد (شرح ابن السكيت) تحقيق عبد المين الملوحي. مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ١٩٦٦م/١٢٨٦هـ (وينظر ديوانه تحقيق محمد أبو شنب).
- ١١٨- ديوان علقمة الفحل (-٢٠ق ٦٠٢/هـ م) شرح الأعلام الششمري. تحقيق لطفي الصقال ودرة الخطيب. دار الكتاب العربي. حلب ط ١٢٨٩/١٤١٩٩م.
- ١١٩- ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي (-٥٩٢/٧١١م) تحقيق إبراهيم الأعرابي. مكتبة صادر بيروت ١٩٥٢م/١٢٧٢هـ.
- ١٢٠- ديوان عمرو بن معدى كرب الزبيدي (-٥٢١/٦٤٢م) تحقيق مطاع الطرايشي. مجمع اللغة العربية ١٩٧٤م/١٢٩٤هـ.
- ١٢١- ديوان عترة العبي (-٢٢ق ٦٠٠/هـ م) تحقيق محمد سعيد مولوي. المكتب الإسلامي. دمشق ١٢٩٠/١٩٧٠م.
- ١٢٢- ديوان القطامي عمير بن شبيب (-٥١٢٠/٧٤٧م) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور أحمد مطلوب. دار الثقافة. بيروت ط ١٩٦٠م/١٢٨٠هـ.
- ١٢٣- ديوان كثير عزة (-٥١٠٥/٧٢٣م) تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت ١٢٩١/١٩٧١م.
- ١٢٤- ديوان الكميث بن زيد الأسدي (-٥١٢٦/٧٤٤م) جمع تقديم الدكتور داود ملوم. طبعة النعمان. النجف الأشرف ١٩٦٩م/١٢٨٩هـ.
- ١٢٥- ديوان التلمس النبمي (جرير بن عبد المسيح -٥٤٧٩/١٠٨٦م - ٥٥٤٨/١١٥٣م) تحقيق حسن كامل الصيرفي. معهد المخطوطات العربية. القاهرة ١٢٩٠/١٩٧٠م.

١٢٦- ديوان المتنبي (-٢٥٤/١٦٥م) شرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. شركة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ط٢/١٩٥٦م/١٢٧٦هـ (ج ٤).

١٢٧- ديوان النابغة الذبياني (-١٨ق ٥) تحقيق كرم البستاني. دار مآدر للطباعة والنشر بيروت ١٢٨٢/١٩٦٢م (وأُنظر تحقيق شكري فيصل).

١٢٨- ديوان ابن نباتة السدي (-٤٩٥/١٠١١م) (أبو نصر عبد العزيز بن عمر) تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي. وزارة الإعلام بغداد ١٩٧٧م/١٢٩٨هـ.

١٢٩- ديوان أبي نواس. (الحسن بن هاني -١٩٨/٨١٢م) تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي. مطبعة مصر ١٩٥٢م/١٢٧٢هـ.

١٣٠- ديوان الواواء الدمشقي (محمد بن أحمد -٢٨٥/١٩٥م) تحقيق مامي الدهان المجمع العلمي العربي. دمشق ١٩٥٠م/١٢٧٠هـ.

١٣١- ديوان الوليد بن يزيد (-١٢٦/٧٤٤م) تحقيق ف. غابرييلي. دار الكتاب الجديد. بيروت ط٢/١٩٦٧م/١٢٨٧هـ.

- ذ -

١٣٢- ذيل تاريخ دمشق. أبو يعلى حمزة بن القلانسي (-٥٥٥/١١٦٠م) مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٨م/١٢٢٦هـ.

- ر -

١٣٢- رسالة أسباب حدوث الحروف ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله البخاري -٢٧٠/١٨٠م - ٤٢٨/١٠٢٦م) تحقيق محمد حسن الطيان ويحيى مير علم. دار الفكر دمشق ١٩٨٢م/١٤٠٤هـ.

١٢٤- رسائل البلاء. محمد علي كود. لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط٢/١٩٤٦م/١٢٦٦هـ. (وأنظر طبعة دار الكتب العربية الكبرى ١٩١٢م/١٣٢٢هـ).

١٢٥- الرسالة الذراء لإبراهيم بن المدبر (-٥٢٧٩/٨٩٢م) تحقيق زكي مبارك. مطبعة الكتب المصرية القاهرة ١٩٢١م/١٣٥٠هـ.

١٢٦- رسائل أبي العلاء المعري (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) شرح وتحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة. منشورات اللجنة الأردنية للتدريب والترجمة والنشر ١٩٧٦م/١٢٩٧هـ. (وأنظر طبعة مكتبة الشئى لصاحبها قاسم محمد الرجب بغداد (٢).

١٢٧- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وماقط شعراء. الحاتمي المظفر (أبو علي محمد بن الحسن -٥٢٨٨/٩١٨م) تحقيق محمد يوسف نجم. دار صادر بيروت ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ.

- ز -

١٢٨- زبدة الحلب في تاريخ حلب. ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد -٥٦٠/١٢٦١م) تحقيق سامي الدهان. نشر المعهد الفرنسي بدمشق المطبعة الكاثوليكية. بيروت.

١ج - (١ - ٤٥٧) - ١٩٥١م/١٣٧١هـ.
٢ج - (٤٥٧ - ٥٦٩) - ١٩٥٤م/١٣٧٤هـ.
٣ج - (٥٦٩ - ٦٤١) - ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ.

- س -

١٢٩- سر صناعة الإعراب. ابن جني (أبو الفتح عثمان -٥٢٩٢/١٠٠١م) تحقيق مصطفى السقا وآخرين. الناشر مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٤م/١٣٧٤هـ.

١٤٠- سر الفصاحة لأبن سنان الخفاجي. تحقيق سليم سليمان الأنصاري. كلية الآداب. قسم اللغة العربية (رسالة ماجستير) ١٢٩٥هـ/١٩٧٥م (تحقيق مخطوط).

١٤١- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (-٥٤١٦/١٠٧٢م) دار الكتب العلمية بيروت لبنان
١٤٠٢/٥١٤٠٢م. صورة عن النسخة المصرية تحقيق عبد المتعال الصعيدي. مكتبة محمد
علي صبيح وأولاده. القاهرة ١٩٦٩م.

١٤٢- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي تحقيق عبد المتعال الصعيدي. مكتبة محمد علي صبيح
القاهرة ١٢٧٢/٥١٩٥٢م.

١٤٣- سمط اللآلي لأبي عبيد بن عبد العزيز البكري (-٥٤٨٧/١٠٩٤م) تحقيق عبد العزيز
الميعني. لجنة الترجمة والتأليف والنشر. القاهرة ١٩٢٦م/١٢٥٤هـ.

١٤٤- سنن ابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (-٥٢٧٥/٨٨٨م) تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي ١٢٩٥/١٩٧٥م.

١٤٥- كتاب سيويه أبي بشر عثمان بن قنبر (-٥١٨٠/٧٩٦م) مطبعة بولاق ١٢١٦/١٨٩٨م
وانظر تحقيق عبد السلام محمد هارون دار القلم. القاهرة ١٩٦٦م/١٢٨٦هـ.

١٤٦- شرح أبيات سيويه لأبي محمد يوسف بن حسن بن المرزبان (-٥٢٨٥/٩٩٥م) تحقيق
محمد علي سلطاني. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق ١٩٧٦م/١٢٩٧هـ.

١٤٧- شرح الأصول الخمسة. القاضي عبد الجبار (-٥٤١٥/١٠٢٤م) تعليق أحمد بن الحسين
بن أبي هاشم تحقيق عبد الكريم عثمان. مكتبة وهبة. القاهرة ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ.

١٤٨- شرح التنوير على سقط الزند (ينسب لأبي يعقوب يوسف بن ماهر الخوي من علماء القرن
السادس الهجري) مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٢٥٨/١٩٢٩م (ج ١ - ٢).

١٤٩- شرح ديوان صريع الفواني (معلم بن الوليد -٥٢٠٨/٨٢٢م) تحقيق سامي الدهان، دار
المعارف بمصر (٤).

١٥٠- شرح ديوان عروة بن الورد العبسي (-٢٠٠ق ٥/٥٩٤م). ابن السكيت مع إضافات
تحقيق محمد أبو شنب ط. جول كربونل - الجزائر ١٩٢٦م/١٢٤٥هـ.

- ١٥١- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي (-٥٩٢/٧١١م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. السعادة بمصر ط٢/١٢٨٠هـ/١٩٦٠م.
- ١٥٢- شرح ديوان الفرزدق (همام بن غالب - ١١٠هـ/٧٢٨م) جمع عبد الله اسماعيل الصاوي. مطبعة الصاوي. مصر ط١/١٢٥٤هـ/١٩٢٦م (مجلد ١ - ٢).
- ١٥٢- شرح الكافية الشافية تأليف جمال الدين أبي عبد الله بن مالك الطائي البجاني (-٥٦٢/١٢٧٢م) تحقيق عبد المنعم أحمد هريري. دار المأمون. السعودية ط١/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ١٥٤- شرح لزوم ما لا يلزم. أبو العلاء المعري (-٥٤٩/١٠٥٧م) تأليف الدكتور طه حسين وإبراهيم الأبياري. دار المعارف بمصر الجزء الأول. (٤)
- ١٥٥- شرح مقامات الحريري للشريشي (أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي ٥٥٧ - ٦١٩هـ/١١٦١-١٢١٩م) تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل. المؤسسة العربية الحديثة. القاهرة (٤).
- ١٥٦- شعر أوس بن حجر (-٥٢٢٢/٨٤٦م) تحقيق وشرح يوسف نجم. دار صادر بيروت ط٢/١٢٨٧هـ/١٩٦٧م.
- ١٥٧- شعر دعلج بن علي الخزاعي (-٥٢٤٦/٨٦٠م) سنعة عبد الكريم الأشر. طبعة المجمع العلمي العربي. دمشق ١٢٨٤هـ/١٩٦٤م و ط٢/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ١٥٨- شعر السؤال بن عريض بن عادي بن جيا (- حوالي ٦٥ق ٥/٥٦٠م) تحقيق وشرح عيسى سآبا. مكتبة صادر ١٩٥١م/١٢٧١هـ.
- ١٥٩- شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي (-٥٢١/٦٤٢م) تحقيق مطاع الطرايشي ط. مجمع اللغة العربية. دمشق ١٢٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٦٠- شعر الكميت بن زيد الأمدى (-٥١٢٦/٧٤٤م) جمع وتقديم الدكتور داود ملوم. طبعة النعمان النجف الأشرف ١٩٦٩م/١٢٨٩هـ.

١٦١- شعر النجاشي قيس بن عمر الحارثي (-٥٤٠/٦٦٠م) تحقيق الدكتور ملوم النعيمي. أنظر مجلة المجمع اللغوي ١١١/١٢ بغداد (٤).

١٦٢- شعر نصيب بن رباح (-٥١٠٨/٧٢٦م) جمع الدكتور داود ملوم. مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٨م/١٢٨٨هـ.

١٦٣- شعر النمر بن تولب (-٥١٤/٦٣٥م) صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي. مطبعة المعارف. مقدمة ١٩٦٨م/١٢٨٨هـ.

١٦٤- الشعر والزمن. جلال الخياط. منشورات وزارة الإعلام. العراق ١٩٧٥/٥١٢٩٥م.

١٦٥- الشعر والشعراء. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم - ٥٢٧٦/٨٨٩م) تحقيق أحمد محمد شاكر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥٠م/١٢٧٠هـ (٢ ج).

١٦٦- شواهد سيبويه (-٥١٨٠/٧٩٦م) للأعلام الشتمري يوسف بن سليمان (-٥١٧٦/١٠٨٢م) المطبعة الكبرى الأميرية ١٢١٦/١٢١٧/١٨٩٨م/١٨٩٩م.

- س -

١٦٧- صاحبني في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (-٥٢٩٥/١٠٠٤م). المكتبة السلفية. القاهرة ١٩١٠م/١٢٢٨هـ.

١٦٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. أبو الباس أحمد بن علي القلقشندي (-٥٨٢١/١٤١٨م) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٢م/١٢٨٢هـ.

١٦٩ - الصحاح: تاريخ اللغة وصحاح العربية تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري (١٠٠٢/٥٢٩٢م) تحقيق عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين بيروت (٤).

١٧٠ - كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري (١٠٠٤/٥٢٩٥م) تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. البابي الحلبي القاهرة ط ١/١٢٧١/٥١٩٥٢م. وأظفر تحقيق مفيد قميعة دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ط ١/١٤٠١/٥١٩٨١م، ط ٢/١٤٠٤/٥١٩٨٤م.

- ط -

١٧١ - طبقات الشعراء. عبد الله بن المعتز (١٠٨/٥٢٩٦م) تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٥م/٥١٢٨٥.

١٧٢ - طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي (٨٤٦/٥٢٢٢م) شرح وتحقيق محمود محمد شاكر. مطبعة المدني ١٩٧٤م/٥١٢٩٤ (ج ١ - ٢).

١٧٣ - طبقات المعتزلة. أبو القاسم البلخي (٩٣١/٥٢١٩م) والقاضي عبد الجبار (١٠٢٤/٥٤١٥م) والحاكم الجشمي (١١٠٠/٥٤٩٤م) تحقيق المرحوم فؤاد سيد. دار التوسية للنشر ١٩٧٤م/٥١٢٩٢.

١٧٤ - طبقات المعتزلة. ابن المرتضى أحمد بن يحيى (١٤٢٦/٥٨٤٠م) تحقيق سوسنة ديفلد فلزر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦١م/٥١٢٨٧.

١٧٥ - طبقات النحويين واللغويين للزيدي (أبي بكر محمد بن الحسين) (٩٨٩/٥٢٧٩م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١/الخارجي ١٢٧٢/٥١٢٥٤م مصر.

١٧٦ - الطرائف الأدبية تحقيق عبد العزيز اليميني. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٢٧م/٥١٢٥٦.

١٧٧ - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (١٢٤٨/٥٧٤٩م). طبع بمطبعة المقتطف بصر ١٢٢٢/٥١١٤م (ج ٢).

- ١٧٨ - عبث الوليد. المعري (أبو العلاء أحمد بن سليمان - ١٠٥٧/٥٤٤٩ م) تصحيح محمد عبد الله المدي ونشر أمجد الطرابزوني. مكتبة النهضة ط ١٩٧٠/٨ م/١٢٩٠ هـ.
- ١٧٩ - عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده. الدكتور أحمد مطلوب. الناشر وكالة المطبوعات الكويت (ط ١٢٩٢/٥١٧٢ م بيروت).
- ١٨٠ - كتاب. العروس والقوافي. أبو القتح عثمان بن جني (- ١٠٠١/٥٢٩٢ م) تحقيق حسن شاذلي فريهود مطابع دار القلم بيروت - لبنان ط ١٢٩٢/٥١٧٢ م.
- ١٨١ - علم اللغة. الدكتور عبد الواحد وافي. مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٢٦٢/٥١٤٤ م.
- ١٨٢ - المدة. ابن رشيقي القيرواني (- ١٠٦٢/٥٤٥٦ م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. السعادة بمصر ط ١٢٧٥/٥١٩٥٥ م. (وأنظر تحقيق ط. مطبعة حجازي بالقاهرة ١٢٥٢/٥١٩٢٤ م).
- ١٨٢ - عن اللغة والأدب. الدكتور محمد أحمد العزب. دار المعارف ط ١٩٨٠ م/١٤٠١ هـ.
- ١٨٤ - عيار الشعر. محمد أحمد بن طباطبا العلوي (- ١٢٢٢/٥٢٢٢ م) تحقيق عباس عبد الساتر. مراجعة نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان ط ١٤٠٢/٥١٩٨٢ م.
- ١٨٥ - كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (- ٧٩١/٥١٧٥ م) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي. دائرة الشؤون الثقافية والنشر ١٤٠٥/٥١٩٨٤ م.

- غ -

١٨٦ - غريب الحديث. أبو عبيد القاسم بن سلام (- ٥٢٢٤/٨٢٢٨ م) تحقيق حسين محمد شرف. الهيئة المصرية العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٨٤ م/١٤٠٥ هـ (وأُنظر طبعة مجلس دائرة المعارف الشامية ١٢٨٦/١٩٦٦ م، ١٩٦٧ م/١٢٨٧ هـ).

- ف -

١٨٧ - الفائق في غريب الحديث للزمخشري (جاء الله محمود بن عمر - ٥٥٨٢/١١٨٦ م) تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط. البايي الحلبي. القاهرة ج ١/١٢٦٤ هـ/١٩٤٥ م ج ٢/١٢٦٦ هـ/١٩٤٧ م، ج ٢/١٢٦٧ هـ/١٩٤٨ م.

١٨٨ - الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي (- ٥٢٥٤/٩٦٥ م). أبو الفتح عثمان بن جني (- ٥٢٩٢/١٠٠١ م). تحقيق محسن غياش. دار الحرية للطباعة. طبعة بغداد ١٩٧٢ م/١٣٩٢ هـ.

١٨٩ - فصل المقال. أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأوبني البكري (- ٥٤٨٧/١٠٩٤ م) تحقيق وتقديم الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور إحسان عباس. دار الأمانة مؤسسة الرسالة ط ١/١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.

١٩٠ - فصول في البلاغة. الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي. الناشر دار الفكر للنشر والتوزيع ط ١/١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.

١٩١ - فصول في النقد العربي وقضايا. محمد خير شيخ موسى. دار الثقافة. الدار البيضاء ط ١/١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.

١٩٢ - فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة. أبو القاسم البلخي (- ٥٢١٩/٩٢١ م) والقاضي عبد الجبار (- ٥٤١٥/١٠٢٤ م) والحاكم الجبشي (- ٥٤٩٤/١٠٩٩ م) تحقيق المرحوم فؤاد سيد. الدار التونسية للنشر ١٩٧٤ م/١٢٩٢ هـ.

١٩٢ - الفلسفة الهندية: البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد (-٥٤٤٠/١٠٤٨ م) مراجعة وتقديم عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف. منشورات الكتب المصرية، سيدا بيروت.

١٩٤ - فن الشعر لأرسطو (-٢٢٢ ق م) تحقيق عبد الرحمن بدوي. ترجمة عن اليونانية. الناشر مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٥٢ م/١٢٧٢ هـ. (وأُنظر تحقيق شكري عياد. القاهرة ١٩٦٧ م/١٢٨٧ هـ).

١٩٥ - فنون بلاغية. الدكتور أحمد مطلوب. دار البحوث العلمية بيروت ١٩٧٥ م/١٢٩٥ هـ.

١٩٦ - الفهرست لابن النديم (أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق (-٥٢٢٥/٨٤٩ م) تحقيق رضا تجدد. مطبعة دانشكاه - طهران - إيران.

١٩٧ - فوات الوفيات محمد بن شاعر الكوفي (-٥٧٦٤/١٢٦٢ م) تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر بيروت (٤) (ج ١ - ٥).

١٩٨ - في الأدب والبيان. الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي. دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٤ م/١٤٠٥ هـ.

١٩٩ - في تحقيق ما للهند. البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد -٥٤٤٠/١٠٤٨ م) مطبعة مجلس دائرة المعارف الشمالية. حيدر آباد - الدكن - الهند ١٢٧٧ هـ/١٩٨٥ م.

٢٠٠ - في قضايا النقد الأدبي عند العرب. الدكتور عبد الحميد جيدة. دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع طرابلس. لبنان ١٩٨٥ م.

٢٠١ - في علم اللغة. عبد السبور شاهين. مؤسسة الرسالة ط٤/١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.

- ق -

٢٠٢ - اقاضي الجرجاني. الأديب الناقد الدكتور محمود السمرة. منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر. بيروت ط١/١٩٦٦ م/١٢٨٨ هـ.

- ٢٠٢- قانون البلدة في نقد الشر والشعر. محمد بن حيدر فخر الدين أبو طاهر البغدادي (٥١٧/١١٢٢م) تحقيق محسن غياث عجيل. مؤسسا الرسالة. بغداد ١٩٨١م/١٤٠٢هـ.
- ٢٠٤- القانون في الطب. أبو علي الحسين بن علي بن سينا (٤٢٨/١٠٢٦م). أعادت طبعة بالأوفست مكتبة الشئ ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب. بغداد (٤).
- ٢٠٥- القزويني وشروح التلخيص. الدكتور أحمد مطلوب. منشورات مكتبة النهضة. بغداد ١٩٦٧/٥١٢٨٧م.
- ٢٠٦- القصيدة اليتيمة. أبو القاسم علي بن الحسن التتوخي (٥٢٤٦/٨٦٠م) تحقيق صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٠م/١٢٩٠هـ.
- ٢٠٧- قضايا النقد الأدبي عند العرب. الدكتور عبد الحميد جيدة. دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع. طرابلس لبنان ١٩٨٥م.
- ٢٠٨- قضايا النقد الأدبي المعاصر. الدكتور زكي المشاوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.
- ٢٠٩- قضايا النقد الأدبي والبلدة. الدكتور محمد زكي المشاوي. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٧م/١٢٨٧هـ.
- ٢١٠- قواعد الشعر. ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني - ٥٢٩١/١٠٣م) شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٤٨م/١٢٦٨هـ.
- ٢١١- الهوافي. الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة - ٥٢١٥/٨٢٠م) تحقيق الدكتور عزت حسن. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق ١٩٧٠م/١٢٩٠هـ.
- ٢١٢- الهوافي. أبو يعلى عبد الباقي التتوخي (٥٤٨٧/١٠٩٤م) تحقيق عوني عبد الرؤوف. مكتبة الخانجي ط ١٩٧٨/١٢٩٩هـ.

- ك -

- ٢١٢ - الكامل. البرد (أبو الهيثم محمد بن يزيد - ٥٢٨٦/٨٩٩م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة مصر ومطبعها مصر. القاهرة (٤).
- ٢١٤ - الكامل في التاريخ. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (-٥٦٢٠/١٢٢٢م)).
- ٢١٥ - كشف اصطلاحات اثنون للهاولي (محمد أعلى بن علي (- بعد ٥١٥٨/ بعد ١٧٤٥م) طبعة خياط بيروت ١٩٦٦م/١٢٨٦هـ. صورة عن طبعة عام ١٢٧٨/١٨١١م.
- ٢١٦ - الكشف عن مساوي المتنبي (-٥٢٥٤/٩١٥م). صاحب بن عباد (أبو القاسم اسماعيل بن عباد - ٥٢٨٥/٩٩٥م) تحقيق حسن آل ياسين. مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٥م/١٢٨٥هـ.
- ٢١٧ - الكناية والتعريض. الثعالي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (-٥٢٢٩/١٤٠م) تقديم علي الخاقاني. مكتبة دار البيان. بغداد ١٩٧٢م/١٢٩٢هـ.
- ٢١٨ - الكنى والألقاب. عباس محمد رضا القمي (-١٢٥٩/١٩٤٠م) المطبعة الحيدرية. النجف ط ١٩٦٩م/١٢٨٩هـ.
- ٢١٩ - كيف أفهم النقد. الدكتور جبرائيل جبور سليمان جبور. منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٢م.

- ل -

- ٢٢٠ - لزوم ما لا يلزم. المعري أبو العلاء (أحمد بن عبد الله بن سليمان - ٥٤٤٩/١٠٥٧م) تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري ط ١٩٨٢م/١٤٠٣هـ.
- ٢٢١ - اللزوميات (لزوم ما لا يلزم). المعري أبو العلاء (-٥٤٤٩/١٠٥٧م) طبعة دار صادر بيروت ١٢٨١/١٩٦١م.

٢٢٢- لسان العرب. ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد (-٥٧١١/١٢١١م) طبعة دار صادر بيروت (ج ١ - ١٥) (٤).

٢٢٢- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكنايني (-٥٨٥٢/١٤٤٨م) حيدر آباد. مجلس دائرة المعارف النظامية ١٢٢٩/١٢٢١هـ/١٩١١م/١٩١٢م (٦ ج) (وأنظر الطبعة ٢/مؤسسة الرسالة. الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٩٧١م/١٢٩١هـ).

- م -

٢٢٤- ما تلحن فيه العانة. الكسائي (أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي - ١٨٩١/٨٠٤م) تحقيق رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ.

٢٢٥- التخيير من كتب النقد العربي. تخييرها وقدم لها الدكتور محمد الربداني. مؤسسة الرسالة ط ١٤٠١/١٨١١م.

٢٢٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. شفاء الدين بن الأثير (-٥٦٢٧/١٢٢٩م) تقديم وتعليق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة. دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة (٤). (وأنظر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مكتبة البابي الحلبي. القاهرة ١٩٢٩م/١٢٥٨هـ (٢ ج)).

٢٢٧- مجاز القرآن. أبو عبيدة معمر بن المثنى (-٥٢١٠/٨٢٥م) تحقيق محمد فؤاد مزيين ومحمد سامي أمين الخانجي. القاهرة ١٩٥٤م/١٩٦٢م (٢ ج).

٢٢٨- مجلة الأزهر. مطبعة الأزهر ج ١٢/٤١٢ عام ١٢٦١/١٩٤٢م. ج ١٤/١٩٠ عام ١٢٦٢/١٩٤٢م بقلم محمد كامل الققي.

٢٢٩- مجمع الأمثال. اليداني (أبو الفضل أحمد بن محمد (-٥٥١٨/١١٢٤م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. السعادة بمصر ط ١٢٧٩/١٩٥٩م (ج ١ - ٢).

٢٢٠- المحاسن والمازى. البيهقي (إبراهيم بن محمد (-٥٤٧٠/١٠٧٧م) دار صادر بيروت ١٩٦٠م/١٢٨٠هـ.

٢٢١- المختار من رسائل اسحاق الصابي (إبراهيم بن هادل -٥٣٨٤/١٩٤٤م) تحقيق شبيب أرسلان. دار النهضة الحديثة - بيروت (٤) وأنظر المطبعة الشامية بمبدا - لبنان ١٨٩٨م/١٢١٦هـ.

٢٢٢- المخصص أبو الحسين علي بن اسماعيل اللغوي الأندلسي (ابن سيدة - ٥٤٥٨/١٠٦٥م) طبعة بولاق ١٢١٦/١٨٩٨م.

٢٢٣- المدخل إلى دراسة البلاغة العربية. السيد أحمد خليل. بيروت ١٩٦٨م/١٢٨٨هـ.

٢٢٤- مدخل إلى علم اللغة. فهمي حجازي. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٧٨م/١٢٩٩هـ.

٢٢٥- المذكر والمؤنث. أبو الفتح عثمان بن جني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) تحقيق طارق نجم عبد الله دار البيان العربي. جدة ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ.

٢٢٦- المذكر والمؤنث. أبو العباس بن يزيد المبرد (-٥٢٨٦/٨٩٩م) تحقيق رمضان عبد التواب وسلاح الدين الهادي. وزارة الثقافة. مركز تحقيق التراث ١٩٧٠م/١٢٩٠هـ.

٢٢٧- مراتب النحويين واللغويين. أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي -٥٣٥١/٩٦٢م) تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة نهضة مصر القاهرة (مقدمة ١٩٥٥م/١٣٧٥هـ).

٢٢٨- المزهر. جلال الدين السيوطي (-٥٩١١/١٥٠٥م) تحقيق محمد أحمد جاد الله المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة (٤).

٢٢٩- المسائل السكريات. أبو علي الفارسي (-٥٣٧٧/٩٨٧م) تحقيق إسماعيل أحمد عمارة. مراجعة الدكتور نهاد موسى. منشورات الجامعة الأردنية. عمان ١٩٨١م/١٤٠٢هـ.

٢٤٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل (-٥٢٤١/٨٥٥م) (ابن عبد الله أحمد بن محمد الشيباني). القاهرة ١٢١٢/١٨٩٥م.

٢٤١- معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني. الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي. الناشر دار الفكر. عمان ط١/١٤٠٥/١٩٨٤م.

٢٤٢- معاني القرآن. الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد (-٥٢٠٧/٨٢٢م) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار. طبعة دار الكتب المصرية ١٢٧٤/١٩٥٥م.

٢٤٣- المعاني الكبير. ابن قتيبة (أبو عبد الله محمد بن مسلم الدينوري - ٥٢٧٦/٨٨٩م). حيدر آباد الهند ط١/١٢٨٦/١٩٤٩م (مجلد ١ - ٢).

٢٤٤- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. العباسي (أبو الفتح عبد الرحيم عبد الرحمن ٨٦٧-٩٦٢/١٤٦٢م-١٥٥٥م). تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. عالم الكتب بيروت ١٢٦٧/١٩٤٧م.

٢٤٥- معجم الأدباء. ياقوت الحموي (-٥٦٢٦/١٢٢٨م) دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان (٤).

٢٤٦- معجم البلدان. ياقوت الحموي (-٥٦٢٦/١٢٢٨م) دار صادر بيروت ١٢٧٥/١٩٥٦م.

٢٤٧- المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم. إعداد عبد العزيز عز الدين السيروان. دار العلم للملايين ط١/١٩٦٨م/١٢٨٨م.

٢٤٨- معجم شواهد العربية. عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. مصر ط١/١٢٩٢/١٩٧٢م.

٢٤٩- معجم المصطلحات البلاغية. الدكتور أحمد مطلوب. مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦/١٩٨٦م.

٢٥٠ - معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس (-٥٢٩٥/١٠٠٤م) (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا). دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاء ط١/ القاهرة (٤).

٢٥١ - المفتي في التوحيد والعدل. القاضي عبد الجبار (-٥٤١٥/١٠٢٤م) تقديم إبراهيم الأبياري. إشراف الدكتور طه حسين. مطبعة دار الكتب. الجمهورية العربية المتحدة ط١٢٨٠/٥١٩١١م.

٢٥٢ - مفتاح اللسانيات. جورج مولان.

Clefs pour la linguistique. Georges Mounin. Seghersedt St. Etienne France 1968/1969.

٢٥٣ - مقدمة القصيدة في العصر العباسي الأول. الدكتور حسين عطوان. دار المعارف القاهرة ١٩٧٤م/٥١٢٩٤.

٢٥٤ - مفتاح العلوم. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن السكاكي (-٥٦٢٦/١٢٢٨م) القاهرة ١٩٧٤م/٥١٢٩٤.

٢٥٥ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده. (-٥١٦٨/١٥٦٠م) تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة ١٩٦٨م/٥١٢٨٨.

٢٥٦ - المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (-٥٥٠٢/١١٠٨م) طبعة اليمنة، القاهرة ١٢٢٤/١٩٠٦م وأنظر طبعة طهران ١٢٧٢/١٩٥٣م.

٢٥٧ - المفضليات. الفضل النبي (أبو العباس الفضل بن محمد (-٥١٦٨/٧٤٨م) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. دار المعارف القاهرة. ط٢/١٩٦٤م/٥١٢٨٤.

٢٥٨ - مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري (رسالة ماجستير) إعداد جهاد المجالي. إشراف الدكتور محمود السمرة. الجامعة الأردنية ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ.

٢٥٩- المنتخب. البرد (أبو العباس محمد بن يزيد - ٨٩٩/٥٢٨٦م تحقيق عبد الخالق عزيمة.
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة. ١٩٦٢م/١٩٦٩م/٥١٢٨٢/٥١٢٨٩.

٢٦٠- مقدمة في صناعة النظم والشر. النواجي (شمس الدين محمد بن حسن -
١٤٥٥/٥٨٦٠م) تحقيق محمد بن عبد الكريم. منشورات مكتبة دار الحياة. بيروت (٤).

٢٦١- الملل والنحل. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني
(١١٥٢/٥٥٤٨م) تحقيق سيد الكيلاني. مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٦١م/٥١٢٨١
(٢ ج) وأنظر تحقيق محمد عبد العزيز ومحمد الوكيل طبعة دار الاتحاد العربي. مصر
١٩٨٦/٥١٢٨٢م).

٢٦٢- مناهج بلاغية. الدكتور أحمد مطلوب. وكالة المطبوعات. الكويت ١٩٧٢م/٥١٢٩٢.

٢٦٣- مناهج الدراما الأدبية في الأدب العربي (عرض وقد واقتراح). الدكتور شكري
فصل. دار العلم للملايين ط ٥/١٩٨٢م/١٤٠٢هـ.

٢٦٤- الموازنة بين الشعراء. زكي مبارك. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط ٢/مصر
(٤).

٢٦٥- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. أبو القاسم بن بشر الآمدي (- ٥٢٧٠/٩٨٠م)
تحقيق السيد أحمد سقر. دار المعارف بمصر ١٩٦١م/٥١٢٨٠.

٢٦٦- المؤلف والمختلف. الآمدي (- ٥٢٧٠/٩٨٠م). مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية
بيروت لبنان ط ٢/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٦٧- الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم البيان. الدكتور جعفر دك الباب. دار
الجيل دمشق ١٩٨٠م.

٢٦٨- الموسوعة العربية الميسرة. إشراف محمد شفيق غريال. مؤسسة فردكليس للطباعة
والنشر، دار القلم ١٩٦٥م/٥١٢٨٥.

٢٦٩- الموشح. المرزباني (أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (-٥٢٨٤/١٩٩٤م) تحقيق محمد البجاوي. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة ١٩٦٥م/٥١٢٨٥هـ.

٢٧٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (-٥٧٤٨/١٢٤٨م) تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعارف - بيروت (٤).

- ن -

٢٧١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين أبو الحسن علي بن الحسن (-٥٨٧٤/١٤٦٩م). دار الكتب المصرية، القاهرة ١٢٥٢/٥١٢٥٠م.

٢٧٢- نزعة الأبناء في طبقات الأدباء. ابن الأثيري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (-٥٥٧٧/١١٨١م) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي. مكتبة النار. الزرقاء - الاردن. ط ٢٤/٥١٤٠٥/١٩٨٥م.

٢٧٢- النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام. الدكتور محمد إبراهيم نصر. دار الفكر العربي ١٢٩٨/١٩٢٨م.

٢٧٤- النقد الأدبي. كارلوني وفيللو. ترجمة كيتي سالم. بيروت ١٩٧٢م/٥١٢٩٢هـ.

٢٧٥- النقد التعليمي والموازنات. محمد الصادق عفيفي. مؤسسة الخالجي مصر ١٢٩٨/١٩٧٨م.

٢٧٦- نقد الشعر. قدامة بن جعفر (-٥٢٢٧/٩٤٨م) تحقيق كمال مصطفى. مطبعة السعادة بمصر ١٢٨٢/١٩٦٢م.

٢٧٧- النقد المنهجي عند العرب. الدكتور مدد مندور. دار نهضة مصر (٤).

٢٧٨- نقد الشر المنسوب. لقدامة بن جعفر (-٥٢٢٧/١٤٨م) تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد الصبادي. وزارة المعارف العمومية ١٩٢٩م/١٢٥٨هـ. حقق باسم البرهان في وجوه البيان لابن وهب أبي إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب (- بعد ١٧٨/٧٩٤م) تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتور خديجة الحديشي. مطبعة اعلاني بغداد ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ.

٢٧٩- نكت الاختصار لنقل القرآن للباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب) (-٥٤٠٢/١٠١٢م) تحقيق محمد زغلول سلام. الاسكندرية ١٩٧١م/١٣٩١هـ.

٢٨٠- النكت الحسان في شرح غاية الإحسان. ابن حيان النحوي (-٥٤٧٥/١٠٨٢م) تحقيق الدكتور عبد الحسين الفلي. مؤسسة الرسالة بيروت ط١/١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٨١- نهاية الأدب. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (-٥٧٢٢/١٢٢٢م). نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٥٥م/١٢٧٥هـ. مطابع كوستا تسوماس. القاهرة بدون تاريخ (٤).

٢٨٢- نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز. تأليف فخر الدين الرازي (-٥٦٠٦/١٢٠٩م) تحقيق الدكتور بكري شيخ أمين. دار العلم للملايين ط١/١٢٨٥هـ/١٤٠٦م.

٢٨٢- نهج البلاغة. الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) (-٢٢ق هـ-٥٤٠/٦٠٠م-٦٦١م) (ج ١ - ٢) طبعة الشيخ محمد عبد. الرحمانية - القاهرة (٤).

٢٨٤- النوادر في اللغة. أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس بن ثابت (-٥٢١٥/٨٢٠م) تحقيق سعيد الخوري الشرتوني. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٨٩٤م/١٤٠٥هـ.

- ه -

٢٨٥- هدية العارفين. البغدادي (اسماعيل باشا - ١٢٢٩/١٩٢٠م) طبعة وكالة المعارف استانبول ١٩٥٥م/١٢٧٥هـ.

- و -

٢٨٦ - الوافي في المروض والقوافي. الخطيب التبريزي (-٥٥٠٢/١١٠٨م) تحقيق عبد الله الحساني. مؤسسة عالم المعرفة (٤).

٢٨٧ - الرماطة بين المتنبي وخصومه. القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (-٥٢٩٢/١٠٠١م) تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم طبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٢٨٦/١٩٦٦م.

٢٨٨ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (-٥٦٠٨/٦٨١م) تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة بيروت لبنان (٤) (٨ ج).

- ي -

٢٨٩ - يتيمة الدهر. المالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (-٥٤٢٩/١٠٢٧م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة حجازي القاهرة ط١/١٩٤٧م/١٢٦٦هـ (ج١-٤).

ABSTRACT

The present thesis is a critic and analytic study of AL-KHAFAJI Sirru Al Fassaha concerning literary, rhetorical and critical issues involved. The study, consequently, results in the following conclusions:

Phonetics is a major concern of AL-KHAFAJI, and so receives priority to other linguistic levels though it appeared, Chronically, later. He adopts objectivity and methodology in his critical processes, and goes beyond the superficial description of rhetoric and fluency to their internal analysis. In handling issues properly, he finds it of interest to apply both theoretical and practical approaches.

The book demonstrates the relationships among literature, criticism and rhetoric. Moreover, it reveals the ability to study rhetoric (through) (via) literature, and vice versa. The theory of composition is characterized by both the comprehensive and partial views of criticism. Re - examining the previous literary works may be considered as a request in this book.

1991